الوساطة بين المتنبي وخصومه

للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني

تحقيق وشرح

محمد أبو الفضل إبراهيم

علي محمد البجاوي

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

الوساطة بين المتنبي وخصومه

للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني

تحقيق وشرح

محمد أبو الفضل إبراهيم

علي محمد البجاوي

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل النقد فى القرن الرابع إلى أوْجه ، فصار خصبا ، متّسع الآفاق ، معتمدا على الذوق الأدبى السليم ، مؤتنسا بمناحى العلم فى الصورة والشكل لا فى الجوهر والروح ؛ إن حلل فبذوق سليم ، وإن علل فبمنطق سديد ، وإن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها[1].

واحتفى ـ أو كاد ـ تبعا لذلك ، أو نتيجة له ، من حَلبته اللّغويون والنحاةُ ، وحمل رايتَه الأدباء ؛ يتميّز نقدُهم باستقصاء البحث ، وشمُول الفكرة ، وتوضيح العلل ، والموازنة العامة بين الشعراء ، وعُنُوا بدراسة الشعر وتقدير رجاله ، وتخاصموا فيهم ؛ فهذا ينتصر لأبى تمام ، وذاك يتشيّع للبحترى ، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبى وينسبون إليه كل فضيلة فى الشعر ، وأولئك ينتقصون منه ويَرْمونه بالتعقيد والمماظلة والالتواء ؛ وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب ؛ وسارت مقالاتهم وكتبهم فى كل صُقْع وواد .

من هؤلاء أبو الفرج الأصفهانى ، وابن العَميد ، والصاحب بن عَبّاد ، وأبو على الحاتمى ، وأبو الحسن بن لنكك البصرى ، والآمدى ، والجُرْجانىّ . إلا أن أبا الحسن الجرجانىّ كان أصْرَحَهُم نقدا ، وأوسعهم أفقا ، وأشملهم بحثا .

فقد ظهر المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس ، كما يقول ابن رشيق ، واختصم الأدباء فى شعره ، وقطعوا الأزمان المتواصلة فى تحديد أغراضه ؛ وتعصّب له فريق ، وغضّ من شأنه فريق ، وكان من الذين غضّوا من شعره الصاحب بن عباد ؛ وألّف فيه رسالة سمّاها : «الكشف عن مساوى المتنبى» ، أقامها على التنقص منه ، والحطّ من مقداره . وقد ذكر الرواة أن الصاحب كان هيّن المكانة حين وفد المتنبى على ابن العميد ، وكان يودّ لو قصده أبو الطيب ؛ فلما تجاهله جزع وسخط ، وألف فيه هذه الرسالة ؛ وذكر

---

(١) تاريخ النقد الأدبى للأستاذ طه أحمد إبراهيم : ١٤٧ .

فيها من شعر المتنبي أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهها .

وكان أبو الفتح عثمان بن جني من ناحية أخرى يرفع من مقداره ؛ ويشيد من ذكره ؛ وأصبح لكل منهما أشياع .

كتاب الوساطة

فى هذه الحلبة وذلك المعترك ألّف القاضى على بن عبد العزيز كتاب « الوساطة ». قال الثعالبي فى اليتيمة :

« ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة فى إظهار « مساوى المتنبي » عمل القاضى أبو الحسن كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه فى شعره » ؛ فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمر فى فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحّره فى الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ؛ فسار الكتاب مَسير الرياح ، وطار فى البلاد بغير جناح ، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور :

أيا قاضياً قد دنتْ كتبه ... وإن أصبحَتْ دارَه ساحِطهْ

كتابُ الوساطة فى حُسْنِه ... لِعقْدِ معاليكَ كالوَاسِطَهْ

وقال صاحب كشف الظنون :

«أما القاضى أبو الحسن فإنه ادّعى التوسط بين خصوم المتنبي ومحبّيه ، وذكر أن قوماً مالوا إليه ، حتى فضّلوه فى الشعر على جميع أهل زمانه ، وقوماً لم يعدّوه من الشعراء وازْدَرَوْه غاية الازدراء حتى قالوا : إنه لا ينطق إلا بالهوى ؛ ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء ، ومعانيه كلها مسروقة . فتوسط بين الخصمين ، وذكر الحقّ من القولين » .

وليس كتاب الوساطة مختصًّا بشعر المتنبي كما يفهم من عنوانه ، بل إنه عَرَضَ للاصول الأدبية التى عرفت فى عصره ، وحلّل أشعار القدماء والمُحْدَثين ؛ وأوْرَدَ كثيراً من محاسنهم وعيوبهم ، وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض ، وأخذ وسرقة ،

واستعارة حسنة أو رديئة ، ثم عرض للبيئة وأثرها فى الشعر والبداوة وما تحدثه من جَفْوةٍ فى الطباع ، والحضارة وما ينشأ عنها من رِقَّةٍ وسهولة ، ثم عرض لخصوم المتنبي وأنْصاره ، ومعانيه المأخوذة أو المخترعة . . . كل ذلك وغيره أوردهُ فى أسلوب واضح ، وعرض شامل ؛ مما ستراه حين تمضى فى قراءة الكتاب .

مؤلف الكتاب :

هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانىّ المشهور بالقاضى .

ولد فى جُرْجَان سنة ٢٩٠ هـ ، ونشأ بها . وكانت الدولةُ الإسلامية قد بلغت نُضْجَها العلمىّ ، وتعددت الحواضِرُ الإسلامية تزخَرُ بالعلم والعلماء ، وأصبحت الرِّحلة سبيلَ التعلم والدَّرْس ؛ فجاب الأرضَ ، وزار العراق والشام والحجاز ، ولقِىَ مشايخ وقتِه وعلماء عَصْرِهِ ، واقتبس العلومَ والآداب ، وصار فيها عَلَماً وإماماً .

اشتهر بالفقه ، وترجم له الشيرازى فى طبقات الفقهاء ، وفسَّر القرآن الكريم ، وذكره السيوطى فى طبقات المفسّرين ، واشتغل بالتاريخ وله فيها آثار ، ثم هو شاعر مُتْقِن ، وكاتبٌ مترسّل ، وناقد لَوْذعىّ بصير . وفيه يقول صاحب اليتيمة :

« حَسَنة جُرجان ، وفَرْد الزمان ، ونادرة الفَلَك ، وإنسان حَدَقة العلم ، ودُرّة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خطّ ابن مُقْلة ، إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترىّ ؛ وينظم عقد الإحسان والإتقان فى كل ما يتعاطاه » .

وفيه يقول الصاحب بن عبّاد :

إذا نحن سَلَّمنَا لك العلمَ كلَّه ... فدعْنا وهذى الكتْبَ نحسنْ صدورَها
فإنهمُ لا يرتضون مجيئَنا ... بِجَزْعٍ إذا نظَّمتَ أنت شذورَها

عرف له الصاحب فضلَه فولّا قضاء الرَّى ، وكانت حضرةُ الصاحب محطَّ رحال العلماء والشعراء والأدباء . واحتفّ به من نجوم الأرض وأبناء الفضل وفرسان الشعر مَنْ يُربى عددهم على من اجتمع على أبواب الرشيد ، مثل : أبى الحسن السلّامى ، وأبى بكر الخوارزمىّ ، وأبى طالب المأمونى ، وأبى القاسم الزعفرانىّ ،

وأبى الفضل الهمذانى . . . وغيرهم .

ولكنّ القاضى على بن عبد العزيز كان آثرَهم عنده ، وأقربهم إليه ؛ لفضله ومكانته ، وعلوّ منزلته ، وشرَف نفسه . قال أبو نصر التّهذيبى :

سمعت القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز يقول : انصرفتُ يوماً من دار الصاحب – وذلك قبيل العيد ، فجاءنى رسولُه بمطر الفِطْر ، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يأيهــا القاضى الذى نفسى له ... معْ قرْب عهد لقائه مشتاقــهْ
أهديتُ عِطْرًا مثلَ طيب ثنائه ... فكأنما أهدِى له أخــلاقَهْ

قال ، وسمعتُه يقول : إنّ الصاحب يقسم لى من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلاد ، وقد استعفيْتُه يوماً من فَرْطِ تحَفّيه بى ، وتواضعه لى، فأنشدنى :

أكرمْ أخاك بأرض مولده ... وأمِدَّه من فعلك الحسَنِ
فالعزّ مطلوبٌ وملتمسٌ ... وأعزُّه ما نيــلَ فى الوطنِ

وكتب إلى حسام الدولة أبى العباس تاش الحاجب يقول : « قد تقدم من وصفى للقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش – دام علوّه – من كتبى ما أعلم أنى لم أُؤَدّ فيه بعض الحقّ ، وإن كنتُ دلَلْتُ على جملةٍ تنطق بلسان الفضل ، وتكشفُ عن أنّه من أفراد الدّهر فى كل قِسْم من أقسام الأدب والعلم ؛ فأما موقعُه منّى فالموقعُ الذى تخطب فيه هذه المحاسن ، وتوجبه هذه المناقب ؛ وعادته معى ألّا يفارقنى مقيماً وظاعناً ، ومسافراً وقاطناً . وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان ، بعد أن شرطتُ عليه تصيير المقام كالإلمام ، فطالبنى مكانُه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عَرْضِه وجدّ من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله ؛ ليتعجّل انكفاؤُه إلىّ بما رسم – أدام الله أيامه – من مظاهرته على مايقدّم الرحيل ، ويفسح السبيل ؛ من بَذْرَقَةٍ[1] إن احتاج إلى الاستظهار بها ،

(١) البذرقة : الخفارة فى الطريق .

ومخاطبة لبعض مَنْ فى الطريق يتعرف النَّهْـج فيها ، فإن رأى الأميرُ أن يجعلَ من حظوظى الجسيمة عنده تمهدَ القاضى أبى الحسن بما يعجّل ردَّه ؛ فإنى ما غاب كالمضلّ الناشد ، وإذا عاد كالغانم الواجد ؛ إن شاء الله » .

وقد عرف القاضى أبو الحسن للصاحب كيف يَجْزِيه عن وُدِّه ، ويكافئه عن تحفّيه به ؛ فسيَّر فيه مدائحَ يقول فيها الثعالبى : « أخلصت على قصْد ، وأنت من فَرْد ، وما فيها إلا صوْب العقل ، وذَوْب الفضل » .

ومن قوله فيه يهنئه بالبُرْء من المرض :

أفى كلِّ يوم للمكارم رَوْعـــةٌ ... لهــا فى قلوب المكرُمــات وَجيبُ
إذا ألِمَتْ نفسُ الوزير تألَّمتْ ... لهــا أنفُسٌ تحيــا بهــا وقُلوبُ
ووالله لا لاحظتُ وَجْهًــا أحِبُّــه ... حياتى وفى وجهِ الوزير شُحوبُ
وليس شحوباً ما أراه بوجْهِهِ ... ولـكنه فى المكرماتِ نُدُوبُ
تهلَّلَ وجْهُ المجد وابتسم الندى ... وأصبح غُصْن الفَضل وهو رطيبُ
فلا زالتِ الدنيا بِملْكك طلقةً ... ولا زال فيها من ظلالِكَ طيبُ

***

قال الحاكم فى تاريخ نيسابور : « ولم يزل أبو الحسن يتقدّم إلى أنْ ذُكِر فى الدنيا ، وحُمِل تابوتُه إلى جرجان فدُفن بها ، وصلّى عليه القاضى أبو الحسن عبد الجبار ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض راجلَيْن (١) . وكان ذلك ــ كما يقول ابن خلكان ــ سنة ٣٦٦ (٢) ؛ وعمره ٧٦ عاما » .

أدبه وآثاره :

أما آثاره فقد ذكر منها ياقوت فى معجم الأدباء « تفسير القرآن الكريم » ، وكتاب « تهذيب التاريخ » ؛ نقل عنه ابن خلدون فى تاريخه الكبير ، وذكره

(١) راجلين : سائرين على أقدامهما .

(٢) فى معجم الأدباء : جزء ١٤ صفحة ١٥ : مات بالرى يوم الثلاثاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . وكذلك فى تاريخ أدب اللغة لجورجى زيدان ٢ ــ ٢٩٢ . وفى ابن خلكان (١ ــ ٤٨٥) : وقال غير الحاكم : توفى سنة ٣٩٢ ، ونقل الحاكم أثبت وأصح .

الثعالبي فقال : « إنه تاريخٌ في بلاغة الألفاظ ، وصحة الروايات ، وحسن التصرّف في الانتقادات » ، وأورد فصلين منه في يتيمة الدهر ؛ ثم كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » — وقد سبق الحديث عنه — وله ديوان شعر ذكره ابن خلكان ؛ يجمع بين العذوبة والجزالة ؛ وتترقرق فيه شمائلُه السمحة الرضيّة ، ونفسه الكريمة الأبية ؛ فمن غزله الرقيق :

أفدِي الذي قال وفي كَفِّهِ … مثلُ الذي أشربُ مِنْ فِيهِ
الوردُ قد أينَعَ في وَجْنَتِي … قلتُ : فَمِي باللثْمِ يَجْنِيهِ

ومن قوله في الحنين إلى بغداد :

أراجعة تلك الليالي كعهدها … إلى الوصلِ أم لا يُرْتجى لي رجوعُها
وصحبة أحبابٍ لبست لفقدهمْ … ثيابَ حدادٍ يُسْتَجَدُّ خليعُها
إذا لاح لي من نحوِ بغداد بارقٌ … تجافت جُفُوني واسْتُطِير هُجوعُها
سقى جانبيْ بغداد كلُّ غمامةٍ … يحاكي دموعَ المستهام هُمُوعها
مَعَاهِدُ من غِزْلانِ أُنسٍ تحالفتْ … لواحظُها ألَّا يُداوَى صريعُها
يحنّ إليها كلُّ قلبٍ كأنّما … يُشَاد بحبّاتِ القلوب ربيعُها
فكلُّ ليالي عيشها زَمَنُ الصِّبَا … وكلُّ فصولِ الدهرِ فيها ربيعُها

ومن قوله يصف نفسه :

يقولون لي فيكَ انقباض وإنما … رأَوْا رجُلاً عن موقفِ الذُّلّ أحْجَما
وما زلتُ منحازاً بِعِرضيَ جانباً … من الذَّمِّ أعتَدُّ الصيانةَ مَغْنَما
إذا قيل هذا مشربٌ قلتُ قد أرى … ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتمل الظَّما
ولم أقْضِ حقَّ العِلْمِ إنْ كان كلّما … بدا مطمَعٌ صيَّرْتُه لِيَ سُلَّما
ولم أبْتذِلْ في خدمة العِلْمِ مُهْجَتي … لأخْدُم مَنْ لاقيتُ لكن لأُخْدَما
أأشقى به غَرْسا وأجنيه ذِلَّةً … إذاً فابتياعُ الجهل قد كان أحْزَما
ولو أنَّ أهلَ العِلْمِ صانوه صانهم … ولو عظموه في النفوس تعظّما

وقد أورد ياقوت فى معجم[1] الأدباء ، والثعالبى فى يتيمة الدهر[2] ، طائفة من شعره ، تدور حول الفخر والمدح ، والغزل وغيرها من فنون الشعر .

مخطوطة الكتاب وعملنا فيه :

وهذا الكتاب كان قد نشره الأديب الأستاذ أحمد عارف الزين بمطبعة العرفان فى صَيْدَا سنة ١٣٣١ هـ ، وذكر أنه اعتمد على مخطوطتين إحداهما عراقية والثانية فى المكتبة الأزهرية . ثم طبع مرة أخرى فى مطبعة محمد على صبيح .

وكلتا هاتين المطبوعتين تخلوان تماماً من الضبط ، ويشيع فيهما الخطأ . ولما شرعنا فى نشر هذا الكتاب رجعنا إلى نسخة مخطوطة بالمكتبة الأزهرية برقم ١٥٢٦ أدب ، وهى فى نحو ١٣٠ ورقة كتبها بخطه سويفى بن أحمد العدوى سنة ١٣٢٨هـ عن نسخة كتبت فى سنة ١٣٢٦هـ ، وهذه الأخيرة كتبت عن نسخة مكتوبة سنة ١٣١٦هـ وهى نسخة يشيع فيها الخطأ والتحريف وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) كما رمزنا إلى النسخة المطبوعة فى صيدا بالحرف ا .

ثم عمدنا إلى مراجعة نصوص الشعر على دواوين الشعراء وكتب الأدب ، وضبط الأعلام على المعاجم وكتب التاريخ ، وشرحنا بعض ماغمض من الكلمات والعبارات؛ لنذلل الصعاب ونساعد القارئ على متابعة أفكار المؤلف والانطلاق فى آفاقه.

ثم وضّحْنا معالم الكتاب بعُنْوَاناتٍ تقرّب مَرْمَاه ، وتوضّح غايته ، ومعظمُها اقتباس من نصّ المؤلف ؛ إذ كان الكتاب كله رسالة واحدة ، ومقالة يمضى فيها المؤلف من أول الشوط إلى نهايته ، وشفعناه بالفهارس المتنوعة .

وفى هذه الطبعة الجديدة عدنا إلى الكتاب فزدْنا فى شرحه وضبطه وتحقيقه ؛ كفاء لما لاقى الكتاب من إقبال وتشجيع .

ونرجو أن نكون قد جعلناه فى صورة أدنى إلى الكمال ، وأقرب إلى الإتقان ؛ ونسأل الله أن يجعله عملاً نافعاً مقبولاً .

شعبان سنة ١٣٨٦ (نوفمبر سنة ١٩٦٦) — المحققان

(١) الجزء الرابع عشر صفحة ١٥ وما بعدها .

(٢) الجزء الرابع صفحة ٣ـ٢٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

التفاضل ـ أطال اللهُ بقاءك ـ داعيةُ التنافس ؛ والتنافسُ سببُ التحاسد[1] ؛ وأهل النقص رَجُلان : رجل أتاه التقصيرُ من قِبَله ، وقعد به عن الكمال اختيارُه ، فهو يساهم الفضلاءَ بطبْعه ، ويحنو على الفضل بقدر سَهْمِه[2] ؛ وآخرُ رأى النقص ممتزجاً بخِلقته ، ومؤثَّلا فى تركيب فِطْرته ، فاستشعرَ اليأسَ من زواله ، وقَصُرتْ به الهمةُ عن انتقاله ؛ فلجأ إلى حَسَد الأفاضل ، واستغاث بانتقاص الأماثل ؛ يرى أن أبلغَ الأمور فى جبْر نقيصته ، وسَتْرِ ما كشفه العجْزُ عن عورته اجتذابُهم إلى مُشاركته ، ووسْمُهم بمثل سِمَته ، وقد قيل[3] :

وإذا أرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ   طُوِيَتْ أتَاحَ لهَا لِسَانَ حَسُودِ

صدق والله وأحسن ! كم من فضيلة لو لم تستثِرْهَا المحاسد[4] لم تبرحْ فى الصدور كامنة ، ومَنْقبةٍ لو لم تُزْعِجْها المنافسةُ لبقيت على حالها ساكنة ! لكنها برزتْ فتناولتْها ألسنُ الحُسَّد[5] تجلُوها ، وهى تظن أنها تمحوها ، وتَشْهرُها وهى تحاول

---

(١) فى ب « الحسد » .

(٢) فى ب « سعيه » .

(٣) البيت لأبى تمام ، ديوانه ص٧٦ .

(٤) فى ا « المحاسدة » ، وما أثبتناه عن ب .

(٥) فى ب « الفضاح » .

أن تَسْتُرَها ؛ حتى عَثَرَ بها مَنْ يعرف حقها ، واهتدى إليهـا مَنْ هو أولى بها ، فظهرت على لسانه فى أحسنِ معرِض ، واكتست من فضله أزينَ ملبس ؛ فعادت بعد الخمول نابهة ، وبعد الذبول ناضرة ، وتمكنت من برِّ والدها فنوَّهت بذكره ، وقَدَرت على قضاء حقِّ صاحبها فرفعت من قَدْره ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

ولم تزَل العلومُ ـ أيَّدك الله ـ لأهلها أنساباً تتناصرُ بها ، والآدابُ لأبنائها أرحاماً تَتَواصلُ عليها ، وأدنى الشِّرك فى نسب جوار ، وأول حقوق الجار الامتعاضُ له ، والمحاماةُ دونه ، وما مَنْ حفظ دمه أن يُسفك ، بأولى ممَّن رَعَى حريمه أن يهتك[1] ولا حرمةَ أولى بالعناية ، وأحقُّ بالحماية ، وأجدر أن يبذُل الكريمُ دونها عِرْضَه ، وَيمتهن فى إعزازها مالَه ونفسَه مِنْ حُرْمة العلم الذى هو رَوْنَق وجْهِهِ ، ووقاية قَدْره ، ومَنَار اسمه ، ومَطِيّة ذِكْره .

وبحَسَب عِظَم مزيته وعلوِّ مرتبته يعظم حقُّ التشارك فيه ، وكما تجب حياطتُه ، تجب حياطة المتَّصل به وبسببه ، وما عقوق الوالد البَرّ ، وقطيعةُ الأخ المشفِق ، بأشنعَ ذِكْراً ، ولا أقبح وَسْما من عقوق مَنْ نَاسَبَك إلى أكرم آبائك ، وشاركك فى أفخر أنسابك ، وقاسمك فى أزين أوصافك ، ومَتَّ إليك بما هو حظُّك من الشرف ، وذريعتُك إلى الفخر .

وكما ليس من شرْط صِلَة رحمك أن تَحِيف لها على الحق ، أو تميلَ فى نصرها عن القَصْد ، فكذلك ليس من حُكْم مراعاة الأدب أن تعدِل لأجله عن الإنصاف ، أو تخرج فى بابه إلى الإسرف ، بل تتصرَّف على حكم العدل كيف صَرَفك ، وتقفُ على رَسْمه كيف وَقفَك ، فتنتَصِف تارة وتعتذر أخرى ، وتجعل الإقرار بالحق عليك

---

(١) فى ب : « وما حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك » وفى ا « وما من حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك »

شاهداً لك إذا أنكرت ، وتقيم الاستسلام للحجة ــ إذا قامت ــ محتجّا عنك إذا خالَفْت ، فإنه لا حال أشدُّ استعطافاً للقلوب المنحرفة ، وأكثر استمالةً للنفوس المشمئزة ، من توقُّفك عند الشُّبهة إذا عَرَضتْ ، واسترسالِك للحجّة إذا قهرت ، والحكمِ على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها ، وتنبيهِ خصمك على مكامِن حِيَلك إذا ذهب عنها ؛ ومتى عُرِفْتَ بذلك صار قولُك برهاناً مسلَّماً ، ورأْيك دليلا قاطعاً ، واتَّهم خصمُك ماعلمه وتيقنه ، وشكَّ فيما حفظه وأتقنه ، وارتاب بشهوده وإنْ عدّلتهم المحبّة (١) ، وجَبُن عن إظهار حُججه وإن لم تكن فيها غميزة ، وتحامتك النواظر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة ، وهابتك الألسُنُ فلم تعرض لك إلا فى الفَرْط والنَّدرة .

وما زلتُ أرى أهل الأدب ــ منذ ألحقتْنى الرغبةُ بجملتهم ، ووصلَتِ العنايةُ بينى وبينهم ــ فى أبى الطيب أحمدَ بنِ الحسين المتنبى فئتين : من مُطنب فى تقريظه ، منقطع إليه بجُملته ، منحطّ فى هواه بلسانه وقلبهِ ، يلتقى مناقِبَه إذا ذُكِرت بالتعظيم ، ويُشيع محاسنه إذا حُكِيت بالتفخيم ، ويُعجَب ويعيد ويكرر ، ويَميل على من عابه بالزِّرايَة والتقصير ، ويتناول من يَنْقُصُه بالاستحقار والتجهيل ؛ فإن عَثَر على بيت مختلّ النظام ، أو نِبَه على لفظ ناقص عن التمام التزم مِنْ نُصْرَة خطئه ، وتحسين زَلَله مايُزيله عن موقف المعتذر ، ويتجاوز به مقام المنتصر . وعائبٍ يروم إزالَته عن رُتبته ، فلم يسلِّم له فضله ، ويحاول حَطَّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبُه ؛ فهو يجتهدُ فى إخفاء فضائله ، وإظهار مَعايبه ، وتتبع سقطاتهِ ، وإذاعة غفَلاته . (٢)

وكلا الفريقين إما ظالمٌ له أو للأدب فيه ؛ وكما أن الانتصارَ جانبٌ من العَدْل لايسدّه الاعتذار ؛ فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومَنْ لم يفرِّق

---

(١) فى ا ، ب : « المحنة » وهو تحريف .

(٢) فى ب « وإبداء معايبه » .

بينهما وقفت به المَلاَمةُ بين تفريط المقصّر ، وإسراف المفْرِط ؛ وقد جعل الله لكل شىْء قَدْرا ، وأقام بين كل حديث فَصْلا ؛ وليس يطالَب البَشر بما ليس فى طبع البشر، ولا يُلْتَمس عند الآدمىّ إلا ما كان فى طبيعة وَلدِ آدم ؛ وإذا كانت الخلقة مبنيةً على السهو وممزوجة بالنسيان ؛ فاستسقاط من عزّ حالُه حيْف ، والتحاملُ على من وُجِّه إليه ظلم .

وللفضل آثارٌ ظاهرة ، وللتقدم شواهدُ صادقة ، فمتى وُجِدتْ تلك الآثار ، وشُوهدت هذه الشواهد فصاحبُها فاضل متقدم ؛ فإن عُثِر له من بعدُ على زَلّة ، ووجدت له بعَقِب الإحسان هَفْوة انتُحِل له عذرٌ صادق ، أو رُخصة سائغة ؛ فإن أعوز قيل : زلّة عالم ، وقلَّ من خَلا منها ، وأىُّ الرجال المهذب ! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل ، ولزال الجَرْح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً ، ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً ، وأىّ عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط ! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يَهْفُ ولم يسقط !

أغاليط الشعراء

ودونك هذه الدواوينَ الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجدُ فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لايمكن لعائب القَدْحُ فيه ؛ إمّا فى لفظه ونظمه ، أو ترتيبه وتقسيمه ، أو معناه ، أو إعرابه ؟ ولولا أن أهلَ الجاهلية جُدُّوا[1] بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القُدوة ، والأعلام والحجة ، لوجدتَ كثيراً من أشعارهم معيبة مُسترذله ، ومردودة منفيّة ، لكنّ هذا الظنَّ الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظِّنّة عنهم ، فذهبت الخواطر فى الذَّبِّ عنهم كلَّ مذهب ، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام ،

---

(١) يقال : جددت يا فلان (على من لم يسم فاعله) ، أى صرت ذا جد والجد : الحظ .

وما أراكَ ـ أدام الله توفيقك ـ إذا سمعتَ قول امرئ القيس[١] :

أيا راكباً بَلّغَ إخوانَنا مَنْ كان من كِنْدَةَ أو وائِلِ

فنصب « بلغ » ، وقوله[٢] :

فاليَوْمَ أشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْماً مِنَ اللهِ ولاَ واغِلِ[٣]

فسكن « أشرب » ، وقوله[٤] :

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ[٥]

فأسقط النونَ من « خَظَاتَا » لغير إضافة ظاهرة[٦] .

وقول لَبيد[٧] :

تَرّاكُ أمكنةٍ إذَا لم أرْضَها أو يرتَبِطْ بعضَ النُّفوسِ حِمامُها

فسكن « يرتبطْ » ولا عمل فيها لِلَم . وقول طرفة[٨] :

* قد رُفِعَ الفخُّ فماذا تحذَرى *

فحذف النون . وقول الأسديّ :

---

(١) فى الضرائر ص ١٠١ ، غير معزو لقائل .

(٢) ديوانه ص ١٥٠ .

(٣) المستحقب : المكتسب للإثم ، والواغل : الداخل على القوم فى شرابهم .

(٤) ديوانه ص ١٤ . اللسان (١٨ : ٢٥٤)

(٥) البيت فى وصف الفرس . والمتنتان : جنبتا الظهر ، والخظاة : المكتنزة من كل شىء. والمعنى : لها متنتان كساعدى النمر البارك فى غلظهما .

(٦) هذا رأى الفراء ، وقال : حذفت النون تخفيفا . وقال الكسائى : أراد خظتا ؛ فلما حرك التاء رد الألف التى هى لام الفعل ، لأنها إنما كانت حذفت لسكونها وسكون التاء ، فلما حرك التاء ردها فقال : « خظاتا » .

(٧) شرح المعلقات للتبريزى ص ١٥٥ .

(٨) شعراء النصرانية ص ٢٩٨ ، يصف قبرة ؛ وبقية البيت :

* ونقرى ما شئت أن تنقرى *

كنا نرقِّعْها وقد مُزِّقت واتسع الخَرْق على الراقع

فسكن « نرقعها » . وقال الآخر (١) :

تَأبَى قُضَاعَةَ أن تعْرِفْ لـكُمْ نَسَباً وابْنَا نِزَارٍ وأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ (٢)

فسكن « تعرف » ، وقول الآخر :

يا عَجَبا والدهر جمٌّ عجَبُهْ من عَنَزىٍّ سَبَّنى لَمْ أضرِبُهْ

فرفع « أضربه » . وقول الفرزدق (٣) :

وعَضُّ زَمَانٍ يابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ (٤)

فضم مجلَّفاً . وقولُ ذى الخِرَق الطُّهَوِى (٥) :

يَقُولُ الخَنى وأَبْغَضُ العُجْمِ ناطِقاً إلى ربنا صُوْتُ الحِمَار اليُجَدَّعُ (٦)

فأدخل الألف واللام على الفعل . وقول رُؤبة (٧) :

---

(١) نسبه صاحب اللسان إلى الراعى يهجو ابن الرقاع العاملى .

(٢) رواية اللسان (٨ : ٣٩٤) .

تأبى قضاعة لم تعرف لـكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البـلد

وعلى هذه الرواية لا يكون الاعتراض . وبيضة البلد : السيد .

(٣) النقائض : ٢ ــ ٢٤٨ ، الضرائر : ٣٩ ، اللسان ١٠ : ٣٧٥ .

(٤) المسحت : المهلك ، والمجلف : الذى بقيت منه بقية . ووجه الإنكار عطف مرفوع على منصوب . قال أبو عمرو بن العلاء : لا أعرف لها وجهاً ، وكان يونس لا يعرف لها وجهاً قيل له : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه . فقال : كان ينشدها على الرفع ، وأنشدنيها رؤبة على الرفع . وتأوله النحاة على الإضمار ، فـكأنه قال : « هو مجلف » .

(٥) خزانة الأدب للبغدادى : ١ ــ ١٠ : اللسان (٩ : ٣٩٠) .

(٦) أراد : الذى يجدع . وحمار مجدع : مقطوع الأذن .

(٧) اللسان : ٢ ــ ٤٢٠ ، وروايته :

أقفرت الوعساء فالعثاعث من أهلها فالبرق البرارث

أَقْفَرَتِ الْوَعْثاء وَالْعُثَاعِثُ مِنْ بَعْدِهِم وَالْبُرَقُ الْبَرَارِثُ[1]

وإنما هى البِرَاث جمع بَرَث ؛ وهى الأماكن السهلة من الأرض، وروى البَوَارث وكأنه جمع بارثة .

وقول بعض الرّجّاز[2] ؛ أنشده المفضّل :

كانت عجوزاً عُمِّرَتْ زمانا وهى ترى سَيْئَها إحسانا

تعرفُ منها الأنفَ والْعَينَانَا[3]

ففتح النون من العينانا . وقول آخر منهم ـ أنشده أبو زيد :

طاروا عليهنّ فَطِرْ عَلَاهَا واشدُدْ بمَثْنى حَقَبٍ حَقْواها[4]

ناجيةً وناجياً أباها

فرفع حَقْواها ، وحقُّه النصب، كما قدنصب أباها ، وحقُّه الرفع . وقول الأقيْشر[5] :

* وقد بَدَا هَنْك من المئْزرِ *

---

(١) فى الأصول « البوارث »

والوعث من الرمل : ما غابت فيه الأرجل والأخفاف ، والعثاعث : جمع عثعثة ؛ وهى الأرض اللينة البيضاء ، والبرق : أماكن فى بلاد العرب .

(٢) الضرائر ١٦١ ، شرح المفصل (٣:١٢٩) ، (٤:١٤٣) ونسبه أبو زيد إلى رؤبة ، وقال ابن هشام : إنه شعر مصنوع ، وقال المفضل : إنه لرجل من ضبة .

(٣) بعده :

* ومنخرين أشبها ظبيانا *

(٤) الحقب : حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير ، والحقو : الكشح ، شرح المفصل : (٣ : ١٢٩) ، اللسان (٩ : ٣٢٢) ، ورواية اللسان :

* طاروا علاهن فسل علاها *

(٥) أنشده سيبويه فى الكتاب (٢ : ٢٩٧) ، وصدره :

* رحت وفى رجليك ما فيهما *

وموضع المؤاخذة تسكين النون فى هنك ؛ وحقه التحريك .

وقول نُقيع [بن [1]] جُرْموز :

أطوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِى ... إلى أمّى ويرْوِينى النَّقيعُ [2]

فأدخل الألف فى أمّى لغير نداء ولا ضرورة .

وغيرُ هذا مما هو أسهلُ منه قول امرئ القيس [3] :

كأن ثَبيراً من عَرَانين وَبْلِهِ ... كبيرُ أُناسٍ فى بِجَادٍ مُزَمَّلِ [4]

نخفض « مُزَمّلا » [5] ، وهو وصفُ كبير . وقول الفرزدق [6] :

بِخَيرِ [7] يدَىْ مَنْ كانَ بعْدَ محمَّدٍ ... وجارَيْهِ والمقتولِ للهِ صائمِ

نخفض صائم . وقول رؤبة :

* قد شفّها النوح بمأزُولٍ [8] ضَيَقْ *

ففتح الياء . ومثال ذلك مما يُخرِج الكتاب عن غَرَضِهِ .

بعض ما كان يجرى بين الرواة والشعراء

ثم استعرضتَ إنكارَ الأصمعى وأبى زيد وغيرِهما هذه الأبيات وأشباهها ، وما جرى بين عبد الله بن أبى إسْحَاق الحَضْرَمِى والفرزدق فى أقواله ولحنه فى قوله [9] :

---

(١) زيادة من معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٩٥ . قال : « أراه سمى النقيع بهذا البيت » .

(٢) النقيع والنقيعة : المحض من اللبن يبرد . والبيت فى اللسان ١٠ : ٢٣٨ .

(٣) شرح المعلقات للتبريزى ص ٥٢ ، واللسان ٣ : ٣٣٠

(٤) ثبير : جبل ، والعرانين : الأوائل ، والوبل : ما عظم من المطر ، والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، ومزمل : ملتف .

(٥) تأول النحاة لخفضه فقالوا : إنه على الجوار مثل قولهم : هذا جحر ضب خرب (بكسر خرب) .

(٦) النقائض : ٢ — ٥٢

(٧) فى الأصول « تحير » ، وصوابه من النقائض .

(٨) المأزول : المضيق عليه .

(٩) خزانة الأدب ١ : ١١٤

فَلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ   وَلـكِنَّ عَبْدَاللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا[١]

ففتح الياء من موالى فى حالِ الجر ، وما جرى له مع عَنْبَسَة [٢] الفيل النحوى حتى قال فيه :

لقد كان فى مَعْدان[٣] والفيل شاغل   لِعَنْبَسَةَ الرّاوى علىَّ القصائِدا

وما كان القدماء يتتبعونه فى أشعار الأوائل من لحن وغَلَط وإحالة وفساد معنى ؛ حتى قال الْبَرْدَخْت[٤] لبعض النحويين :

لقد كان فى عينيك ياحفصُ شاغل   وأنف كَمْثلِ العُودِ ممـا تَتَبَّعُ
تَتَبَّعُ لحناً فى كلام مُرَقَّشٍ   وخَلْقُك مبنى على اللحن أجمع
فعيناك إقواء وأنفك مُكْفَأٌ   ووجهُك إيطَاء فأنت المرقَّـع[٥]

---

(١) المولى : الحليف ، وهو : المعاهد ؛ والرجل إذا كان ذليلا يوالى قبيلة ليعتز بأفرادها ، وإذا والى مولى كان أذل من الذليل . وأراد بالموالى الحضرميين ، وكانوا موالى بنى عبد شمس ابن عبد مناف .

(٢) هو عنبسة بن معدان الفيل ، أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه ، وكانت لزياد ابن أبيه فيلة ينفق عليها فى كل يوم عشرة دراهم ، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال معدان فقال : ادفعوها إلى وأكفيكم المئونة ، وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصراً ، ونشأ له ابن يقال له عنبسة ، فروى الأشعار وظرف وفصح ، وروى شعر جرير والفرزدق ، وبلغ الفرزدق أن عنبسة يفضل عليه جريراً فهجاه . (معجم الأدباء ١٦ : ١٣٣) .

(٣) فى ا ، ب « بغداد » ، وهو تحريف والبيت وقصته فى نزهة الألباء ص ٥

(٤) البردخت الضبى : هو على بن خالد ؛ وأصل اسمه بالفارسية برداخت ؛ بمعنى الفارغ . هجا جريرا فبلغه الهجاء ، وأخبر باسمه فقال : ماالبردخت ؟ قيل : الذى لا عمل له ؛ فقال : ما كنت لأجعل له عملا ولا شغلا . ولم يجبه . معجم الشعراء ص ٢٨٠ .

(٥) الإقواء فى الشعر : مخالفة القوافى فى الإعراب ، والإكفاء : مخالفة هجاء القوافى ، والإيطاء : تكرير القافية باللفظ والمعنى .

وقول الأَصْمَعِىّ فى الكُمَيْت : جُرْمُقَانِىّ[١] من جَرَاميق الشَّامِ لا يُحْتَجُّ بشعره ، وما أنكره من شعر الطِّرِمَّاح ، ولحّن فيه ذا الرُّمة .

احتجاج النحاة

ثم تصفحتَ مع ذلك ماتكلّفه النحويون لهم من الاحتجاج إذا أمكن : تارة بطلب التخفيف عند تَوَالى الحركات ، ومرة بالإتباع والمجاورة ؛ وما شاكلَ ذلك من المعاذير المُتَمَحَّلة ، وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجّة ؛ وتبيّنتَ ما رَاموه فى ذلك من المَرَامى البعيدة ، وارتكبوا لأجله من المراكب الصَّعبة ، التى يشهد القلب أن المحرِّك لها ، والباعث عليها شدةُ إعظام المتقدم ، والكَلَفُ بِنُصرة ماسبق إليه الاعتقاد ، وألِفَته النفس .

عود إلى أغاليط الشعراء

ثم عدتَ إلى ماعدّده العلماء من أغاليطهم فى المعانى ، كقول امرئ القيس[٢] :

وأَرْكَبُ فى الرَّوْعِ خَيْفَانَةً ... كَسَا وَجْهَها شعرٌ مُنْتَشِرْ[٣]

وهذا عيبٌ فى الخيل . وقول زُهير[٤] :

يَخْرُجْن من شَرَبَاتٍ ماؤُها طَحِلٌ[٥] ... على الجذوع يَخفْنَ الغمّ والغرقا[٦]

---

(١) قال فى القاموس : « الجرامقة » قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل صدر الإسلام، الواحد جرمقانى .

(٢) ديوانه ص ١٢ ، واللسان ١٠ : ٤٥١ .

(٣) رواية الديوان : « سعف » .

(٤) الخيفان من الجراد : المبازيل، وفرس خيفانة : تشبه الجراد فى خفتها . قال الأصمعى : وإذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريما . ورواية اللسان :

* لها ذنب خلفها مسبطر *

(٥) ديوانه ص ٤٠ ، اللسان (١٣ : ٤٢٤) ، الموشح ص ٤٧ .

(٦) البيت فى وصف الضفادع . الشربات : جمع شربة ؛ وهى حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويها ، والطحل : الكدر ، ويريد بالجذوع جذوع النخل ، قال المرزبانى : « والضفادع لا تخرج من الماء لخوفها من الغمر والغرق ، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ » .

والضفادع لاتخاف شيئاً من ذلك . وقول سَلَمَة بن الخُرشُب(١) :

إذا كان الحِزامُ لقُصْرَيَيْهـا أماما حيث يَمْتَسِك البَرِيم(٢)

يقول : إن الحزامَ يقرب فى جولانه إذا أكثر من عَدْوِه فيصير أمام القصريين.

قال الأصمعى : أخطأ فى الوصف ؛ لأنّ خيرَ جرْى الإناث الخُضُوع ، وإنما يُختار الإشراف(٣) فى جَرْى الذكور ، فإذا اختضعت تقدّم الحزام ، كما قال بِشْر بن أبى حازم(٤) :

نَسُوفٍ(٥) للحِزَام بِمِرْفَقَيْها يَسُدُّ خَوَاءَ طِبْيَيْهَا الغُبَارُ(٦)

وقد ساعد مُتَمِّمُ بن نُوَيْرة على هذا الوصف سلَمة فقال(٧) :

وكأنه فَوْتَ الجَوالِبِ جَانِئاً رِئْمٌ تَضَايَفَهُ كلابٌ ، أخْضَع(٨)

---

(١) شرح المفضليات : ١ ـ ٣٨ .

(٢) يصف فرسه . القصريان : مثنى القصرى ، وهى الضلع ، والبريم : خيط تشده المرأة فى وسطها : أراد أنها تتلفت إذا جال حزامها واضطرب لكثرة عدوها ، فصار أمام قصرييها فى مثل الموضع الذى تشد فيه المرأة على حقوها .

(٣) الخضوع والإشراف : ضربان من سير الخيل .

(٤) المفضليات (٢ : ١٤٣) : اللسان (٨ : ٢٧٠) ، والبيت فى وصف فرس .

(٥) فى ا ، ب « تسوق » ، وهو تحريف .

(٦) تنسف الحزام : تدفعه . الخواء : الفرجة . الطبي من الفرس ؛ بمنزلة الضرع من الشاة والبقرة ؛ يقول : إذا امتلأت عدوا ستر الغبار مابين طبييها .

(٧) المفضليات (١ : ٤٩) ، اللسان (١ : ٤٣) .

(٨) فوت : فائتا الجوالب ؛ مصدر وقع حالا ؛ والجوالب : من قولهم : جلب الفارس على الفرس إذا أرصد له قوما فى طريقه يصيحون به فى الرهان . جانئا : مكبا ، يقال : جنأ فى عدوه ، إذا ألح وأكب . الرئم : الظبي الخالص البياض . تضايفه الكلاب : أخذن بضيفيه ـ بكسر الضاد ـ أى بناصيتيه ، جئنه من هاهنا وهاهنا . وهن كلاب الصائد . أخضع : متطامن الرقبة ، وهو من الخضوع . وتقدير البيت : كأنه رئم أخضع تضايفه كلاب . شرح المفضليات (١ : ٤٩) .

فوصف الذَّكر بالخضوع ، وإنما يُختار له الاشتراف . وكقول الجعْدىّ :

كأن تواليهما بالضّحى نواعم جَعْـــل من الأَثْأب(١)

والجَعْل : صغار النخل ، وإنما المراد الكبار ، وبه يصحُّ الوصفُ فيما زعموا .

وقول أبى ذُؤيب يصف الفرس(٢) :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فَشُرِّجَ لَحْمُها بالنِّىّ فهْى تَثُوخُ فيها الإصْبَعُ(٣)

قال الأصمعي : حمارُ القصّار خيرٌ من هذا ، وإنما يُوصف الفرسُ بصلابة اللحم.

وقول أبى النّجم :

* تَسبح أُخْراه وَيطفو أوّله *

واضطراب مآخيرِ الفرس قبيح . وقول المسَيَّب بن عَلَس (٤) :

وَكأنَّ غارِبَها رُباوة مَخْرِمٍ وتَمُدُّ ثِنْى جَدِيلها بِشَراع(٥)

أراد تشبيهَ العُنق بالدَّقَل(٦) فغلط ، كما غلط طَرَفة فى السُّكان فقال :

* كسُكَّان بُوصِىّ بدَجْلَة مُصْعِد(٧) *

---

(١) الأثأب : شجر ينبت فى بطون الأودية فى البادية .

(٢) المفضليات (٢ : ٢٢٧) ، اللسان (٣ : ١٣٠) .

(٣) قصر الصبوح لها : جعل صبوحها اللبن دون الماء ، وشرج اللحم: خالطه الشحم. والنىّ : الشحم . وتثوخ فيها الإصبع ، أى لو أدخل أحدهم إصبعه فى لحمها لدخل لكثرة لحمها وشحمها .

(٤) شرح المفضليات (٢ : ٦٠) .

(٥) الغارب : ما بين السنام والعنق . والرباوة : منقطع الجبل حيث استدق . والمخرم : مقطع أنف الجبل ، والجديل : الزمام . وثنيه : ما انثنى منه ، أراد تمد جديلها بعنق طويلة ، فشبهها بشراع السفينة .

(٦) الدقل : خشبة طويلة فى وسط السفينة يمد عليها الشرا

(٧) صدره :

* وأتلع نهاض إذا صعدت به *

المعلقات بشرح التبريزى ص ٦٩ .

السكان : ذنب السفينة . والبوصى : نوع من السفن ، أو هو الملاح .

وإنما يريد الدَّقَل . وقول امرئ القيس[١] :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فى السَّماء تَعرَّضَتْ   تَعَرُّضَ أَثْنَاء الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

والثريا لاتتعرَّض ، وإنما تتعرض الجوزاء . وقول رُؤْبَة :

كنتُم كمن أدخل فى جُحْر يداً   فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا[٢]

فجعل الأفعى دون الأسود ، وهى أشدُّ نكاية منه . وقول زهير[٣] :

* كأَحْمرِ عادٍ ثم تُرْضِـعْ فتَفْطِمِ *

وإنما هى أَحْمَر ثمود[٤] . وقول ليلى . ويروى لحميدة :

لما تخايلت[٥] الحُمول حسبتها   دَوْماً بأَيْلَةَ ناعماً مَكْمُوما[٦]

والدَّوْم لا أكمام له .

هـذا مايعرفونه صباحاً ومساء . ويمارسونه على طول الدهر ؛ فَدَعْ مايخفى عليهم ويَبْعُد عن أبصارهم كقول أبى ذؤيب فى الدُّرَّة[٧] :

فجاءَ بها ماشِئْتَ من لَطَمِيَّةٍ   يدُور الفراتُ حولَها ويَموجُ

(١) ديوانه ص ٢٥ .

(٢) الأفعى : حية عريضة رقشاء دقيقة العنق ، لا تنفع معها رقية ولا ترياق . والأسود : حية خبيثة تسلخ جلدها كل عام ، وتسمى أسود سالخ .

(٣) فى وصف الحرب . وصدره :

* فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم *

المعلقات بشرح التبريزى ص ١١٣ .

(٤) أحمر ثمود : لقب قدار بن سالف ، عاقر ناقة صالح ، وإنما قال كأحمر عاد لإقامة الوزن لما لم يمكنه أن يقول كأحمر ثمود ، أو وهم فيه .

(٥) فى المزهر (٢ : ٣١٣) : « لما تحاملت » .

(٦) قال السيوطى فى المزهر : الدوم : شجر المقل ، والمكموم لا يكون إلا النخل ، فظن أن الدوم هو النخل .

(٧) اللسان ١٦ : ١٧ ، وروايته :

فجاء بها ما شئت من لطمية   تدور البحار فوقها وتموج

واللطمية : هى الدرة .

فالفرات هو العَذْب ، والدرُّ ، لايوجد إلا فى المِلْح . وقول الآخر[(١)] :

فيه الرماحُ وفيـــه كلُّ سابغةٍ   جَدْلاء مُحْكَمةٍ من نَسْج سَلّامِ[(٢)]

وقول الآخر[(٣)] :

وكلُّ صَـــمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ   ونَسْجُ سُلَيمٍ كلَّ قَضَّاء ذائِلِ[(٤)]

أرادا داود فغلطا إلى سليمان ، ثم حرَّفا اسمه فقال أحدهما : سَلّام وقال الآخر سُلَيم ، كما قال الآخر :

* والشيخ عثمان بن عف *

أراد ابن عفّان . وقال الآخر :

ومِحْوَرٍ أُخلِص من ماء اليَلَبْ[(٥)]

جعل اليَلَب حديداً وإنما هى سُيُور ؛ كما قال غيره :

لم تَدْرِ مانَسَجُ اليَرَنْدَجِ قَبْلَها[(٦)]

[فإنه ظن أن اليرندج نسج[(٧)]] ، وإنما اليَرَنْدَجُ جلود . وقول الآخر[(٨)] :

---

(١) هو الحطيئة ، والبيت ورد فى اللسان — مادة سلم بهذه الصورة ، وورد أيضاً فيه — مادة جدل :

* فيه الجياد وفيه كل سابغة *

(٢) السابغة : الدرع الوسيعة . ودرع جدلاء : محكمة النسيج .

(٣) هو النابغة الذبيانى . ديوانه ص ٦٤ .

(٤) الصموت من الدروع : اللينة المس . ونثلة : واسعة . وتبعية : منسوبة إلى تبع وهو ملك اليمن . والقضاء : المحكمة . ودرع ذائل : طويلة الذيل .

(٥) فى الأصل : ومحرر من ماء اليلب . وما أثبتناه عن اللسان (٢ : ٣٠٦) .

(٦) تمامه :

* ودراس أعوص دارس متخدد *

(٧) زيادة من اللسان (٣ : ١٠٨) .

(٨) هو أبو نخيلة . اللسان ٢ : ١٨٤

بَرِّيَّة لم تأكل المرَقَّا ولم تَذُقْ من البُقُول الفُسْتُقا

فحمل الفُسْتق بَقْلا .

وأشباهُ ذلك مما يكثر تعقّبه ، ولم نذكر إلا اليسيرَ منه فيما نُريده — شككتَ في أن نَفْعَ هذا الحكم عام ، وجَدْوَاه شامل ، وأن المتقدم يضْرب فيه بسهم المتأخر ، والجاهليَّ يأخذ منه ما يأخذ الإسلامى ، وأنه قول لاحظّ له فى العصبية ، ولا نسبَ بينه وبين التحامل .

وليس يجب إذا رأيتنى أمدح مُحْدَثًا أو أذكرُ محاسن حَضَرىّ أن تظن بى الانحرافَ عن متقدم ، أو تَنْسُبنى إلى الغَضِّ من بدوىّ ؛ بل يجب أن تنظر مَغْزاى فيه ، وأن تكشف عن مقصدى منه ، ثم تحكم علىّ حكم المنصف المتثبّت ، وتقضى قضاء المُقْسِط المتوقّف .

الشعر

أنا أقول — أيدك الله — إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرِّواية والذكاء ، ثم تكون الدُّرْبَة مادةً له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ؛ فَمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرِّز ؛ وبقدر نصيبه منها تكون مَرْتبتُه من الإحسان ، ولست أفضِّل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمُخَضْرِم[1] ، والأعرابى والمولَّد ؛ إلا أننى أرى حاجة المحْدَثِ إلى الرواية أمسّ ، وأجده إلى كثرة

القدماء والمحدثون

---

(١) شاعر مخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد . قال ابن برى : أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم (بكسر الراء) لأن الجاهلية لما دخلوا فى الإسلام خضرموا آذان إبلهم ، ليكون علامة لإسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا ، ويقال لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم . وأما من قال : مخضرم (بفتح الراء) فتأويله عنده أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام .

اللسان (٥ : ٧٥)

الحفظ أفقر ؛ فإذا استكشفْتَ عن هذه الحالة وجدت سببها والعلةَ فيها أن المطبوعَ الذكيّ لايمكنه تناولُ ألفاظ العرب إلا رِواية ؛ ولا طريقَ للرواية إلا السمع ؛ وملاكُ الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ، ويُعرف بعضها برواية شعرِ بعض ؛ كما قيل : إن زهيراً كان راوية أَوْس ، وإن الحُطَيْئَةَ راوية زهير ، وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جوية ؛ فبلغ هؤلاء في الشعر حيثُ تراهم ، وكان عبيد راوية الأعشى ولم تُسْمَعْ له كلمة تامةٌ ، كما لم يسمع لحسين راوية جرير ، ومحمد بن سهل راوية الكُمَيْت ، والسائب راوية كُثَيِّر ؛ غير أنها كانت بالطبع أشدَّ ثقة وإليه أكثر استئناساً ؛ وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان ، وأنها سواء في المنطق والعبارة ، وإنما تَفْضُل القبيلةُ أختها بشيء من الفصاحة . ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفْلقاً ، وابنَ عمه وجارَ جَنابه ولصيقَ طُنُبه بكيئاً مُفْحَماً[1] ؛ وتجد فيها الشاعرَ أشعرَ من الشاعر ، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب ؛ فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحِدَّة القريحة والفطْنة !

وهذه أمور عامة في جنس البشر لاتخصيص لها بالأعصار ، ولا يتّصف بها دهرٌ دون دهر . فإن قلتَ : فما بالُ المتقدمين خُصُّوا بمتانة الكلام وجزالة المنطق وفخامة الشعر ، حتى إن أعلَمَنا باللغة وأكثرَنا رِوايةً للغريب لوحفظ كلَّ ماضمّت الدواوينُ المرويَّة ، والكتبُ المصنفة من شعر فَحْل ، وخبر فصيح ، ولفظ رائع ــ ونحن نعلم أن معظمَ هـذه اللغة مضبوط مرويٌّ ، وجُلّ الغريب محفوظ منقول ــ ثم أعانه الله بأصحّ طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة ، ثم حاول أن يقولَ قصيدة ، أو يقرضَ بيتاً يُقارب شعر امرئ القيس وزهير ، في فخامته وقوة أَسْره ، وصلابة مَعْجَمه لوجده أبعد من العَيُّوق[2] مُتَناولا ، وأصعبَ من الكبريت الأحمر مطلباً ؟ قلت : أحلتك

(١) البكئ : من قل كلامه خلقة . والمفحم : من لايقدر أن يقول شعراً .

(٢) العيوق : نجم أحمر مضئ في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لايتقدمها .

على ما قالت العلماء فى حمّاد(١) وخلَف(٢) وابن دَأْب(٣) وأضرابِهم ، ممن نَحلَ القدماء شعرَه فاندمج فى أثناء شعرهم ، وغاب فى أَضْعافه ، وصَعُب على أهل العناية إفرادُه وتعسّر ، مع شدة الصعوبة حتى تكلّف فَلْى الدواوين واستقراء القصائد فنُفِى منها ما لعلّه أمتن وأفخم ، وأجمع لوجوه الجَوْدة وأسباب الاختيار مما أثبت وقُبِل . وهؤلاء مُحدثون حضريّون ، وفى العصر الذى فسد فيه اللسان ، واختلطت اللغة وحُظِر الاحتجاجُ بالشعر ، وانقضى مَنْ جمله الرواة ساقة الشعراء .

فإن قلت: فما بالُ هذا النَّمط والطريقة ، وهذه المَنْقَبة والفضيلة ينفردُ بها الواحد فى العصر وهو مشحون بالشعر ، وكان فيما مضى يشمل الدَّهْماء ويعم الكافة ؟ قلت لك : كانت العرب ومَنْ تبعها من السلَف تجرى على عادةٍ فى تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تَألفْ غيرَه ، ولا أنِسها سواه ، وكان الشعرُ أحدَ أقسام منطقها ، ومن حقّه أن يُخْتص بفضل تهذيب ، ويُفرَد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة ، وانضاف إليها التعمّل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزْلا قويا متيناً .

* * *

وقد كان القومُ يختلفون فى ذلك ، وتَتَباينُ فيه أحوالهم ، فيرقّ شعرُ أحدهم ، ويَصْلُب شعرُ الآخر ، ويسهل لفظُ أحدهم ، ويَتَوَعّرُ منطقُ غيره ؛ وإنما ذلك بحسَبِ

(١) هو خلف بن حيان . أصله من خراسان ، من سبى قتيبة بن مسلم ؛ وكان من أفرس الناس لبيت شعر ؛ وكان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب ، وينحله إياهم . توفى سنة ١٨٠ . فهرس ابن النديم ص ٧٤ . (٢) هو حماد بن سابور ؛ من سبى الديلم . كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ؛ وهو الذى جمع السبع الطوال . توفى سنة ١٥٥ . وفيات الأعيان (١ : ١٦٤) . (٣) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب . كان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم ؛ وكان يضعف فى روايته . وكان فى المدينة يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسبه إلى العرب ، فسقط وذهب علمه : وخفيت روايته. توفى سنة ١٧١ . المزهر (٢ : ٢٥٩) ، معجم الأدباء (١٦ : ١٥٢) . (٤) كذا فى ب، وفى ا : « قيل » .

اختلاف الشعر باختلاف الطبائع

اختلاف الطبائع ، وتركيب الخلْق ؛ فإن سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع ، ودَمَاثَة الكلام بقدر دَماثةِ الْخِلقة وأنت تجدُ ذلك ظاهرًا فى أهل عصرك وأبناء زمانك ، وترى الْجَافىَ الْجِلْف منهم كَزَّ الألفاظ ، معقَّد الكلام ، وَعْر الخطاب ؛ حتى إنك ربما وجدتَ ألفاظه فى صوته ونغمته ، وفى جرْسه ولهجته . ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك؛ ولأجله قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ بَدَا جَفَا » . ولذلك تجدُ شعرعَدِىٍّ — وهو جاهلى — أسلسَ من شعر الفرزدق ورجَز رُؤْبة وهما آهلان؛ لملازمة عَدِىٍّ الحاضرة وإيطانه الريف ، وبُعْده عن جلافة البَدْو وجفاء الأعراب ، وترى رقةَ الشعر أكثرَ ما تأتيك من قِبَل العاشق المتيّم ، والغَزِل المتهالك ؛ فإن اتفقت لك الدماثةُ والصّبابة ، وانضاف الطبعُ إلى الغزل ؛ فقد جُمِعت لك الرقةُ من أطرافها .

أثر التحضر فى الشعر

فلما ضرب الإسلام بجِرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثُرت الحواضر ، ونزعت البوادى إلى القرى ، وفشا التأدّب والتظرّف اختار الناسُ من الكلام ألينَه وأسْهَله ، وعمَدوا إلى كل شىْء ذى أسماء كثيرة اختاروا أحسنَها سمعا ، وألطفَها من القلب مَوْقِعاً ؛ وإلى ما للعرب فيه لغاتٌ فاقتصروا على أسلسها وأشرفها ؛ كما رأيتهم يختصرون [ألفاظ][(١)] الطويل ؛ فإنهم وجدوا للعرب فيه نحوا من ستين لفظة ؛ أكثرها بَشِع[(٢)] شنع ؛ كالعَشَنَّط والعَنَطْنَط والعَشَنَّق ، والجَسْرَب والشَّوْقَب والسَّلْهب والشَّوْذب ، والطّاط والطُّوط ، والقَاق والقُوق[(٣)] ، فنبذوا جميع ذلك وتركوه ، واكتفَوْا بالطويل لخفّته على اللسان ، وقلة نُبُوِّ السمع عنه . وتجاوزوا الحدّ فى طلب التسهيل حتى تسمَّحوا ببعض اللَّحن ، وحتى خالطتْهم الركاكة والعُجْمة ، وأعانهم على ذلك لِينُ الحَضارة وسهولةُ طباع الأخلاق ، فانتقلت العادة ، وتغير

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى ب : « أكثرها فيه شنع » .

(٣) وردت هذه الألفاظ فى الأصلين محرفة ومصحفة ، فأصلحناها من لسان العرب وفقه اللغة للثعالبى . وكل هذه الألفاظ ترادف الطويل .

الرَّسْم ، وانتسخت هذه السنة ، واحتذَوا بشعرهم هذا المثال ، وترقَّقُوا ما أمكن ، وكسَوْا معانيَهم ألطفَ ما سنح من الألفاظ ، فصارت إذا قِيسَتْ بذلك الكلامِ الأول يتبيّنُ فيها اللين ، فيُظَنّ ضعفا ، فإذا أُفرِد عاد ذلك اللّين صفاءً ورونقا ، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولُطفا ؛ فإن رام أحدُهم الإغراب والاقتداء بمَنْ مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشدِّ تكلّف ، وأتم تَصنع ؛ ومع التكلف المقْت ، وللنفس عن التصنع نُفْرة ، وفى مفارقة الطبع قلةُ الحلاوة وذهابُ الرونق ، وإخلاقُ الديباجة .

تكلف أبى تمـــام. وتفـاوت شعره

وربما كان ذلك سببا لطَمْس المحاسن ؛ كالذى نجده كثيرا فى شعر أبى تمام ، فإنه حاول من بينِ المحدَثين الاقتداءَ بالأوائل فى كثير من ألفاظه ، فحصل منه على توعير اللفظ ، فقبح[1] فى غير موضع من شعره ، فقال[2] :

فكأنَّما هى فى السَّماءِ جنادِلٌ　　وكأنما هى فى القلوب كَواكِبُ

فتعسّف ما أمكن ، وتغلغل فى التصعّب كيف قدَر ، ثم لم يرضَ بذلك حتى أضاف إليه طلَب البديع ، فتحمّله من كل وَجْه ، وتوصّل إليه بكل سبب ، ولم يرض بهاتين الخَلتين حتى اجتلب المعانىَ الغامضة ، وقصد الأغراض الخفيَّة ، فاحتمل فيها كل غَثٍّ ثقيل ، وأرْصد لها الأفكار بكل سبيل ؛ فصار هذا الجنسُ من شعره إذا قرع السمعَ لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفِكْر ، وكدِّ الخاطر ، والحَمْل على القريحة ؛ فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة ، وحين حَسَره[3] الإعياء ، وأوْهن قُوَّته الكَلال . وتلك حالٌ لا تهَشّ فيها النفس للاستماع بحَسَن ، أو الالتذاذ بمُستظرف ؛ وهذه جريرةُ التكلف !

ولست أقولُ هذا غَضًّا من أبى تمام ، ولا تهْجينا لشعره ، ولا عصبيّة عليه لغيره . فكيف وأنا أدينُ بتفضيله وتقديمه ، وأنتحلُ موالاته وتعظيمه ، وأراه قِبْلة

---

(١) فى ا « فتجهم » .　(٢) ديوانه ص ٢٩ .　(٣) حسره : أكله وأضعفه.

أصحاب المعانى ، وقُدْوة أهلِ البديع ! لكن ماسمعتنى أشترطُه فى صَدْر هذه الرسالة أنه يُحظر إلا إتباع الحق وتحرّى العدل والحكم به لى أو علىّ . وما عدوْتُ فى هذا الفصل قضية أبى تمام ، ولا خرجت عن شرطه أن يقول فى يوسف السراج شاعر مصر فى وقته[١]:

فلو نُبِش المقابر عن زُهَيْرٍ لعوّل[٢] بالبكاء وبالنَّحيب
متى كانت مَعانه[٣] عِيالا على تفسير بُقراط الطبيب
وكيف ولم يزل للشعر ماءٌ يَرِفُّ عليه ريحانُ القُلُوبِ

فخبِّرنى هل تعرفُ شعراً أحوج إلى تفسير بقراط وتأويل أرسطوليس من قوله[٤]:

جَهْمِيّةُ الأوصاف، إلا أنهم قد لَقَّبُوها جَوْهَرَ الأشياء[٥]

وقوله[٦] :

يومٌ أفاض جوى أغاضَ تَعَزِّيا خاض الهوى بَحْرَىْ حجاه المزْبِد

وأىُّ شعر أقلّ ماء ، وأبعد من أنْ يَرِفّ عليه رَيْحان القلوب من قوله[٧] :

خَشُنْتِ عليه أخت بنى الخُشَيْنِ وأنجح فيك قول العاذِلَيْنِ
ألم يُقْنعك فيه الهجرُ حتى بَكَلْت[٨] لقَلْبه هجرا بِبَيْنِ[٩]

---

(١) ديوانه ص ٤٨٩ . (٢) عول : رفع صوته بالبكاء : ورواه الديوان « لصرح » .
(٣) رواية الديوان « قوافيه » . (٤) ديوانه ص ٣ .
(٥) يصف الخمر . والجهمية فى الأصل : فرقة دينية تنسب إلى جهم بن صفوان ؛ ومذهبهم أنه لا فعل للمخلوقين ؛ وإنما الفاعل هو الله سبحانه ؛ وكأنهم يصفون المخلوقات بالضعف . فهو يعجب للخمر التى صدق عليها نعت الجهمية بالضعف أن يسميها غيرهم جوهر الأشياء ؛ أى أصلها .
(٦) ديوانه ص ١١١ . (٧) ديوانه ص ٣٢١ ؛ الموشح ص ٣١٠
(٨) بكل : خالط ، ورواية الديوان : « قرنت » .
(٩) قال المرزبانى فى الموشح : « ومن ابتداءات أبى تمام المذمومة :
* خشنت عليه أخت بنى خشين *
وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء فى مغازلتهن ، وإنما أوقعه فيه محبته هنا للتجنيس » .

فهل رأيت أغثّ من « بكات » في بيت نسيب ! ومن قوله[١] :

أأطلالَ الرسوم لَطالَما قد ... أطلَّت منك أجيادُ الظباء

بها شُغلت دبابيج[٢] البهاء ... فضَحْوَة وجهها نشر الضَّحاء

لنا أيام لم تُدْمِ الليالى ... بذكر البَيْنِ عِرْنِينَ الصفاء

فأَضْحى البينُ لا يرضى لطَرْفى ... نواه بالبكىِّ من البكاء

لقد طلع الفراقُ على ابن صَبْرِى ... فأثكَله جلابيبَ العَزَاء

فالعجب كلُّ العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله[٣] :

أأيامَنا ما كُنتِ إلّا مَواهبا ... وكنتِ بإسعاف الحبيبِ حَبائبا

سنُغْرِب تجديداً لعَهْدِك فى البُكا ... فما كنتِ فى الأيام إلا غرائبا

ومعترَكٍ للشوق أهدى به الهوى ... إلى ذى الهوى نُجْلَ[٤] العيون ربائبا

كواعب زارت فى ليالٍ قصيرة ... يخيّلْن لى من حُسْنِهنّ كَوَاعبا

سلَبْن غِطاء الحُسْن عن حُرِّ أَوْجُهٍ ... تظل للُبِّ السَّالبيها سوَالبا

وجوهٌ لو أنّ الأرض فيها كواكب ... توقَّدُ للسارى لكانت كواكِبا

وقوله[٥] :

ولقد أراكَ فهل أراكَ بِغبْطة ... والعيشُ غضٌّ والزمانُ غلامُ

أعوام وَصْلٍ كان يُنْسِى طولَها ... ذِكْرُ النوى ، فكأنها أيّامُ

ثم انبرت أيّامُ هَجْرٍ أردفَتْ ... بِجَوًى[٦] أسى ، وكأنها أعوامُ

---

(١) لم نعثر عليها فى نسخ الديوان . (٢) فى الأصل : « ذبابيخ » ، ولم نجدها فى كتب اللغة ، نأصلحناها كما رأينا ، لأن الدبج النقش ، والديباج يجمع على ديابيج ودبابيج . المعرب ١٤٠ ، ١٤٣ ، الجمهرة (١ : ٢٧) ، اللسان (٣ : ٨٦) : (٣) ديوانه ص ١٦ . (٤) نجل : جمع نجلاء ؛ وهى العين المتسعة . (١) ديوانه ص ٢٧٩ . (٦) فى الديوان : « نحوى »

ثم انقضت تلك السنونَ وأهلها فكأنها وكأنهم أحْلَامُ

كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغثّ ! وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغُرَر في ديوانه كيف يرضى أن يقرن إليها تلك الغُرَر ! وما عليه لو حذف نصف شعره ، فقطع ألسنَ العيب عنه ، ولم يَشْرَعْ[1] للعدوّ باباً فى ذَمّه !

ومن جنايات هذا الاختيار على أبى تمام وأتباعِهِ أن أحَدَهُمْ بينا هو مُسْترسِل فى طريقته ، وجارٍ على عادته يَخْتَلِجه[2] الطَّبع الحَضرى، فيعدل به متسهلا ، ويرمى بالبيت الخَنث ، فإذا أُنشد فى خِلالِ القصيدة ، وُجد قلقا بينها نافراً عنها ؛ وإذا أُضيف إلى ماوراءه وأمامه تضاعفت سُهولته ، فصارت رَكاكة . وربما افتتح الكلمة وهو يجرى مع طبْعه ، فينظم أحسن عِقْد ، ويختال فى مثل الروضة الأنيقة ، حتى تعارضه تلك العادةُ السيئة فيتسنَّم أوْعرَ طريق ، ويتعسّف أخشن مَرْكب ، فيطمس تلك المحاسن ، ويمحو طُلَاوة ماقد قدّم ؛ كما فعل أبو تمام فى كثير من شعره ؛ ومنه قوله[4] :

اختلاف شعر أبى تمام فى القصيدة الواحدة

لو حار[3] مرتادُ المنية لم يجد إلاَّ الفراقَ على النفوس دليلا
قالوا الرحيل؛ فما شككت بأنها نفسى من الدنيا تريدُ رَحيلا
الصبر أَجْمَلُ غير أنّ تلذذا فى الحب أحرى أن يكون جَميلا
أتظننى أجد السَّبيل إلى العَزا وَجَـد الحِمام إذاً إلىّ سبيلا !
ردُّ الجَموحِ الصَّعْبِ أسهلُ مطلبا من ردِّ دَمْعٍ قد أصاب مَسيلا
ذكرتكُم الأنواءِ ذِكرَى بعضنَم[5] فبكت عليكم بُكْرةً وأصيلا
إنى تأملت النوى فوجدتها سيفاً على أهل الهوَى مسلولا

---

(١) شرعت الباب إلى الطريق ؛ أنفذته إليه ، وشرع الباب : أفضى إلى الطريق ، وأشرعه إليه . (٢) اختلجه : جذبه ، وفى الأصل : حتى يختلجه . (٣) ديوانه ص ٢٤٢ .
(٤) رواية الديوان : « جاء » . (٥) فى ديوانه : « بعضهم » .

ثم عدل عن النسيب فقال :

لو جاز سلطانُ القُنوعِ وحُكْمه   فى الخلق ما كان القليلُ قليلا
من كان مَرْعى عزمِهِ وهمومه   روضَ الأمانى لم يَزَل مهزولا

فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخُسْرُوَانىّ، والوشى المنمنم ، حتى يقول:

لله دَرُّك أىُّ مِعْبر قَفْرَةٍ   لا يوحشُ ابنَ البيضة الإجْفيلا[1]
أو ما تراها لا تراها هِزة   تَشْأى العيون تَعَجْرُفاً وذَميلا[2]

فنغّص عليك تلك اللذة ، وأحدث فى نشاطك فَتْرة ؛ وهذه الطريقة أحد ما نُعِى على أبى الطيب ، وسنقول فيها وفى غيرها إذا استوفينا هذه المقدمة . ولو لم تكن هذه الأبياتُ متناسقة مقترنة ، ولم يكن يجمعها قصيدة ، وتسمع فى حال واحدة لكان أخفى لعَيْبِها ، وأسترَ لشيْنِها ؛ فإنك تعلم بُعْد مابين قوله :

كادت لعِرْفان النوى ألفاظها   من رِقّةِ الشكوى تكونُ دُمُوعا

وقوله[3] :

هن الْبجَارِىُّ يا بُجَيْرُ   أهدى لها الأبؤس الغُوَيْر

وقوله[4] :

أهيسُ أليسُ لَجَّاء إلَى هِمَمٍ   تغرق الأسد فى آذيِّها اللِّيسا[5]

لكنها افترقت فغابت ، ولم تقترن فتُعْرَف وتُشْهَر .

ومتى سمعتَنى أخْتارُ للمحدَث هذا الاختيار ، وأبْعَثهُ على الطّبع ، وأُحسّن له

---

(١) خرج إلى صفة الناقة بغير ذريعة إلى الخروج . وابن البيضة : الظليم . والإجفيل: الكثير الإجفال . (٢) التعجرف : النشاط فى السير . والذميل : نوع منه . وتشأى : تسبق .

(٣) الموازنة بين أبى تمام والبحترى ص ١١ . (٤) ديوانه ص ١٥٣ .

(٥) الأهيس : الشجاع ، والأليس مثله . والليس : جمع أليس ؛ وهو الشجاع الذى لا يبالى الحرب ولا يروعه . والآذى : الموج .

الأسلوب عند المؤلف

التسهيل ؛ فلا تظنن أنى أريدُ بالسَّمْح السَّهلَ الضعيفَ الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخَنِثَ المؤنث ؛ بل أريد النَّمَط الأوسط ؛ ما ارتفع عن الساقط السُّوقِىّ ، وانحط عن البدوىّ الوحشىّ ، وماجاوز سَفْسَفة نَصْر ونُظَرائه ، ولم يبلغ تَعَجْرُف هِمْيان[1] ابن قُحافة وأضرابه ؛ نعم ، ولا آمرُكَ بإجراء أنواع الشعر كلِّه مُجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهبَ بعضهِ ؛ بل أرى لك أن تُقَسِّم الألفاظ على رُتَب المعانى ، فلا يكون غزَلك كافتخارك ، ولا مديحُك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ؛ ولا هزْلك بمنزلة جِدِّك ، ولا تعريضُك مثل تصريحك ؛ بل ترتِّب كلاًّ مرتبتَه وتوفّيه حقّه ، فتلطِّف إذا تغزّلت ، وتُفخِّم[2] إذا افتخرت ، وتتصرّف للمديح تصرُّف مواقعه ؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظَّرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدام ؛ فلكل واحد من الأمرين نَهْج هو أمْلك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه .

وليس مارسمتهُ لك فى هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختصّ بالنظم دون النثر ؛ بل يجب أن يكون كتابك فى الفتح أو الوعيد خلافَ كتابك فى التشوق والتهنئة واقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذَّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنّيت .

فأما الهجو فأبلغُه ماجرى مَجْرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قرُبت معانيه وسهُل حفظه ؛ وأسرع عُلُوقُه بالقلب ولُصُوقه بالنفس ؛ فأما القَذْف والإفحاش فسِبَاب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم .

وإذا أردتَ أن تعرف موقعَ اللفظ الرشيق من القلب ، وعِظَم غَنائه فى تحسين

---

(١) هميان بن قحافة : أحد بنى عامر ؛ راجز إسلامى محسن ؛ عاش فى الدولة الأموية .

(٢) يقال : فخّم الكلام ؛ إذا عظمه ، ومنطق فخم : جزل .

الشعر ، فتصفّح شعرَ جرير وذى الرُّمة فى القدماء ، والبحترىّ فى المتأخرين ، وتتّبع نسيب متيّمى العرب ، ومتغزِّلى أهلِ الحجاز ؛ كعُمَر ، وكُثَيِّر ، وجميل ، ونُصَيب، وأضرابهم ، وقِسْهم بمَنْ هو أجود منهم شعراً ، وأفصح لفظاً وسبكا ؛ ثم انظروا حكم وأنْصف، ودَعْنى من قولك: «هل زاد على كذا»! و«هل قال إلا ما قاله فلان» ! فإن رَوْعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم ، وإنما تفضى إلى المعنى عند التفتيش والكشف . ومِلاكُ الأمر فى هذا الباب خاصة تركُ التكلّف ورفضُ التعمّل والاسترسالُ للطبع ، وتجنُّب الحَمْل عليه والعنف به ؛ ولستُ أعنى بهذا كلَّ طَبْع ، بل المهذَّب الذى قد صقله الأدب ، وشَحذَتْه الرِّواية ، وجَلَتْه الفِطنة ، وأُلْهِمَ الفصل بين الردىْ والجيد ، وتصوَّرَ أمثلة الحسن والقبح

السهل الممتنع من شعر البحترى

ومتى أردت أن تعرف ذلك عِياناً ، وتستثبته مُوَاجهة ، فتعرفَ فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفَضْل ما بين السمْح المنقاد والعَصىّ المستكرَه فاعمِد إلى شعر البحترىّ ، ودَعْ ما يصدر به الاختيار ، ويُعَدُّ فى أول مراتب الجودة ، ويتبَيَّن فيه أثرُ الاحتفال، وعليك بما قاله عن عَفْو خاطره ، وأوّل فكرته ، كقوله[1]:

أَلاَمُ على هواكِ وليس عـــدلاً ... إذا أحببْتُ مثلكِ أنْ أُلاما[2]
أَعيدى فىَّ نظرةَ مُسْتَثيبٍ ... توخَّى الأجْرَ أو كَرِه الأثاما
تَرَىْ كَبِداً محرَّقةً وعينا ... مُـــؤَرَّقة وقلباً مستهاما
تناءت دارُ عَلْوة بعــد قُرْبٍ ... فهل رَكْبٌ يبلِّغُها السَّلاما !
وجــدَّد طيفُها عتْباً علينا ... فمـــا يَعْتَادُنا إلا لِمَاما

(١) ديوانه (٢ : ٢٢٥) . (٢) الأثام : الإثم .

وربَّتَ ليلة قد بِتُّ أُسقَى بِعَينيها وكَفَّيها المُداما
قطعنا الليل لَثْما واعتناقا وأفنيناه ضَمًّا والتزاما

وقوله[١] :

أُصْفيك أقصى الود غير مقلَّلٍ إن كان أقْصَى الوُد عندك يَنْفَعُ
وأراك أحْسَنَ مَن أراه وإن بَدَا منك الصُّدُودُ وبانَ وصلُك أجمَع
يعتادنى طَربى إليك فَيَغْتلى وَجْدِى ويدعونى هواك فأتبع
كِلفاً بحبّك مولَعاً ويسرُّنى أنى امرؤ كَلِفٌ بحبّك مُولَعُ

وقوله[٢] :

رُدِّى على المُشْتاق بعضَ رُقَاده أو فاشْركيه فى اتِّصال سُهادِه
أسْهرْتِه حتى إذا هَجَر الكرى خلّيتِ[٣] عنه ونمْت عَن إسْعادِه
وقسا فؤادُكِ أن يَلينَ لِلَوْعَةٍ باتتْ تقلقل فى صميم فؤاده
ولقد عززْتِ فهان طوعا للهوَى وجنبْته[٤] فرأيت ذُلّ قِياده
مَنْ مُنصفِى من ظالم مَلَّكْتُهُ ودّى ولم أمْلِك عسيرَ وِدَاده
ما كنت أعرف غيرَ سالفِ وُدِّه فبُليتُ بعد صدوده ببعاده

وقوله[٥] :

أجِدَّك ماينفكّ يسرى لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوَّبا
سرى من أعالى الشام يجلبُه الكَرَى هبوب نسيم الروض تجلبه الصَّبا
وما زارنى إلا وَلِهْتُ صَبَابَةً إليه وإلا قلت : أهلًا ومَرْحبا
وليلتنا بالجَزْع بات مساعفا يرينى أناة الخَطْو ناعمة الصِّبا
أضرّت بضوء البدر ، والبدرُ طالع وقامت مقام البدر لما تَغَيَّبا

---

(١) ديوانه (٢ : ٧٥) . (٢) ديوانه (١ : ٥٥) . (٣) خلى الأمر وتخلى عنه : تركه . (٤) يقال جنب فلان فلانا ؛ إذا دفعه وأقصاه . (٥) ديوانه (١ : ١٢٩) .

ولو كانَ حقا ما أتاه لأطفأت　　غليلا ولافتكّتْ أسيراً مُعَذَّبا
عَلِمْتُك إن منّيْتِ مَنّيْتِ مَوْعِداً　　جَهَاما[1] وإن أبْرقتِ أبرقتِ خُلَّبا[2]
وكنت أرى أن الصُّدُود الذى مضى　　دَلالا فما إن كانَ إلا تجنُّبا
فوا أسفى حتّام أسألُ مانعا　　وآمَنُ خَوّاناً وأعْتِبُ[3] مُذْنبا
سأثْنى فؤادى عنك أو أتبع الهوى　　إليك إن استعفى[4] فؤادى أو أبى

ثم انظر: هل تجدُ معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا مستعملا! وهل ترى صنعة وإبداعا، أو تدقيقا أو إغرابا! ثم تأمَّل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتَفَقَّدْ ما يتداخلُك من الارتياح، ويستخفّك من الطرب إذا سمعته، وتذكَّر صَبْوَةً إن كانت لك تراها ممثَّلة لضميرك، ومصوَّرة تلقاء ناظرك.

فإن قلت: هذا نسيب والنفس تَهَشُّ له، والقلب يعْلَق به، والهوى يُسرع إليه، فأنشِد له فى المديح قوله[5]:

طبع البحترى فى المدح

بلوْنا ضرائب مَنْ قد نَرى　　فما إنْ وجدنا لفَتْحٍ[6] ضَرِيباَ
هو المرء أبدت له الحادثا　　تُ عزْماً وشيكا ورأياً صليبا
تنقَّل فى خُلُقى سُودَدٍ　　سماحاً مُرَجَّى وبأساً مَهِيبا
فكالسَّيف إنْ جئته صارخاً　　وكالبحر إنْ جئته مستثيبا
فتى كرَّم الله أخْلاَقه　　وألْبَسَهُ الحمد بُرْداً قَشيبا
وأعطاهُ مِنْ كل خير يُعَدُّ حظًّا　　ومن كل مجد نصيبا
فديناك من أىِّ خطب عرا　　ونائبةٍ أوشكت أنْ تنُوبا

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه.　(٢) البرق الخلب: المطمع المخلف.
(٣) أعتبه: طلب منه العتبى؛ والعتبى: الرضا.　(٤) فى ديوانه: «استعصى»
(٥) ديوانه (١ : ٥١).　(٦) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، كان أديباً شاعراً فصيحاً. اجتمعت له خزانة كتب حافلة، وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧.

ثم خرج إلى الاستعطاف وأخذ فى العتاب :

وإن كان رأيُك قد حال فِيَّ ... فألبستَنى[1] بعـد بِشْرٍ قُطوبا
وخَيَّبت أسبـــابى النازعات ... إليـك وما حقها أن تَخيبا
يُريبّنى الشَّىْء تأتى بهِ ... وأُكبِرُ قدرك أن أستَرِيبا
وأكره أن أتمـادى على ... سبيل اغترار فألْقَى شَعُوبا[2]
أُكَذِّب ظنى بأن قد سخِطْتَ ... وما كنتُ أعهد ظنى كذوبا
ولو لم تـكن ساخطاً لم أكن ... أذُمُّ الزمان وأشكو الخُطُوبا
ولابد من لَوْمَةٍ أنتحى ... عليك بهـا مُخْطِئاً أو مُصيبا
أيصبح وِرْدِىَ فى راحتيْ ... كَ رنقاً ومَرْعاى مَحْلا جَدِيبا
أبيع الأحِبةَ بيع السَّـوام ... وأثنى عليهمْ حبيباً حبيبا
ففى كل يوم لنـا موقف ... يُشَقِّق فيــــه الوداعُ الجيــوبا
وما كان سخطُك إلا الفراق ... أفاض العيون وأشْجَى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنباً لمـا ... تخالجنى الشكُّ فى أن أتُوبا
سأصْبِرُ حتى ألَاقِى رِضاَ ... كَ إما بعيداً وإما قريبا
أراقبُ رأيك حتى يصحَّ ... وأنظرُ عَطفَك حتى يَئُوبا

(١) فى ديوانه : « فلقيتنى » .
(٢) شعوب : النية

العذب من شعر جرير

وإنما أَحَلْتُكَ على البُحْتُرِيّ؛ لأنه أقْرَبُ بِنَا عَهْدًا، ونحن به أشدّ أُنْسًا، وكلامه ألْيق بِطِباَعِنا، وأَشْبَه بعاداتنا؛ وإنما تألف النَّفسُ ماجانَسها، وتَقْبَلُ الأقرب فالأقْرب إليها. فإن شئتَ أن تعرفَ ذلك فى شعرٍ غيرِه كما عرفتَه فى شعرِه، وأن تعتبرَ القديمَ كاعْتِبارِ المولَّد فأنشد قولَ جرير[1]:

أَلَا أيُّها الوَادى الَّذى ضَمَّ سَيْلُه ... إلَينا نَوَى ظَمْياءَ حُيِّيتَ وَادِيَا[2]

إذَا ما أرادَ الحيُّ أنْ يتفرَّقُوا[3] ... وحنَّتْ جِمَالُ الحىِّ حَنَّتْ جِمَالِيَا

فيَالَيْتَ أنَّ الحىَّ لم يَتَزَيَّلُوا[4] ... وأَمْسَى[5] جميعاً جِيرَةً مُتَدانِيَا

إذِ الحيُّ فى دَارِ الجميعِ كأنَّما ... يكُونُ عَلَيْنا نِصْفُ حَوْلٍ لَيَالِيَا

إلى اللهِ أَشْكُو أنَّ بالغَوْرِ حاجةً ... وأُخرى إذا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بَدَالِيَا

نظرتِ بِرَهْبَا[6] والظَّعَائِنُ باللِّوَى[7] ... فطَارَتْ برَهْبَا شُعْبَةٌ من فُؤَادِيَا

وَما أبصر النَّارَ التى وَضَحَتْ لنا ... وَرَاءَ جُفَافِ[8] الطَّيْرِ إلاَّ تَمَارِيَا

إذاذُكِرَتْ لَيْلَى أُتِيحَ[9] لِيَ الْهوى ... على ماتَرَى من هِجْرَتى واجْتِنابِيَا

خَلِيلَيَّ لَوْلَا أن تَظُنَّا بِيَ الْهوَى ... لَقُلْتُ سَمِعْنَا من عُقَيْلَةَ دَاعِيَا

قِفَا فاسْمَعَا صَوْتَ المُنَادِى لَعَلَّهُ ... قَرِيبٌ وَمَا دَانَيْتُ بالوُدِّ دانِيَا

ولَوْ أنَّها شَاءَتْ شَفَتْنِى بِهَيِّنٍ ... وإنْ كانَ قدْأَعْيَا الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا

---

(١) نقائض جرير والفرزدق (١ : ١٥٩) ، ديوانه ص ٦٠١ .

(٢) يقول : أنبت هذا الوادى عشبا ، فانتجعته ظمياء وأهلها ، فأقاموا فيه ، فالتقينا به .

(٣) فى النقائض والديوان : « يتزيلوا » ، وهى بمعنى يتفرقوا .

(٤) فى النقائض والديوان : « يتفرقوا » .

(٥) فى ا « وأمسوا » .

(٦) رهبا : قاع فى الصمان فى ديار بنى تميم : معجم البلدان .

(٧) اللوى : واد من أودية بنى سليم .

(٨) جفاف الطير : ماء لبنى جعفر بن كلاب .

(٩) فى النقائض : أبيح .

فإنك إنْ تُعْطى قَليلاً فطَالَمَا مَنَعْتِ وحَلَّأْتِ(١) القُلُوبَ الصَّوَادِيَا
دُنُوَّ عِتَاقِ الطَّيْرِ أَسْمَحْنَ بَعْدَمَا شَمَسْنَ(٢) وَوَلَّيْنَ الخُدُودَ العَوَاصِيَا
إذا اكْتَحَلَتْ عَيْنِي بِعَيْنِك مَسَّنِي(٣) بخَيْرٍ وجَلَّى غَمْرَةً عنْ فُؤَادِيَا
ويَأْمُرُنِي العُذَّالُ أَنْ أَغْلِبِ الْهَوَى وأَنْ أَكْتُمَ الوَجْدَ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا
فَيَاحَسَرَاتِ الْقَلْبِ فِي إثْرِ مَنْ يُرَى قَرِيباً وتَلْقَى خَيْرَهُ مِنْكَ نَائِيَا
تُعَيِّرُنِي الإخْلافَ لَيْلَى وَأَفْضَلَتْ عَلَى وَصْلِ لَيْلَى قُوَّةٌ مِنْ حِبَالِيَا
تَخَطَّى إلينا من بَعيدٍ خَيَالُهَا يَخُوضُ خُدَارِيًّا(٤) مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا
فحُيِّيتَ مِنْ سَارٍ تَكَلَّفَ مَوْهِنًا مَزَارًا عَلَى ذِي حَاجَةٍ مُتَرَاخِيَا(٥)

ثم خرج فقال :

وإنِّي لعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى سَرِيعٌ إذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي احْتِمَالِيَا
وإني لأَسْتَحْيِيكَ والخَرْقُ(٦) بَيْنَنَا مِنَ الأَرْضِ أَنْ تَلْقَى أَخًا لِيَ قَالِيَا
وقَائِلَةٍ ، والدَّمْعُ يَغْسِلُ كُحْلَهَا: أَبَعْدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ المَوَالِيَا(٧)
فَرُدِّي جِمَالَ الْبَيْنِ(٨) ثُمَّ تَحَمَّلِي فَمَا لَكِ فِيهِمْ مِنْ مُقَامٍ ولا لِيَا
تَعَرَّضْتُ فاسْتَمْرَرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي فَدُونَكَ إنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
وإنِّي لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى لَيَالِيَ أَرْجُو أَنَّ مَالَكَ مَالِيَا
فأَنْتَ أخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِيَ حَاجَةٌ فإنْ أعرَضَتْ أيْقَنْتُ أنْ لا أخَا لِيَا(٩)
بأَيِّ نِجَادٍ(١٠) تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا

---

(١) حلأت : منعت ؛ والصوادى : العطاش . (٢) شمسن : امتنعن .
(٣) أي الاكتحال . (٤) الخدارى : الأسود .
(٥) الموهن : الجزء من الليل ، والمتراخى : البعيد . (٦) الخرق : القفر .
(٧) الموالى : بنو العم . (٨) فى النقائض : الحى : (٩) رواية النقائض :
فأنت أبى مالم تكن لى حاجة فإن عرضت فإنى لا أباليا
(١٠) نجاد السيف : حمائله .

بأيٍّ سِنَانٍ تَطْعَنُ القَرْمَ[1] بَعْدَ مَا ... نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا

أَلَمْ أَكُ نَارًا يَصْطَلِيها عَدُوُّكم ... وحِرْزًا لِمَا أَلْجَأْتُمُ مِنْ وَرَائِيَا

وبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ ... وقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيَا

إذَا سَرَّكُمْ أنْ تَمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقٍ ... جَوَادٍ فَمُدُّوا وابْسُطُوا مِنْ عِنَانِيَا

أنَا ابنُ صَرِيحَيْ خِنْدِفٍ غَيْرَ دِعْوَةٍ ... يَكُونُ مَكَانُ السَّيْفِ مِنْهَا مَكَانِيَا[2]

ولَيْسَ لِسَيْفِي فِي العِظَامِ بَقِيَّةٌ ... وَلِلسَّيْفُ أَشْوَى[3] وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

أَلَا لَا تَخَافَا نَبْوَةً فِي مُلِمَّةٍ ... وَخَافَا المَنَايَا أنْ تَفُوتَكُمَا بِيَا

وإنما أثبتّ لك القصيدة بكمالها، ونسختُها على هيئتها، لترى تناسبَ أبياتها وازدواجها، واستواءَ أطرافها واشتباهها، وملاءمةَ بعضها لبعض، مع كثرة التصرّف على اختلاف المعانى والأغراض.

الحشو فى الشعر

وقد علمت أن الشعراء قد تَدَاوَلُوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان؛ حتى إنك لاتكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلاّ فى النادر الفذّ؛ ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس[4]:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي ... بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ[5]

أو قابلته بقول عَدِيّ بن الرِّقاع[6]:

وَكَأَنَّها بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ

---

(١) القرم: السيد. ورواية النقائض: «القوم».

(٢) الصريح: الخالص؛ ويريد بصريحى خندف: مدركة وطابخة ابنى الياس بن معد. والدعوة: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه. (٣) يقال رمى فأشوى؛ إذا لم يصب. (٤) الديوان ص ٢٨. (٥) وجرة: موضع بين مكة والبصرة. والمطفل: ذات الطفل من الإنسان.

(٦) اللسان (١٤: ٣٦٦). وجاسم: موضع بالشام. والجؤذر: ولد البقرة.

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ؛ والمعنى واحد ، وكلاهما خالٍ من الصنعة ، بعيدٌ عن البديع ؛ إلا ماحَسُن به من الاستعارة اللطيفة ، التى كسته هذه البهجة . هذا وقد تخلل كلَّ واحد منهما من حشو الكلام مالو حُذف لاستغنى عنه وما لافائدة فى ذكره؛ لأن امرأ القيس قال: «من وَحْش وَجْرة» ، وعدِيًّا قال : «من جآذر جاسم» ، ولم يَذْكُرَا هذين الموضعين إلا استعانة بهما فى إتمام النظم ، وإقامة الوزن ، ولا تلتفتنَّ إلى مايقوله المعنويّون فى وَجْرة وجاسم ، فإنما يَطْلُب به بعضهم الإغرابَ على بعض ؛ وقد رأيتُ ظِباءَ جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء . وسألت من لا أُحْصِى من الأعراب عن وحش وَجْرة فلم يرَوْا لها فضلا على وحش ضَرِيّة[1] وغزلان بُسَيْطة[2] ، وقد يختلف خَلْق الظِّباء وألوانها باختلاف المَنْشأ والمَرْتع ؛ وأما العيون فقلَّ أن تختلف لذلك ؛ وأمَّا ماتمّ به عدى الوصف ، وأضافه إلى المعنى المبتذَل بقوله على إثر هذا البيت[3] :

وَسْنَان أَيْقَظَهُ[4] النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِى عَينِهِ سِــــنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

فقد زاد به على كلِّ مَنْ تقدم ، وسبق بفضله جميعَ من تأخر ، ولو قلتُ : اقتطعَ هذا المعنى فصار له ، وحَظَرَ على الشعراء ادِّعاء الشرك فيه لم أرنى بَعُدْتُ عن الحق ، ولا جانبْتُ الصِّدق . وقد تغزل أبو تمام فقال[5] :

دَعْنِى وشُربَ الهوى ياشَاربَ الكَاسِ ... فإننى لِلَّذِى حَسيتَه حَاسِى
لايُوحِشنَّك ما استعجمتَ من سَقَمِى ... فإنّ منزلَه من[6] أحسنِ الناس
من قَطْع أَلْفَاظِه[7] توصيلُ مَهْلَكَتِى ... وَوَصْلُ أَلْحاظه تقطيعُ أَنْفَاسِى
متى أعيش بِتَأْمِيلِ الرَّجَاء إذَا ... ما كانَ قطعُ رجائى فى يدىْ يَاسِى[8]

---

(١) ضرية : موضع بنجد . (٢) بسيطة : موضع ببادية الشام . (٣) اللسان (١١ : ٤١٨) . (٤) رواية اللسان « أقصده » ، ورنق النوم فى عينيه . خالطها .
(٥) ديوانه ص ٤٤٥ . (٦) فى الأصلين فى . وهذه رواية الديوان .
(٧) فى الأصل : أوصاله . (٨) اليأس : قطع الأمل .

فلم يَخْلُ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة ؛ طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهى معدودة فى المختار من غزَله . وحَقّ لها ؛ فقد جمعت على قِصَرِها فنونا من الحُسْن ، وأصنافا من البديع ، ثم فيها من الإحكام والمتانة والقوة ماتراه ؛ ولكنّنى ما أظنك تجدُ له من سَوْرة الطرب، وارتياحِ النفس ماتجده لقول بعض الأعراب(١) :

أقولُ لِصَاحِبى والعِيس تَهْوِى ... بِنَا بَينَ المُنيفَةِ فالضِّمارِ(٢)
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيم عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ(٣)
ألَا يَاحَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ ... ورَيَّا رَوْضِهِ غِبَّ القِطَارِ(٤)
وعيشك إذ يَحُلُّ القوم نَجْداً(٥) ... وأنتَ على زمانك غيرُ زارِ
شُهورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا ... بأنْصَافٍ لَهُنَّ ولا سِرارِ(٦)
فأما لَيْلُهُنَّ فخيرُ ليلٍ ... وأقصر ما يكون من النهار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، فارغ الألفاظ ، سهل المأخذ ، قريبُ التناول .

وكانت العرب إنما تُفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحّته ، وجزالةِ اللفظ واستقامته ، وتُسلّم السَّبْق فيه لِمَنْ وَصف فأصاب ، وشبّه فقارب ، وبَدَه فأغزر ، ولِمَنْ كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس

(١) ديوان الحماسة (٣ : ٢١٤) ، واللسان (٦ : ٢٣٥) ، ونسبها للصمة بن عبد الله القشيرى . (٢) المنيفة : ماء لبنى تميم ، والضمار : موضع .
(٣) يقال : تمتع بكذا ومن كذا ، والشميم : مصدر شم ، والعرار : وردة ناعمة صفراء ، طيبة الرائحة . (٤) النفح : تضوع الرياح بالطيب ، والريا : الرائحة ، وغب كل شىء : عاقبته ، والقطار : جمع قطر ؛ وهو المطر . ورواية الحماسة واللسان :

* وريا روضه بعد القطار *

(٥) رواية الحماسة :

* وأهلك إذ يحل الحى نجدا *

(٦) سرار الشهر : آخره .

والمطابقة ، ولا تحفِل بالإبداع [١] والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض .

* * *

البديع

وقد كان يقع ذلك[٢] فى خلال قصائدها ، ويتّفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقَصْد ؛ فلما أفضى الشعر إلى المحْدَثين ، ورأوْا مواقعَ تلك الأبيات من الغرابة والحسْن ، وتَميُّزَها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسَمَّوْه البَديع ؛ فمن محسن ومسىء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومُفْرط .

* * *

مُثل من الاستعارة الحسنة

فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير[٣] .

* وَعُرِّى أفْرَاس الصِّبا ورواحله[٤] *

وقول لَبِيد[٥] :

* إذْ أصْبَحَتْ بيد الشَّمال زِمامها[٦] *

وقول ابن الطَّثْرَيَّة[٧] :

---

(١) يقال : أبدع الرجل ؛ إذا أتى بالبديع . (٢) ذلك ؛ أى استعمال البديع والاستعارة . (٣) ديوانه ص ٢٤ . (٤) صدره :

* صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله *

قال الأعلم : «هذا مثل ضربه ؛ أى ترك الصبا وركوب الباطل . وتقدير لفظه : عريت أفراس ورواحل كنت أركبها فى الصبا وطلب اللهو» . (٥) شرح المعلقات للتبريزى ص ١٥٨ ، نهاية الأرب (٧ : ٤٩) . (٦) صدره :

* وغداة ريح قد وزعت وقرة *

والضمير فى أصبحت يعود على الغداة ؛ أى أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال ؛ وهى أبرد الرياح.

(٧) أسرار البلاغة ص ١٦ . وقبله :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخـذنا بأطرافِ الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطىّ الأباطِحُ[1]

وقول الحارث بن حِلِّزة[2] :

حتى إذا الْتَفَع الظِّباء بأطْ راف الظِّلَال وقِلْنَ فى الـكُنُس ِ[3]

وقول أبى نُوَاس[4] :

* أعطتك ريحانها العُقار *

وقوله :

بصحن خَـدٍّ لم يَغِضْ ماؤه ولم تخضه أعْـينُ النـاس

وقوله[5] :

جَرَيْتُ مع الصِّبَا طَلْق الجُموح وهانَ علىّ مأْثُور القبيح

وقوله :

مباحـة سـاحة القلوبِ له يرتع فيهـا أطايب الثمـر

وقوله :

وإذَا بَدَا اقْتَادَتْ محاسـنُه قَسْرا إليـهِ أعِنَّةَ الحَدَقِ

وقوله يصف الـكأس[6] :

بنينا على كِسرى سمـاءَ مُدامة مُـكَلَّلة حافاتُها بنجوم ِ

وقول مسلم :

* ولمـا تلاقينا قضى الليلُ نَحْبَهُ *

(١) الأباطح : جمع أبطح ، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى .

(٢) شعراء النصرانية ص ٤٢٠ . (٣) قلن : من وقت القائلة ؛ وهى الظهيرة . والـكنس : جمع كناس ؛ وهو مكان الظباء فى الشجر . (٤) ديوانه ص ٢٧٤ ، عجزه :

* وحان من ليلك السفار *

(٥) ديوانه ص ٢٥٧ . (٦) ديوانه ص ٣٢٧ .

وقوله[١] :

ظلمتُك إنْ لم أجْزِل الشكر إنّما   جعلتَ إلى شكرى نوالَك سُلَّما

فانظر كم بين استعارته السُّلّم ، واستعارة أبى تمام له فى قوله[٢] :

ماضٍ أرْوَعَ يرْتَقِى فى همة   روعاء[٣] أن لا يرتقى فى سُلّم

وأوّلُ من علمناه افتتح هذه اللفظة الحُصين بن الحُمام المُرِّى فى قوله[٤] :

فلستُ بمبتاع الحياة بذلة   ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيةِ الموت سُلّما

وهذا قريب من الحقيقة ، وإن كان فيه شُعْبة من ضرب المثل .

وقول أبى تمام[٥] :

أدْنَتْ نقاباً على الخدَّيْنِ وانتقَبَتْ[٦]   للناظرين بِقَدٍّ[٧] ليس ينتقبُ

وقوله[٨] .

وقد علّم الأفْشين وهو الذى به   يصانُ رداء الملك عن كل جاذب[٩]

وقوله[١٠] :

رَقَّت حَوَاشِى الدهر فهى تَمَرْمَرُ   وَغدا الثَّرَى فى حَلْيه يتكسَّرُ[١١]

على أن لفظة « يتكسر » حَضَرِيّة مولدة .

---

(١) مختارات البارودى (١ : ١١٥) .

(٢) ديوانه ص ٣١٣ . ومختارات البارودى (١ : ٢١٣)   (٣) فى الديوان ومختارات البارودى : « علياء » .   (٤) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٤) .   (٥) ديوانه ص ٤٧ .

(٦) فى الديوان : « انتسبت » .   (٧) فى ا « بقد » ، وصوابه من ب .

(٨) ديوانه ص ٤٢ .   (٩) الأفشين : كان عبداً للمعتصم فاصطنعه ورفع شأنه ، ثم قتله . والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلى ؛ أحد قواد المأمون ثم المعتصم ، مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب   أذيلت مصونات الدموع السواكب

وهى من عيون القصائد .

(١٠) ديوانه ص ١٥٦ .   (١١) تمرمر : تمايل . والثرى : التراب . والحلى : الزينة . وتتكسر : تتثنى

وقوله (١) :

وكم سرق (٢) الدُّجى من حُسْنِ صبر   وغطى من جِـــلَادِ فتى جليد

وقوله (٣) :

وَيَضْحَكُ الدهرُ منهم عن غَطَارِفَةٍ (٤)   كأنَّ أيامَهم من حُسْنِها جُمَعُ

وقول البحترى (٥) :

يُذَكِّرُنا رَيَّا الأحِـــبَّةِ كلَّما   تَنَفَّسَ فى هم جُنْحٍ من اللّيل باردِ

وقوله يصف الخيال (٦) :

إذَا نَزَعَتْهُ من يدىَّ انتباهَةٌ   عددت حبيباً راح منى أو غَدَا

وقوله (٧) :

وإذَا دَجَتْ أقْلامُهُ ثم انْتَحَتْ   بَرَقت مصابيح الدجى فى كُتْبِهِ

وقوله (٨) :

وكُنْتُ إذَا اسْتَبْطَأْتُ ودّكَ زُرْتُه   بتفويف شِعْرٍ كالرِّداء الُمحَبَّرِ (٩)

وقول ابن المعتز :

أقول ودمع العين تسرقه يدى   حـذار لدمع الشامت المتودّد

وقوله (١٠) :

ساروا وقد خضعت شمسُ الأصيلِ لهم   حتى توقّد فى ذيل الدُّجى الشّفقُ

---

(١) ديوانه ص ١٠٦ .   (٢) فى الأصلين « شرق » ، وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) ديوانه ص ٣٧٢ .   (٤) الغطارفة : السادة .

(٥) ديوانه (١ : ١٣٦) .   (٦) ديوانه (١ : ١٧٤) .

(٧) ديوانه (١ : ٦٨) .   (٨) ديوانه (١ : ١٥٠) .

(٩) البرد المفوف : الرقيق . والمحبر : الموشى .

(١٠) ديوانه (١ : ٤١) ، وقد رواه « فى ثوب الدجى » .

وقوله :

لو ترانا إذا انتبهنا قعودا نستشف القرى عن الأحلام

وقوله (١) :

مازال يَلْطِمُ خدَّ الأرض وابلُها حتى وقَتْ خدّها الغُدْرَانُ والخضرُ

وشتان مابين هذا اللطم ولطم أبى تمام فى قوله(٢) :

مَلْطُومة(٣) بالورد أطلق دونها فى الخَلْق فهو مع المَنُون مُحَكَّمُ

وإنما نازع أبا نُوَاس قولَه(٤) :

تبكى فتذْرِى الدرَّ من نَرْجس وتلطِم الوَرْدَ بعُنَّابِ

فسبق ابو نواس بفَضْل التقدّم والإحسان ، وحصل هو على نَقْص السَّرَقِ والتقصير ؛ لـكنه أحسن فى بقيّة البيت فجبر بعضَ ذلك النقص .

وقول كُشَاجم يصف السحاب (٥) :

مُقبلةٌ والخِصْبُ فى إقبالها والرعدُ يحدُو الوُرْقَ(٦) من جِمالها

بخطبة(٧) أبدع فى ارتجالها كأنها من ثقل انتقالها

تجلّها الريحُ عن استعجالها إلاّ بما(٨) تجذبُ من أذيالها

---

(١) ديوانه (٢ : ١٢١) . (٢) ديوانه ص ٢٨٤ .

(٣) رواية الديوان : « مظلومة للورد أطلق طرفها » .

(٤) نهاية الأرب (٧ : ٤٦) . وفى هامش ب قبله :

يا قمراً أبصرت فى مأتم يندب شجواً بين أتراب

(٥) ديوانه ص ١٠٩ . (٦) فى الأصلين :

* والرعد يحدو البرق من أحجالها *

وهذه رواية الديوان .

(٧) فى الأصلين :

* مخطبة أبدع فى أرجالها *

وهذه رواية الديوان .

(٨) فى الديوان : « كما » .

فحين ضاق الجوُّ عن مَجالها ... وراحت[١] الرياحُ من كَلَالِها
جَنُوبُها تشكو إلى شَمالِها ... دَنت من الأرضِ على أذْلالها[٢]
كأنما تسألُها[٣] عن حالِها ... والزَّهرُ قد أصغى إلى مَقالِها
وكاد أن ينهضَ لِاسْتِقبالها ... تَسَمَّحت[٤] بالرىّ مِن زُلَالها
حتى لقال[٥] التُّربِ من تَهطالها ... إن سجلاً أتى[٦] على سجالها
ثم انثَنى يُثنِى على فعالِها

وقول السرى المَوْصِلى[٧] :

أقولُ لحنان العشىّ المغرد[٨] ... يهزّ صفيحَ البارقِ المتوقّد
تبسَّمَ عن رى البلاد صَبيبُه[٩] ... ولم يبتسم إلاّ لإنجازِ مَوْعِد
ويادَيرَها الشرقىّ لازال رائح ... يحل عقود المُزْن فيك ومُغْتد[١٠]
عَلِيلة أنفاس الرياح كأنما ... يُعَلّ بماء الوَرْد نرْجسها النّدى
يشُقّ جيوبَ الوَرْد فى جنباته ... نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبرد

فقد جاءك الحسنُ والإحسان ، وقد أصبتَ ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ .

---

(١) رواية الديوان :

فحين ضاق الجو عن مجالها ... والزهر قد أصغى إلى مقالها
كأنما يسألها عن حالها ... وراحت الرياح من كلالها

(٢) يقال : جاء على أذلاله : أى وجهه ، ورواية الديوان : « على دلالها » .

(٣) فى الديوان : « نسألها » . (٤) فى الديوان : « فسمحت » .

(٥) رواية الديوان :

* حتى أتاك الشرب من هطالها *

(٦) فى الأصلين : « لى » .

(٧) ديوانه ص ٩٧ ، وقد قال هذه القصيدة يتشوق إلى الموصل ويذكر خرابها .

(٨) فى الأصلين : « مغرد » . وهذه رواية الديوان .

(٩) فى الديوان : حبيبه . (١٠) فى الديوان : « يغتدى » .

مُثل من الاستعارة السيئة

فإذا سمعت بقول أبي تمام :

باشرت أسباب الغِنَى بمدائح ضربت بأبوابِ الملوكِ طُبُولا

وبقوله[١] :

لها بين أبوابِ الملوكِ مَزَامِرٌ من الذكْرِ لم تنفخ ولا هي تَزمرُ

وبقوله[٢] :

إذا ما الدَّهْر جرَّ[٣] جرَت أيادي يديه[٤] فغشَّتِ الدُّنيا ظلَالا

وبقوله[٥] :

يا دهرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْك فقد أَضْجَجْتَ هذا الأنامَ من خُرَقك[٦]

وبقوله[٧] :

إلى ملك في أيكة المجد لم يَزَلْ على كَبِد المعروف من نيله بَرْدُ[٨]

وبقوله[٩] :

كأنني حِينَ جرَّدْتُ الرَّجاء له عَضب[١٠] صببتَ به ماءً على الزمنِ[١١]

وقول أبي نُوَاس :

يا عمرو أضحتْ مبيضةً كَبِدي فاصبغْ بياضا بعصفُرِ العنبِ

---

(١) ديوانه ص ١٦٠ .

(٢) يمدح أبا سعيد : ديوانه ص ٢٦٦ . (٣) في الديوان « جارٌ » .

(٤) في الديوان : « يديك » (٥) ديوانه ص ٢١٠ .

(٦) الأخدعان : عرقان في العنق ، والخرق : الحمق .

(٧) ديوانه ص ١٠٨ . (٨) الأيكة : الشجر الملتف. ورواية الديوان :

لدى ملك من أيكة الجود لم يزل على كبد المعروف من نيله برد

(٩) ديوانه ص ٣٣٤ . (١٠) في الديوان : « غضا » .

(١١) كذا رواه ، وفي مختارات البارودي (١ : ٢١٦) .

كأنني يوم حررت الرجاء له عضبا أخذت به سيفا على الزمن

فاسدد مسامعك ، واستغش[1] ثيابك ، وإياك والإصغاء إليه ، واحذر الالتفاتَ نحوه ؛ فإنه مما يُصدئ القلب ويُعْميه ، ويَطمس البصيرة ، ويكدّ القريحة .

وربما جاء من هذا الباب مايظنُّه الناس استعارةً وهو تشبيه أو مثَل ؛ فقد رأيت بعض أهل الأدبِ ذكَرَ أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس :

الفرق بين التشبيه والاستعارة

والحُبُّ ظَهْرٌ أنت راكبُه ... فإذا صرفتَ عِنانه انصرفا

ولست أرى هـذا وما أشبَهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظَهْر ، أو الحب كظَهْرٍ تُديره كيف شئتَ إذا ملكتَ عِنانه ؛ فهو إمَّا ضرب مَثَل أو تشبيه شيء بشيء ؛ وإنما الاستعارةُ ماا كتُفِي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكُها تقريب الشَّبَه ، ومناسبةُ المستعار له للمستعار منه ، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى ؛ حتى لايوجدَ بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .

* * *

التجنيس المطلق

فأما التجنيس ؛ فقد يكون منه المطلَق ، وهو أشهر أوصافه ، كقول النابغة[2] :

وأقطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاء قد جَعلت ... بعدالكَلالِ تشكّى الأيْنَ والسَّأْما[3]

وقول الشَّنْفَرَى[4] :

فَبِتْنَا كأن البيت حُجِّرَ فوقنا ... بريْحَانة رِيحَتْ[5] عِشاء وطُلَّت

(١) يقال : استغشى ثيابه ، وتغشى بهـا : تغطى بها حتى لايرى ولا يسمع ؛ وفى التنزيل : (واستغشوا ثيابهم) .

(٢) ديوانه ص ٦٧ .

(٣) الخرق : الواسع من الأرض الذى ينخرق فيه الريح . والخرقاء : الناقة التى بها هوج من نشاطها . والأين : الإعياء . والسأم : الفتور والملل؛ يشير إلى بعد السفر وطوله ، وأنه استعمل هذه الناقة نشيطة فى أول أمرها حتى أعيت من طول السفر ؛ فلو كانت مما يشتكى لشكت طوله . شرح ديوان النابغة للبطليوسى ص ٦٧ .

(٤) مهذب الأغانى (١ : ٩٦) .

(٥) ريحت : أصابتها ريح ، فجاءت بنسيمها .

وقول رؤبة :

* أحضرْتُ أهل حضرموت موتا *

فجانس فى موضعين فى بيت رجز .

وقول أبى تمام[١] :

تطلُّ الطلولُ الدمعَ فى كل موقف ... وتَمْثُلُ بالصبر الديارُ المَواثِلُ[٢]

فجانس فى المصراعين .

وقول البحترى[٣] :

صدَق الغُرابُ لقد رأيت حمولَهم[٤] ... بالأمس تغرب عن جوانب غرَّب

فجانس بثلاثة ألفاظ .

***

التجنيس المستوفى

وقد يكون منه التجنيس المستوفى ، كقول أبى تمام[٥] :

ما مات من كرم الزمان فإنه[٦] ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله[٧]

فجانس بيحيا ويحيى ، وحروف كل واحد منهما مستوفاة فى الآخر ؛ وإنما عُدَّ فى هذا الباب لاختلاف المعنيين ؛ لأن أحدَهما فعلٌ والآخر اسم ؛ ولو اتفق المعنيان لم يُعَدّ تجنيساً ، وإنما كان لفظة مكررة ، كقول امرئ القيس[٨] :

فلما دنوت تَسَدَّيتُها[٩] ... فثوباً نسيتُ وثوباً أَجُرّ

(١) ديوانه ص ٢٥٥ . (٢) تطل : تسكب . الطلول : الآثار . وتمثل : تقتله بتعذيب . المواثل : الدوارس . (٣) ديوانه ص ١٩ .

(٤) رواية الديوان والعمدة : « شموسهم » .

(٥) ديوانه ص ٣٤١ ، نهاية الأرب (٧ : ٩٠) ، الطراز (٢ : ٣٥٧) .

(٦) رواية الديوان :

* من مات من حدث الزمان فإنه *

(٧) من قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد الله . (٨) ديوانه ص ٩ .

(٩) تسديتها : تناولتها وقصدت إليها

فقد تكرَّر فى البيت ذكرُ الثوب ، كما تكرر ذكر يحيى فى بيت أبى تمام ، إلا أن هذين اتَّفق معناها ، واختلف ذانك المعنيان ؛ فَعُدّ الأول من البديع

ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفنى فيه بعضُ أهل الأدب قول الأعشى[(١)] :

إنْ تَسُدِ الحُوصَ[(٢)] فلم تَعْدُهم ... وعامِرٌ ســادَ بنى عامرِ

فأقول : إنه قد جانس بعامر وعامر ؛ لأن الأول اسم رجل[(٣)] ، والآخر اسم قبيلة . وأراه يخالف قولَ الآخر[(٤)] :

قتلنا به خيرَ الضُّبَيْعات كلِّها ... ضُبَيعة قيس لا ضُبَيْعَةَ أَضْجَما

لأن كلتيهما قبيلتان ، فكأنما جمع بين رجلين مُتَّفِق الاسم .

***

التجنيس الناقص

ومنه التجنيس الناقص ، كقول الأخْنَس بن شهاب :

وحامى لواء قد قَتَلْنا وحاملٍ ... لواءً منعنا والسيوف شَوارِعُ

فجانس « بحامى وحامل » ، والحروف الأصلية فى كل واحد منهما تنقص عن الآخر .

ومثله قول أبى تمام[(٥)] :

يمدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصِم ... تطول[(٦)] بأسْيَافٍ قواضٍ قواضبِ

فأما قوله :

خَلَّفْتَ بالأفق الغربىّ لى سكَناً ... قد كان عيشى به حُلْوًا بحلوان

فهو من الأول وليس بناقص ؛ لأن الألف والنون فى حلوان زائدتان .

---

(١) قصص العرب (٣ : ١٠٥) .

(٢) الحوص : هم قوم الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وعمرو بن الأحوص .

(٣) هو عامر بن الطفيل ، أحد فتاك العرب وشعرائهم . (٤) العمدة (١ : ٢٢٧) .

(٥) ديوانه ص ٤٢ ، أسرار البلاغة ص ١٣ ، نهاية الأرب (٧ : ٧١) ، الطراز (٢ : ٣٦٢) . (٦) فى الديوان : « تصول » .

ومنه التجنيس المضاف ، كقول البحترى[(١)] :

أيا قمر التِّمام أعَنْتَ ظُلْماً   علىَّ تطاولَ الليــل التِّمام[(٢)]

ومعنى التمام واحد فى الأمرين ، ولو انفرد لم يُعَدّ تجنيساً ؛ ولـكنّ أحَدَها صار موصولا بالقمر ، والآخر بالليل ؛ فـكانا كالمختلفين . وقد يكونُ من هذا الجنس ماتجانس به المفردُ بالمضاف ، وقد تـكون الإضافة اسماً ظاهراً ومكنيًّا ، وقد تـكون نسباً . ومن أملح ماسمعت فيه قول أبى الفتح بن العميد:[(٣)]

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب   وإن كان مرضيا فقل شعر كاتب[(٤)]

المطابقة

وأما المطابقة فلها شُعَبٌ خفية ، وفيها مكامن تَغْمُضُ ، وربما التبست بها أشياء لاتتميَّز إلا للنظرِ الثاقب ، والذهن اللطيف ؛ ولاستقصائها موضعٌ هو أملك به . ولم نفتح هذا الـكلام وقصدنا ماجرى بنا القول إليه ؛ لـكنّ الحديثِ شُجون ، وربما احتاج الشيء إلى غيره فذُكِر لأجله ، وربما اتصل بما هو أجنبيٌّ منه فاستصحبه

ومن أشهر أقسام المطابقة ماجرى مجرى قول دِعْبل[(٥)] :

لاتعجبى ياسَــلْمُ من رجلٍ   ضَحِك المشيب برأسهِ فبكَى

وقول مسلم بن الوليد :

مُسْتَعْبِر يَبْــكى على دِمْنة   ورأسُه يضحكُ فيــه المشيب

---

(١) ديوانه ص ٢٤٦ .

(٢) أتم القمر : اكتمل ، وهو بدر تمـام (بفتح التاء وكسرها ، ويرى ابن دريد أنه بكسرها) ، وليل التمام : أطول ليالى الشتاء .   (٣) العمدة (٢ : ٤) .

(٤) قال ابن رشيق : « وهو داخل عندى فى باب الترديد ؛ إذ كان قوله عنـد السخط « شعر كاتب » إنما معناه التقصير به ، وبسط العذر له ؛ إذ ليس الشعر من صناعته ، كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون نحـو كتابىّ إذا لم يكن مجوداً . وقوله عند الرضا : « شعر كاتب » إنما معناه التعظيم له وبلوغ الغاية فى الظرف والملاحة لمعرفة الـكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات؛ فقد ضاد وطابق فى المعنى وإن كان اللفظ تجنيساً مرددا » .

(٥) نهاية الأرب (٧ : ١٠٠) .

وقول أبي تمام[١] :

وتنظّري خَبَبَ الرِّكاب يَنُصُّها[٢]　　مُحْيِي القَريض إلى مُميت المال

وقوله :

* أرضى الثرى وأسخط الغبارا *

وقوله[٣] :

هـذا الذى عرفت يداهُ ساحتى　　من بعد ما جَهل البخيلُ مَكانى

فكلُّ هذا بابٌ واحد ، وقد يجيء منه جنسٌ آخر تكونُ المطابقةُ فيه بالنفى ، كقول البحترى[٤] :

يُقَيّض لى من حيث لا أعلم الهوى　　ويسرى إلىَّ الشوق من حيث أعلم

لما كان قوله : « لا أعلم » كقوله : أجهل ، وكان قوله : أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته . ومن أغْرَب ألفاظه وألْطَف ما وُجد منه قول أبي تمام[٥] :

مَهَا الوحش إلاَّ أنَّ هاتَا أوَانِسٌ　　قَنا الخطِّ إلاَّ أنَّ تِلْك ذَوَابِلُ

فطابق «بهاتاوتلك»، وأحدهاللحاضر، والآخرللغائب ، فكانا نقيضين فى المعنى. وبمنزلة الضدين .

وقديخلطمن يَقْصُر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ماليس منه؛ كقول كعب بن سعد[٦]:

لقد كان : أمَّا حِلْمُه فروَّحٌ　　علينا وأمَّا جَهْلُه فعزيب[٧]

(١) مختارات البارودى (١ : ١٩٧) .

(٢) النص : السير السريع .　　(٣) ديوانه ص ٢٩٩ .

(٤) ديوانه (٢ : ٢٢٩)

(٥) ديوانه ص ٢٢٧ ، نهاية الأرب (٧ : ٩٩) ، وقد نسبه هناك إلى ابن المعتز .

(٦) جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٥ ، والأمالى ٢ : ١٤٨ ؛ من قصدته التى مطلعها :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا　　كأنك يحميك الطعام طبيب

(٧) مروح علينا : قريب منا . والعزيب : البعيد ، مثل العازب .

لما رأى الحلم والجهل ، ومروّحاً وعزيباً جعلهما فى هذه الجملة . ولو ألحقنا ذلك بها لوجب أن نُلْحِقَ أكثر أصناف التقسيم ، ولاتّسع الخَرْقُ فيه حتى يستغرق أكثر الشعر . ولنا فى استيفاء هذا الكلام وتحديد هذه الأضرب قولٌ سنُفْرِد له كتاباً يُحتمل استقصاؤه فيه .

* * *

التصحيف

ومن أصناف البديع التصحيف ؛ كقول الشاعر(١) :

ولم يكن المغترُّ بالله إذ سَرى ... لِيُعْجِز ، والمعتزّ بالله طالبُه

وقوله(٢) :

فكأنَّ الشَّلِيل والنَّثْرة الحَصْـ ... ـدَاء منه على سَلِيل غَرِيف(٣)

وقوله(٤) :

ما بعينى هــذا الغزال الغرير ... من فُتُونٍ مُسْتَجْلَبٍ من فُتُورِ

وقول إسماعيل بن عبّاد :

غَمائِمُ هنَّ فوق أرْؤُسِنا ... عمائِم لم يُذَلْنَ بالخِرَق(٥)

وهذا يدخل فى بعض الأقسام التى ذكرناها فى التجنيس ؛ لكن ما أمكن فيه التصحيف فله بابٌ على حِياله ، وجانبٌ يتميَّز به عن غيره .

* * *

التقسيم

ومنه التقسيم ، وقد يكون موصولا ، كقول زهير(٦) :

يَطْعَنُهمْ ماارتَمَوْا حتى إذا اطَّعَنُوا ... ضارَبَ حتى إذا ماضارَبُوا اعْتَنَقَا(٧)

---

(١) هو البحترى ، ديوانه (١ : ١٨) . (٢) ديوانه (١ : ١٠٤) .

(٣) الشليل : غلالة تلبس تحت الدرع ، والنثرة : الدرع الواسعة ، والحصداء : المحكمة ، والغريف : القصباء . وسليل الغريف : الأسد . والبيت من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل . (٤) ديوانه (٢ : ١٤).

(٥) أى لم يبتذل ذيلهن من الخرق . (٦) ديوانه ص ٤١ .

(٧) يقول : إذا ارتمى الناس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى لجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق كل قرن قرنه والتزمه .

فقسّم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء ، ثم ألْحق بكل قسم مايليه فى المعنى الذى قصده من تفضيل الممدوح ، فصار موصولا به ، مقروناً إليه . ونحوه قول عنترة[1] :

إن يَلْحَقُوا أكررو إن يستَلْحِموا[2] أشدد وإن نزلوا بضيق أنْزل

فهذا كالأول فى الصنعة ، وإن كان إنما أزوج كل قسم بقرينه ، وما هو وفقه ، ولم يرض الأولُ إلاّ بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدُماً ، وارتفع عليه درجة . وقد تكون القسمةُ مطلقة غير مشفوعة ، كقول النابغة[3] :

فلله عينا من رأى أهلَ قبة أَضرّ لمن عادَى وأَكثر نافعا

وأعظمَ أحلاما وأكرم سيداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا

فهذا ضربٌ من التقطيع على معانٍ مختلفة ؛ ولستُ أسمح بتسميته تقسيما ؛ وقد رأيتُ من يُطلق له هذه السِّمة .

جمع الأوصاف

ومما يقاربُ هذا جمعُ الأوصاف ، كقول أبى دؤاد :

بعيد[4] مدى الطرف خاظِى البضيع مُمَرّ المَطَا سَمْهرى العَصَبْ[5]

وقد يجمع على نوع آخر كقول النابغة[6] :

حَـدِيدُ الطَّرْفِ والمنكِـ ـب والعُرقوب والقَلْبِ

(١) ديوانه ص ١٠٠ . (٢) يقال : استلحمنا رجل من العدو أى تبعنا .

(٣) لم نعثر عليهما فى الديوان ، وهما فى العمدة (٢ : ٢٢) .

(٤) فى ا « بديع » ، وصوابه فى ب .

(٥) خاظى البضيع : ممتلئ اللحم ، وممر : مفتول ، والمطا : حبل المتن ، والسمهرى : الشديد ، والعصب ؛ جمه أعصاب ؛ وهى أطناب المفاصل التى تلائم بينها وتشدها ، وفى العمدة : « سمهرى القصب » (٦) نسبه أبو على القالى إلى أبى داؤاد . وقال أبو عبيد البكرى : « الصحيح أنه لعقبة ابن سابق الهزانى » . وقبله :

طويل طامح الطرف إلى مفزعة الكلب

وقد يُمَدّ فيه التَّقفية والترصيع ، كقول امرئ القيس(١)

والماءُ مُنْهَمِرٌ والشَّدُّ مُنْحَدِر والقُصْبُ مُضْطَمِرٌ والمتن مَلْحُوبُ(٢)

وقد يمتنع بعضُ الأدباء من تسمية بعض ماذكرناه بديعا ؛ لكنه أحدُ أبواب الصنعة ، ومعدود فى حلى الشعر ، وله أشْباه تجرى مجراه ، وتذكر معه ؛ كالالتفات والتوصل وغيرهما ، ولو أقبلنا على استيعابها ، وتمييز ضروبها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال . ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه ، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شَغلْنا معظَمه بغيره ؛ وإنما قدمنا هذا النَّبْذ(٣) توطئةً لما نذكرُه على أثره ، وتدريجاً إلى مابعده ؛ ليكون كالشاهد المقبول قوله ، وبمنزلة المسلم أمره .

* * *

الاستهلال والتخلص والخاتمة

والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة ؛ فإنها المواقف التى تَسْتَعْطِف أسماعَ الحضور ، وتستميلهم إلى الإصغاء ، ولم تكن الأوائلُ تخصُّها بفَضْل مراعاة ؛ وقد احتذى البُحْترى على مثالهم إلا فى الاستهلال ، فإنه عُنِىَ به فاتفقت له فيه محاسن ؛ فأما أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا فى التخلص كلَّ مذهب ، واهتمَّا به كل اهتمام ، واتفق للمتنبي فيه خاصة مابلغ المراد ، وأحسن وزاد .

---

(١) ملحق ديوانه ٢٢٦ . وقد قال ابن برى : زعم الجوهرى أنه لامرئ القيس ، والبيت لإبراهيم بن عمران الأنصارى ؛ قال وقبله :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى جرداء معروقة اللحيين سرحوب

إذا تبصرها الراءون مقبلة لاحت لهم غرة منها وتجبيب

رقاقها ضرم وجريها خذم ولحمها زيم والبطن مقبوب

والعين قادحة واليد سابحة والرجل ضارحة واللون غربيب

اللسان (٢ : ١٧٠) .

وله فى اللسان (٢ : ٢٣٣) رواية أخرى غير منسوبة :

فالعين قادحة والرجل ضارحة والقصب مضطمر والمتن ملحوب

(٢) القصب : أسفل البطن من الأمعاء ، ويريد به الخصر على المجاز ؛ والمضطمر : المهزول ، ويقال : لحب متن الفرس وعجزه : املاس فى حدور .

(٣) النبذ : الشئ القليل .

بدء الوساطة

ثم نعدل إلى ماتكلفناه فى هذه الوساطة فنقول : إن خَصْم[1] هذا الرجل فريقان : أحدهما يعمُّ بالنقص كلَّ مُحْدَث ، ولا يرى الشعرَ إلا القديمَ الجاهليّ وما سُلِك به ذلكالمنهج ، وأُجْرِى على تلك الطريقة ؛ ويزعم أن ساقة الشعراء رُؤْبة ، وابن هَرْمة ، وابن ميّادة ، والحَكَم الخُضْرِى[2] ، فإذا انتهى إلى مَنْ بعدهم ـ كبشّار وأبى نواس وطبقتهم ـ سمّى شعرهم مُلَحاً وطُرَفاً ، واستَحسن منه البيتَ استحسانَ النادرة ، وأجراه مجرى الفكاهة ؛ فإذا نزلت به إلى أبى تمام وأَضْرَابِهِ نَفَضَ يده ، وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرِضوا بيتاً قَطّ ، ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد .

ومَنْ [كان] هذا رأيهُ ومذهبُه ، وهذه دعواه ونِحْلته فقد أعطاك ما أردت من وجهٍ وإن مانعك سواه ، وسمَح لك بما التمست وإن التوى عليك فى غيره ؛ لأن الذى انتصبْتَ له ، وشغلتَ عنايتك به ـ إلحاقُ أبى الطيب بهذه الطبقة ، وإضافتُه إلى هذه الجملة ، وقد بذل ذلك ، وقرَّب مطلبه عليك ؛ فإن تكن الجماعة منسلخةً من الشعر ، موسومة بالنقص ، مستحقة للنفى ، فصاحبك أوّلهم ؛ وإن تكن قد عَلِقَتْ منه بسبب ، وحظِيتمنه بطائل ، وكان له فيه قدم ، ومنه حظ وموقع ، فهو كأحدهم.

وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المحدث والمُحْدَث بسبيل ؛ كما لانسب بينه وبين تفضيل قديم على قديم ، وإنما يستمتِب لك هذه المخاطبة مَنْ وافقك على فضل أبى تمام وحزبه ، وسلَّم محل مسلمومَنْ بعده ، فتجعل هؤلاء شهودك وحججك ، وتقيم شعرهم حكما بينه وبينك ؛ فإنك لاتدّعى لأبى الطيب طريقةَ بشار

---

(١) الخصم : يستوى فيه المفرد والجمع .

(٢) فى الأصلين : « الحضرى » ، تصحيف . وهو الحكم بن معمر ، منسوب إلى الخضر ، قبيلة فى قيس عيلان .

وأبى نواس ، ولا منهاج أشْجَع والخُرَيمى ، ولو ادَّعيته فإنما كنتَ تخادع نفسك ، أو تُبَاهِت[1] عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين : إما أن تدّعى له الصنعة المحضة فتُلْحِقه بأبى تمام وتجعله من حِزْبه ، أو تدّعى له فيه شركا وفى الطبع حظاً ، فإن مِلت به نحو الصنعة فَضْلَ مَيْل صيَّرته فى جَنَبَةِ[2] مسلم ، وإن وفَّرت قسطه من الطبع عدلت به قليلا نحو البُحْترى .

وأنا أرى لك إذا كنت متوخّياً للعدل ، مؤثراً للإنصاف أن تقسّم شعره ؛ فتجعله فى الصدر الأول تابعاً لأبى تمام ، وفيما بعده واسطة بينه وبين مُسلم .

القدماء والشعر الحديث

وما أكثر مَنْ ترى وتسمع من حفّاظ اللغة ومن جِلّة الرواة ، مَنْ يلهج بعيب المتأخرين ؛ فإن أحدهم يُنْشَدُ البيتَ فيستحسِنه ويستجيده ، ويَعْجَب منه ويختاره ؛ فإذا نُسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذّب نفسه ، ونقض قوله ، ورأى تلك الغضاضة أهون مَحْمَلا وأقل مَرْزأة من تسليم فضيلة لِمُحْدَث ، والاقرار بالإحسان لمولّد .

إسحق الموصلى والأصمعى

حُكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ أنه قال : أنشدتُ الأصمعى :

هَلْ[3] إِلَى نَظْرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلٌ ... فَيُبَلّ الصَّدَى ويُشْفى الْغَليلُ
إِنَّ مَا قَلّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِى ... وكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال : واللهِ هذا الدِّيبَاجُ الخُسْرَوَانِىُّ ، لِمَنْ تنشدنى ؟ فقلت: إنهما لليلتهما فقال : لاجَرم والله إنَّ أثر التكلّف فيهما ظاهر[4] .

وعن ابن الأعرابى[5] فى أبيات أبى تمام فى الرَّوْض نحوٌ من هذا . وله نظائر

---

(١) أصل باهته : استقبله بأمر لا يعلمه وهو منه برىء ، فيبهت منه .

(٢) الجنبة : الناحية . (٣) الأغانى (٥ : ٧١) .

(٤) رواية الأغانى: «فقال : هذا الديباج الخسروانى ، هذا الوشى الإسكندرانى : لمن هذا ؟ فقلت له : إنه ابن ليلته ؛ فتبينت الحسرة فى وجهه ، وقال : أفسدته أفسدته : أما إن التوليد فيه لبين» .

(٥) انظر أخبار أبى تمام للصولى ص ١٧٣ .

مشهورة تُحْكى عن الأصمعى ومَنْ بعده . وقد بعدت بهم العصبيّة فى ذلك إلى تناول بعض المتقدمين .

شعر أبى دواد وعدى ابن زيد

زعم الأصمعى أن العرب لا تَرْوِى شعر أبى دواد وعدى بن زيد ؛ لأن ألفاظَهما ليست بنَجْدية ؛ وكيف يكونُ ذلك ! وهذا معاويةُ يفضّل عديا على جماعة الشعراء . وهذا الحطيئة يُسأل: مَنْ أشعر الناس ؟ فيقول: الذى يقول ، وأنشد لأبى دواد(١) :

لا أَعُدُّ الإقْتَار عُدْما ولكنْ فَقْدُ من قَدْ رُزِئْتُه الإعدامُ
مِنْ رجال من الأقارب ماتوا من حُذاق هم الرءوس الكِرام(٢)
فيهمُ للمُلاينين أناةٌ وعُرام(٣) إذا يُرَاد عرامْ

* * *

أبو رياش القيسى وشعر البحترى

ولقد يتّفق لأحد هؤلاء غلبةُ الإنصاف على قلبه فى الوقت بعد الوقت ، فيخلع رداء العصبية ، ويُصْغى ويُميز فيَرجع . حدثنى جماعة من أصحاب [أبى] رياش القَيْسى(٤) ، ولا نعرف فى زماننا راوية تقدمه ، وكان معروفا بالتحامل على هؤلاء والغضّ من أبى تمام والبحترى خاصة ، حتى إنّ نسخ هذين الديوانين قلّت بالبصرة فى وقته ؛ لقلّة الرغبة فيهما : أنه أُنشد ذات يوم قول البحترى(٥) :

نظرتُ إلى طَدَان فقلت ليلى هناك وأين ليلى من طَدَان ؟!(٦)
ودون(٧) مزارها إيجافُ(٨) شهر وسبع للمطايا أو ثمانِ

---

(١) مهذب الأغانى (١ : ١٤٨) ، وروى البيت الثانى فى اللسان (١١ : ٣٢٤) هكذا :
ورجال من الأقارب كانوا من حذاق هم الرءوس الخيار

(٢) حذاق : رهط أبى داود الإيادى . (٣) العرام : الشراسة والأذى .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم أبو رياش القيسى اللغوى . روى عن مشايخ البصرة ، وروى عنه عبد السلام البصرى وطبقته . إنباه الرواة (١ : ٢٥) . (٥) ديوانه (٢ : ٢٨١).

(٦) طدان : قال ياقوت : هو موضع بالبادية فى شعر البحترى . وفى الأصلين « ظاران » ، والتصحيح عن الديوان . (٧) رواية الديوان : « ودون لقائها » .

(٨) الإيجاف : نوع من السير .

ولما غرّبت أعْراف سَلْمَى لهنّ وشرّقت قُنَن القِنان(١)
تصوبت(٢) البلادُ بنا إليكم وغنّى بالإيابِ الحادِيان

فقال : أحسن والله ! مَنْ هذا البدوى المطبوع ؟ فقيل : إنها للوليد بن عُبيد ، فقال : أَعِدْ ، فأعيدت ، فرجع عن رأيه فيه ، وحض الناس على رواية شعره .

التحامل في النقد

ولو أُنصف أصحابُنا هؤلاء لوُجِد يسيرُهم أحقّ بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار ؛ لأن أحدهم يقفُ محصورا بين لفظ قد ضُيّق مجاله ، وحُذِف أكثره ، وقلّ عدده ، وحُظِر مُعْظمه . ومعان قد أُخذ عفوها ، وسُبِق إلى جيّدها ؛ فأفكاره تنبثُ فى كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب ؛ فإن وافق بعضَ ماقيل ، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل : سرق بيت فلان ، وأغار على قول فلان . ولعل ذلك البيت لم يَقْرَع قطّ سمعه ، ولا مرّ بخلَده ؛ كأن التوارد عندهم ممتنع ، واتفاقَ الهواجس غيرُ ممكن ! وإن افترع معنى بكْرا ، أو افتتح طريقا مُبهما لم يرض منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب ، وألَذِّه فى السمع ؛ فإن دعاه حبُّ الإغراب وشهوة التنوّق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه ، فوشّحه بشيْ من البديع ، وحلاّه ببعض الاستعارة قيل : هذا ظاهرُ التكلف ، بيّن التعسف ، ناشف الماء ، قليل الروْنق . وإن قال ماسمَحتْ به النفس ورضى به الهاجس قيل : لفظ فارغ وكلام غسيل ؛ فإحسانه يُتأوّل ، وعيوبه تُتَمَحّل ، وزلته تتضاعف ، وعذره يُكذَّبُ ؛ فلا تشتغلنّ بهذه الطائفة مادمت تنظر بين المتنبى وأهل عصره ، وأخِّر المنازعة فى هذا الرأى ، وإن كان الخلاف الأكبر ، فإن لكل مقام مقالا . وإنما خصمك الألَدُّ ، ومخالفك

---

(١) فى الأصلين :

ولما عرفت أعراف ليلى لهن وشرقت قنن القيان

وهذه رواية الديوان .

والأعراف : جمع عرف ، وهو كل عال مرتفع ، والأعراف أيضاً : ضرب من النخل .

(٢) فى الأصلين : « فصويت » ، وهذه رواية الديوان .

المعاند ، الذى سمدْتَ لمحاكته ، وابتدأت بمُنَازَعته ومحاجّته ، مَن استحسن رأيك فى إنصاف شاعر ، ثم ألزمك الحيفَ على غيره ، وساعدك على تقديم رَجُل ، ثم كلّفك تأخير مثله ؛ فهو يسابقك إلى مدح أبى تمام والبحترى ، ويسوِّغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومى ؛ حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله ، وأسميته فى عِداد مَنْ يقصر عن رتبتـه امتعض امتعاض الموتور ، ونفر نِفار الضَيم ، فغضّ طرْفه ، وثَنَى عِطْفه ، وصعَّر خَدّه ، وأخذته العزة بالإثم ، وكأنما زوّى بين عينيه عليك المحاجم .

وأقبِل عليك أيها الراوى المتعتّب فأقول لك : خَبّرنى عمّن تعظّمه من أوائل الشعراء ، ومَنْ تفتتح به طبقاتِ المحدَثين ؛ هل خلص لك شِعْر أحدهم من شائبة ، وصفا من كَدِر ومَعابة ؟ فإن ادّعيت ذلك وجدتَ العِيَان حَجيجَك ، والمشاهدة خَصْمك ؛ وعُدْنا بك إلى أضعاف ما صدَّرنا به مخاطبتك ، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دَعواك ، ويَحْجُزك إن كان بك أدنى مُسكة عن قولك . فإن قلت : قد أعْثُر بالبيت بعـد البيت أنـكره ، وأجد اللفظ بعد اللفظ لاأستحسنه ، وليس كلّ معانيهم عندى مرضية ، ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة . قلنا لك : فأبو الطيب واحدٌ من الجملة ، فـكيف خُصّ بالظلم من بينها ، ورجل من الجماعةِ فلِمَ أفرد بالحيف دونها ؟ فإن قلت : كَثُر زَلَلُه ، وقلّ إحسانه ، واتسعت معايبه ، وضاقت محاسنه . قلنا : هذا ديوانُه حاضرا وشعره موجودا ممكنا ؛ هلم نستقرئه ونتصفّحه ، ونقلبه ونمتحنه ، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات ، وبكل نقيصة عشر فضائل ، فإذا أكلنا لك ذلك واستوفيته ، وقادك الاضطرار إلى القبول أو البهْت ، ووقفت بين التسليم والعناد عُدْنا بك إلى بقيةِ شعره فحاججناك به ، وإلى ما فضل بعد المقاصّة فحاكمناك إليه .

* * *

موازنة بين ابن الرومي والمتنبي

وقد نجد كثيرا من أصحابك ينتحل تفضيلَ ابن الرومي ويغلو في تقديمه ، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره ، وهي تناهزُ المائة أو ترْبي أو تُضْعِف ، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين ؛ ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها ، جارية على رسْلها ؛ لايحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ ، وأنت لاتجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبياتٍ تُختار ، ومعان تستفاد ، وألفاظ تروق وتعذب ، وإبداع يدلّ على الفطنة والذكاء ، وتصرُّف لايصدُر إلا عن غزارة واقتدار .

تفاوت شعر أبي نواس

ولو تأملتَ شعر أبي نواس حقّ التأمل ، ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه ، وعددتَ منفيَّه ومختاره ، لعظَّمتَ مِنْ قَدْر صاحبنا ماصغّرت ، ولأكبرت من شأنه مااستحقرت ، ولعلمت أنك لاترى لقديم ولا محدَث شعراً أعم اختلالا ، وأقبح تفاوتا ، وأبين اضطرابا ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطا من شعره هذا ؛ وهو الشيخ المقدّم والإمام المفضّل الذى شهد له خَلَف وأبو عبيدة والأصمعى ، وفسر ديوانه ابنُ السكيت ؛ فهل طمست معايبُه محاسنَه ؟ وهل نقص رديُّه من قدر جيده ؟ وهل ضرَّ قولَه[1] :

* * *

جيد شعر أبي نواس

يَحميك مما يستسر بفعله ... ضحكاتُ وجه لايَريبُك مُشْرقِ
حتى إذا أمضى عزيمة أمره ... أخنت بسَمْعِ عدوِّه والمنطقِ

وقوله[2] :

ياناقُ لا تَسْأمى أو تَبْلُغِى ملكا ... تقبيلُ راحته والركن سيَّانِ
متى تحطّى إليه الرَّحْل سالمةً ... تستجمعى الخَلْق فى تمثال إنسانِ

وقوله[3] :

لعمرك ما غاب الأمينُ محمدٌ ... عن الشيء يَعْنيه إذا حضر الفَضْلُ
ولولا مواريثُ الخلافة أنها ... له دونه ما كان بينهما فَضْلُ
فإن كانت الأحساب[4] فيها تباينٌ ... فقولهما قولٌ وفعلهما فعلُ
أرى الفَضْل للدنيا وللدين جامعاً ... كالسَّهم فيه الفُوقُ والرِّيشُ والنَّصْلُ[5]

---

(١) ديوانه ص ٦٢ . (٢) ديوانه ص ٦٥ . (٣) ديوانه ص ٨٧ .

(٤) رواية الديوان ومختارات البارودى : « الأجسام » .

(٥) الفوق : موضع الوتر من السهم، والريش : مايوضع فى السهم ، والنصل: حديدة السهم.

وقوله[١] :

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ ... فأنتَ كما نُثْنِى وفوق الذى نُثْنِى
وإن جرتِ الألفاظُ مِنَّا بمدحة . ... لغيرك إنسانا[٢] فأنْتَ الذى نَعْنِى

وقوله[٣] :

لَا أذُودُ الطَّيْرَ عن شَجَرٍ ... قد بلوت المُرَّ من ثَمَرِه[٤]
خِفْتُ مأثورَ الحديث غداً ... وغَـدٌ دانٍ لِمُنتظِره
خاب مَن أسْرَى إلى مَلِكٍ[٥] ... غير معلوم مَدَى سَفَرِه
فامْض لا تَمْنُن علىّ يدا ... مَنُّكَ المعروف من كدره
رُبَّ فتيان رَبَأْتهمُ ... مسقطَ العَيُّوق من سَحَرِه[٦]
فاتَّقَوْا بى ما يَرِيبهمُ ... إنَّ تقوى الشرِّ من حَذَرِه

وقوله[٧] :

قالوا كبرت فقلت ما كَبِرت يدى ... عن أن تخبّ[٨] إلى فمى بالكاس

---

(١) مختارات البارودى (١ : ١١٤) . (٢) فى ا « إنسان » ، وصوابه فى ب .

(٣) ديوانه ص٦٦ . (٤) جاء فى شرح ديوان أبى نواس ما نصه تعليقاً على هذا البيت:

« حدث إبراهيم بن المنذر عن محمد بن شبيب قال : قلت لأبى نواس : ما أردت بقولك:

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المرّ من ثمره

فقال : أخبرك ؛ كانت لى صديقة تحبنى كثيراً ، فقيل لى : إنها كانت تختلف إلى آخر من أهل الريب ، فلم أصدق حتى تتبعتها فرأيتها تدخل إلى منزل ذلك الرجل ، ثم إن ذلك الرجل جاءنى — وكان لى صديقاً — فكلمنى فصرفت وجهى عنه وقلت :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلى ولا سمره

ثم جعلت ذلك صدر مديح العباس الهاشمى » .

(٥) فى الديوان : « إلى بلد » .

(٦) ربأت : حرست ، والعيوق : نجم معروف، والسحر : قبيل الفجر، ومسقط: منصوب على الظرفية . (٧) ديوانه ص ٢٩٥ . (٨) رواية الديوان :

قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدى ... عن أن تحث إلى فمى بالكاس

وإذا عددت سنىّ كَمْ هى لم أجِدْ ... للشيب عــذراً فى النزول بِرَاسِى

وقوله :

بَانُوا وفيهم شموسُ دُجْنٍ[1] ... تُنْعِلُ أقــدامَها القرونُ
تعــومُ أَعجازُهنّ عَوْما ... وتنثنى فــوقها المُتُونُ

وقوله[2] :

وكأسٍ كمصباح السماء شربتُها ... على قُبْلة أو مَــوْعد بلقَاء
أتت دونها الأيام حتى كأنها ... تَساقُطُ نورٍ من فُتُوق سماء

وقوله[3] :

قامت تريك وأمرُ الليل مجتمع ... صبحاً[4] تولّد بين الماء والعنب
كأن صُغْرَى وكُبْرَى من فَوَاقِـها[5] ... حَصْباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهب[6]
كأن تُرْكاً قياما فى جوَانِبها ... تَوَاتَرُوا الرمى بالنشّاب من كَثَب[7]

وإن كان النحويون ينكرون صغرى وكبرى بغير ألف ولام .

وقوله[8] :

فإذا عــلاها المــاء ألْبَسَها ... زَبَدًا شبيهَ جلاجل الحِجْل[9]

---

(١) ديوان المعانى : (١ : ٢٤٦) ، والقرون : جمع قرن : وهو الضفيرة من الشعر .

(٢) مختارات البارودى (٤:٤) . (٣) ديوانه ص ٢٤٣ ، ومختارات البارودى (٤:٥).

(٤) فى الأصلين : « صبح » ، وصوابه من الديوان .

(٥) كذا فى الأصلين ، وفى الديوان ومختارات البارودى . والذى فى كتب الشواهد: « فقاقعها » ؛ وهى ما يعلو الخمر . (٦) الحصباء : الحصى .

(٧) شبه الحبب بنشاب يختلف من ترك يترامون من كثب ، ذلك لأنه فى كأس ، وهو موضع ضيق . (٨) ديوانه ص ٣١١ ، ومختارات البارودى (٤ : ١٥) .

(٩) الضمير فى علاها يعود على الخمر فى بيت قبله :

صفراء مجدها مرازبها ... جلت عن النظراء والمثل

والجلاجل: جمع جلجل وهو الجرس الصغير، والحجل : الخلخال، وفى الأصلين « خلاخل » وهو تحريف . ورواية البارودى :

فإذا علاها المـاء ألبسها ... نمشا شبيه جلاجل الحجل

حتى إذا سكنت جوامحها[١] كتبت بمثل أكارِع النمل[٢]
خطَّين من شتى ومُجْتَمع غُفْل من الإعجام والشَّكْل

وقوله[٣] :

فتمشَّتْ في مفاصلهم كتمشى البُرْءِ في السَّقم

ومن سلك هذا المسلك من شعره فقد صافح السماء وتناول النجوم .

* * *

ردىءُ شعر أبى نواس

[هل ضرّ قولَه هذا] غَثاثَةُ[٤] قوله يمتدح الأمين[٥] :

فعصا نداه بِراحتى أعلُو بهـا الإفلاسَ قَرْعا
وعلىَّ سـورٌ مانعٌ من جوده إن خفتُ كَسْما[٦]
فلو أنَّ دَهْرا رَابنى لصفعتُه بالـكفِّ صَفْعا

وقوله[٧] :

مالرِجْـلِ المـالِ أضْحَتْ تَشْتَـكى منك الـكَلالا
ما لِأمْوالِك مَنْ جَا ءَ احْتَنَى منها وَكَالاَ

وقوله :

أيا مَن وجهه الداحى[٨] ومن منزله الماخى
أمَالِىَ منـك ياظاا م إلا اللاهى واللاحى

وضعفُ قوله :

---

(١) فى الأصلين : «جوانحها» . (٢) أكارع النمل : أرجله . أخذه من قول الأخطل :
تدب دبيبا فى العظام كأنه دبيب نمال فى نقا يتهيـل
(٣) مختارات البارودى (٤ : ١٦) . (٤) غثاثة : فاعل ضر فى ص ٥٢ ؛ والزيادة ليتضح المعنى . (٥) ديوانه ص ١٢٤ . (٦) فى الأصلين «لسما» ، وما أثبتناه عن الديوان . (٧) ديوانه ص ١١٩ . (٨) الداحى . المنبسط .

ألا يا قمرَ الدّارِ ويا مِسْكَةَ عَطّار
ويا نَفْحَةَ نِسْرينٍ ويا وردةَ أسحار
ويا جدول بُستان على شاطئ أنهار
ويا كَعْبَتَيْنِ من عاج ويا غرّةَ دينار
ويا نَرْداً لفِتْيان ويا لُعْبةَ أبكار
ويا مِسْواكَ جَمّاش ويا طنبور شطّار(١)

وقوله :

قد غَنينا عن الشّتا وعن اللّبْس لِلْفرا
وعن الحشو للعبا ءةوالكنّ والصِّلاَ(٢)
وعن الفَرْش والوطا ببيوت بِلَا كرا
قدم الصيف بالولا بةِ قدّامه اللِّوَا
بالمناديل والغلا لة والنّعل والرِّدا
والطنابير والطبو ل وبالرقص والغِنا
يُحْشَرُ الناس فى القيا مة مُرْدا بلا لِحَى
أنا مالى وللربا ط ولِلْغزْوِ والفِدَا
لستُ ممن يطوف فى عرفات ولا مِنى
أركبُ المرد فى الدّيا ر وفى المدن والقُرَى
فإذا ما تمنعوا وعصوا أبذلُ الرِّشا

وهو كما تراه فى سُخْف اللفظ ، وسوء النظم ، وسقط المعنى ، وقوله :

حَمْدان مالك تغضبْ علىّ من غير مُغْضبْ
فقد حلفتُ يميناً مبرورة ليس تُكْذبْ

---

(١) الجماش : المتعرض للنساء ، والشطار : الخليع . (٢) الصلاء : الوقود .

فشـق بذلك مـنى ... يابنَ الـكريم المَرْكَبْ
فالْبَحْر أصبح شانى ... والبحرُ أشهى وأطْيبْ
وقد تآليتُ ألّا ... فى البر ماعشتُ أرْكَبْ

وقوله :

ذاك الذى من يد الله ... ه حار فيـه القبولُ
فـكلُّ جانب قلبى ... شوقاً إليـه يميـلُ
ويلى ! وليس يرى لى ... حقّ الهـوى فيميـلُ
ويلى ! وما هكذا إخ ... وتى يـكونُ الخليلُ
لم يَخْـتَرِقْ بيتنـا ... حسناً بودّ رَسـولُ
حتى بَدَا منـه ما لم ... يَفْعَـله قطّ مَلُولُ
ولا اهْتَدَى باحتيـالٍ ... إليـه قطّ بَخِيلُ
ما أفصَح الطَّرْفَ حدا ... للودّ حين يَجُولُ

وقوله :

ونائم هبّ فى الغصون ضُحاً ... كمُنْتَشٍ مَوْهِناً إذا انقَلبـا
يدعو بذكر على اسمه لهوًى ... يذكرنا فى أوانه الرّطبـا

وقوله :

فارْدُدْ علىَّ حيـاتى ... عضًّا بفيـك ولَحْسا

وقوله(١) :

قد حكى البـدرُ بَهَاكا ... فرآه مَنْ رَآكا
وازْدَهَى بالحُسْنِ لمّا ... صار فى الحسنِ حَكاكا

---

(١) ديوانه ص ٤٣١ .

وقوله :

عليـو يا ريعوده أصبَحْت لى مستعدَّه
وقد عَلِمت لعَمْرُ الْ إله أنك جَلده
بالاســتلاب إذا ما مشيت لى مَشى نجده
ورجرجت من وَرَاها أردافَ إزارِ بنــده

وقوله :

قـد صَبَغتْ بنتُ الدينيه للفطر يا عباس فوهيّه
وسلَّفَتْ ماشِطَها أُجْرة واشترطت فى المَشْطِ رازيّه
فاسلفوا ياقوم فى . . . من نَقْدِ بيتِ المالِ بخيّه
فإنهـا أعشق بغَّايةٍ لهـذه المعصوبة النيه
ياعَمْرو ما بالُ الدينية لا تَأْكُل العصبان مَشْوِيه

ونحو هذا مما يملّ الناظر ، ويضيع وقت الكاتب . ولو وُجد لأبى الطيب بيت مثله ، وحرفٌ يقاربه لعُصِب بعارِه ، ولا انطلقت الألسن بعيبه ، وصُدِّر به ديوان مثالبه وصحيفة مساويه .

* * *

اللحن فى شعر أبى نواس

فإن طَلَب اللحنَ والغلط أخذ عليه مثل قوله(١) :

وضَيْف كأس محدثه ملك تِيهُ مُغَنٍّ وظَرْفُ زِنْدِيقِ

فسكن الهاء ، وقوله : « ياربِّيَ الجبارُ » . فرفع « الجبار » .

وقوله(٢) :

ياخَيْرَ من كان ومَنْ يكونُ إلا النبيُّ الطاهرُ الميمونُ

(١) ديوانه : ص ٨٩ (٢) الموشح : ص ٢٦٧

وقوله [١] :

فلما خشى الإيبا ءمن صَحْبٍ وجلاّسِ

وإنما هو الإباء .

وقوله[٢] :

وإذا نَزعتَ إلى الغواية فليكُن لله ذاكَ النزعُ لا للناس

وإنما هو نزع عن الشئ نزوعاً ، وأبيات كثيرة يضعفُ عدة فى معظمها ، وإن كان بابُ التأويل يتسع ، ومذاهب الاحتيال فى النحو لاتضيق .

فساد العقيدة فى الشعر

وَوَجد له فى الإحالة مثل قوله[٣] :

وأَخَفْتَ أهْلَ الشِّرْكِ حتى إنَّه لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ

وقوله :

حتى الذى فى الرحم لم يك نطفة لفؤاده من خوفه خَفَقان

وقوله يصف البارى ، جلَّ أن يُوصف :

إن الذى لا يخيِّب سائله جوهره غير جوهر البشر

وقوله :

* كانت ذخيرة صانع متنوّق[٤] *

يعنيه - جل وعز .

ومن الخطأ فى الوزن قوله :

خطأ الوزن فى شعر أبى نواس

رأيت كل من كا ن أحمقا معتوها
فى ذا الزمان صار المقدم الوجيها
يارب نذل وضيع نوهته تنويها
هجوته لكيما أزيده تشويها

---

(١) ديوانه ص ٩٥ (٢) ديوانه ص ٢٩٥ . (٣) الموشح ص ٢٦٨ .
(٤) متنوق : متأنق .

فبعضه «مستفعلن مفعول وفعول» ، وبعضه «مستفعلن فاعلاتن» .

* * *

والعَجَب ممن يَنْقص أبا الطيب ، ويغضّ من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب فى الديانة كقوله[1] :

يَتَرَشَّفْنَ من فمى رَشَفاتٍ هُنَّ فيهِ أحْلى من التوحيد

وقوله[2] :

وأبْهَرُ آيات التِّهامىِّ أنَّهُ أبوكم[3] وإحْدى مالَكُم من مَنَاقب

وهو يحتمل لأبى نواس قوله :

قلت والكاس على كفىِّ تَهوى لالتثامى
أنا لا أعرف ذاك اليوم فى ذاك الزحام

وقوله[4] :

ياعاذلى فى الدهر ذا هَجْرُ لاقَدَرٌ صحَّ ولا جَبْرُ
ماصح عندى من جميع الذى يُذكر إلا الموتُ والقَبْرُ
فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهرُ

وقوله[5] :

عاذلتى بالسّفاه والزجر[6] استمعى ما أبثّ من أمرى
باح لسانى بمضمر السرّ وذاك أنى أقُولُ بالدهرِ
بين رياض السرور لى شيع كافرة بالحساب والحشرِ

---

(١) ديوانه (١ : ٣١٥) . (٢) ديوانه (١ : ١٥٤) .

(٣) رواية الديوان : « أبوك » . (٤) الموشح ص ٢٧٦ ، وروى البيت الأول هكذا :

يا ناظرا فى الدين ما الأمر لا قدر صح ولا جبر

(٥) الموشح : ٢٧٧ . (٦) فى ا « الهجر » ، وما أثبتناه عن ب .

موقنة بالممات جاحدة لما رووه من ضغطة القبرِ
وليس بعد الممات مُنْقلب وإنما الموت بيضة العَقْرِ[1]

وقوله :

أأترك لذة الصهباء نقداً لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم بَعْث حديث خرافة يا أُمَّ عَمْرو

وقد رُوى أنهما لديك الجن .

وقوله[2] :

فدع الملامَ فقد أطعتُ غَوايتى ونبذتُ موعظتى وراء جدارِى
ورأيت إيثارَ اللّذَاذة والهوى وتمتعا من طيب هذى الدارِ
أحرى وأحزمُ من تنظّر آجلٍ ظَنّى به رَجْمٌ من الأخْبارِ
إنى بعاجل ما ترين موكل وسواه إرجافٌ من الآثارِ
ماجاءنا أحدٌ يخبر أنه فى جنة مذ مات أو فى النارِ

فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب أن يُمْحَى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهلُ الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعْرى وأضرابُهما ممن تناول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بُكْماً خرساً، وبِكاء[3] مفحمين؛ ولكنَّ الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر .

(١) بيضة العقر : آخر بيضة تبيضها الدجاجة إذا هرمت .

(٢) الموشح ص ٢٧٧ ، مع تغيير فى رواية الأبيات .

(٣) البكاء : جمع بكىء ، وهو من قل كلامه خلقة .

تفاوت شعر أبي تمام

الجيد من شعر أبي تمام

ولو لزمت هذا المثال فى شعر أبى تمام لتظاهرتْ عليك الحُجج ، وكثرت عندك الشواهد ، فقوىِ فى نفسك رأيى واعتقادى ، وتصور لك صدق وإصابتى ؛ إذْ رأيته يقول (1) :

أموسى بنَ إبراهيم دعوة خامس ... به ظمأُ التثريب لا ظمأُ الوِرْد (2)
جليد على عتب الخطوبِ إذَا عَرَتْ (3) ... وليس على عتب الأَخِلاَّء بالجَلْدِ
أأمنحُ هجْر القول من لو هجوْته (4) ... إذا لهجانى عنه معروفه عندى
كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى ... معى وإذا مالُمْتُه لمتُه وَحْدى
أَرُدُّ يدى عن عِرْض حرٍّ ومَنْطق ... وأملؤها من لِبْدَةِ الأسد الوَرْد
فإن يك سُخْطٌ عَنّ أوْ تكُ هَفْوَةٌ ... على خطأ منى فعذرى على عَمْد

---

(1) ديوانه ص ١٢٨ ، ومختارات البارودى (١ : ١٦٤) .

(2) الخامس : الظمآن لم يرد الماء منذ أربعة أيام ، والتريب : اللوم . وموسى بن إبراهيم ممدوح أبى تمام .

(3) رواية البارودى :

* جليد على عتب الخطوب إذا التوت *

ورواية الديوان :

* جليد على ريب الخطوب وعتبها *

(4) رواية البارودى :

* أؤلبس هجر القول من لو هجوته *

ورواية الديوان :

* أسربل هجر القول من لو هجوته *

ويقول[١] :

ومن لم يسلِّمْ للنوائب أصْبَحَتْ ... خلائقه جَمْعاً عليـــه نَوَائبا
وقد يَـكْهَمُ[٢] السيف المسمى مَنِيّة ... وقد يرجع المرء المظفَّرُ خائبـا
فآفة ذا ألاَّ يُصَادِفَ مَضربا[٣] ... وآفة ذا ألاَّ يصادفَ ضاربا

وقوله[٤] :

أقول وقد قالوا استراحت لموتهـا ... من الـكرب: روحُ الموت شرٌّ من الـكرب
لقد نزلت ضَنْـكا من اللحد والثرى ... ولو كان رحب الذَّرْع[٥] ما كان بالرحب
وكنت أرَجِّى القُرْب وهى بعيدة ... فقد نُقِلت بعدى عن البُعْد والقرب
لها منزلٌ تحت الثرى وعهِدْتُها ... لها منزل بين الجوانِح والقلبِ

ويقول[٦] :

أرَى الناسَ مِنْهَاجَ الندى بعد ماعَفَتْ ... مهايعُه المثلى ومَحَّتْ لَواحِبه[٧]
ففى كل نجـد فى البلاد وغائر ... مواهب ليست منه وهى مواهبه
فيأيها السَّارى اسْرِ غير محاذر ... جنانَ[٨] ظلام أو ردًى أنت هائبه

ويقول[٩] :

ذو الوُدّ منى وذو القربى بمنزلةٍ ... وإخْوَتى أسْـوةٌ عندى وإخْوانى
فى دهرىَ الأول المذمـوم أعرفهم ... فـكيف أنـكرهم فى دهرىَ الثانى
عصابة جاورتْ آدابهم أدبى ... فهم إنْ فُرِّقوا فى الأرض جيرانى

---

(١) ديوانه ص ١٧ ، ومختارات البارودى (١ : ١٧) .   (٢) يكهم : يقطع .
(٣) رواية البارودى والديوان : « راميا » .   (٤) ديوانه ص ٣٥٦ .
(٥) الذرع : الطاقة .   (٦) ديوانه : ٤٥ .
(٧) عفت : درست . والمهايع: الطرق الواسعة . ومحت: بليت . واللواحب: الطرق الواضحة.
(٨) جنان الظلام : قلبه .   (٩) ديوانه ص ٣٣٢ .

ويقول(١) :

فتًى مات بين الضَّرْب والطَّعْن مِيتةً ... تقوم مقام النصر إذ فاتهُ النَّصر
لئن أُبغِض الدهرُ الخئُون لفقده ... لَعَهدِي به مِمَّن يُحَبُّ له الدهر
وكيف احتمالى للسحاب صنيعة ... بإسقائه قبرا وفى لحده البَحْرُ

ويقول(٢) :

وما اشْتَبهَتْ طريق المجد إلاّ ... هداك لِقِبْلة المعروف هادى
وما سافرتُ فى الآفاقِ إلا ... ومن جَدْواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والأمانى ... وإنْ قلقت ركابى فى البلاد

* * *

الردىء من شعر أبى تمام

فيترقى فى هذه الدَّرَج العالية ، ويتصرف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب ، ويقول(٣) :

أصبحتَ نِئ العقل فاصْلُ لمَيْسَمٍ ... بيدى ألجِّ الناس فى الإنْضَاج

ويقول(٤) :

ألا لَا يمدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بَسىء ... إلى مجتدى نَصْر فتقطع للزَّنْدِ(٥)

ويقول(٦) :

لو كان كلَّفها عُبيدٌ حاجَــةً ... يوما لزَنَّى شَدْقَماً وجَدِيلا(٧)

وأظنه لو وجد لفظة أسقط من « زَنَّى » ، وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها .

---

(١) ديوانه ص ٣٦٩ . (٢) ديوانه ص ٧٩ ، ومختارات البارودى (١٥٣:١).

(٣) ديوانة ص ٤٩١ . (٤) ديوانه ص ١١٥ .

(٥) فى الأصل : « من الزند » . (٦) ديوانه ص ٢٤٣ ، والموشح ص ٣١١ .

(٧) البيت فى وصف المطايا ، وعبيد : هو عبيد الراعى . قال شارح ديوان أبى تمام : شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر اللخمى ؛ يضرب بهما المثل . ورواية الديوان : « لأنسى » .

ويقول[١]:

نَمْ وإنْ لم أَنَمْ كَرَاى كَرا كا ... شاهدى الدّمع إنَّ ذاكَ كَذَا كا[٢]

طالَ ضُرِّى نَفْسِى فداؤكَ بَل مَنْ ... أَنَا حتى تكون نفسى فِدَا كا[٣]

ضاق صدرى بل كيف أسْتَطِيع أن أصْـ ... ـبِرَ إذْ كانَ ناظِرِى لا يَراكَا

ذهبت مُقْلَتَاى بالدَّم والدَّمْـ ... ـعِ إلى النَّارِ[٤] إذْ نَجَتْ مُقْلَتَا كا

ويقول[٥] :

بنفسى مَنْ هواهُ أخِى وتربى ... وحِبِّيه رضيعُ بنات قلبى

ومن قد شَفَّنى وصبرت حتى ... ظننتُ بأن نفسى نفسُ كَلْب

ويقول :

قَسَّمَتْ لى وقاسمتنى بسلطا ... نٍ من السحر مقلتا عَبْدُوسِ

فالقسيم القَسام عن لحظات ... منهما يختلسن حب النفوس

فالذى قاسمت بلَحْظ إذا اللي ... ل تمطى من السكرى المنفوسِ

ولست أدرى ـ يشهد الله ـ كيف تصوّر له أن يتغزل وينسِب ، وأىّ حبيب يستعطف بالفلسفة ! وكيف يتَّسع قلب عبدوس هذا ؛ وهوغلام غِرّ ، وحَدَث مُتْرف لاستخراج العويص وإظهار المعمَّى !

ويقول[٦] :

لم يبرح البينُ المُشِتُّ جَوَانِحى ... حتى نروَّت من دمٍ مسموم

---

(١) ديوانه ص ٤٥٥ . (٢) رواية الديوان :

* شاهدى منك أن ذاك كذا كا *

(٣) رواية الديوان :

طال صبرى تفديك نفسى وقلت ... نفس مثلى عن أن تكون فدا كا

(٤) فى الديوان : « فى النار » . (٥) لم نجدها فى الديوان .

(٦) ديوانه ص ٣٠٦ ، وفى الديوان: «من ى مسموم».

ويقول[١] :

أأترك حاجتى غَرَضَ التوانى   وأنت الدلوُ فيها والرِّشاءُ[٢]

ويقول[٣] :

ضاحى المحيَّا للهجير وللقنا   تحت العَجاج تخاله مِحْرَاثا[٤]

ويقول[٥] :

تُثَفَّى[٦] الحربُ منه حين تَغْلى   مراجِلُها بشيطان رجيم

ويقول[٧] :

ولَّى ولم يُظلَمْ وما ظُلِم امرُؤٌ   حث النَّجاء[٨] وخلفه التِّنِّين[٩]

فهو يجعل الممدوح تارة دلوا ، وتارة محراثا ، ومرة رشاء ، وأخرى تنِّينا وشيطانا رجيما ؛ وأظنه جَسَر على ذلك لما سمع قول جرير[١٠] :

أيام[١١] يدعوننى الشيطانَ من غزلى   وهنَّ يهوَيننى إذ كنتُ شيطانا

وما أبعد ما بين الكلامين ، وأشد تفاوت ما بين الموضعين ! ويقول[١٢]

كان الزمان بكم كلبا[١٣] فغادركم   بالسيف والدهرُ فيكم أشهرُ الحرم

---

(١) ديوانه ص ٣٩٤ .   (٢) الرشاء : الحبل .   (٣) ديوانه ص ٦٤

(٤) الضاحى : البارز ؛ والمحيا : الوجه ، والهجير : شدة الحر ، والقنا : الرماح، والعجاج: الغبار ، وتخاله : تظنه .   (٥) ديوانه ص ٢٨٨ ، والموشح ص ٣٠٦ .

(٦) فى الأصلين : « تنمى » وما أثبتناه عن الديوان والموشح : وتثفى : تجعل أثافىّ ، وهى الحجارة . والمراجل : القدور .   (٧) ديوانه : ٣٢٧ ، والموشح : ٣٠٨ .

(٨) فى ا « حيث » ؛ والتصحيح عن ب ، وهو يوافق مافى الديوان والموشح .

(٩) قال المرزبانى فى الموشح تعليقاً على هذا البيت :

« فلو كان أجهد نفسه فى هجاء الأفشين (الممدوح) هل كان يزيده على أن يسميه التنين ! وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به ممدوحا بشجاعة ولا غيرها » .

(١٠) ديوانه ص ٥٩٧ .   (١١) رواية الديوان : « أزمان » .

(١٢) ديوانه ص ٢٧٠ .   (١٣) رواية الديوان : « حربا » .

ويقول[١] :

فحرام عليك أن تقرعى هـا   مـة قلبى بدمعك المهراق

وما تـكاد قصيدة من شعره تسلم من أبيات ضعيفة ؛ وأخرى غثّة ، لاسيما إذا طلبَ البديع وتتبّع العويص ؛ فجاء بمثل قوله[٢] :

لعمرى لقد حرَّرتُ يوم لقيته   لو أن القضاء وحدَه لم يُبَرَّدِ

وقوله :[٣]

لن يأكلوا همَ ولا عشيرتهم   ما كنزوه من صامت الحسب[٤]

وقوله[٥] :

ذلَّتْ بهم عُنق الخليطِ وربمـا   كان المُمَنَّع أخدعاً وصَليفا[٦]

وقد أولع بذكر الأخدع ؛ فردده فى عدة أبيات لم يوفق إلا فى واحد منها . قال[٧] :

سأشكر فُرْجَة[٨] اللَّبَب[٩] الرَّخىّ   ولينَ أخادع الزَّمنِ الأبىّ

وقال[١٠] :

يادهر قوّم من أخدعيك فقد   أضْجَجْتَ هذا الأنامَ من خرَقِكْ

وقال[١١] :

فضربتَ الشّتاء فى أخْدعيه   ضربةً غادرتْهُ عَوْداً[١٢] رَكوبا

---

(١) لم نجدها فى الديوان .   (٢) ديوانه ص ١٠١ ، والموشح ص ٣٠٨ .

(٣) ديوانه ص ٤٨٧ .   (٤) رواية الديوان :

لم يأكلوا هم ولا عشيرتهم   ما كنزوه من صامت النشب

(٥) ديوانه ص ٢٠٦ ، والموشح ص ١٨٣ .

(٦) الخليط : المخالط . والأخدع : عرق فى العنق . والصليف : عرض العنق .

(٧) ديوانه ص ٣٤٤ .   (٨) الفرجة : السعة .

(٩) اللبب : المنحر ، وفى الديوان : «الليت» وهو صفحة العنق . (١٠) ديوانه ص ٢١٠ .

(١١) ديوانه ص ٢٧ .   (١٢) فى الديوان : «قودا» ، والعود : المسن من الإبل .

وقد أحسن فى قوله[١]:

وما هو إلا الوحىُ أوحدُّ مُرْهَفٍ ... تُمِيلُ ظُباه أخْدَعَىْ كل مائلِ

وقد ذكره البحترى صفحا ، فقال[٢]:

عَطَفَ ادِّكارُكَ يوم رامة أخْدَعى ... شوقاً وأعناقُ المطىّ قواصدُ

فوقع من الحلاوة والحسن فى الموقع الذى تراه . وقوله[٣] :

لو لم تفتّ مُسنّ المجد مذ زمنٍ ... بالجود والبأس كان الجود قد خَرِفا

وقوله[٤] :

كانوا رداء[٥] زمانهم فتصدَّعُوا ... فكأنما لبس الزمانُ الصُّوفا

وقوله[٦] :

ولديك آلات جنوبٌ كلها ... فاحطم بِأَصْلبِهن أنف الشَّمْأَلِ

فإن حَمَل نفسه على التكلّف ، وفارق الطبع إلى التعمق أراك مثل قوله[٧] :

ألا سبيلَ ندًى إلاّ سبيلَ بِلًى ... لو كنت حيا لأضحى للندى سُبُل

وقوله[٨] :

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذًا ... لمات إذْ لم يمتْ من شِدَّة الحَزَنِ

وقوله[٩] :

أيعد التى ما قبلها أفبعدها ... مقام لحرّ قلت أنت عجولُ[١٠]

---

(١) ديوانه ص ٢٤٩ . (٢) ديوانه (١ : ١٤٢) .

(٣) ديوانه ص ٢٠٤ ، وتفت : تدق ، والبأس : الشدة .

(٤) الموشح ص ٣١٣ ، وديوانه ص ٢٠٦ . (٥) رواية الديوان : « برود » .

(٦) ديوانه ص ٢٣٦ . (٧) ديوانه ص ٣٨٤ .

(٨) ديوانه ص ٣٨٨ . (٩) ديوانه ص ٤٠٨ .

(١٠) رواية الديوان :

أبعد التى ما بعدها متلوم ... عليك لحر قلت أنت ملوم

وقوله[١] :

ذهبت بمذهبه السماحةُ فالْتَوَتْ ... فيه الظنونُ أَمُذهبٌ أم مَذهبُ

وقوله[٢] :

المجدُ لايرضى بأن ترضى بأن ... يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

بلغنا أن إسحق بن إبراهيم الموصلى سمعه ينشد هذا البيت ، فقال له أن : يا هذا ؛ لقد شققت على نفسك ، إن الشعر لأقرب مما تظن .

فإن أظهر التعجرف ، وتشبّه بالبدو ، ونسى أنه حضرى متأدب ، وقروى متكلف جاءك بمثل قوله[٣]:

قَد قلتُ لما اطْلَخَمَّ الأمْر وانبعثت ... عَشْواء تاليةٌ غُبْساً دَهاريسا[٤]

وقوله[٥]

فعنيقُها يَعْضيدُها ووشيجها ... سَعْدانُها وزميلُها تَنُّومها[٦]

وقوله[٧] :

إنَّ الأشاءَ إذا أصابَ مُشَذِّبٌ ... مِنْه اتمهلَّ ذُرًى وأثّ أسافِلا[٨]

وقوله[٩]

---

(١) الموشح ص ٣٠٩ ، وأسرار البلاغة ص ٤ ، وديوانه ص ٣٩ .

(٢) ديوانه ص ١٨٧ . (٣) ديوانه ص ١٧١ .

(٤) اطلخم : أظلم ، وعشواء : ضعيفة البصر، والغبس : جمع غبساء وهى المظلمة. والدهاريس: الدواهى . (٥) ديوانه ص ٣١٢ .

(٦) العنيق : المعانق . واليعضيد : بقلة تشبه الهندباء البرى . والوشيج : اشتباك القرابة ، والسعدان : نبت من أفضل مراعى الإبل . والزميل : الرفيق . والتنوم : شجر .

(٧) ديوانه : ٣٨٠ .

(٨) الأشاء : صغار النخل . اتمهل : انتصب واعتدل . أث النبت : كثر والتف .

(٩) ديوانه ص ١٨٠ .

وحَادِث (١) أَخْرَق دَاوَيْتُه رِدَّاعة دَاهِية دَرْدَبِيس (٢)

وقوله (٣) :

ومُزَحْزِحاتِي عن ذرَاكَ (٤) عوائِقٌ أَصْحَرْنَ بي لِلْعَنْقَفِير المُؤَبَّدِ (٥)

وقوله (٦)

مُقَابِلٌ في ذِرى الأذْواء مَنْصِبُه عِيصاً فعِيصاً وقُدْمُوساً فقُدْمُوساً (٧)

ثم لو لزم ذلك واستمرّ عليه دينا وعادة ، واتّخذه إماماً وقِبْلَةً لقلنا : بدويٌّ جرى على طَبْعه ، أو متحضِّر حنَّ إلى أصلِه ؛ لـكنه يُعرِض عنه صَفْحاً ، ويتناساه جملة ، ويقول وهو يمدح خليفة (٨) :

مازلت في العفو للذنوب وإطْ لاقِ لِعَانٍ في جُرْمه غَلِق (٩)

حتى تمنّى البُرَآء أَنَّهم عندك أمسَوْا في القِدِّ والحَلَق (١٠)

---

(١) في الديوان : « وحائن » ، والحائن : الأحمق ، وكذلك الأخرق .

(٢) الرداعة : من ردع فلان إذا وجع جسده كله ، والدردبيس : الداهية .

(٣) ديوانه ص ١١٤ . (٤) في الديوان : « هواك » .

(٥) أصحرن : قصدن الصحراء . العنقفير : الداهية . والمؤبد : من الأبدية .

(٦) ديوانه ص ١٧٢ .

(٧) الذرى : الأعالي . والأذواء . هم ملوك اليمن ، منهم ذو يزن وذو رعين . والمنصب : المرتبة. العيص : الأصل. والأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر . والقدموس : الملك العظيم .

(٨) كذا في الأصلين ، وهذان البيتان ليسا لأبي تمام ، كما هو واضح من كلامه بعد ، وهما لأبي دهبل الجمحي ، والبيت الذي يشير إليه لأبي تمام هو :

وتكفلَ الأيتام عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتام

وقد أخذ هذا من قول أبي دهبل . وبهذا تفهم عبارته .

(٩) العاني : الأسير ، وغلق الأسير والجاني : لم يفد .

(١٠) البراء : الأبرياء. والقد : سير من جلد غير مدبوغ .

فنازعه المعنى ، وانفرد دونه بالعَيْب ؛ لأن أبا دَهْبَل زعم أن البُرَاة يتمنَّوْن أن يُذْنِبوا فيُصيبوا عَفْوه ، ولانَقْص فى ذلك على الممدوح ؛ لأنَّ انفِرَاده بالعفو متعذِّر، وإنما سببُه إلى ذلك ذنبُ المجرم وخطأُ الجانى .

وزاد أبو تمام فزعم أنَّهم يتمنَّوْن اليُتْم ؛ ليصلوا إلى رِفْده ، ويَلْحقوا بالأيتام فى تكَفّله ، والممدوح ممكّن من إفاضة العدل ، وبثّ العُرف ، وإغنائهم عن هذا التمنى الذى لا يختارُه العاقل إلا بعد بلوغ الجهد منه ، ووصول القُنوط إلى قلبه ، واستيلاء الضَّنك على معيشته ؛ وليس من صفة الجواد أن يعرِّض مُدَّاحه وقصَّاده ، ومَنْ علقت به آمالُه ، وسمت إليه همتُه لسوء الحال ، ويكلّفهم الأمانى الرَّذْلة . وقد مَدح أبا المغيث[١] ، فقال[٢] :

اسق لرعيةٌ من بشاشتكَ الَّتى ... لو أنها ماءٌ لكان مَسُوسا[٣]

إن البشاشة[٤] والندى خيرٌ لهم ... من عفّةٍ جَمَسَتْ عليك جُمُوسا[٥]

لو أنَّ أسباب العَفَافِ بلا تُقًى ... نفعت لقد نفعَتْ إذاً إبليسا

فليتَ شعرى عنه لو أراد هَجْوه ، وقصد الغضّ منه ، هل كان يزيدُ على أن يذمَّ عِفَّته ، ويصفَها بالجموس والجمود ، وهما من صفات البرد والثقل ، ثم يختم الأمر بأن يضرِبَ له إبليس مثلا، ويقيمه بإزائه كُفُواً ، هذا وهو يقولُ فى مثل ذلك غيرَ مادح، وبحيث يحتمل الاتساع ولا يضيق التصرف[٦] :

عجباً[٧] لعمرى أنَّ وجهَكَ مُعْرِض ... عنِّى وأنتَ بوجهِ نفعِك مقبلُ

---

(١) هو موسى بن إبراهيم الرافقى .

(٢) ديوانه ص ١٧٧ . (٣) المسوس هنا : العذب الصافى .

(٤) فى الديوان : « إن الطلاقة » . (٥) جمست : جمدت .

(٦) ديوانه ص ٢٤٠ ، وقد قالها لأبى دلف .

(٧) فى الديوان : « عجب » .

أَوَلا ترى أنَّ الطـلاقةَ جُنَّةٌ   من سوء ما تجنى الظنونُ ومَعْقِلُ!
ومودةٌ مطويةٌ منشورةٌ   فيهـا إلى إنجاحها متعلَّلُ
إن يُعْطِ وجهاً كاسفاً من تحته   كرمٌ وطيبُ خليقةٍ لاتدخُل(1)
فلَرُبَّ ساريةِ الغمام مطيرةٍ   جادت بوابلها وما تتهلَّل(2)

على أنه قد تحامل بقوله : «إن يعط وجهاً كاسفاً» ، وبقوله فى مثله(3) :

ليس يَدرى إلا اللطيفُ الخبيرُ   أىّ شىء تُطْوى عليه الصُّدُورُ
فتطلَّق(4) مع العنايةِ إنَّ الْ   بِشْر فى أكثر الأُمور بشيرُ
إنما البشرُ روضةٌ فإذا كا   ن ببَذْلٍ فروضةٌ وغَـديِر
فتكلم بمَا تُجَمْجِمُ(5) فالنـ   ـطقُ عنوانُ ما يجنُّ الضميرُ

فيتوصَّل إلى مُراده أحسنَ ما توصل ، ويُعبِّر عن ذات نفسه بألْطَف عبارة ؛ وقوله(6) :

شكوتُ إلى الزمان نحولَ جسمى(7)   فأرشَـــدنى إلى عَبْدِ الحميـد

وإنما يُرْشَد فى نحول الجسم إلى الأطباء ، فأما الرؤساء والمدوحون فإنما يُلْتَمَس عندهم صلاحُ الأحوال ؛ وقوله(8) :

تـكادُ عطاياه يجنّ جُنُونها   إذا لم يعوِّذْها(9) بنَغْمةِ طَالِب

---

(1) فى الديوان :

* كرم وحلم خليقة لا يجهل *

(2) السارية : السحابة . العارض : المعترض : فى الأفق . يتهلل : يبرق ، ورواية الديوان :
فلرب سارية عليك مطيرة   قد جاء عارضها وما يتهلل

(3) ديوانه ص ٣٩٧ .   (4) تطلق الشىء : سر به فظهر ذلك فى وجهه .

(5) الجمجمة : ألا يبين الإنسان كلامه . جنه وأجنه : ستره .

(6) ديوانه ص ١٣٦ .   (7) فى الديوان : « نحول حالى » .

(8) ديوانه ص ٤١ .   (9) التعويذ : الرقية يرقى بها الإنسان .

وما بالها يُحْوِجها إلى الجنون، ويَلْتَمِس لها العُوَذ(١) والرُّقَى ، هلاَّ فَكَّ أَسْرها، وقدم خلاصها ، ولم ينتظر بها نَغْمة الطالب ، ففعل ما قاله أبو الطيب(٢) :

وعَطَاءِ مالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ ... أَنْفَقْتَه فى أَنْ تُلَاقِى طَالِبَا

وقد تَدَاول الناسُ هذا المعنى ، فقال مُسْلم :

أخ لىَ يعطينى إذا ما سألتُه ... ولو لم أعرِّضْ بالسؤال ابْتَدَانِيَا

وقال أبو العتاهية :

وإنّا إذا ما تركنا السؤال ... فلم نبغ نائلَه يَبْتَدِينا

وإن نحن لم نبـغ معروفَه ... فمعروفُه أبداً يَبْتَغِينا

وقال أبو تمام(٣) :

فأَضْحَتْ عطاياه نوازعَ شُرّدا(٤) ... تسائل فى الآفاق عن كلِّ سائل

وقوله(٥) :

ورأيتَنى وسألتَ(٦) نفسك سَيْبَهَا ... لى ثم جدتَ وما انتظرتَ سُؤالى

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله :

* أنفقته (٧) فى أن تُلَاقِى طالبا *

وقوله(٨) :

قَلْتاً(٩) من الرّيق ناقعَ الذّوْبِ إلَّا ... أَنَّ بَرْد الأَكْبَاد فى جَمدِهْ

(١) العوذ (بفتح الواو) : جمع عوذة ، وهى الرقية أيضاً .

(٢) ديوانه (١ : ١٣٢) . (٣) ديوانه ص ٢٤٧ .

(٤) فى الديوان : « شزبا » ؛ والشزب : الضامرة . (٥) ديوانه ص ٢٤٧ .

(٦) فى الديوان : « فسألت » .

(٧) فى ا « لأنفقته » ، تحريف ، صوابه من ب والديوان . (٨) ديوانه ص ٩١ .

(٩) القلت : النقرة فى الصخر فيها ماء . الناقع . قاطع العطش .

فقد سلك مُفسِّرُو هذا البيت غيرَ طريق ، وقالوا فيه غيرَ قول ، فلم يزيدوا على تأكيد المحال بالمحال ، وإضافة الخطأ إلى الخطأ ، وما معنى جمد الريق ؟ وكيف يكون برد الأكباد فى جامده دون ذائبه ! وقد أعطاك أن ذوبه ناقع مرّ ، وهل بعد الرّى برد الأكباد !

وبقوله[1] :

ألذّ من الماء الزُّلال على الظما   وأطرف من مَرِّ الشمال ببَغْدَاد

فجعل الشمال طرفه ببغداد ، وهى أكثرُ الرياح بها هبوباً . وقدرواه بعض الرواة «أظرف» ؛ ولا أعرف معنى الظرف فى الريح ؛ وقوله[2] :

ورحب صَدْرٍ لو اُنَّ الأرض واسعةٌ   كوسعه لم يضق عن أهله بلدُ

وهذا المعنى فاسد ؛ لأنه جعل البلادَ إنما تضيق بأهلها لِضِيق الأرض ، وأنها لو اتسعت اتساعَ صدره لم تضِق البلادُ . ونحن نعلم أن البلاد لم تُخَطّط فى الأصل على قدر سَعةِ الأرض وضيقها ، وأنّ الأرض تتّسع لبلاد كثيرة ، ولاتّساع مافيها من المدن أيضاً ، وهى على حالها ؛ وإنما تؤَسس وتَبْتدىء على قَدْر الحاجة إليها ؛ فإذا استمرَّ بها الزمانُ وكثرت العمارة ، وظهر فيها ما يَسْتَدعى الناسَ إليها ضاقت ، فإن جاوَرَتْها فُسَحٌ وعِرَاص[3] وسّعت ، وإلا احتمل لها بعض الضيق ؛ فلو اتسعت الأرض حتى امتدّت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التى تنشأ فيها على مقاديرها .

وقوله[4] :

سبعون شهراً كلُّها فى كُلِّه   لى عائقٌ عن منزلى وبلادى

---

(١) لم نجده فى الديوان .   (٢) ديوانه ص ٩٧ .

(٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس بها بناء ، وجمعها عراص .

(٤) لم نجده فى الديوان .

فجعل للكل كلا ، كما جعل للدهر دهرا فى قوله[١] :

تحمّلْتُ ما لو حُمِّلَ الدهرُ شَطْرَه   لفكَّر دَهْراً أىّ عبأيْهِ أثْقَلُ

وقوله[٢] :

رقيقُ حواشى الحلم لَوْ أنّ حِلمه[٣]   بكَفَّيْك ما ماريتَ[٤] فى انه بُرْدُ

والبُرد لا يوصفُ بالرِّقة ، وإنما يوصفُ بالصفاقة والدّقة . وقد أقام الرقة مقام اللطف والرشاقة فى موضعٍ آخر ، فقال[٥] :

لك قدٌّ أرقُّ[٦] من أن يُحَاكى   بقضيبٍ فى النَّعتِ أو بكَثِيبِ[٧]

والقدّ لا يوصف بالرقة . وقوله[٨] :

لآلٍ إذا مرَّت على السمع ناسبَتْ   لدقَّة معنى نظمِها لؤلؤَ العِقْد

ومُناسبة اللآلئ فى دقة النظم لا يُفْتَخَر بها ، ولا يجمل مايناسبه فى ذلك لآل ؛ وإنما يشبه باللآلئ فى الصفا والرونق والحسن ، وقد يكون من سَقَط الخرَز وصِغاره ماهو أدقُّ نظما من اللؤلؤ ؛ وقد تَنظِم الأعراب تيجانَها من حَبّ الحَنْظَل ، وهو أدقُّ نظما من كل جوهر نفيس ، وإنما أراد ذِكْرَ السبب الذى أفاده شبه اللؤلؤ فزلَّ عنه . وقوله[٩] :

من الهِيف لو أن الخلاخلَ صُيِّرت   لها وشُحاً جالت عليها الخلاخِلُ[١٠]

---

(١) ديوانه ص ٢٤٥ . (٢) ديوانه ص ١٢١ .

(٣) فى الديوان : « لو أن خلقه » . (٤) ماريت : جادلت . البرد : الثوب .

(٥) ديوانه ص ٤٣٤ . (٦) فى الديوان : « أدق » .

(٧) الكثيب : التل من الرمل . (٨) لم نجده فى الديوان .

(٩) ديوانه ص ٢٥٦ .

(١٠) الهيف : الرقيقات . والخلاخل : حلى يلبس فى الساق . والوشح : شبه قلائد عريضة تشد بين الكتف والخاصرة .

أراد وصفها بدقّة الخَصْر ، فوصفها بغاية القصر والضئولة ؛ لأن الوشاح يؤخذ من العاتق ويوشح إحدى طرفيه الصَّدْر والبطن ، والآخرُ الظهر ، حتى ينتهيا إلى الكشح ويلتقيا على الورك . وكيف حالُ من يَجُول الخلخال من عاتقها وكشحها ، وهل تكون هذه من البَشَر فضلا عن أن تُنْسَب إلى الحُسن ! وقوله[1] :

يَدِى لمن شاء رَهْنٌ لم يذُق جرَعاً مِنْ راحتيك دَرَى ماالصَّابُ[2] والعَسَل

فحذف عمدة الكلام ، وأخلَّ بالنظم ؛ وإنما أراد يدى لمن شاء رهن (إن كان) لم يذق . فحذف (إن كان) من الكلام ، فأفسد الترتيب ، وأحال الكلام عن وجهه .

وقوله[3] :

حلَّتْ محلَّ البِكْر من مُعْطًى وقد زُفّت من المعطى زِفَافَ الأيِّم

فجعل الأيِّم مقابل البِكر فى التقسيم ، والأيِّم قد تكون بِكرا ؛ وإنما هى التى لازوج لها ، يقال: آمت المرأة تئيم أيْمَة . وكذلك الرجل إذا ماتت امرأته ؛ وإنما لأهل اللغة قولان : أحدها أن المرأة قد تكون أيِّماً إذا لم يكن لها زوج ؛ وإن لم تكن نُكِحت قطّ . والثانى أنها لاتكون أيِّما إلا وقد نُكِحت ، ثم خلَت بموت أو طلاق ؛ بِكرا كانت أو غير بكر ، بَنَى عليها الزوج أو لم يَبْنِ . ويقال : تأيّمت المرأة ؛ إذا لم تُنكح بعد موت زوجها .

معنى الأيم لغة وشرعا

فأما قول النبى صلى الله عليه وسلم : «الأيّم أحق بنفسها من وَلِيِّها ، والبِكر تُسْتَأذن فى نفسها » . فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة ؛ فجعلوا الأيّم عاما فى الثَّيِّب والبكر ، وجعلوا اللفظة الثانية مفردة بحكم ، وداخلة من الثانية فى حكمها ، وأبى أصحابُنا ذلك ؛ فذهب الشافعى إلى أن المراد بالأيِّم الثيِّب ، وليس يُحفظ عنه ، ولا يوجد فى شىء من كتبه أن الأيِّم والثيِّب فى اللغة عبارتان عن معنى واحد ، فيجد العائب طريقا إلى عيبه ، ولكنه لَطف فى الفكر فتوصل به إلى استخراج ماغمض على غيره ؛

---

(١) ديوانه ص ٢٢٨ . (٢) الصاب : عصير نبت مر . (٣) ديوانه ص ٣١٣ .

وذلك أنه رأى الخبر تضمّن ذكر الأيّم والبكر ، ووجد البكر معطوفا على الأيم ؛ وكان ظاهر الخطاب وحقيقة اللغة يقتضى تغايرَ المعطوف والمعطوف عليه . ومن الظاهر عند أهل اللسان أنَّ الشيء لا يُعْطَف على نفسه ؛ هذا هو الأصل المطَّرد ، فإنْ وُجد فى الكلام ما يَخْرج عنه ، وأُصيب مايخالف هذه القضية فزائل عن الظاهر تابع لدليله؛

يوجد عموم يُخَصّ ، وأمر يُحْمل على النَّدْب ، وخبرٌ يراد به الأمر ؛ فلا يُترك موضوعات الأصول ولا يُعترض به على حقائق اللغة .

وكما لايُعطف بالشيء على نفسه؛ فكذلك لايُعطف به على جُملة هو بعضُها ؛ لأنه يكون معطوفا به على نفسه وعلى شيء آخر معه .

ولو قال قائل من أهل اللغة ، موثوق بسداده : جاءنى عمرو وأكرمنى أبو زيد ؛ لوجب أن يكون أحدُهما غيرَ الآخر فى مقتضى الظاهر ؛ وكذلك لو قال . وجدت عبد الله عاقلا وأبا محمد فاضلا لكان المعقول منهما تغايرهما ، وإن أمكن أن يكون المسمّى هو المكنى .

فلما تقرَّر عنده الأصلُ ، ووجد الأدلة تَقُوده إليه فَصَل بين المعطوف والمعطوف عليه ، فجعل الأيّم غير البِكْر ؛ وليس غير الأَبكار إلا الثُّيَّب . وليس يعترض هذا قولُ من يزعم أنه إقرار بالعدول عن الظاهر ، ومفارقة الحقيقة ، فقد سلم للمخالف ورفعت المنازعة فى هذه الدلالة ؛ لأنا نقول : إن فى الخبر ظاهرين متقابلين ؛ أحدهما حقيقة الأيِّم وهو انطلاقُها على كل خالية من حُرْمة النكاح ، والثانى ظاهر العطف ووجوب تميّز المعطوف عليه ، فلما تقابَل هذان الظاهران ، ولم يكن من رفْض أحدهما بُدّ اتّبع المتعارف ، واستسلم لعادة الخطاب ؛ وعادةُ الاستعمال فى اللغات مقدمة على حقائقها ، وهى أولى بالظاهر من أصولها .

وأما أنا فأرى ظاهرَ الترتيب من ظاهر الألفاظ المنفردة ، وإن كان من أصحابنا مَنْ يُخالفنى فيه .

وفى الإفصاح بما أشرتُ إليه، وتبيين ما أجملته كلامٌ يتسع ، ولا يتصل بالغرض الذى قصدناه ، وإنما نبذْت منه نُبذا اقتضاها فصلٌ أصبته لبعض من اعترض على أبى تمام ، جمع فيه بينه وبين الشافعى فى التكبير ، ووازن بين قولهما فى الخطأ ، ولم أستحسن ما يتسرع إليه أصحابُنا من التصريح بمخالفة اللغة ، والتشبّث بالشواذ المردودة ، ووجدت المعنى الذى ذكرته مستقيما على اللغة والمعقول ، وكالمصرّح به فى لفظه ؛ فأومأت إليه .

شعر المتنبي

ثم أعود إلى نسق الكتاب وأكتفي بما قدّمتُه من هفَوات أبي تمام وإن كان ما أغفلته أضعافَ ما أثبتّه ؛ إذ البغْيَة فيه الاعتذار لأبي الطيب ، لا النّعي على أبي تمام . وإنما خَصَصْتُ أبا نُوَاس وأبا تمام لأجمع لك بين سيّدَىِ المطبوعين ، وإمامَىْ أهلِ الصنعة ، وأريك أن فضلَيهما لم يحمِهما من زَلل ، وإحسانَهما لم يصفُ من كدَر ؛ فإن أنصفتَ فلك فيهما عِبْرة ومَقْنع ، وإن لججتَ فما تُغْنِي الآياتُ والنُّذر عن قومٍ لا يؤمنون .

وقد رأيتك ـ وفّقك الله ـ لما احتفلت وتعمّلت ، وجمعت أعوانك واحتشدت ، وتصفّحت هذا الديوان حرفا حرفا ، واستعرضته بيتا بيتا ، وقلّبته ظَهْرًا وبَطْنًا ، لم تزد على أحرف تلقّطتَها ، وألفاظ تمحّلتَها ، ادّعيت في بعضها الغلَط واللحن ، وفي أخرى الاختلال والإحالة ، ووصفت بعضا بالتّعسّف والغَثاثة ، وبعضاً بالضّعف والركاكة ، وبعضا بالتعدِّي في الاستعارة ؛ ثم تعدّيت بهذه السِّمة إلى جملة شعره ، فأسقطت القصيدة من أجل البيت ، ونفيت الديوان لأجل القصيدة ، وعجّلت بالحُكم قبل استيفاء الحجة ، وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة ، فعبت قوله(١) :

فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ في زَمَانه ⁂ وما قَلَّ جُزْءٍ بعضُه الرأى أَجْمَعُ(٢)

وقوله(٣) :

ومِنْ جَاهِلٍ بِي وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ⁂ وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِيَ جَاهِلُ

وقوله(٤) :

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٤٢) . (٢) رواية الديوان :

* أقل جزى بعضه الرأى أجمع *

(٣) ديوانه (٣ : ١٧٤) . (٤) ديوانه (٣ : ١٧٥) .

فَقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الَّذِى قَلْقَلَ الحَشَا ... قَلاَقِلَ عِيسٍ[1] كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ[2]

غَثَاثَةُ عيشى أن تَغِثَّ كرامتى ... وليس بغَثٍّ أن تغِثَّ[3] المآكِلُ

وقوله[4] :

لكَ الخيرُ غَيْرِى رَامَ من غيرِكَ الغِنَى ... وغَيْرِى بغيرِ اللَّاذِقيَّةِ[5] لاَحِقُ

وقوله :[6]

عَظُمتَ فلَمَّا لَمْ تُكَلَّم مَهَابَةً ... تَوَاضَعْتَ وَهْوَ الْعُظْمُ عُظْماً عَنِ الْعُظْمِ

وقوله[7]

ولَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجى الغَيْثُ دُونه ... ولا مُنْتَهى الجودِ الذى خَلْفَه خَلْفُ

ولاوَاحِداً فى ذَا الْوَرى من جَماعَةٍ ... ولاالْبَعْضُ من كلٍّ ولَكِنَّكَ الضِّعْفُ

ولاالضِّعْفُ حتى يَتْبعَ الضِّعْفَ ضِعفُه ... ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بل مِثْلَه أَلْفُ

وقوله[8] :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنتَ وَأَنتَ مِنْهُمْ ... وَجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ

---

(١) فى ا « عيش » . تحريف . والعيس : إبل يخالط بياضها شقرة .

(٢) قال أبو نصر بن المرزبانى: « ثلاثة من الشعراء رؤساء ؛ شلشل أحدهم ، وسلسل الثانى، وقلقل الثالث ؛ فالذى شلشل الأعشى ، وهو من رؤساء شعراء الجاهلية ، وهو الذى يقول :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى ... شاو مشل شلول شلشل شول

والذى سلسل مسلم بن الوليد ، وهو من رؤساء المحدثين ، قال :

سلت وسلت ثم سل سليلها ... فأتى سليل سليلها مسلولا

وأما الذى قلقل فالمتنبى : شرح ديوان المتنبى (٣ : ١٧٦) .

(٣) الغث : الهزال . (٤) ديوانه (٢ : ٣٥٠) .

(٥) اللاذقية بلد الممدوح (الحسين بن إسحاق التنوخى) ، وهى من بلاد الساحل بالشام .

(٦) ديوانه (٤ : ٥٨) . (٧) ديوانه (٢ : ٢٩٠) .

(٨) ديوانه (٤ : ٧٩) .

وقوله[١] :

كيف ترثي التي ترى كلَّ جفنٍ ... رَءاها[٢] غيرَ جفنِها غيرَ راقِي

وقلتَ : مازلنا نتعجب من قول مسلم بن الوليد[٣] .

سُلَّتْ وسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُها ... فأتى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسْلُولا

حتى جاء المتنبي ، فملأ ديوانه من هذا الجنس ، فأنسانا بيتَ مُسْلم .

وقوله[٤]

أبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الـ ... ـدَّولة فَنَّا خُسْرو شَهَنْشَاهَا[٥]

وقوله[٦]

رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسْبَطِرٌّ[٧] ... ومُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِي كَمَالِ

يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ[٨] الشَّكَايَا ... وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ الْمَعَالِي

وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا اللَّوَاتِي ... تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِجَالِ[٩]

وَلَا مَنْ فِي جِنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ[١٠]

وقوله[١١] :

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٦٢) .

(٢) راءها : رآها . رقأ الدم والدمع ؛ إذا انقطع ، وإنما أبدل الهمزة ياء لأنه آخر البيت .

(٣) التبيان (٣ : ١٧٦) . (٤) ديوانه (٤ : ٢٧٥) .

(٥) يمدح بالبيت عضد الدولة ؛ وقد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه [illegible]ته ، وسماه بملك الملوك : «شاهنشاه» . (٦) ديوانه (٣ : ١٣) ، (٣ : ١٦) ، [illegible] ١٠) ، يرثى والدة سيف الدولة . (٧) المسبطر : الممتد . قال الصاحب : ذكره الاسبطرار فى مرثية النساء من الخذلان . (٨) النطاسى : الحاذق فى الأمور . الشكايا ؛ واحدها شكوى .

(٩) الحجال : ما يستر النساء ، وهو الخدر . (١٠) الجنازة ، بالفتح والكسر : النعش .

(١١) ديوانه (٤ [illegible] ٢٧٠) .

أَوْهِ مِنَ انْ لَا أَرَى مَحَاسِنَها ... وَأَصْلُ وَاهاً وَأَوْهِ مَرْآها[1]

وقوله[2]:

كيفَ يَقْوَى بكفِّكَ الزَّنْدُ والآ ... فاقُ فيها كالكَفِّ فى الآفَاقِ

أنت فيه[3] وكانَ كلُّ زَمانٍ ... يَشْتَهِى بَعْضَ ذَا عَلَى الخَلاَّقِ

وقوله[4]:

مَبيتى من دِمِشْقَ عَلَى فِرَاشِ ... حَشَاهُ لِى بحَرِّ حَشَاىَ[5] حَاشِ

وقوله[6].

وربَّما يَشْهَدُ[7] الطَّعَامَ مَعِى ... مَنْ لَا يُسَاوِى الْخُبْزَ الَّذى أَكلَهْ

وقوله[8]:

إِنِّى عَلَى شَغَفِى بما فى خُمْرِها ... لأَعِفُّ عمَّا فى سَرَاوِيلاَتِها

وقوله[9]:

لاخَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إلاَّ عَارِفٌ ... بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لم يَقُلْ لكَ هَاتِها[10]

وقوله[11]:

---

(١) يقول: أتوجع لأنى لا أرى محاسنها، وأصل توجعى وتعجبى أنى رأيتها فهويتها.

(٢) ديوانه (٢ : ٣٦٩ ، ٣٧١) . والآفاق: جمع أفق . وهو نواحى الدنيا .

(٣) الضمير يرجع إلى الدهر فى البيت قبله ، وهو :

ليت لى مثل جد ذا الدهر فى الأد ... هر أو رزقه من الأرزاق

(٤) ديوانه (٢ : ٢٠٧) . (٥) فى الأصلين : «حشاه» ، وهذه رواية الديوان .

(٦) ديوانه (٣ : ٢٧٠) . (٧) فى الأصلين : «أشهد» ، وهذه رواية الديوان .

(٨) ديوانه (١ : ٢٢٦) . والخمر : جمع خمار ، وهو ما تختمر به المرأة .

(٩) ديوانه (١ : ٢٣٢) .

(١٠) راء : مقلوب رأى ، كما يقال : ناء ونأى .

(١١) ديوانه (٢ : ١٥٨) .

لِسَانى وعَيْـنِى والفُؤَادُ وهِمّـتِى أُوُدٌّ(١) اللَّواتى ذَا اسْمُها مِنْكَ والشَّطْرُ

وما أنَا وَحْدِى قُلْتُ ذا الشِّعْرَ كُلَّهُ ولـكِنْ لِشِعْرِى فيكَ من نفْسِه شِعْرُ(٢)

وقوله(٣) :

وشَيْخٌ فى الشبابِ وليس شيخاً يُسَمَّى كلُّ مَنْ بَلَغَ المشِيبَا(٤)

وقوله(٥) :

قَسَا فالأُسْدُ تَفزَعُ من يَدَيْهِ(٦) ورَقَّ فنحنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا

وقوله(٧) :

وسَيْفِى لَأَنْتَ السَّيْفُ لا مَا تَسُلُّه لِضَرْبٍ ومِمَّا السَّيْفُ منهُ لكَ الغِمْدُ(٨)

وقوله(٩) :

أيفطِمه التَّوْرَابُ(١٠) قبل فِطَامه ويأكُله قبلَ البلوغ إلى الأَكْلِ(١١)

وقوله(١٢) :

إذا ما لبستَ الدَّهْرَ مستَمِعاً به تخرَّقْتَ والملبـوسُ لم يتَخَرَّق

وقوله(١٣) :

---

(١) أود : جمع ود ، والشطر : النصف . قال العكبرى : « ذا حشو » .

(٢) يقول : أنا ما انفردت بعمل هذا الشعر ؛ ولـكن شعرى أعاننى على مدحك ؛ لأنه أراد مدحك كما مدحته . (٣) ديوانه (١ : ١٤٢) .

(٤) يريد أنه شيخ فى شبابه لعقله وكمال رأيه، وإن كان شابا .

(٥) ديوانه (١ : ١٤٢) . (٦) فى الديوان : « من قواه » .

(٧) ديوانه (٢ : ٦) . (٨) يريد : وغمدك من الحديد الذى منه السيف .

(٩) ديوانه (٣ : ٥٠) . (١٠) التوارب : التراب .

(١١) فى الأصلين : « إلى الأرض » . وهو خطأ ، صوابه من الديوان .

(١٢) ديوانه (٢ : ٣٠٧) . (١٣) ديوانه (٣ : ١٠٧، ١٠٨) ، يمدح سيف الدولة .

أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وعَرْضُهَا ... عَلِيٌّ[1] شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلاَّ فَرِيسةً ... غَذَاهُ[2] فَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ
إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ ... هِيَ[3] الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ
إِذَا كانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ ... فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ[4] لَهَا وطُبُولُ

وقوله[5] :

فَكلُّكُمْ أَتَىٰ مَأْتَىٰ أَبِيهِ ... فكلٌّ فِعالِ كلِّكُمُ عُجَابُ

وقوله[6] :

مُلِثَّ القَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعا ... وإلا فاسْقِهِا السُّمَّ النَّقِيعَا[7]
أُسَائِلُهَا عَنِ المُتَدَيِّرِيهَا ... فلا تَدْرِي ولا تُذْرِي دُمُوعا[8]
إذا مَاستْ رأيتَ لها ارْتِجَاجاً ... لهُ لولا سَوَاعِدُها نَزُوعا[9]
تَأَلَّمَ دَرْزَهُ والدَّرْزُ لَيْنٌ ... كما تَتَأَلَّمُ العَضْبَ الصَّنِيعَا[10]
ذِرَاعَاها عَدُوَّا دُمْلُجَيها ... يظُنُّ ضَجِيعُهاالزَّنْدَالضَّجِيعَا[11]

---

(١) هو اسم سيف الدولة . (٢) غذاه : صار له غذاء ، والضمير راجع إلى الليث .

(٣) فى الأصلين : « هو » . والضمير يعود على الشجاعة ، وهذه رواية الديوان .

(٤) عيب على المتنبي جمع بوق على بوقات ؛ والقياس يعضده ؛ إذ له نظائر .

(٥) ديوانه (١ : ٨٥) . (٦) ديوانه (٢ : ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧) .

(٧) الملث : الدائم المقيم . والربوع : جمع ربع . والنقيع : المنقع .

(٨) تدير المكان : اتخذه دارا ، وتذرى : تلقى دموعا .

(٩) قبله :

ترفع ثوبها الأرداف عنها ... فيبقى من وشاحيها شسوعا

(١٠) الدرز : موضع الخياطة المكفوفة من الثوب . العضب : السيف ، والصنيع : المحكم الصقل والصنعة . (١١) الدملج : المعضد من الحلى ؛ يصف ذراعيها بالغلظ .

أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيراً[١] أَوِ ابْنُ إبرَاهِيمَ رِيعَا
أَمُنْسِيَّ الكناسَ وحَضْرَ مَوْتاً وَوَالِدَتِي وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا[٢]

وقوله[٣] .

جَوَادٌ سَمَتْ فى الخيرِ والشَّرِّ كَفُّهُ سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنَّ اسمَهُ كَفُّ[٤]
وُقُوفَيْنِ فى وَقْفَيْنِ: شُكْرٍ ونائِلٍ فنائِلُه وَقْفٌ ، وشُكْرُهُمُ وَقْفُ[٥]
ولمَّا فَقَدْنَا مِثْلَه دَامَ كَشْفُنَا عَلَيْهِ فدامَ الفَقْدُ وانكشفَ الكَشْفُ[٦]

وقوله[٧] :

ولا جَلَسَ البَحْرُ المحيطُ لقاصِدٍ ومِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ ومِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ

وقوله[٨] :

رَجَلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ دِ[٩] وطِينُ الرِّجَالِ مِنْ صَلْصَالِ

وقوله[١٠]:

إنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّا سُ بناسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي

---

(١) ثبير : جبل بالحجاز . وابن إبراهيم هوعلى بن إبراهيم التنوخى، الممدوح .

(٢) الكناس ، وحضرموت ، وكندة ، والسبيع : أمكنة بالكوفة ، سميت بأسماء من سكنها ، وفى الأصلين « أمنسى السكون » . يقول : أنت أنسيتنى بإحسانك والدتى وبلدى وأهلى.

(٣) ديوانه (٢ : ٢٨٥) .

(٤) يقول : هو جواد علت كفه فى الخير والشر ؛ الخير لأوليائه والشر لأعدائه . والدهر يتمنى أن يكون كفا يشارك كفه .

(٥) يقول : الناس والممدوح فريقان واقفان فى شيئين وقفين ؛ أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثانى على الممدوح من الناس وهو الثناء .

(٦) يقول: لما فقدنا نظيره ومن يكون له مثلا ، (لأنه عديم المثل) دام الكشف عن مثل له ، ثم بطل لأنا أيسنا من وجود مثله .

(٧) ديوانه (٢ : ٢٨٩) .

(٨) ديوانه (٣ : ١٩٨). (٩) العنبر الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة ، والصلصال: الطين اليابس .

(١٠) ديوانه (٣ : ٢٠١) .

وقوله (١) :

لَا يَسْتَكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ ... يَوْماً وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنَا (٢)

تَتَقَاصَرُ الْأَوْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ... مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالدُّنَا (٣)

وقوله : (٤)

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا ... مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ (٥)

وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ .

وقوله (٦) :

جَفَخَتْ (٧) وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَائِلُ

وقوله (٨) :

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

وقوله (٩) :

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً فى نَيِّهَا ... إِسْآدَهَا فِي الْمَهْمَهِ الْإِنْضَاءِ (١٠)

وقوله (١١) :

كُفِّى أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا ... هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا (١٢)

---

(١) ديوانه (٤ : ٢٠١) .

(٢) أي لا يحسن عدم الإحسان ، والإحسان الأول مصدر والثانى ضد الإساءة .

(٣) الدنا : جمع دنيا ؛ كالعلا جمع عليا والقصا جمع قصيا . (٤) ديوانه (٣ : ٢٥٢)

(٥) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفونها ؛ لأنها ضمنت أحداقا تعمل عمل السيوف .

(٦) ديوانه (٣ : ٢٥٨) .

(٧) جفخ : تكبر ونخر . والشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة . والأغر : الأبيض .

(٨) ديوانه (٣ : ٢٦١) . (٩) ديوانه (١ : ١٧) .

(١٠) الإسآد : الإسراع فى السير ، أو سير الليل بلا تعريس ، أو سير الإبل الليل مع النهار.
والنىء: الشحم . والمهمه : المفازة . والإنضاء؛ فاعل لاسم الفاعل. (١١) ديوانه (٤ : ٢٧) .

(١٢) كفى : دعى واتركى ، أنجم : أقلع ؛ يقال : أنجمت السماء ؛ إذا أقلعت من المطر .

وقوله[١] :

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ وآخَرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الجَنَادِلُ[٢]

وقوله[٣] :

فَلَوْلا تَوَلِّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ عَنِ الْأَرْضِ لانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ

وقوله[٤] :

أَنَّى يَكُونُ أَبَا البَرِيَّةِ آدَمٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ !

وقوله[٥] :

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذَا الجَمَالَ بِبُرْقُعٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ فِى الْخُدُورِ العَوَاتِقُ[٦]

وقلت : لما أنكر عليه حاضت غيَّره فجعله ذابت .

وقوله[٧] .

مُذِلُّ الْأَعِزَّاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ ‏ ‏ ‏ ‏ بِهِ يُتْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجَابِرُ الْيُتْمِ[٨]

وقوله[٩] :

تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ[١٠]

---

(١) ديوانه (٣ : ١٧٤) . (٢) خساس الناس : أراذلهم ، والصائب، بمعنى المصيب؛ يقال صابه يصيبه وأصابه يصيبه فهو صائب ومصيب . (٣) ديوانه (٣ : ١٨٨) .

(٤) ديوانه (١ : ٣٤٠) . (٥) ديوانه (٢ : ٣٤٩) .

(٦) العواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية المقاربة للاحتلام . وفى رواية :

* فإن لحت ذابت فى الخدور العواتق *

(٧) ديوانه (٤ : ٥٣) . (٨) الموتم الجابر اليتم : مبتدأ وخبرا، أى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى الأبناء الأيتام ويصطنعهم . (٩) ديوانه (٤ : ٥٤ ، ٥٦) .

(١٠) التحرج : الكف عن الشىء والإمساك عنه ، وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها. يريد : أنه يريق دماء الأعداء ولا يحفظها .

أَطْعَنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَابْنَ ابْنِ يُوسُفٍ ... لِشَهْوَتِنَا وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرَّغْمِ (١)

إِذَا مَاضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي ... فَكِلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ (٢)

فَكَمْ قَائِلٍ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصُ نَفْسَهُ ... لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ (٣)

وَقَائِلَةٍ وَالْأَرْضَ أَعْنِي تَعَجُّبًا ... عَلَيَّ امْرُؤٌ يَمْشِي بِوَقْرِي (٤) مِنَ الْحِلْمِ

وقوله (٥) :

وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا ... عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ

وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا ... وَبِالْجِنِّ فِيهِ (٦) مَادَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ

وقوله (٧) :

أَحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ ... لُيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ (٨)

وقوله (٩) :

وَأَبْعَدَ (١٠) بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي ... وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ

* * *

(١) ارتفع « الحاسدون » عطفا على الضمير المرفوع فى « أطعناك » ، وحذف النون فى : « الحاسدو » لأنه شبه باسم الموصول ؛ كأنه قال : والذين حسدوك . وقد جاء مثله فيما أنشده سيبويه :

الحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورائهم وكف

(٢) القرن : كفء الرجل فى شجاعته ، والجائزة : ما يعطاها الشاعر ، والكلم : الجرح ، أى أعطنى ذهباً بقدر ما تسع ضربتك الواسعة . (٣) القرى : الظهر . والمكمن : المخفى والمستتر ، الدهم : الكثير . (٤) الوقر : الثقل . (٥) ديوانه (٢ : ٢٤٧) .

(٦) الضمير فى : « فيه » للقلب ، يقول ، قلبك قد أحاطت به الدنيا ، وهو فيها من جملة مافيها ، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه . (٧) ديوانه (١ : ٣٥٣) .

(٨) التناد : يوم القيامة . (٩) ديوانه (١ : ٣٥٨) .

(١٠) الضمير فى أبعد وقرب يعود على المسير فى بيت قبله . وقربَ وبعدَ ، نصبهما نصب المصادر .

قلت : قد جمع فى هذه الأبيات وفى غيرها مما احْتَذَى به حَذْوَها بين البرد والغَثاثة ، وبين الثقل والوخامة ، فأبعد الاستعارة ، وعوّص اللفظ ، وعقّد الكلام ، وأساء الترتيب ، وبالغ فى التكلّف ، وزاد على التعمّق ؛ حتى خرج إلى السّخف فى بعض ، وإلى الإحالة فى بعض . وقلت : كيف يُعَدّ فى الفحول المُفلقين من يقول[١] :

جَمَدَتْ نُفُوسُهمُ فلمّا جِئْتَها ... أَجْرَيْتَها وسَقَيْتَها الفُولاذَا
فَغَدَا أَسِيراً قد بَلَلْتَ ثيابَه ... بدمٍ وَبَلَّ ببَوْلِهِ الأَفْخَاذَا
أَعْجَلت أنفُسَهُم[٢] بضَرْبِ رِقابِهمْ ... عَنْ قَوْلِهم لا فارسٌ إلاَّ ذَا
طَلَبَ الإمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وقَدْ نَشَا[٣] ... مَا بَيْنَ كَرْخَايا إلَى كَلْوَاذَا
فكأنَّهُ حَسِبَ الأَسِنَّةَ حُلْوَةً ... أَوْ ظَنَّهَا الْبَرْنِيَّ والآزَاذَا[٤]

وقوله[٥] :

بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فى آيةٍ ... يَنْفِى الظُّنُونَ وُيفْسِدُ التَّقْيِيسا
يَامَنْ نَلُوذُ مِنَ الزمَانِ بِظِلِّهِ ... أَبَداً وَنَطْرُدُ باسْمِهِ إبْلِيسا
إنِّى نَثَرْتُ عليكَ دُرًّا فانْتَقِدْ[٦] ... كَثُرَ المدَلِّسُ فاحْذَرِ التَّدْلِيسا[٧]
حَجَّبْتُها عن أهْلِ إنْطَاكِيَّةٍ ... وجَلَوْتُها لَكَ فاجْتَلَيْتَ عَرُوسا
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى القُصُورِ وشَرُّها ... يَأْوِى الْخَرابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا[٨]

---

(١) ديوانه (٢ : ٨٣) . (٢) فى الديوان : « أعجلت ألسنهم » ، جمع لسان .

(٣) فى الديوان : « ونشؤه » ، وكرخايا وكلواذا : قريتان من أعمال بغداد .

(٤) البرنى والآزاذ : نوعان من أجود التمر . (٥) ديوانه (٢ : ١٩٧ - ٢٠٠) .

(٦) انتقد الدراهم : أخرج الزيف منها . (٧) صدره من قول الحكمى :

نثرت عليك الدر يا در هاشم ... فيا من رأى درا على الدر ينثر

وعجزه ينظر فيه إلى قول ابن الرومى :

أول ما أسأل من حاجة ... أن يقرأ الشعر إلى آخره
ثم كفانى بالذى ترتئى ... فى جودة الشعر وفى شاعره

(٨) الناووس : مقابر النصارى ، وقيل : مقابر المجوس .

وقوله[١] :

ولعَلِّى مُؤَمِّــلٌ بَعْضَ مَا أَبْـ ـلُغُ بالُّطْفِ من عَزِيزٍ حَمِيدِ
لِسَرِيٍّ لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقُطْـ ـنِ وَمَرْوِيُّ[٢] مَرْوَ لِبْسُ القُرُودِ

وقوله[٣] :

أَلْقَى الْكِرَامُ الْأُولَى بَادُوا مَكَارِمَهُم عَلَى الْخَصِيبِىِّ[٤] عِنْدَالفَرْضِ والسُّنَنِ
فَهُنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بالمَجْدِ والمِنَنِ[٥]

وقوله[٦] :

جَعَلْتُكَ بالقَلْبِ لِى عُدَّةً لِأَنَّكَ باليَدِ لَا تُجْعَلُ[٧]

وقوله[٨] :

ونُصْفِى الَّذِى يُكْنَى أَبَاالحَسَنِ[٩] الْهَوى وَنُرْضِى الَّذِى يُسْمَى الإلٰهَ وَلَا يُكْنَى

وقوله :[١٠] :

وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيس عَلَى الْأَحْـ ـبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ

وقوله[١١] :

(١) ديوانه (١ : ٣٢٠) . (٢) مروى مرو : ثياب رقاق تنسج بها .
(٣) ديوانه (٤ : ٢١٤) .
(٤) باد الشيء : هلك ، وأباده غيره : أهلكه . الخصيبى : هو الممدوح نسبة إلى الجد ، وهو أبو عبيد الله محمد بن عبد الله القاضى الأنطاكى .
(٥) أصل الحجر المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف . والمنن : جمع منة ، وهو ما يمن به الإنسان على صاحبه .
(٦) ديوانه (٣ : ٧١) . (٧) يقول : جعلتك بالقول عدة أعتدها ، وعصمة أعتقدها ؛ لأنك أرفع قدراً من أن تتناول بالجوارح . (٨) ديوانه (٤ : ١٦٦) .
(٩) أبو الحسن : هو على بن عبد الله سيف الدولة الممدوح .
(١٠) ديوانه (٢ : ٣١) . (١١) ديوانه (٢ : ١٧٩) .

ليس كلُّ السَّراة[1] بالرُّوذَبَارِ ىّ ولا كلُّ ما يَطِيرُ ببَازِ
فارسىٌّ له من المجـــدِ تَاجٌ كان من جَوْهَرٍ علىأَبْرَوازِ[2]
فـكأنَّ الْفَرِيدَ والدُّرَّ وَالْيَا قُوتَ من لَفظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ[3]
تَقْضَمُ الْجَمْرَ والحديدَ الأَعَادِى دُونهُ قَضْمَ سُكَّرِ الْأَهْوَازِ

وقوله[4] :

ونَهْبُ نفُوسِ أهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى بأهل المجدِ منْ نَهْبِ الْقُمَاشِ[5]
ومِنْ قَبْـلِ النِّطَاحِ وقبلَ يَأْنِى[6] تَبينُ لَكَ النِّعَاجُ مِنَ الْـكِبَاشِ
تُطَاعِنُ كلُّ خَيْلٍ سِرْتَ فِيها ولو كانوا النَّبِيطَ على الْجِحَاشِ[7]
أَتى خَبَرُ الْأَمِيرِ فقِيلَ كَرُّوا فقلتُ نعم ولو لحِقُوا بشَاشِ[8]

ويقول[9] :

مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدِّيَارَ ولوْ كا نَ نُجُوماً آجُرُّ هـــذا البناَءِ
ولوْ انَّ الذى يَخِرُّ مِنَ الأَمْ وَاهِ فيهـــا منْ فِضَّــةٍ بَيْضَاءِ
أنتَ أعْـلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى بمَـكانٍ فى الأرضِ أو فى السَّماءِ
ولك[10] الناسُ والبلادُ وما يَسْ رَحُ بين الْغَبْراءِ والخضْراءِ

---

(١) فىالأصلين « البزاة »، وهذه رواية الديوان . والسراة : الأشراف ، جمع سرى على غير قياس . والروذبارى : هو الممدوح نسبة إلى بلد أبيه ، وهى من بلاد العجم .

(٢) أبرواز : هو أبرويز أحد ملوك العجم ، وإنما غيره للوزن .

(٣) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو الـكبار منه . والسام : عروق الذهب ؛ يقول كأن هذه الأشياء مأخوذة من لفظه لحسنه ونفاسته . (٤) ديوانه (٢ : ٢١٠ ، ٢١٣) .

(٥) القماش : متاع البيت ومتاع الإنسان .

(٦) يأنى : يحين ؛ من أنى الشىء ؛ إذا حان ، وأراد : قبل أن يأنى .

(٧) رواية الديوان : « ولو كان النبيط » ، والنبيط : قوم بسواد العراق حراثون .

(٨) الكر : الرجوع على القرن بعد الفر للجولان ، وشاش : موضع بماوراء النهر .

(٩) ديوانه (١ : ٣٢) . (١٠) فى الأصلين : « ملك »

يفضحُ الشَّمسَ كلّما ذرّتِ[1] الشّمـ ... سُ بشمسٍ منيرةٍ سوداءِ
إنما الجِلدُ ملبسٌ وابيضاضُ النّـ ... فسِ خيرٌ من ابيضاضِ القَباءِ

ويقول[2] :

ما أنصفَ القومُ ضبّه[3] ... وأمَّــهُ الطُّرطُبَّه[4]
رمَوا برأسِ أبيهِ ... وناكوا الأمَّ غُلُبَّه[5]
فلا بمن مات فخرٌ ... ولا بمن نيك رغبه
وإنما قلتُ ما قلـ ... تُ رحمةً لا محبّه
ما كنتَ إلا ذباباً ... نفتْكَ عنّا مِذبّه
وكنتَ تنخَرُ[6] تيهاً ... فصِرتَ تضرط رهبه
وإنْ بعُدْنا قليلًا ... حمَلتَ رُمحاً وحَربه

ويقول[7] :

قد بلغتَ الّذي أردتَ منَ البرِّ ... ومِنْ حقِّ ذا الشّريفِ عليكا
وإذا لم تسِرْ إلى الدّارِ في وقـ ... تِكَ ذا خِفتُ أنْ تسيرَ إليكا

***

كثرة استعماله لاسم الإشارة

وقلت : وهو أكثرُ الشعراء استعمالا لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالةٌ على التكلّف ، وربما وافقتْ موضعا يليقُ بها ، فاكتست قبولا ؛ فأما في مثل قوله في هذين البيتين : « ومن حق ذا الشريف عليكا » ؛ و «في وقتك ذا»، وقوله[8] :

---

(١) ذرت الشمس : بدت أول ما تطلع ، (٢) ديوانه (١ : ٢٠٤ ، ٢٠٨) .
(٣) ضبة اسم من يهجوه بهذه القصيدة ، وهو ضبة بن يزيد العتبي ؛ وكان فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب. (٤) الطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل : المسترخية الثديين .
(٥) الغلبة : المغالبة . (٦) في الديوان : « تفخر » . (٧) ديوانه (٢ : ٣٨٤) .
(٨) ديوانه (١ : ٣١) .

لو لم تكن من ذا الورى اللذْ(1) منك هو ... عقمتْ بمولد نسلها حواء

وقوله(2) :

عن ذا الذي حُرِم الليوثُ كمالَه ... يُنسِى الفريسةَ خوفَه بجماله

وقوله(3) :

وإن بكيْنا(4) له فلا عجبٌ ... ذا الجزرُ في البحرِ غيرُ معهودِ

وقوله(5) :

ذا الذي أنتَ جدُّه وأبوه ... [دِنيةً(6) دون جدّه وأبيه]

وقوله(7) :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدُّمُسْتُق(8) مُقدِمٌ ... قفاهُ على الإقدامِ للوجهِ لائمُ

وقوله(9) :

أبا المِسْكِ ذا الوجهُ الذي كنتُ تائقاً ... إليه، وذا الوقتُ الذي كنتُ راجياً(10)

وقوله(11) :

نحنُ في أرضِ فارسٍ في سُرُورٍ ... ذا الصَّباحُ الذي يُرَى ميلادُهْ

كلما قال نائلٌ(12) : أنا منهُ ... سَرَفٌ، قال آخرٌ : ذا اقتصادُهْ

---

(1) اللذ : لغة في الذي . (2) ديوانه (٣ : ٥٩) .

(3) ديوانه (١ : ٢٦٢) .

(4) رواية الديوان : وإن جزعنا . وجزر البحر : رجوع مائه إلى خلف ونضوبه .

(5) ديوانه (٤ : ٢٦٣) . (٦) يقال هو ابن عمى دنية : وهو القريب .

(7) ديوانه (٣ : ٣٨٩) . (8) الدمستق : صاحب جيش الروم .

(9) ديوانه (٤ : ٢٨٩) . (10) أبو المسك : كنية كافور ، وتاق يتوق توقا ، إذا نازعه الحنين إلى الوطن وغيره . يخاطبه ويناديه : يا أبا الحسن ، هـذا الذي كنت أشتاق إليه وأحن ، وهذا الوقت الذي كنت أرجو لقاءه وأتمناه . (11) ديوانه (٢ : ٤٨) .

(12) في الأصلين : « قائل » .

وقوله[1]:

فَإنْ يَكُنِ المَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ   فهذا وإلاَّ فالْهُدَى ذَا فما المَهْدِى !

وقوله[2].

يُعَلِّلُنَا هذا الزّمانُ بذَا الوَعْدِ   ويخْدَعُ عما فى يديهِ من النَّقْدِ[3]

وقوله[4]

وهــذا أوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا   لِأَوَّلِ مِيْتَةٍ فى ذا الْجَلَالِ[5]

وقوله[6]:

فإن أتى حَظُّها[7] بأزْمِنَةٍ   أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمانِ أَبْدَاهَا

وقوله[8]:

حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُرَّةِ ذا   فى المَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهِمْ أَمَــلُ

فهذا صالح ، وقوله[9]:

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذا الْيَوْمِ لَو رَكَضَتْ   بالخَيْلِ فى لهَوَاتِ الطِّفْلِ ماسَعَلا

فهو ـ كما تراه ـ سخافةً وضعفا ، ولو تصفّحت شعره لو جدت فيه أضعافَ ماذكر من هذه الإشارة ؛ وأنت لا تجد منها فى عدّة دواوين جاهليةٍ حَرْفاً ، والمحدَثون أكثر استعانة بها ، لــكن فى الفَرْط والنَّدْرة ، أو على سبيل الغَلط والفَلتة .

* * *

(١) ديوانه (٢ : ٦٧) . (٢) ديوانه (١ : ٦٨) .

(٣) النقد : خلاف النسيئة . (٤) ديوانه (٣ : ١٠) .

(٥) الناعون : جمع ناع ، وأصله رفع الصوت . و « طرا » : نصب على الحال ، والبيت من قصيدة فى رثاء أم سيف الدولة . (٦) ديوانه (٤ : ٢٧٨) .

(٧) الضمير يعود على همم فى البيت الذى قبله ، وهو :

تجمعت فى فؤاده همم   ملء فؤاد الزمان إحداها

(٨) ديوانه (٣ : ٣١١) . (٩) ديوانه (١ : ١٠٢) .

(١٠) الفاء واقعة فى جواب أما فيما قبل .

التعقيد فى شعره

وقلت : احتملنا له ما قدّمناه على ما فيه من فُنون المَعايب ، وأصناف القبائح ؛ كيف يُحْتمل له اللفظُ المعقّد ، والترتيب المتعسَّف لغير معنى بديع يفى شرفُه وغرابتُه بالتعب فى استخراجه ، وتقوم فائدةُ الانتفاع بإزاء التأذى باستماعه ، كقوله [1] :

وَفَاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ... بأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ[2]

ومَنْ يَرى هذه الألفاظ المماثلة ، والتعقيد المُفْرِط ، فيشك أن وراءها كنزا من الحكمة ، وأنَّ فى طيّها الغنيمةَ الباردة ؛ حتى إذا فتّشها ، وكشف عن سترها ، وسَهِر ليالى متواليةً فيها حصل على أن «وفاءكما ياعاذلىّ بأن تُسْعِدانى إذا درس شَجاى ، وكلما ازداد تَدَارُساً ازددت له شجْوا ؛ كما أن الربع أشجاه دارسُه» .

فما هذا من المعانى التى يضيع لها حلاوةَ اللفظ ، وبهاءَ الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشحّ عليها حتى يُهَلْهِل لأجلها النَّسْج ، ويُفْسِد النظم ، ويَفْصِل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدّم ويؤخّر ، ويعمّى ويعوّص !

ولو احتمل الوزن ترتيبَ الكلام على صحته فقيل : «وفاؤكما بأن تُسْعِدا أشجاه[3] طاسِمُه كالربع» ، أو «وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه» ، لظهَر هذا المعنى المضْنون به ، المتنافَس فيه ؛ فأما قولُه : « والدمعُ أشفاه ساجمُه » فخطاب مستأنَف ، وفصلٌ منقطِع عن الأول ، وكأنه قال: «وفاؤكما والربع أشجاه ما طَسَم ، والدمع أشفاه ما سجَم » .

وكذلك قوله[4] :

أحَادٌ أم سُدَاسٌ فى أُحَادِ ... لُيَيْلَتُنا المَنُوطَةُ بالتَّنَادِ[5]

---

(١) ديوانه (٣ : ٣٢٥) . (٢) الطاسم : الدارس ، والساجم : السائل .

(٣) هذه الجملة خبر وفاؤكما . (٤) ديوانه (١ : ٣٥٣) .

(٥) الليلة : تصغير ليلة ، والمنوطة : المعلقة ، والتنادى : كناية عن القيامة . يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة ، فهى لطولها بمنزلة ليالى الدهر كلها ؛ إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضا ؛ حتى كأنها ست ليال فى ليلة .

تعرّض فيه لوجوهٍ من الطعن : منها قوله : « سُدَاس » ، وقد زعموا أنها غيرُ مَرْوِيَّة عن العرب ، وإنما رُوى أُحَاد وثُناء وثُلاث ورُباع وعُشَار ، وهذه معدولات لا يُتجاوز بها السماعُ ، ولا يسوغُ فيها القياس .

ومنها أنه أقام أُحادا وسُدَاسا مقام واحد وستة ؛ والعربُ إنما عَدلوا به عن واحد واحد ، واثنين اثنين ، ولذلك لايقولون للاثنين والثلاثة . هذا ثُناء وهذا ثُلاث ؛ وإنما يقولون : جاء القوم أُحاد ومَثْنَى وثُلاث : أى واحدا واحدا ، واثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ؛ وبذلك نطق القرآنُ ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وفُرَادَى﴾ . أى اثنين اثنين، وقال تعالى: ﴿فانكِحُوا ماطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلَاثَ ورُبَاعَ﴾ ، أى اثنتين اثنتين ، وثلاثاً ثلاثاً ، وأربعاً أربعاً .

ومنها أنه صغّر الليلة ، ثم وصفها بالطُّول ، ووصلها بالتَّنادِ ، حتى احتاج إلى إطالةِ الاعتذار إلى التناوُل والاستشهاد . وأنت إذا امتحنْتَ الذى عَزاه لم تجد أكثرَ من « أوَاحِدةٌ ليلتُنا هذه أم ستٌّ ليال فى واحدة» وهل يساوى ذلك ــ وإن عُرِض سَمْحاً مطاوعاً ووُجد سهلا مُوَاتياً ــ أن يُفْتَتح به قصيدة ، أو تُعْقَد عليه قافية !

وما باله خصّ سُدَاساً ، وعُشَارٌ أكثر إن أراد التكثير ! واجتماع عشر ليالٍ أطول من اجتماع ست . فإن ادَّعى مُدَّعٍ أنه أراد استيفاء ليالى الأسبوع، فجمعها فى الستّ والواحدة ، فكملت سبْعاً استدلّ النابهُ على ضعف بصره بالحساب ؛ لأن الستَّ فى الواحدة ستٌّ ، فأينَ السابعة ؟ ولِمَ اقتصر على الأسبوع وهو يريدُ المبالغة فى الطول ؟ وهلا بلغ أقصى ما يحتمِله الوزن وأكثر ما يُمْكِنه النظم !

فإن توسّعتَ فى الدعاوى فضلَ توسّع ، ومِلْتَ مع الحَيْفِ بعض الميل حتى تناولتَ طائفةً من المختار ، فجعلته فى المنفىّ ، وأخَذْتَ صدْراً من الجيد فجعلته مع الردىء ــ ولسنا نُنَازِعك فى هذا الباب ــ فهو باب يضيق مجالُ الحجةِ فيه ، ويصعبُ

وصول البرهان إليه . وإنما مدارُه على استشهاد القرائحِ الصافية ، والطبائع السليمة، التى طالت مُمَارستُها للشعر ، فحَذَقَتْ نَقْدَه ، وأثبتتِ عياره ، وقوِيَت على تمييز ، وعرفت خلاصه ، وأنما نُقابل دعواك بإنكار خَصْمك ، ونُعارض حُجَّتك بإلزام مخالفك إذا صِرْنا إلى ما جعلتَه من باب الغَلط واللَّحْنِ ، ونسبتَه إلى الإحالة والمناقضة ، فأمّا ، وأنت تقول : هذا غَثٌّ مستَبْرَد ، وهذا متكلّف متعسَّف ، فإنما تخبِر عن نُبُوِّ النفس عنه ، وقلّةِ ارتياح القلبِ إليه .

الحكم على الشعر

والشعر لايحبَّبُ إلى النفوس بالنظر والمحاجّة ، ولا يحلّى فى الصدور بالجِدَال والمُقايسة ؛ وإنما يعطِفُها عليه القبولُ والطّلاَوَة ، ويقرّبُه منهاالرونقُ والحلاوة ؛ وقد يكون الشيء مُتقَنَاً مُحْكماً ، ولا يكونُ حُلْواً مقبولا ، ويكون جيّداً وثيقاً لم يكن لطيفاً رشيقاً .

وقد يجِدُ الصورةَ الحسنة والْخِلقة التَّامةَ مقلية ممقوتةً ، وأخرىدونهامُسْتَحْلَاةً مَوْموقة ؛ ولكلّ صناعة أهلٌ يُرْجع إليهم فى خصائصها ، ويُسْتَظْهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها .

وما أُنكرُ أن يكونَ كثير مما عددتُه من هذه الأبيات ساقطةً عن الاختيار ، غيرَ لاحقة بالإحسان ، وأنّ منها ماغلَب عليه الضعفُ ، ومنها ما أثِر فيه التعسّف ؛ ومنها ما خانه السَّبْك ؛ فساء ترتيبهُ ، وأخلّ نظمه . ومنها ما حمل عليه التعمّق ؛ فخرج به إلى الغَثَاثة والبَرْد ، وإن كان أكثرُها لم يأتِ من قِبَل المعنى وشرَفه ، وكنا نجد لكل واحد منها مثالا يحسّنه ، وشبيهاً يعضده و[illegible] : ولكن الذى أطالبك به وأُلزمك إياه ألاَّ تستعجلَ بالسيئة قبل الحسنة ، ولا تقدّمَ السُّخْط على الرحمة ، وإن فعلتَ فلا تُهْمِلِ الإنصاف جملة ، وتخرج عن العَدْل صِفْراً ؛ فإنُ الأديبَ الفاضل لايستحسن أن يعقد بالعثرة على الذنب اليسير من لايحمد منه الإحسان الكثير ؛ وليس من شرائط النَّصفَة أن تن[illegible] على أبى الطيّ[illegible] شذّ ، [illegible] كلمةً ندَرت،

وقصيدةً لم يُسْعِده فيها طَبعُه ؛ ولفظةً قصرت عنها عنايته ، وتَنْسَى محاسِنَه ، وقد ملأت الأسْماع ، وروائِعَه وقد بهرت . ولا من العدل أن تُؤَخّره الهَفْوَةُ المنفردة ، ولا تقدمه الفضائِلُ المجتمعة ، وأن تحطه الزلةُ العابرة ولا تنفعه المناقبُ الباهرة .

وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجتَه من ديوان المحسنين لهذه الأبيات التي أنكرتَها ، ولم تسلّم له قصب السَّبْقِ ونصال النضال ، وتُعَنْون باسمه صحيفة الاختيار اقوله(١) :

هُوَ الجَدُّ(٢) حتى تَفْضُلَ العَيْنُ أُخْتَها ... وحَتى يكونَ(٣) الْيَوْمُ لِليَوْمِ سَيِّدَا(٤)

وما قَتَلَ الأحْرارَ كالْعفْوِ عَنْهُمُ ... ومَنْ لَكَ بالحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا !

إذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمرَّدَا

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِم(٦) ... فأَنْتَ الَّذِي صيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا

ومَا أَنَا إلاَّ سَمْهرِيٌّ(٧) حَمَلْتَهُ ... فزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَراعَ مُسَدَّدَا

أَجِزْنِي إذا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فإنَّما ... بشِعْرِي أَتَاكَ المادِحُونَ مُرَدَّدَا

ودَعْ كلَّ صَوْتٍ دونَ صَوْتِي فإنَّني ... أَناالصائِحُ المَحْكِيُّ والآخرُ الصَّدَى(٨)

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قلَّ مَالُهُ ... وأَنْعَلْتُ أفْرَاسِي بنُعْماكَ عَسْجَدا(٩)

---

(١) ديوانه (١ : ٢٨٦) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ، ويهنئه فيها بعيد الأضحى.

(٢) الجد : الحظ . (٣) فى الديوان : « يصير » .

(٤) يقول : الحظ يفرق بين الشيء وما يساويه ، فيجعل لأحدهما مزية على الآخر ؛ حتى لقد يقع التفاضل بين العين وأختها . (٥) أنت فى الشطرين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، والبيت تأكيد لما قبله . (٦) الكبت : الصرف والإذلال .

(٧) السمهرى : الرمح ؛ منسوب إلى سمهر ؛ اسم رجل كان يقوم الرماح ، وفى الأصلين «السمهرى» ، وهذه رواية الديوان . (٨) الصدى : الصوت الذى يسمع من بعيد كأنه يحكى قولك أو صياحك . (٩) السرى : مشى الليل . والعسجد : الذهب . يقول : استغنيت عن السرى بوصولى إليك ، فتركته خلفي لمن أحوجه الفقر إليه ، وأثريت بنعمتك ؛ حتى لو شئت أنعلت أفراسي بالذهب .

وقيَّدْتُ نَفْسى فى ذَرَاكَ مَحَبَّةً ... ومَنْ وَجَدَ الإحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا
إذَا سَأَلَ الإنْسَانُ أيَّامَه الغِنَى ... وكُنتَ على بُعْدٍ جَعَلْتُكَ(١) مَوْعِدَا

وقوله(٢) :

وأطْمَعَ عَامِرَ البُقْيَا عَلَيْهِمْ ... ونَزَّقَهَا احْتِمالُكَ والوَقَارُ(٣)
وكانتْ(٤) بالتَّوَقُّفِ عن رَدَاها ... نُفُوساً فى رَدَاها تُسْتَشَارُ
وكنتَ السَّيْفَ قائِمُهُ إلَيها(٥) ... وفى الأَعْدَاءِ حَدُّكَ والغِرَارُ(٦)
وظلَّ الطَّعْنُ فى الخَيْلَيْنِ خَلْساً ... كأنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمُ(٧) اخْتِصَارُ(٨)
مضَوْا مُتسابِقِى الأعضَاءِ فيه ... لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ
إذا صرَفَ النَّهارُ الضَّوْءَ عنهم ... دَجَا لَيْلَانِ : لَيْلٌ والغُبَارُ
وإنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عنهمْ ... أضَاءَ المَشْرَفِيَّةُ(٩) والنَّهَارُ
إذا فَاتُوا الرِّماحَ تَنَاوَلَتْهمْ ... بأَرْمَاحٍ من العطشِ القِفارُ
يرَوْنَ المَوْتَ قُدَّاماً وخَلْفاً ... فيَخْتَارُونَ والمَوْتُ اضْطِرارُ
إذا سَلَكَ السَّمَاوَةَ(١٠) غَيْرُ هادٍ ... فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ
فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فذَا عَلِيٌّ ... وخَيْلُ اللهِ والأَسَلُ الحِرَارُ(١١)

---

(١) فى رواية : « جعلتك » . (٢) ديوانه (٢ : ١٠١) ، من قصيدة يصف إيقاع سيف الدولة بالقبائل العربية . (٣) عامر : اسم قبيلة ، ولذلك منعها من الصرف ، وقال « عليهم » ، وفى رواية : « عليها » . ونزقها : حملها على النزق، والنزق : الخفة والطيش.
(٤) الضمير فى « وكانت » يعود على الفرسان فى بيت قبله . (٥) فى الديوان: «إليهم».
(٦) الغرار : الحد . (٧) فى الديوان : « بينهما » .
(٨) يريد أنهم مازالوا يتخالسون الطعن ، فيسرع إليهم الموت ؛ فكأنهم يختصرون الآجال .
(٩) جنح الليل : جانبه ، والمشرفية : السيوف .
(١٠) السماوة : بادية بين الكوفة والشام .
(١١) الحرار : العطاش . الأسل : الرماح .

يراهُ النَّاسُ حيثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ ... بأَرْضٍ مَا لِنَازِلها اسْــتِتارُ
بَنو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهمْ ... يَدٌ لم يُدْمِهــا إلاَّ السِّوَارُ
بها مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ ونَقْصٌ ... وفيهَا من جَــلاَلَتِهِ افْتِخَارُ
لهمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فى نِزَارٍ ... وأَدْنَى الشِّرْكِ فى نَسَبٍ جِوَارُ
لعلَّ بَنِيهِمُ لِبَنِيكَ جُنْدٌ ... فأَوَّلُ قُرَّحٍ(١) الخَيْلِ المِهارُ

وقوله(٢)

نَزَلوا فى مَصَارِعٍ عرفوها ... يَنْدُبُونَ الأعمامَ والأَخْوالاَ
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهمْ شَعَرَ الْهَا ... مِ وتُذْرِى(٣) عليهمُ الأَوْصَالاَ
تُنْذِرُ الجِسمَ أنْ يُقيمَ لَدَيْهَا ... وتُرِيهِ لِكلِّ عُضْوٍ مِثَالاَ
أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فى القُلُوبِ دِرَاكاً ... قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّماحَ خَيَالاَ(٤)
يَنْفُضُ الرَّوْعُ أَيْدِياً لَيْسَ تَدْرِى ... أَسُيُوفاً حَمَلْنَ أَمْ أَغْلاَلاَ(٥)
وإذا مَا خَلاَ الْجَبانُ بِأَرْضٍ ... طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ والنِّزَالاَ(٦)
إنّ دونَ الَّتى على الدَّرْبِ وَالأَحْـ ... ـدَبِ والنَّهْرِ مِخْلَطًا مِزْيَالاَ(٧)
غَصَبَ الدَّهْرَ والمُلُوكَ عَلَيْها ... وَبَنَاهَا فى وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالاَ

---

(١) القرح من الخيل: جمع قارح، وهو الذى استكمل سنه .

(٢) ديوانه (٣ : ١٤٠) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر نهوضه لغزو الروم.

(٣) الهام : الرءوس ، وتذرى : تنثر وتفرق . ويريد بالأوصال : الأعضاء .

(٤) الدراك : التتابع ، وخيالا : متخيلا .

(٥) الروع : الخوف والفزع . والأغلال : جمع غل ، وهو رباط تشد به اليد إلى العنق .

(٦) قال العكبرى : وهــذا من قول الحكيم « الجبن ذلة كامنة فى نفس الجبان ؛ فإذا خلا بنفسه أظهر شجاعتها » .

(٧) الدرب : المدخل من أرض العدو . والأحدب : جبل . والنهر : موضع . وفلان مخلط مزيال : موصوف بالشجاعة وجودة الرأى ، أى كثير المخالطة للأمور ثم يزايلها ، أو مزيال عن أطراف بلاده .

إنما أنفُسُ الأنيسِ سِباعٌ ... يتفارسْنَ جَهْرَةً واغْتِيالاَ(١)
مَنْ أطاقَ الْتِماسَ شَيْء غِلاَباً ... واغْتِصاباً لم يَلْتَمِسْهُ سُؤالاَ(٢)

وقوله (٣) :

قَادَ الجِيادَ(٤) إلى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ ... إلاّ إلى العاداتِ والأَوْطَانِ
إنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بآدابِ الْوغَى ... فدعاؤُها يُغْنِي عن الأَرْسَانِ(٥)
في جَحْفَل(٦) سَتَرَ العيونَ غُبارُهُ ... فكأنما يُبْصِرْنَ بالآذانِ
يرْمِي بها البلدَ البعيدَ مُظَفَّرٌ ... كلُّ الْبعيدِ لهُ قريبٌ دَانِ
حتى عَبَرْنَ بأرْسَنَاسَ(٧) سَوَابحاً ... يَنْشُرْنَ فيه عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ
يَقْمُصْنَ في مثل الْمُدَى مِن باردٍ ... يَذَرُ الْفُحُولَ وَهُنَّ كالْخِصْيانِ(٨)
بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَوْ يُذِمُّ لِأَهْلِهِ ... مِنْ دَهْرِه وطَوَارِقِ الْحِدْثَانِ(٩)
فتركْتَهُ وإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى ... رَاعاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِي حَمْدَانِ(١٠)
نظَرُوا إلى زُبَرِ الحديد كأنما ... يَصْعَدْنَ بين مَنَاكِبِ العِقْبانِ(١١)
وَفَوَارِسٍ يُحْيِي(١٢) الحِمامُ نفوسَها ... فكأنها ليست منَ الحيوانِ

---

(١) الأنيس : جماعة الناس . والتفارس : التقاتل . والاغتيال : القتل بالخديعة .

(٢) الغلاب : الغلبة . والاغتصاب : الأخذ بالقهر .

(٣) ديوانه (٤ : ١٧٦) . (٤) الجياد : جمع جواد على غير قياس .

(٥) الوغى : من أسماء الحرب . والأرسان : جمع رسن ، وهو ما يكون في رأس الدابة .

(٦) الجحفل : الجيش العظيم . (٧) أرسناس : نهر بالشام بارد الماء جدا ، يسيل من ذوب الثلج . (٨) يقمصن : يثبن لشدة برده . والمدى : جمع مدية ، وهي السكين . والخصيان : جمع خصي من الخيل . (٩) الذمام : العهد . والحدثان : حوادث الدهر .

(١٠) أذم : أجار ، وبنو حمدان : قبائل سيف الدولة .

(١١) زبر الحديد : قطعه . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من سباع الطير

(١٢) في الأصلين : « يحمي » . والحمام : الموت .

مازِلْتَ تضرِبُهُمْ دِرَاكاً فى الذُّرَى ضَرْباً كَأَنَّ السَّيْفَ فيه اثْنانِ(١)
خَصَّ الجماجِمَ وَالْوُجُوهَ كأنَّمَا جاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بأَمَانِ(٢)

وقوله(٣) :

لَوْ كَلَّتِ الخيلُ حتى لاتَحَمَّلَهُ تَحَمَّلَتْهُ إلى أَعْدائِهِ الْهِمَمُ(٤)
سُحُبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً وما بِها الْبُخْلُ لَوْلا أَنَّها نِقَمُ(٥)
وشُزَّبٍ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكائمَهَا وَوَسَّمَتْها عَلَى آنافِها الْحَكَمُ(٦)
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْباتِرَاتِ بِهِمْ مَكامِنُ الأرضِ والْغيطانُ والأَكَمُ(٧)
وما يَصُدُّكَ عَنْ بَحرٍ لَهمْ سَعَةٌ وما يَرُدُّكَ عَن طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ(٨)
ضَرَبْتَهُ(٩) بصُدورِ الخَيْلِ حامِلَةً قَوْماً إذَا تَلِفُوا قُدْماً فَقَدْ سَلِمُوا

وفيها :

هِندِيَّةٌ(١٠) إنْ تُصَغِّرْ مَعْشَراً صَغُرُوا بِحَدِّها أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَراً عَظُمُوا

---

(١) الدراك : التتابع : وذرى الشىء : أعلاه .

(٢) الجماجم : جمع جمجمة ، وهى أعلى الرأس . يريد أن الضرب لايقع إلا فى وجه أو رأس ولا يتعرض لسائر الجسد . (٣) ديوانه (٤ : ١٦) .

(٤) كلت : ضعفت . والهمم : جمع همة ، وهى العزيمة .

(٥) حصن الران : موضع من بلاد سيف الدولة . والنقم : جمع نقمة ، كنعم جمع نعمة .

(٦) الشزب : جمع شازب ؛ وهى الفرس الضامر . الشعرى : نجم يطلع فى الصيف ويكون فيه شدة الحر . الشكائم : جمع شكيمة ، وهى رأس اللجام ، والحكم : جمع حكمة ، وهى ما على أنف الفرس .

(٧) الشفرات : جمع شفرة ، وهى حد السيف . والباترات : القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والغيطان : جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض .

(٨) الطود : الجبل ، والشمم : العلو .

(٩) فى الأصلين « ضربتهم » ، والضمير فى ضربته للنهر ، وهو أرسناس السابق .

(١٠) هندية : منسوبة إلى الهند .

قاسَمْتَها تَلَّ بِطريقٍ(١) فَكان لها   أَبْطالُها ولكَ الْأَطْفالُ والحُرَمُ
وقد تَمَنَّوْا غَداةَ الدَّرْب فى لَجَبٍ   أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبصرَوكَ عَمُوا(٢)
فكان أَثْبَتَ ما فيهمْ جُسُومُهُمُ   يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ والْأَرْواحُ تَنْهَزِمُ(٣)
إذَا تَوافَقَتِ الضَّرْباتُ صاعِدَةً   تَوافَقَتْ قُلَلٌ فى الجوِّ تَصْطَدِمُ(٤)
لا يَأْمَلُ النَّفَسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ   فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الْأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِماءُ الرُّومِ طاعَتَها   فَلَوْ دَعَوْتَ بلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فيهمْ كلَّ حَادِثَةٍ   فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوْتٌ وَلَا هَرَمُ
أَلْهَى المَمالِكَ عن فَخْرٍ قَفَلْتَ بهِ   شُرْبُ الْمُدامَةِ وَالْأَوْتارُ والنَّغَمُ
مُقَلَّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللهِ ذَا شُطَبٍ(٥)   لَا تُسْتَدامُ بِأَمْضَى منهما النِّعَمُ

وقوله(٦) :

يا أَعْدَلَ النَّاسِ إلا فى مُعامَلَتِى   فيكَ الْخِصامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
إِذَا رَأَيتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً   فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِى مِن هَمِّ صَاحِبِها   أَدْرَكْتُهَا بِجَوادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ(٧)
رِجْلاهُ فى الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدانِ يَدٌ   وفِعْلُهُ ماتُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ
يا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنا أَنْ نُفارِقَهُمْ   وِجْدَانُنا كلَّ شىءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ(٨)
ما كان أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ   لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنا أَمَمُ(٩)

---

(١) تل بطريق : بلد . (٢) الدرب : موضع . واللجب : اختلاف الأصوات .
(٣) يقول : كانت جسومهم الثابتة ساقطة بين يديك وأرواحهم منهزمة .
(٤) يريد أنهم لا يضربون ضربة إلا قطعوا بها رأساً ، فالرءوس المقطوعة على قدر الضربات .
(٥) ذا شطب : سيفاً فيه طرائق ، والضمير فى « منهما » للشكر والسيف .
(٦) ديوانه (٣ : ٣٦٦) ؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويعاتبه .
(٧) المهجة : الروح . والهم : ما اهتممت به . والجواد : الفرس الكريم . والحرم : ما لا يحل انتهاكه. (٨) أى إذا فارقناكم ووجدنا كل شىء ، فوجدانه والعدم سواء لأنه لا يغنى غناءكم أحد.
(٩) أخلقنا : أحرانا . الأمم القصد ؛ يقول : ما كان أحرانا ببركم لو كان أمركم فى الاعتقاد لنا مثل أمرنا فى الاعتقاد بكم .

إِذْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حَاسِدُنا ... فَما لجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ ... إِنَّ المَعَارِفَ فى أهلِ النُّهَى ذِمَمُ(١)
ماأبْعَدَ الْعَيْبَ والنُّقْصَانَ مِنْ شِيَمِى(٢) ... أنا الثُّرَيَّا وذَانِ الشَّيْبُ وَالهرَمُ
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذى عِنْدِى صَوَاعِقُهُ ... يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ(٣)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ ... وشَرُّ ما يَكْسِبُ الإنْسَانُ مَايَصِمُ(٤)
وشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِى قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ(٥)

ويقول(٦) :

النَّاسُ مَا لم يَرَوْكَ أَشْبَاهُ ... والدَّهْرُ لَفْظٌ وأنتَ معناهُ
وَالْجُودُ عَيْنٌ وأنت نَاظِرُهَا ... وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ
تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ ... بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا على الْأَصَمِّ بِهَا ... أَغْنَتْهُ عن مِسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ
يا رَاحِلًا كلُّ مَنْ يُوَدِّعُهُ ... مُوَدِّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ
إِنْ كانَ فيما نَرَاهُ مِن كَرَمٍ ... فِيكَ مَزِيدٌ ، فَزَادَكَ اللهُ

وقوله(٧) :

وَفَارِسُ الخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ... فى الدَّرْبِ والدَّمُ فى أَعْطَافِهَا دُفَعُ(٨)

---

(١) النهى : العقول . الذمم : العهود .

(٢) فى الديوان : « من شرفى » . (٣) الديم : الأمطار .

(٤) يصم : يعيب . (٥) الرخم : جمع رخمة ، وهى طائر يشبه النسر فى الخلقة. والشهب: جمع أشهب ، وهو مافيه بياض يخالطه سواد ، والبزاة جمع باز ؛ وهو من جوارح الطير .

(٦) ديوانه (٤ : ٢٦٣) . من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر ، ويودعه حين سفره .

(٧) ديوانه (٢ : ٢٢٣) ، من قصيدة ، أنشدها سيف الدولة ، وقد عاد منهزماً من غزو الروم .

(٨) خفت : أسرعت فى الهزيمة . وقرها : ثبتها . والدرب : المضيق . وأعطافها: جوانبها . والدفعة من الشىء : ما انصب منه بمرة .

فَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ ... وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ(١)
قادَ المَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ ... على الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سَرَعُ(٢)
لَا يَعْتَقِي(٣) بَلَدٌ مَسْرَاهُ عن بَلَدٍ ... كالمَوْتِ ليس له رِيٌّ ولا شِبَعُ
يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فيهم طولُ أَكْلِهِمِ ... حتى تَكادَ على أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ
ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وقد طَلَعَتْ ... سُودُ الغَمَامِ فظَنُّو أَنَّهَا قَزَعُ(٤)
فيها الكُمَاةُ التى مَفْطُومُها رَجُلٌ ... على الجِيادِ التى حَوْلِيُّهَا جَذَعُ(٥)
كأنها تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ ... فالطَّعْنُ يَفْتَحُ فى الأَجْوَافِ ماتَسَعُ
إذا دَعا العِلْجُ عِلْجًا حالَ بَيْنَهُمَا ... أَظْمَى(٦) تُفارِقُ منه أُخْتَهَا الضِّلَعُ
لاتَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كانَ ذارَمَقٍ ... فليس يَأْكُلُ إلا المَيْتَةَ الضَّبُعُ
وإنما عرَّضَ اللهُ الجُنُودَ بِكُمْ ... لِكَي يَكُونُوا بلا فَسْلٍ(٧) إذا رَجَعُوا
وهل يَشِينُكَ وَقْتٌ أَنْتَ فارِسُهُ ... وكان غيرُكَ فيه العَاجِزُ الضَّرَعُ(٨)
مَنْ كانَ فوقَ مَحَلِّ الشمْسِ مَوْضِعُهُ ... فليس يَرفعُه شيءٌ ولا يَضَعُ
لايُسْلِمُ الكَرُّ فى الأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ ... إن كان أَسْلَمَها الأصحابُ والشِّيَعُ(٩)
وما حَمِدْتُكَ فى هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ ... حتى بَلَوْتُكَ وَالأبْطالُ تَمْتَصِعُ(١٠)

---

(١) أوحدته : تركته وحيداً . والقذع : الفحش .

(٢) المقانب : جمع مقنب ، وهو زهاء الثلاثمائة من الخيل ، والنهل : الشرب أول مرة .

(٣) يعتقى : يعوق .

(٤) الدمستق : صاحب جيش الروم ، والقزع . المتفرق من السحاب .

(٥) الضمير يعود على « سود الغمام » فى البيت قبله . الجذع : التى أتى عليه حولان ، والحولى : التى أتى عليه حول . (٦) العلج . الرجل من كفار العجم . والأظمى : الرمح .

(٧) الفسل : الدنىء العاجز من الرجال . (٧) يشينك : يعيبك . الضرع : الضعيف.

(٩) أسلمه : خذله . والكر : الرجوع مرة بعد أخرى . والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر كل شىء . والشيع : الأتباع . (١٠) تمتصع : تذهب فى الأرض . هاربة . يقول : لم أحمدك فى مواقف الهول إلا بعد أن اختبرتك ، وعرفت ثباتك .

فقد يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ به خَرَقٌ وقد يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ به زَمَعُ(١)

وقوله(٢) :

خَلِيلَيَّ إنِّى لا أَرَى غَيرَ شَاعرٍ فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى ومِنِّى القَصَائِدُ
فلا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ ولَـكِنَّ سَيفَ الدَّوْلَةِ اليومَ وَاحِدُ
لَهُ من كريمِ الطَّبعِ فى الحَرْبِ مُنْتَضٍ ومن عادةِ الإحسانِ والصَّفْحِ غَامِدُ(٣)
ولمَّا رأَيْتُ الناسَ دُونَ مَحَلِّهِ تيَقَّنْتُ أنَّ الدَّهْرَ للناسِ نَاقِدُ
ومِنْ شَرَفِ الإقْدَامِ أنَّكَ فِيهِمُ على القَتْلِ مَوْمُوقٌ كأَنَّكَ شَاكِدُ(٤)
وأَنَّ دَمًا أجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ وأَنَّ فُؤَاداً رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ
وكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى ولَـكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
نَهَبْتَ مِنَ الأعمارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بأَنَّكَ خالِدُ

وقوله – يرثى عبداً لسيف الدولة(٥) :

ومَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثم بَكَى أسًى بَكَى بعُيُونٍ سَرَّها وقُلُوبِ
سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فلو عَاشَ أهْلُهَا مُنِعْنَا بها من جَيْئَةٍ وذُهُوبِ
وأَوْفَى حَيَاةِ الغَابِرِين لِصَاحِبٍ حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ

وفيها :

فإنْ يَكُنِ العِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ فمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَغَرَّ وَهُوبِ
كأَنَّ الرَّدَى عادٍ على كلِّ مَاجِدٍ إذَا لم يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بعُيُوبِ

---

(١) الزمع : رعدة تعترى الشجاع من الغضب .

(٢) ديوانه (١ : ٢٧١) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ؛ وقد أراد الذهاب إلى خرشنة ، فعاقه الثلج .

(٣) انتضى السيف : جرده ، يريد أنه سيف جرده كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة ، ويغمده ماتعوده من الإحسان والصفح . (٤) الشاكد : المعطى .

(٥) ديوانه (١ : ٤٩) .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا   غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَبِيكَ فَإِنَّمَا   بَكَيْتَ وَكَانَ الضِّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ

وقوله[١] :

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ[٢] نَمْشِي كَرَامَةً   لِمَنْ بَانَ عَنهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا
نَذُمُّ السَّحَابَ الغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ   ونُعْرِضُ عَنهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ   عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا
ذَكَرتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ   وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ نَهْبَا[٣]

وقوله فيها:

مَضَى بَعْدَ مَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعةً   كَمَا يَتَلَقَّى الهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الهُدْبَا[٤]
وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ   إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الجَنْبَا
أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ بِسَعْيِهِ[٥]   حَرِيصاً عليها مُسْتَهَاماً بها صَبَّا
فَحُبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى   وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ[٦] أَوْرَدَهُ الحَرْبَا
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالفِعْلُ وَاحِدٌ   إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبَا

وفيها

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عنه الأَسِنَّةُ رَحْمَةً   وَلَمْ يَتْرُكِ الشَّامَ الأَعَادِي لَهُ حُبَّا
وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ   كَرِيمُ الثنا مَاسُبَّ قَطُّ وَلَا سَبَّا
وَجَيْشٌ يُثَنِّي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ   خَرِيقُ[٧] رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصُناً رَطْبَا
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ[٨]   فَمَدَّتْ عليهِ من عَجَاجَتِهِ حُجْبَا

---

(١) ديوانه (١ : ٥٦) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش .

(٢) الأكوار : جمع كور ؛ وهو رحل الناقة . (٣) فى الديوان : « وثبا » .

(٤) أراد بقوله « الرماحان » رماح الفريقين . والهدب : شعر الجفن . أى انهزم بعد ما اشتبكت الرماح ساعة ، واختلط بعضها ببعض ، كما تختلط الأهداب العليا والسفلى عند النوم .

(٥) فى الديوان : « لسعيه » . (٦) فى الأصلين : « الحرب » .

(٧) الخريق : الريح الشديدة . (٨) مغاره : إغارته . والعجاجة : الغبار .

ويقول ـ يذكر رسول صاحب الروم (١) .

رَأى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِياحَكَ لِلنَّدَى فقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ
وخَلَّى الرِّماحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لِأَدْرَبَ مِنْهُ بالطِّعَانِ وأَحْذَقِ (٢)
وَكاتَبَ مِن أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُها قَرِيبٍ على خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ
وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنها رَسُولُهُ فَما سارَ إلا فوقَ هامٍ مُفَلَّقِ
وكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إليهِ في قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ (٣)
وهَلْ تَرَكَ البِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ حَبِيسًا (٤) لِفَادٍ أَوْ رَفِيقًا لِمُعْتِقِ

وقوله (٥) :

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكانُوا الظَّلَامَ وكُنْتَ النَّهَارَا
أَشَدُّهُمُ في النَّدَى هِزَّةً وأَبْعَدُهُمْ في عَدُوٍّ مُغَارَا
سَمَا بِكَ هَمِّيَ فَوْقَ الهُمُومِ فَلَسْتُ أُعُدُّ يَسارًا يَسَارَا
ومَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يا عَلِيّ لم يَقْبَلِ الدُّرَّ إلاَّ كِبَارَا
وعِنْدِي لَكَ الشُّرَّدُ السَّائِرَا تُ لا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأرْضِ دَارَا
وكُنَّ إذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَلِي (٦) وَثَبْنَ الجِبَالَ وخُضْنَ البِحَارَا

وقوله (٧) :

---

(١) ديوانه (٢ : ٣١١). (٢) السمهرية : الرماح المنسوبة إلى سمهر ؛ وهو رجل كان يقوم الرماح . والصاغر : الذليل . وأدرب ، من الدربة ، وهي العادة والجرأة على الأمر .

(٣) القذال : مؤخر الرأس . (٤) في الديوان : « أسيرا » .

(٥) ديوانه (٢ : ٩٦) من قصيدة أنشدها سيف الدولة ، وقد استبطأ مدحه وأنكر ذاك .

(٦) رواية الديوان :

* قواف إذا سرن عن مقولي *

ويروى أيضا : « وهن إذا سرن » .

(٧) ديوانه (٣ : ١٠٢) .

وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كأنَّمَا ... تَخِرُّ عَلَيْهِ بالرِّجَالِ سُيُولُ
يُطَارِدُ فيهِ مَوْجَهُ كلُّ سَابحٍ(١) ... سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ
تَرَاهُ كأنَّ المَاءَ مَرَّ بجِسْمِهِ ... وأقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وتَلِيلُ(٢)
تَمَلُّ الحصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا ... فتُلْقِى إلَيْنَا أهْلَهَا وتزُولُ
وَلمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ ... دَرَوْا أنَّ كلَّ العَالَمِينَ فُضُولُ
فوَدَّعَ قَتْلاهُمْ وشَيَّعَ فَلَّهم(٣) ... بضَرْبٍ حُزُونُ الأرْضِ فيهِ سُهُولُ(٤)
وإنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بأنفُسٍ ... كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ

وفيها :

شَرِيكُ المَنَايَا والنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ ... فكلُّ مَمَاتٍ لم يُمِتْهُ غُلُولُ(٥)
فإنْ تَكُنِ الدَّوْلاتُ قِسماً فإنَّهَا ... لِمَنْ بَاشَرَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا على النَّفْسِ سَاعَةً ... ولِلْبِيضِ فى هَامِ الكُمَاةِ صَلِيلُ

وقوله(٦) :

أَيَدْرِى ما أرَابَكَ(٧) مَنْ يُرِيبُ ... وهَلْ تَرْقَى إلى الفَلَكِ الخُطُوبُ !
يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا ... وقَدْ يُؤْذَى من المِقَةِ(٨) الحبيبُ
[وَكَيف تُعِلُّكَ الدُّنْيا بشىءٍ](٩) ... وأنت لِعِلَّةِ الدنيا طَبِيبُ !

---

(١) السابح : الفرس الذى يمد يديه عند الجرى . وغمرة الماء : مجتمعه . والمسيل : مجرى ماء المطر . (٢) التليل : العنق . (٣) الفل : المنهزم . (٤) رواية الديوان :

* بضرب حزون البيض فيه سهول *

(٥) الغلول : ما أخذ من الغنائم قبل القسمة . (٦) ديوانه (١ : ٧٢) .

(٧) أرابك : أفزعك ، والذى أفزع سيف الدولة دمل شكا منه .

(٨) المقة : الحب .

(٩) زيادة من الديوان

وكيف تَنُوبُكَ الشَّكوى بداء ... [وأنت المُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ][١]
مَلِلْتَ مُقَامَ يَوْمٍ ليس فيه ... طِعَانٌ صادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبُ[٢]
وما بكَ غيرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا ... وعِثْيَرُهَا لأَرْجُلِهَا جَنِيبُ[٣]
مُجَلِّحَةً[٤] لها أرضُ الأعادِي ... ولِلسُّمْرِ المناحِرُ[٥] وَالْجُنُوبُ

وقوله[٦] :

المَجْدُ عُوفِيَ إذْ عُوفيتَ وَالْكَرَمُ ... وزال عنكَ إلى أعدائكَ الأَلَمُ
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ ... بِهَا المَكارِمُ وانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ[٧]
وَلَاحَ بَرْقُكَ لِي من عارِضَيْ[٨] مَلِكٍ ... ما يَسْقُطُ الْغَيْثُ إلا حيث يَبْتَسِمُ
وما أُخُصُّكَ فى بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ ... إذَا سَلِمْتَ فَكلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وقوله[٩] :

ما الدَّهْرُ عندكَ إلا رَوْضَةٌ أُنُفٌ[١٠] ... يامَنْ شَمَائِلُهُ فى دَهْرِهِ زَهَرُ
ما ينتهى لك فى أيامِهِ كَرَمٌ ... فلا انتهى لك فى أَعْوَامِهِ عُمُرُ
فإنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرارِهَا[١١] شَرَفٌ ... وحَظُّ غَيْرِكَ منهُ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ

---

(١) زيادة من الديوان . (٢) دم صبيب : مصبوب .
(٣) الجنيب : المجنوب . والعثير : الغبار . (٤) مجلحة : مصممة ماضية .
(٥) فى الأصلين : الناحل . والمناحر : جمع منحر ، وهو موضع الذبح من الحلق
(٦) ديوانه (٣ : ٣٧٥) ، من قصيدة أنشدها يمدح سيف الدولة وقد عوفى من مرضه .
(٧) الديم : جمع ديمة ، وهى السحابة . (٨) العارض : مايلى الناب من داخل الفم .
(٩) ديوانه (٢ : ٩٧) ، من قصيدة يهنىء بها سيف الدولة بعيد الفطر .
(١٠) روضة أنف : لم ترع .
(١١) الضمير فى تكرارها للأعوام .

وقوله يذكر رسول صاحب الروم(١) :

وَأَنَّى اهْتَدَى هـذا الرسولُ بأَرْضِهِ ... وماسَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فيها القَسَاطِلُ(٢)

ومِنْ أَيِّ مَاءٍ كانَ يَسْقِى جِيادَهُ ... ولم تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ المَنَاهِلُ

أتاكَ يكادُ الرأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ ... وَتَنْقَدُّ تحتَ الذُّعْرِ(٣) منه المفاصِلُ

فما بَلَّغَتْهُ ما أراد كَرَامَةٌ ... عَلَيْكَ ولـكن لم يَخِبْ لَكَ سائلُ

وَأَكْبَرَ منـهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ ... إليكَ العِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الجحافلُ(٤)

فَأَقْبَلَ من أصحابه وهْوَ مُرْسَلٌ ... وعاد إلى أصحابه وهوَ عاذِلُ

إذا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نفُوسُها ... عليها وما جاءتْ به والمُرَاسِلُ(٥)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوالِدٌ ... ولو حارَبَتْهُ ناحَ فيهـا الثَّوَاكِلُ

وما كان أَدْناهَا لَهُ لَوْ أَرادَهَا ... وأَلْطَفَها لو أَنَّه المُتَنَاوِلُ !

وقوله(٦) :

طَلَبْتَهم على الأَمْوَاهِ حتى ... تَخَوَّفَ أن تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

وتسألُ عنهمُ الفَلَوَاتِ حتى ... أَجَابَكَ بعضُها وَهُمُ الجوابُ

إذا ما سِرْتَ فى آثارِ قَوْمٍ ... تَخَاذَلَتِ الجماجِمُ والرِّقابُ

ولو غيرُ الأَميرِ غَزَا كِلاباً ... ثَنَاهُ عن شُمُوسِهِمُ ضَبَابُ

ولاقَى دونَ ثَايِهِمُ(٧) طِعَاناً ... يُلاقِى عِنده الذِّئْبَ الغُرَابُ

---

(١) ديوانه (٣ : ١١٢) . (٢) القساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل بحوافرها . (٣) فى الديوان : « تحت الذعر » .

(٤) الجحافل : جمع جحفل ، وهو الجمع العظيم . واستنظرته : انتظرته .

(٥) نظر فيه إلى قول البحترى :

لحظوك أول لحظة فاستصغروا ... من كان يعظم عنـدهم ويبجل

(٦) ديوانه (١ : ٧٦) ، أنشدها سيف الدولة وقد أوقع ببنى كلاب .

(٧) فى الأصلين : « نأيهم » والثاى : جمع ثاية ، وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلا ؛ وهى مبارك الإبل ومرابض الغنم .

وَخَيْلاً تَغتَذِى رِيحَ المَوَامِى[1] ... وَيَكْفِيها من المـاءِ السَّرَابُ

ويقول[2] :

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعرِفُ لَوْنَها ... وتَعْـلَمُ أىُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ[3]

سَقَتْها الْغَمامُ الْغُرُّ قبلَ نُزُولِهِ ... فلما دَنا منهـا سَقَتْها الجَماجِمُ

وكان بها مثلُ الْجُنُونِ فأصْبَحَتْ ... ومن جُثَثِ الْقَتْلَى عليها تَمائِمُ[4]

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَها فَرَدَدْتَها ... على الدِّينِ بالخَطِّىِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ

تُفِيتُ اللَّيَالِى كلَّ شىْءٍ أخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لما يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحديدَ كأَنَّهمْ ... سَرَوْا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوَائِمُ

وَقَفْتَ وما فى المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كأنكَ فى جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كَلْمَى[5] هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ بَاسِمُ

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِم على القَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الْخَوَافِى تَحْتَها وَالْقَوَادِمُ

بِضَرْبٍ أَتَى الهاماتِ وَالنَّصْرُ[6] غائبٌ ... وصار إلى اللَّبَّاتِ وَالنصْرُ قادِمُ

وقوله[7] :

وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فأصْبَحَ جالِسًا ... وَأَيَّامُها[8] فيما يُرِيدُ قِيَامُ

وكلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إمَامَهُمْ ... وَأنتَ لأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إمَامُ

وَرُبَّ جوابٍ عن كتابٍ بَعَثْتَهُ ... وَعُنْوَانُه لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ[9]

---

(١) الموامى : جمع موماة ، وهى المفازة . والسراب : الذى تراه نصف النهار كأنه ماء .

(٢) ديوانه (٣ : ٣٨٠) . (٣) الحدث : قلعة ، وسميت حمراء لأنها بنيت بحجارة حمر ، أو لكثرة ما أجرى عندها من الدماء . (٤) الجثث : جمع جثة ، وهى الجسد . والتمائم : العوذ ، واحدها تميمة. جعل الاضطراب بالفتنة فيها جنونا لها .

(٥) كلمى : جرحى ، وهزيمة : مهزومة. (٦) فى الأصلين : «والدهر غائب» .

(٧) ديوانه (٣ : ٣٩٣) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ، وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة . (٨) فى الأصلين : « وأيامه » . (٩) القتام : الغبار .

تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ من قَبل نَشْرِهِ — وما فُضَّ بالبَيْدَاءِ عنــه ختَامُ(١)
وَرَبَّوْا لَكَ الأَوْلَادَ حتى أصَبْتَها — وقد كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ(٢)
جَرَى معكَ الجارُونَ حتى إذا انْتَهَوْا — إلى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وقاموا

وقوله :(٣) :

وللنفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ على الْفَتَى — أكان سَخاءً ما أتى أم تَسَاخِيَا
خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصِّبَا — لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ الْقَلْبِ باكيَا
فإنَّ دُمُوعَ العينِ غُدْرٌ بِرَبِّها — إذا كُنَّ إِثْرَ الغَادِرِين جَوارِيا
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بين آذانِها الْقَنَا — فَبِتْنَ خِفَافًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا(٤)
تَمَاشَى بأَيْدٍ كلَّما وَافَتِ الصَّفَا — نَقَشْنَ به صَدْرَ الْبُزَاةِ حَوَافِيَا(٥)
وتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فى الدُّجَى — يرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخوصِ كَمَاهِيَا
وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا — يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيا(٦)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً — كأنَّ على الأعْنَاقِ منها أفَاعِيَا
قَوَاصِدَ كافُورٍ تَوَارِكَ غــيرِهِ — وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ — وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَها وَمَآقِيَا
نَجُوزُ عليهــا الْمُحْسِنِينَ إلى الذى — نَرَى عِنْدَهم إحْسَانَهُ وَالأَيادِيَا

وقوله(٧) :

وما زال أهلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي — إليكَ فلما لُحْتَ لى لَاحَ فَرْدُهُ(٨)

---

(١) البيداء : الأرض المقفرة البعيدة . والفض : الكسر . والختام : طابع الكتاب .
(٢) الكاعب : التى قد بدا ثديها للنهود . وشب الغلام : نشأ وكبر .
(٣) ديوانه (٤ : ٢٨٤) ، من قصيدة يمدح بها كافوراً ، وهى أولى مدائحه له .
(٤) يريد خيلا قليلات الشعر ، وهو مدح للفرس . والعوالى : الرماح .
(٥) الصفا : الصخر . والبزاة : جمع باز . وحوافيا : جمع حاف. (٦) فى رواية : «وتنظرن» .
(٧) ديوانه (٢ : ٢٧) ، من قصيدة يمدح فيها كافوراً . (٨) يشتبهون بمعنى يتشابهون.
يقول : مازال أهل الدهر يتشابهون إلى قبل وصولى إليك ، حتى ظهرت أنت لى؛ فإذا أنت فردهم .

يَقَالُ إِذَا أَبْصَرْتَ جَيْشاً وَرَبَّهُ أمامَكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا الجَيْشِ عَبْدُهُ
وَأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بذِى الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ
فَكُنْ فى اصْطِنَاعِي مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الجَوَادِ وَشَدُّهُ(١)
وما الصَّارِمُ الهِنْدِيُّ إلاَّ كَغَيْرِهِ إِذَا لم يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ
فإنك ما مَرَّ النُّحُوسُ بكَوْكَبٍ وَقَابَلْتَهُ إلاَّ ووجهُكَ سَعْدُهُ

وقوله : (٢)

إذا ساءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُه وصَدَّقَ مايعتادُهُ من تَوَهُّمِ(٣)
وعادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ وأصبحَ فى لَيْلٍ منَ الشَّكِّ مُظْلِمِ
أُصَادِقُ نَفْسَ المَرْءِ منْ قبلِ جسمِهِ وأعرِفُها فى فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
وما كلُّ هاوٍ لِلْجَميلِ بِفَاعِلٍ ولا كلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
وَأَبْلَجَ(٤) يَعْصِى باخْتِصَاصِى مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بقَصْدِيهِ مُشِيرِى ولُوَّمى
فَسَاقَ إلَىَّ الْعُرْفَ غيرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غيرَ مُجَمْجَمِ(٥)
فأَحْسَنُ وَجْهٍ فى الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفٍّ فيهمُ كَفُّ مُنْعِمِ
ولو كنتُ أدرى كم حَياتى قَسَمْتُها وصيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انتظارَكَ فَاعْلَمِ

وقوله(٦) :

أما تَغْلَطُ الأيامُ فِيَّ بأنْ أرَى بَغِيضاً تُنَائى أو حبيباً تُقَرِّبُ(٧)

---

(١) التقريب : ضرب من العدو ، وكذلك الشد . والجواد : الفرس .
(٢) ديوانه (٤ : ١٣٥) ، من قصيدة يمدح بها كافوراً ، وقد أهداه فرساً أدهم .
(٣) نظر فيه إلى قول الشاعر :

وما فسدت لى ـ يشهد الله ـ نية عليك بل استفسدتنى فاتهمتنى

(٤) فى الديوان : « أبلخ » ، بالخاء ، وهو العظيم ، وهو من صفة الملوك أما الأبلج بالجيم فهو الجميل الوجه . (٥) المجمجم : الذى لا يفهم . يقول : لم يكدر إحسانه إلى بالمن ، ولم ينغصه بالأذى . (٦) ديوانه (١ : ١٧٧) ، من قصيدة يمدح فيها كافوراً .
(٧) الاستفهام للتعجب ، وتنائى : تفاعل ، من النأى وهو البعد .

وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ(١) أُرَاقِبُ فيه الشمسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ
وعَيْنِى إلى أُذْنَىْ أَغَرَّ(٢) كأنه من الليلِ باقٍ بين عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ
لهُ فَضْلَةٌ عن جسمِهِ فى إهَابِهِ تجىء على صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ(٣)
شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِى عِنَانَه فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ
وَأَصْرَعُ أَىَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وأَنْزِلُ عنه مِثْلَهُ حينَ أَرْكَبُ(٤)
وما الخيلُ إلاَّ كالصديقِ قليلةٌ وإن كَثُرَتْ فى عَيْنِ مَنْ لا يُجَرِّبُ
إذَا لم تُشَاهِدْ غيرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا(٥) وَأَعْضَائِهَا فالْحُسْنُ عنكَ مُغَيَّبُ

وفيها :

يُرِيدُ بكَ الحُسَّادُ ما اللهُ دَافِعٌ وَسُمْرُ الْعَوَالِى وَالحديدُ الْمُذَرَّبُ(٦)
إذا طلبوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّموا وإن طلبوا الْمَجْدَ الذى فيك خُيِّبُوا
ولو جاز أن يَحْوُوا عُلاكَ وَهَبْتَهَا ولـكن من الأشياء ماليس يُوهَبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ باتَ حاسداً لِمَنْ باتَ فى نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَيُغْنِيكَ عمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّه إليك تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وتُنْسَبُ
وتَعْذُلُنِى فِيكَ الْقَوَافِى وهِمَّتِى كأنِّى بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ

وقوله(٧) :

رَأَيْتُكُم لايَصُونُ العِرْضَ جَارُكُمُ وَلَا يَدِرُّ على مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ
جَزَاءُ كلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ(٨)

---

(١) كمنته ، أى كنت فيه ، فترك الحرف ونصب الضمير مفعولا به .
(٢) الأغر : ذو الغرة ، وهى البياض ، ويريد به الفرس .
(٣) الإهاب : الجلد . والرحيب : الواسع . يصف فرسه بعرض الصدر وسعة الجلد عليه ؛ وكلاهما يقتضى سعة الخطو وسرعة العدو . (٤) قفيته : أتبعته ؛ يقول : إذا طردت به وحشا أدركه فصرعه ، وأنزل عنه بعد الطرد وهو باق على نشاطه وقوة جريه ؛ مثلما كان حين الركوب .
(٥) الشيات : جمع شية ، وهى اللون (٦) المذرب : المحدد . (٧) ديوانه (٤ : ١٣٦) . من قصيدة قالها بمصر ، وقد بلغه أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة .
(٨) الضغن : الحقد والحسد .

وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن
فغادر الهجر ما بيني وبينكم يهماء(١) تكذب فيها العين والأذن
تحبو الرواسم من بعد الرسيم بها وتسأل الأرض عن أخفافها الثفن(٢)
سهرت بعد رحيلي وحشة لكم ثم استمر مريري وارعوى الوسن(٣)
وإن بليت بود مثل ودكم فإنني بفراق مثله قمن(٤)

وقوله(٥) :

برغم شبيب(٦) فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني
وهل ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معان
ثنى يده الإحسان حتى كأنها وقد قبضت كانت بغير بنان(٧)

وقوله(٨) :

عيون رواحلي إن حرت عيني وكل بغام رازحة بغامي(٩)
فقد أرد المياه بغير هاد سوى عدي لها برق الغمام(١٠)

---

(١) اليهماء : الأرض التي لا يهتدى فيها .

(٢) الرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم (ضرب من السير) ، الثفن : جمع ثفنة ، وهي واحدة ثفنات البعير ، وهو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ .

(٣) المرير : جمع مريرة ، وهي القوة من الحيل . واستمر : استقام . وارعوى : انزجر . والوسن : النعاس . (٤) قمن : خليق وجدير . يقول : إن كنت في قوم آخرين وعاملوني معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم . (٥) ديوانه (٤ : ٢٤٣) ، من قصيدة يذكر فيها شبيبا ومخالفته كافوراً . (٦) شبيب هذا هو ابن جرير العقيلي، من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة . (٧) ثنى يده : ردها . والبنان : الأصابع ؛ واحدتها بنانة .

(٨) ديوانه (٤ : ١٤٣) ، من قصيدة يصف فيها الحمى التي كانت تعتاده بمصر .

(٩) حرت : تحيرت . البغام : صوت الناقة للتعب . ورزحت الإبل : سقطت من الإعياء هزالا . شبه نفسه في التحير بالبهيمة ؛ لأنها لا تدري أين تذهب . (١٠) قال ابن السكيت : العرب إذا عدت للسحاب مائة برقة ؛ لم تشك في أنها ماطرة .

وَلمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا[1] ... جَزَيتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بابْتِسَامِ
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ ... لِعِلْمِى أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ
أرَى الأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً ... عَلَى الأَوْلَادِ أخْلَاقُ اللِّئَامِ

وقوله[2] :

وَزَائِرَتى كأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إِلاَّ فى الظَّلَامِ
بَذَلْتُ لهَا الْمَطَارِفَ والْحَشَايَا[3] ... فعَافَتْهَا وبَاتَتْ فى عِظَامى
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسى وعَنْهَا ... فتُوسِعهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
إِذَا ما فَارَقَتْنِى غَسَّلَتْنى ... كأَنَّا عاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ[4]
كأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِى ... مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعةٍ سِجَامِ[5]
أُرَاقِبُ وقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
ويَصْدُقُ وعْدُهَا والصِّدْقُ شَرٌّ ... إِذَا أَلْقَاكَ فى الْكُرَبِ الْعِظَامِ

ومنها :

أَلاَ يَالَيْتَ شِعْرَ يَدِى أتُمسِى ... تَصَرَّفُ فى عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ[6]
وهَلْ أَرْمِى هَوَاىَ بِرَاقِصَاتٍ ... مُحَلاَّةِ الْمَقَاوِدِ باللُّغَامِ[7]
فرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِى ... بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ
وضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا ... خَلَاصَ الخَمْرِ من نَسْجِ الفِدَامِ[8]

---

(١) الخب : المكر . والود : الحب والصداقة . (٢) ديوانه (٤ : ١٤٦) ؛ من القصيدة السابقة . (٣) المطارف : جمع مطرف ، وهو من الثياب الذى فى طرفه علمان . والحشايا : جمع حشية ، وهو ما حشى من الفرس مما يجلس عليه . (٤) قال الواحدى : يريد أنه يعرق لفراقها ؛ فكأنها تغسله ؛ لعكوفهما على مايوجب الغسل . وإنما خص الحرام للقافية ؛ وإلا فالجماع على الحلال كالجماع على الحرام . (٥) بأربعة سجام ؛ أى ذات سجام فحذف . وأراد بالأربعة اللحاظين والموقين . (٦) العنان للفرس ، والزمام للابل . يقول : ياليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا فى عنان الفرس أو زمام الإبل! . (٧) الراقصات : الإبل . اللغام : زبد يخرج من فم البعير . (٨) الفدام : مايجعل على رءوس الأباريق التى يكون فيها الخمر .

وفارَقتُ الحبيبَ بِلاَ وَدَاعٍ ... ووَدَّعْتُ البِلادَ بِلاَ سَلَامِ
يقُولُ لِيَ الطَّبيبُ أكلتَ شَيْئاً ... ودَاؤُكَ فِي شَرابِكَ والطَّعامِ
وَما فِي طِبِّهِ أنى جَــوَادٌ ... أضرَّ بِجسْمِهِ طُولُ الجَمَامِ (١)
تَعوَّدَ أَنْ يُغبِّرَ فِي السَّرَايا (٢) ... ويَدْخُلَ مِنْ قتَامٍ فى قتَامِ
فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ (٣) لهُ فيرْعَى ... ولا هُوَ فِي الْعَلِيقِ ولاَ اللِّجَامِ
فَإنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبارِي ... وإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُم اعْتِزَامِي
وإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقى ولَكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَام إلى الْحِمَامِ

وهذه القصيدةُ كلُّها مختارةٌ ؛ لايعلمُ لأحدٍ فى معناها مثلُها . والأبياتُ التى وصف فيها الحمى أفراد ، قد اخترع أكثرَ معانيها ، وسهل فى ألفاظها ؛ فجاءت مطبوعةً مصنوعة . وهذا القسمُ من الشعر هو المطمِع المُؤْيس .

قصيدة لابن المعذل فى الحمى

وقد أحسن عبد الصَّمد (٤) بن المُعَذَّل فى قصيدته الرائية التى وصفَ فيها الحمَّى، وقصر فى الضادية وفى مقاطيع له فى وصفِها ، وكأن أبا الطيّب قصد تنكُّبَ معانيه فلم يُلِمَّ بشئ منها ؛ قال عبد الصَّمد (٥) :

وبِنْت المنيَّةِ تَنْتَابُنِى ... هَدُوًّا وتَطْرُقُنِى سُحْرَه (٦)
إذا وَرَدَتْ لم يَدَعْ وِرْدَها ... عن القلب حجبٌ ولا سُتْرَه (٧)
كأنَّ لها ضَرَمًا فى الحَشَى ... وفى كلِّ عُضْوٍ لهــا جَمْرَه
إذَا لم تَرُحْ أُصْلاً فى العشيّ ... فأقصَى مَوَاعِدها بُكْرَه

(١) الجمام : أصله أن يترك الفرس فلا يركب ؛ ويريد به هنا الراحة .
(٢) السرايا : جمع سرية ، وهى التى تسرى إلى العدو فى الحرب . والقتام : الغبار .
(٣) لا يطال له : لايرخى له الطول ، وهو الحبل .
(٤) هو من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ فى البصرة ، توفى نحو سنة ٢٤٠ هـ .
(٥) ديوان المعانى (٢ : ١٦٧) ، مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات .
(٦) السحرة كالسحر : آخر الليل قبيل الصبح .
(٧) الستره : ما استترت به من شىء كائناً ما كان .

لهـا قُدْرَةٌ فى جسوم الأنام حَباها بها اللهُ ذو القُدْره
تغاليت باسم سواها لهـا كأن ليس لى باسمها خُبْرَه
فطَوْراً أَلقّبها(١) سُـخنةً وطَوْراً أَلقّبهـا فَتْرَه
أسـائل أهىَ عن سُخْنتى وأَمنحهم نَظْرَةً نَظْرَه
فأجزعُ إن قيل لى حُمْرة وأُشْفِق إن قيلَ لى صُفْرَه
وصرت إذا جُعْتُ يوماً ظللتُ كأنَّ على كَبِدِى شَفْرَه
ويربو الطّحَال إذا ماشبعت فتعلو الترائبِ والصُّدْره(٢)
فأمسى كأنىَ من معدتى لبستُ الثيابَ على زُكْرَه(٣)
إذا ما رأيتُ امرأ مطلقا له الأكل تخنقنى العَبْره
كأنىَ فى منزلى مُخْصِباً ببَلْقَعَةٍ جَدْبَةٍ قَفْرَه

ة بين — وابن

فأحسن وأجاد، وملح واتسع، وأنتَ - إذا قِسْتَ أبياتَ أبى الطّيّب بها على قِصَرِ ها، وقابلتَ اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنتَ من أهل البصر، وكان لك حظٌّ فى النقد تبينتَ الفاضل من المفضول فأما أنا فأكرهُ أن أبتّ حُـكماً أو أفضّل قضاء، أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُحْسِن مصيب.

وقوله:(٤)

تُسَوِّدُ الشّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ولاَ تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ واللِّمَمِ(٥)

---

(١) فى ديوان المعانى: ألقيها (بالياء). (٢) الصدرة: الصدر.

(٣) الزكرة: زق يجعل فيه شراب أو خل.

(٤) ديوانه (٤ : ١٥٥)، من قصيدة يذكر مسيره من مصر ويرثى فاتكا.

(٥) العذر: جمع عذار، والمراد به الشعر النابت فى موضع العذار، واللمم: جمع لمة، وهى الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن.

وكانَ حالُهُمَا فى الْحُكْمِ واحِدَةً ... لَوِ احْتَكمنا مِنَ الدُّنْيَا إلى حَكَمِ
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أيدِيها بأرْجُلِها ... حتى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ والْعَلَمِ (١)
فى غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا ... بما لَقِينَ رِضَا الأَيْسَارِ بالزَّلَمِ (٢)
حتى رَجَعْتُ وأقلامِى قَوَائِلُ لِى: ... المَجْدُ لِلسيْفِ لَيسَ المَجْدُ لِلْقَلَمِ
اكْتُبْ بِنَا أبداً بعْدَ الْكِتابِ (٣) به ... فإنما نحنُ لِلأَسْيافِ كالْخَدَمِ
مَنِ اقْتَضَى بِسَوى الْهِنْدِيِّ حاجَتَهُ ... أَجَابَ كلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ
تَوَهَّمَ القَوْمُ أنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنا ... وفى التَّقَرُّبِ ما يَدْعُو إلى التُّهَمِ
ولَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإنْصَافِ قاطِعَةً ... بينَ الرِّجالِ وإنْ كانوا ذَوِى رَحِمِ (٤)
فَلا زِيارَةَ إلا أنْ تَزُورَهُمُ ... أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ المَصْقُولَةِ الخُذُمِ (٥)
ضُنًّا قَوَاعِهَا عَنْهُمْ فما وَقَعتْ ... مَوَاقِعَ اللُّؤمِ فى الأيْدِى ولا الْكَزَمِ (٦)
هَوِّنْ على بَصَرٍ ما شَقَّ مَنظَرُهُ ... فإنما يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كالْحُلُمِ
وَلا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى الجَرِيحِ إلى الْغِرْبانِ والرَّخَمِ

وقوله (٧) :

---

(١) جوش والعلم : جبلان ، والضمير يعود على البيت الذى قبله ، وهو :

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها ... قلبى من الحزن أو جسمى من السقم

(٢) أخطروا أرواحهم : حملوا أرواحهم على الخطر . الأيسار : هم الذين ينحرون الجزور ويتقارعون عليها بالقداح ، وهو ما كانت تفعله الجاهلية . والزلم : السهم .

(٣) الكتاب : مصدر كالكتابة . (٤) فى الديوان :

* بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم *

(٥) الخذم : جمع خذوم ، وهو السيف القاطع .

(٦) الكزم : قصد اليد ، وفى الأصل : الكرم . قال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووه . « الكرم » ؛ ضد البخل ، ولا معنى له هنا ، وإنما الصحيح الكزم (بالزاى) ، وهو قصر اليدين بالبخل . (٧) ديوانه (٢ : ٩٨) .

تَزَاحَمَ الجَيْشُ حتى لم يَجِدْ سبباً ... إلى بساطِكَ لِي سَمْعٌ ولا بَصَرُ
فَكُنت أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ ... مُعَايَنًا وعِيانِي كُلُّهُ خَبَرُ

وقوله(١) :

إِنْ تَرَيْنى أَدُمْتُ بعدَ بَيَاضٍ ... فَحَمِيدٌ مِنَ القَنَاةِ الذُّبُولُ(٢)
صَحِبَتْنِى على الْفَـلَاةِ فَتَاةٌ(٣) ... عادةُ اللَّوْنِ عنـدها التَّبْدِيلُ
سَتَرَتْكِ الحِجَالُ عنها ولـكنْ ... بِكِ منها منَ اللَّمَى(٤) تَقْبِيلُ

وقوله(٥) :

أَخُو الحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى ... قَنَاهُ ، وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ
إِذَا حَازَ مَالًا فَقَـدْ حَازَهُ ... فَتًى لا يُسَرُّ بِمـا لا يَهَبْ
وقد عَلِمَتْ خَيْـلُهُ أَنَّهُ ... إذا هَمَّ وَهْوَ عَلِيـلٌ رَكِبْ
أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِم ... طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ(٦)
ولا تَعْبُرُ الرِّيحُ فى جَوِّهِ ... إذا لم تَخَطَّ القَنَا أَو تَثِبْ

وقوله ـ يصف السيف(٧) :

قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ ... أَعْقَبَتْ منه واحداً أَجْدادُهْ
كلما اسْتُلَّ ضَاحَكَتْهُ إِيَاةٌ ... تَزْعُمُ الشمسُ أنها أَرْآدُهْ(٨)

---

(١) ديوانه (٣ : ١٥٠) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويشكره على هديته .

(٢) أدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره . والقناة : الرمح .

(٣) يريد الشمس . وجعلها فتاة لأن الزمان لا يؤثر فيها .

(٤) اللمى : سمرة تكون فى الشفتين .

(٥) ديوانه (١ : ٩٩) ، من قصيدة أرسلها إلى سيف الدولة وقد كتب إليه يستدعيه .

(٦) الضمير فى أتاهم للدمستق ، السبيب : شعر الناصية والعرف والذنب . العسيب : منبت الذنب من الجلد والعظم .

(٧) ديوانه (٢ : ٥٠) .

(٨) إياة الشمس : ضوءها . الأرآد ؛ يجوز أن يكون جمع رأد وهو الضوء ، وأن يكون مع رئد ، وهو الترب .

مَثَلُوهُ فى جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـ ... ـدِ ففى مِثْلِ أَثْرِهِ[١] أَغْمادُهْ
مُنْعَلٌ لا مِنَ الْحَفَا ذَهَباً يَحْـ ... ـمِلُ بَحْرًا فِرِنْدُهُ إِزْبَادُهْ
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لاَ يَسْـ ... ـلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إِلاَّ بدَادُهْ[٢]
جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْه ... وَثَنَائِى فاسْتَجْمَعَتْ آحَادُهْ

وقوله[٣] :

تُبَدِّلُ أَيَّامِى وَعَيْشِى وَمَنْزِلِى ... نَجَائِبُ[٤] لا يُفْكِرْنَ فى النَّحْسِ وَالسَّعْدِ
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا ... عَلَيْهِنَّ لا خَوْفاً مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ
إذا لم تَجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ ... أَجازَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ من الوُدِّ
ومَنْ يَصْحَبِ اسم ابنِ العَمِيدِ مُحَمَّدٍ ... يَسِرْ بين أنيابِ الْأَسَاوِدِ[٥] وَالْأُسْدِ
كَفَانَا الرَّبِيعُ العِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ ... فَجَاءَتْهُ لم تَسْمَعْ حُدَاءً سِوى الرَّعْدِ
كَأَنَّا أرادتْ شُكْرَنَا الأرضُ عِندهُ ... فَلَمْ يُخْلِنا جَوٌّ هَبَطْنَاهُ مِنْ رِفْدِ
فَتًى فَاتَتِ الْعَدْوَى منَ الناسِ عَيْنُهُ ... فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَه كَثْرَةُ الرُّمْدِ
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِى عَلَى العِدَى ... بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ
ومَبْثُوثَةً[٦] لا تُتَّقَى بَطَلِيعَةٍ ... ولا يُحْتَمَى منها بغَوْرٍ ولا نَجْدِ
يَغِضْنَ إِذَا ماغِرْنَ فى مُتَفَاقِدٍ[٧] ... مِنَ الكُثْرِ غَانٍ بالبعيدِ عن الحَشْدِ

---

(١) الأثر : فرند السيف . وهو ماؤه وجوهره .

(٢) المدجج : المغطى بالسلاح . البدادان : جانبا السرج .

(٣) ديوانه (٢ : ٦١) ، من قصيدة قالها وقد ورد عليه كتاب من عضد الدولة يستزيره ، فسار إليه ، وودع ابن العميد.

(٤) النجائب : جمع نجيب ، وهو الكريم من الإبل .

(٥) الأساود : الأفاعى .

(٦) المبثوثة : الغارة التى تشن . وهذه الكلمة معطوفة على « كتائب » فى بيت قبله وهو :

إذا ارتقبوا صبحا رأوا قبل ضوئه ... كتائب لا يردى الصباح كما تردى

(٧) فى الأصلين : « عدن » . وفى الديوان « يغصن » بالصاد . المتفاقد الذى يفقد بعضه بعضاً كثرته واضطرابه .

حَنَتْ كلُّ أَرْضٍ تُرْبَةٌ فى[1] غُبَارِهِ ... فَهُنَّ عليه كالطَّرَائِقِ[2] فى الْبُرْدِ

وقوله[3]:

أَرُوحُ وقد خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِى ... بحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بهِ سِوَاكَا
لعَلَّ اللّٰهَ يجْعَلُهُ رَحِيلاً ... يُعِينُ عَلَى الإقَامَةِ فى ذَرَاكَا[4]
ولو أَنِّى اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفى ... فلم أُبْصِرْ بهِ حتى أَرَاكَا
وكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ ليس يدرى ... أَيَعْجَبُ مِنَ ثَنَائى أم عُلَاكَا
وفى الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بوَجْدٍ ... وآخَرُ يَدَّعِى مَعَهُ اشْتِرَاكَا
إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فى خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى
وأَيًّا شِئْتِ ياطُرُقى فَكُونى ... أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أو هلاكَا
فلوْ سِرْنَا وفى تَشْرِينَ خَمْسٌ ... رَأَوْنى قَبْلَ أَنْ يَرَوُا السِّمَاكَا[5]

وقوله[6]:

وَما زِلْتُ أَطْوِى الْقَلْبَ قبلَ اجْتِماعِنا ... عَلَى حَاجَةٍ بينَ السَّنَابِكِ[7] وَالسُّبْلِ
ولو لم تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنفُسٍ ... غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الأَهلِ
وخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ ... أَبَتْ رَعْيَهَا إلا ومِرْجَلُنَا يَغْلِى

وقوله[8]:

---

(١) فى الأصلين: « من ». (٢) الطرائق هنا: الخطوط فى الشىء.

(٣) ديوانه (٢ : ٣٨٧)، من قصيدة قالها عند وداع سيف الدولة.

(٤) الذرى: الكنف والناحية.

(٥) تشرين: شهر من أشهر الفرس، وهو أول سنتهم؛ والسماك يرى فى هذا الوقت نفسه

(٦) ديوانه (٣ : ٢٩٣)، من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس.

(٧) السنابك: مقادم الحوافر.

(٨) ديوانه (٤ : ٦٤)، من قصيدة يمدح فيها على بن إبراهيم التنوخى.

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمُ ... طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ(١)
كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ ... لَا صِغَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمُ
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا ... وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً(٢) كَتَمُوا
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمُ(٣) ... أَنَّهُمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا
إِنْ بَرَقُوا(٤) فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ... أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ
أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ(٥) وَاجْتَهَدُوا ... فَقَوْلُهُمْ : « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ
أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ ... فَإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ لَهَا حُزُمُ
أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَاقِحاً(٦) أَخَذُوا ... مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا
تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ ... كَأَنَّهَا فِي نُفُوسِهِمْ شِيَمُ
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ ... فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُتَّهَمُ

وقوله(٧) :

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ ... يَتَبَارَيَانِ دَماً وَعُرْفاً(٨) سَاكِباً
إِنْ تَلْقَهُ لَا تَلْقَ إِلَّا جَحْفَلاً ... أَوْ قَسْطَلاً(٩) أَوْ طَاعِناً أَوْ ضَارِباً
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا ... فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلاً وَقَوَاضِباً
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا ... تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِساً وَجَنَائِبَا
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا ... زِنْجاً تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالاً شَائِبَا

(١) النحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة ، والكماة : جمع كمى وهو المستتر فى سلاحه، والحلم : البلوغ . يقول: بلوغ الغلام عند هؤلاء الممدوحين أن يحمل على الأعداء فى الحرب فيطعنهم .

(٢) الصنيعة : ماصنعوا من المعروف ؛ يقول : إذا عادوا فإنهم يظاهرون بالعداوة ، وإذا اصطنعوا صنيعة أخفوها . (٣) الاعتداد : مايعتد به ؛ يريد أنهم لايعتدون بصنيعهم وإنعامهم؛ كأنهم لم يعلموا بذلك . (٤) برقوا : خوفوا وهددوا .

(٥) الغموس : هى اليمين التى من كذب فيها غمسته فى الإثم .

(٦) اللاقح : الحرب الشديدة .

(٧) ديوانه (١ : ١٢٥) ، من قصيدة يمدح فيها على بن منصور الحاجب .

(٨) عرفا : معروفا . (٩) الجحفل : الجيش . القسطل : الغبار .

كالبَحْرِ يَقْذِفُ لِلقَرِيبِ جَوَاهِراً جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحائِبَا

وقوله يصف كلباً[١] :

فَحلَّ كَلاَّبِى[٢] وَثَاقَ الْأَحْبُلِ
عن أشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ[٣] مُسَلْسَلِ
مُؤَجَّدِ الفِقْرَةِ[٤] رِخْوِ المَفْصِلِ
لَهُ إِذَا أَدْبَرَ لَحْظُ المُقْبِلِ
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدْوَ المُسْهِلِ
يُقْعِي جلُوسَ الْبَدَوِيّ المُصْطَلِي
بأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لم تُجْدَلِ
فُتْلِ الْأَيادِى رَبِذَاتِ[٥] الْأَرْجُلِ
آثارُها أمْثالُها فى الجَنْدَلِ
يَكادُ فى الْوَثْبِ منَ التَّفَتُّلِ[٦]
يَجمعُ بين مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ
وبين أَعْلاَهُ وبين الْأَسْفَلِ

وقوله[٧] .

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٠٣) ، من قصيدة يصف فيها كلباً أرسله أبو على الأوراجى على ظبى.

(٢) الكلاب : الذى يسوق الكلاب ويصيد بها .

(٣) الأشدق : الواسع الشدق : والمسوجر : الذى فى رقبته ساجور ؛ القلادة أو الخشبة التى توضع فى عنق الكلب . (٤) مؤجد : قوى موثق . رخو المفصل . شديد المتن لين المفاصل.

(٥) فتل : جمع فتلاء وهى اليد التى بانت عن الصدر فلم يمسها عند العدو . الربذات : الخفيفات السريعات . (٦) التفتل : الانفتال ؛ وهو السرعة .

(٧) ديوانه (٣ : ٢١٣) ، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ، وقد فصد لعلة .

أغرُّ أعْـــداؤُهُ إذَا سَلِمُوا ... بالْهَرَبِ استَـكْثَرُوا الّذى فعلُوا
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كلِّ سَابحَةٍ(١) ... أَرْبعُهَا قَبْـلَ طَرْفِهَا تَصِلُ
جَرْدَاءَ مِلْءِ الحِزَامِ مُجْفَرَةٍ ... تـكُونُ مِثْلَىْ عَسِيبِها الخُصَلُ(٢)
إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتُ: لا تَلِيلَ(٣) لهَا ... أَوْ أَقْبلَتْ قَلْتُ: مَا لهَا كَفَلُ
سَارٍ ولاَ قَفْرَ فى(٤) مَوَاكِبِهِ ... كأنّمَا كلُّ سَبْسَبٍ(٥) جَبَلُ
إنّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا ... مَادونَ أَعمارِهِمْ فقَدْ بَخِلُوا
كَتِيبةٌ(٦) لَسْتَ رَبَّهَا نَفَلٌ ... وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ

ثم وصف خطأ الفاصد فقال:

عُــذْرُ الْمَلُومَيْنِ فِيكَ أنّهُمَا ... آسٍ(٧) جَبَانٌ ومِبْضَعٌ بَطَلُ
مَدَدْتَ فى رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا ... ومَا دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الأَمَلُ
خَامَرَهُ إذْ مَدَدْتَهَا جَزَعٌ ... كأنّهُ مِنْ حَذَاقَةٍ عَجِلُ(٨)
أبْلَغُ مايُطْلَبُ النّجَاحُ به الطَّبْـ ... ـعُ وعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وقوله(٩):

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فمَا تُجَارَى ... وجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فمَا تَعَالَى

---

(١) السابحة: الفرس التى كأنها تسبح فى جريها.

(٢) الجرداء: القليلة الشعر. مجفرة: واسعة الجوف. العسيب: عظم الذنب.

(٣) التليل: العنق. والكفل: الردف. (٤) فى الأصلين: «من».

(٥) السبسب: المتسع المستوى من الأرض.

(٦) الكتيبة: الجماعة من الخيل. والنفل: الغنيمة. والعطل: التى لا حلى عليها. يقول: كل جماعة لست أميرها، فهى غنيمة لمن وجدها؛ وكل بلدة لست زينتها فهى عاطل.

(٧) الآسى: الطبيب، والمبضع: حديدة الفاصد، والبطل: الشجاع.

(٨) خامر: خالطه، والحذاقة: الحذق.

(٩) ديوانه (٣ : ٢٣١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

وأُقْسِمِ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لما صَلَحَ العِبَادُ لَهُ شِمَالَا

أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ ... وإنْ طَلَعتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالَا

وقوله[1] :

مَحِكٌ[2] إذا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ ... جَعلَ الْحُسَامَ بِما أرادَ كَفِيلَا

أَعْدَى الزَّمانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ... ولَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمانُ بَخِيلَا

ثم وصف الأسد فقال[3] :

وَقَعتْ عَلَى الأُرْدُنِّ[4] مِنهُ بَلِيَّةٌ ... نَضَدَتْ بِها هَامَ الرِّفَاقِ تُلُولَا

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابِسٌ ... فِي غِيلِهِ[5] مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلَا

مَا قُوبِلَتْ عَيناهُ إلاَّ ظُنَّتَا ... تَحْتَ الدُّجَى نارَ الْفَرِيقِ[6] حُلُولَا

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ ... فكأنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلَا

ويَرُدُّ غُفْرَتَهُ[7] إلى يَافُوخِهِ ... حتى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إكْلِيلَا

وتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عَنْها بِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا

قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فكأنَّمَا ... رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكُولَا[8]

أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ[9] دُونَها ... وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلَا

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إقْدَامِهِ ... وتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا

أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا ... مَتْنًا أَزَلَّ وسَاعِدًا مَفْتُولَا[10]

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٣٥) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ، ويذكر الأسد .

(٢) المحك : اللجوج .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٣٧) .

(٤) الأردن : موضع بالشام .

(٥) الغيل : الأجمة .

(٦) الفريق : الجماعة .

(٧) الغفرة : الشعر اجتمع على قفاه .

(٨) شكل الدابة : شد قوائمها بحبل .

(٩) بربر : صاح .

(١٠) الأزل : القليل اللحم .

في مَرْجِ ظَامِئَةِ الفُصُوصِ طِمِرَّةٍ(١) … يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلا
نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا … تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلاَ
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا … وَتَظُنُّ عَقْدَ عِنَانِهَا مَحْلُولاً(٢)
ما زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ … حَتى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولاَ
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ(٣) كَأَنَّهُ … يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلاَ
أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ … فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاَ
وَالْعَارُ مَضَّاضٌ(٤)، وَلَيسَ بِخَائِفٍ … مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلاَ
قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ … فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْلُولاَ

ولولا أبياتُ البحتريّ في هذا المعنى لعددتُ هذه من أفراد أبي الطيب؛ لكن البحتريَ قال يصف قتْل الفتح بن خاقان أسداً عَرَض له(٥) :

غداةَ لقيتَ اللَّيثَ والليثُ مُخْدِرٌ … يحدِّدُ نَاباً لِلِّقَاءِ ومِخْلَبا
يحصِّنه من نهر نيزك مَعْقِلٌ … مَنيعٌ تَسَامَى غَابُه وتَأَشَّبا(٦)
إِذَا شَاءَ غَادَى عانةً(٧) أَوغَدَا عَلَى … عقائلِ سِرْبٍ أو تَقَنَّصَ رَبْرَبا(٨)
يجرّ إلى أشْبالِهِ كلَّ شارقٍ … عبيطاً مُدَمًّى أو رَميلا مُخَضَّبا(٩)

---

(١) ظامئة الفصوص : عطاش ليست برخوة رهلة . طمرة : وثابة .

(٢) السوالف : جمع سالفة، وهي صفحة العنق . استحضرتها : حملتها على الحضر، وهو العدو.

(٣) الحجار : الأحجار . الحضيض : قرار الأرض عند منقطع الجبل .

(٤) مضاض . موجع ومحرق . والحتف : الهلاك .   (٥) ديوانه (١ : ٥٦) .

(٦) في الديوان : «تسامى روضه» . تأشب : التف .

(٧) العانة : القطيع من حمر الوحش .

(٨) تقنص : اقتنص ، اصطاد . الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٩) العبيط؛ من عبط الذبيحة إذا نحرها من غير علة وهي سمينة فتية . الرميل : الملطخ بالدم .

لم أر ضِرْغامَيْنِ أصدق منكما عِراكا إذَا الهيَّابَةُ النِّكْسُ[1] كَذّبا
هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِي هِزَبْرًا وأغلَبٌ من القوم يَغْشَى باسِلَ الوجْهِ أَغْلبا
أذلَّ بشَغْب[2] ثم هالته صَوْلَةٌ رآك لها أمضَى جَنَانًا وأشْغبَا
فأَحْجَم لما لم يجدْ فيك مَطْمعاً وأَقْدَمَ لما لم يجدْ عَنك مَهْرَبا
حملتَ عليه السيفَ، لاعزمُك انثنى ولا يدُك ارتَدَّتْ ولا حَدُّه نبا
وكنتَ متى تجْمَعْ يمينك تَهتك الـ ضَّريبةَ أولا تُبْقِ للسيف مَضْربا

فاستوفى المعنى ، وأجاد فى الصِّفة ، ووصل إلى المراد . وأما أبو زبيد فإنما وصف خَلْق الأسد وزئيره وجرأته وإقدامه ، وكأنما هو مرعوب أو محذر ، والفضل له على كل حال ، لكن هذا غرضٌ لم يرُمْه ، ومذهب لم يَسْلُكه .

وقوله[3] :

نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بعَاتِقِ مِحْرَبٍ[4] ما كَرَّ قَطُّ وهَلْ يَكَرُّ وما انثنى
أَمْضَى إِرَادَتهُ فَسَوْف له قَدٌ[5] واستقْرَبَ الْأَقْصى فثَمَّ لَهُ هُنا

وقوله[6] :

وَجَـدْتُ الْمُدامَةَ غَلاَّبَةً تُهَيِّجُ لِلقَلْبِ أَشْوَاقَهُ[7]
تُسِيءُ منَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ ولكنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ[8]

---

(١) النكس : الضعيف . (٢) شغبهم وبهم وعليهم : هيج الشر عليهم .

(٣) ديوانه (٤ : ١٩٩) ، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار .

(٤) المحرب : صاحب الحرب المارس لها . والضمير يعود على السيف وإن لم يذكره .

(٥) قد حرف للماضى ، وجعلها بمنزلة الأسماء ؛ فأعربها .

(٦) ديوانه (٢ : ٣٠٠) ، وهى أبيات أنشدها بدر بن عمار حين عرض عليه الصبحة .

(٧) المدامة : الخمر ؛ يقول : إنها تغلب العقول فلا تستطيع مقاومتها .

(٨) أى تسىء أدبه فى اللفظ والحركات ؛ فلا يتقيد بآداب المجلس ، وتحسن أخلاقه بما تظهر فيه من حب السماحة وطيب المفاكهة .

وأَنْفَسُ ما لِلْفَتَى لُبُّـهُ	وذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إنْفَاقَهُ
وقَدْ مُتُّ أَمْسِ بها مَوْتَةً	ولا يَشْتَهِى الموتَ مَنْ ذَاقَهُ(١)

وقوله(٢) :

قِرَانٌ تَلاقَى الصَّلْتُ(٣) فيه وَعامِرٌ	كما يَتَلاقَى الْهِنْدُوانِىُّ والنَّصْرُ
فَجَاءَا بِهِ صَلْتَ(٤) الجبينِ مُعَظَّماً	تَرَى الناسَ قُلاًّ حَوْلَهُ وهُمُ كُثْرُ
وما زِلْتُ حتى قادَنِى الشَّوْقُ نَحوَهُ	يُسَايِرُنِى فى كلِّ رَكْبٍ لهُ ذِكْرُ
وأَسْتَكْبِرُ الأَخْبارَ قبلَ لِقَائِهِ	فلما الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ(٥)
أَزَالَتْ بِكَ الأَيَّامُ عَتْبِى كأَنَّما	بَنُوهَا لها ذَنْبٌ وأنت لها عُذْرُ

وقوله(٦):

وَقَفْنَا كأَنَّا كلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا	تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا(٧) فى القَوَائِمِ
وَدُسْنَا بأَخْفَافِ المَطِىِّ تُرَابَهَا	فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِى بلَثْمِ المَنَاسِمِ
دِيارُ اللَّوَاتِى دَارُهُنَّ عَـزِيزَةٌ	بطُولِ القَنَا يُحفَظْنَ لا بالتَّمَائِمِ
حِسَانُ التَّثَنِّى يَنْقُشُ الوَشْىُ مِثلَهُ	إِذَا مِسْنَ فى أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ
وَيَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثلَهُ	كأَنَّ التَّرَاقِى وُشِّحَتْ بالمَبَاسِمِ(٨)

---

(١) جعل ذهاب عقله بالخمر موتا ، فقال : ومن مات مرة لا يشتهى أن يعود إلى الموت .

(٢) ديوانه (٢ : ١٥٥) ، من قصيدة يمدح فيها على بن أحمد الأنطاكى .

(٣) فى الأصلين : « الصمت » ، تحريف . والقران : مقارنة الكوكبين ، استعارة لاجتماع جديه فى نسبه . والصلت : جد الممدوح لأمه ، وعامر : جده لأبيه . والهندوانى : السيف المطبوع .

(٤) صلت الجبين : واضح الجبين .

(٥) الخبر ، بالضم والكسر : الاختبار .

(٦) ديوانه (٤ : ١١٠) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن عبيد الله بن طغج .

(٧) الأذواد : جمع ذود ؛ وهو مابين الثلاثة إلى العشرة من الإبل .

(٨) التراقى : جمع ترقوة ، وهى العظام التى فوق الصدر . والمباسم : جمع مبسم ، وهو الثغر .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الجَهْلَ دُونَهُ ... إِذَا اتَّسَعَتْ فى الْحِلْمِ طُرْقُ الْمَظَالِمِ
وَأَنْ تَرِدَ المَاءَ الذى شَطْرُهُ دَمٌ ... فَتَسْقِى إِذَا لم يَسْقِ مَنْ لم يُزَاحِمِ
وَمَنْ عَرَفَ الأيامَ مَعْرِفتى بِهَا ... وبالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غيرَ رَاحِمِ

وفيها :

وَذِى لَجَبٍ (١) لَا ذُو الجَنَاحِ أَمَامَهُ ... بناجٍ ، ولا الوحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمِ
تَمُرُّ عليه الشمسُ وَهْىَ كليلةٌ ... تُطَالِعُهُ مِن بين رِيشِ القَشَاعِمِ (٢)
إِذَا ضَوْءُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً ... تَدَوَّرَ فوقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ
أَرَى دون ما بين الفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ (٣) ... ضِرَابًا يُمَشِّى الخَيْلَ فوقَ الجَمَاجِمِ
وطَعْنَ غَطَارِيفٍ كأَنَّ أَكُفَّهُمْ ... عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قبلَ المَعَاصِمِ (٤)
حَمَتْهُ على الأعداءِ مِن كلِّ جَانِبٍ ... سُيُوفُ بَنِى طُغْجِ بْنِ جُفٍّ القَمَاقِمِ (٥)
هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فى حَوْمَةِ الوَغَى ... وأحسنُ مِنْهُ (٦) كَرُّهُمْ فى المَكَارِمِ
ولولا احْتِقَارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُهُم بِهَا (٧) ... ولكنها مَعْدُودَةٌ فى الْبَهَائِمِ

---

(١) اللجب : كثرة الأصوات فى الحرب .

(٢) القشاعم : النسور . ورواية الديوان :

* تمر عليه الشمس وهى ضعيفة *

(٣) برقة : موضع ذو حجارة ورمل وطين . والضراب : المحاربة .

(٤) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح المنسوب إلى ردينة ؛ امرأة من العرب كانت تقوم الرماح . والمعصم : موضع السوار من الساعد.

(٥) الضمير فى حمته يعود إلى « ذى لجب » وهو الجيش ، القماقم : جمع قمقام ، وهو السيد العظيم .

(٦) فى الأصلين : « منها » .

(٧) هكذا بالأصل ، قال فى شرح العكبرى : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه : « شبهتهم بها » . وفى الديوان : « شبهتها بهم » .

كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا لَقِيتُه(١) كأنّهمُ ماجَفَّ مِنْ زَادِ قادِمِ(٢)
وكَادَ سرورى لَا يَفِى بِنَدَامَتى على تَرْكِهِ فى عُمْرِىَ المُتَقَادِمِ

وقوله(٣) :

وشَامِخٍ مِنَ الجِبَالِ أَقْوَدِ(٤)
فَرْدٍ كَيَافوخِ البَعيرِ الأَصْيَدِ(٥)
يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالجَلْمَدِ(٦)
فى مِثْلِ مَتْنِ المَسَدِ المُعَقَّدِ(٧)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الذى لم يُعْهَدِ
[لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ](٧)
بكلِّ مَسْقِىِّ الدِّماءِ أَسْوَدِ
[مُعَاوِدٍ(٨) مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ](٨)
كطالِبِ الثَّأْرِ وإن لم يَحْقِدِ
يَقْتُلُ ما يَقْتُلُهُ ولا يَدِى(٩)
فَثَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِى
كأنه بَدْءُ عِذَارِ الأَمْرَدِ

(١) رواية الديوان :

* كريم نفضت الناس لما بلغتة *

(٢) المعنى : نفضت الناس لما وصلت نفض القادم حثالة زاده ، لاستغنائه عنه بعد القدوم عليه.

(٣) ديوانه (٢ : ٣) . اجتاز الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان ظبيا فتلقفته الكلاب ، فأنشد هذه الأرجوزة مرتجلا .

(٤) الأقود : المنقاد طولا . (٥) الأصيد : الذى فى عنقه اعوجاج من داء به . والصيد : داء يأخذ الإبل فى أعناقها . (٦) الجلمد : الصخر. (٧) المسد : الحبل من ليف أو شعر .

(٨) الزيادة من الديوان . التمرد : اللعب والبطر . (٩) معاود : يعاود الصيد . ومقود : جعل له مقود يقاد به إلى الصيد . ومقلد: له قلادة. (١٠) لايدى: أى لا يطالب بدية ولا تجب عليه دية.

فلم يَكَدْ إلاَّ لِحَتْفٍ يَهْتَدِى
ولم يَقعْ إلا على بَطْنِ يَدِ

وقوله[١] :

فَتًى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وجُدُودُهُ ... قِراعَ العوالى[٢] وابْتِذالَ الرغائبِ[٣]
فقدْ غَيَّبَ الشُّهَّادَ عن كلِّ مَوْطِنٍ ... ورَدَّ إلى أوْطانهِ كلَّ غائبِ
كذا الفاطِمِيُّونَ النَّدَى فى بَنَانِهِمْ ... أعَزُّ امِّحَاءً مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ[٤]
ألا أيُّهَا المالُ الذى قَدْ أبادَهُ ... تَعَزَّ فهذا فِعْلُهُ بالكَتائبِ
لَعَلَّكَ فى وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤَادَهُ ... عن الجودِ أو كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَاربِ

وقوله[٥] :

يرى الجُبَنَاءُ أنَّ الجُبْنَ عَقْلٌ[٦] ... وتلكَ خَديعَةُ الطَّبْعِ اللَّئيمِ
وكَمْ منْ عائبٍ قَوْلاً صحيحاً ... وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقيمِ
ولكنْ تَأْخُذُ الآذانُ مِنْهُ ... على قَدْرِ القَرَائِحِ[٧] والعُلومِ

وقوله[٨] :

---

(١) ديوانه (١ : ١٥٢) ، من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوى .

(٢) فى الأصلين : « الأعادى » ، وهذه رواية الديوان .

(٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى العطية التى يرغب فيها .

(٤) الرواجب : واحدتها راجبة ، وهى مفاصل الأصابع التى تلى الأنامل ، والفاطميون : أولاد فاطمة ، الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل .

(٥) ديوانه (٤ : ١٢٠) ، من قصيدة أنشدها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وقد غزا أنطاكية .

(٦) رواية الديوان :

* يرى الجبناء أن العجز عقل *

(٧) رواية الديوان :

* على قدر القريحة والعلوم *

(٨) ديوانه (٢ : ٣٦٦) ، من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسن بن على بن الحسين ابن الحسين بن حمدان العدوى .

يا بَنى الحارثِ بن لُقْمَانَ لا تَعْـ ـدَمْكُمُ فى الْوَغَى مُتُونُ العِتَاقِ (١)
بَعَثُوا الرُّعْبَ فى قُلُوبِ الْأَعادِ ىّ فكان الْقِتَالُ قبلَ التَّلاقِى
وتكادُ الظُّبَى لِمَا عوَّدُوها تَنْتَضِى نَفْسَهَا إلى الأَعْناقِ
وإذا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْـ ـعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الإشفاقِ
كلُّ ذِمْرٍ يزيدُ فى الموتِ حُسْناً كَبُدُورٍ تَمَامُها فى المُحاقِ (٢)
جاعِلٍ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إنْ لم يكنْ دونها منَ العَارِ وَاقِ
كَرَمٌ خَشَّنَ الجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهْوَ كالماء فى الشِّفَارِ (٣) الرِّقَاقِ
ومَعَالٍ إذَا ادَّعَاها سِوَاهُمْ لَزِمَتْهُ خِيَانَةُ السُّرَّاقِ

وقوله : (٤)

سِرْ حَلَّ حيث تَحُلُّهُ النُّوَّارُ (٥) وأرادَ فيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ
وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلامَةٌ حيث اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ (٦) مِدْرَارُ
وأَرَاكَ دَهْرُكَ ماتُحَاوِلُ فى العِدَى حتى كأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ
أَنتَ الذى بَجِحَ (٧) الزمانُ بذِكرِهِ وتَزَيَّنَتْ بحَدِيثِهِ الْأَسْمَارُ

وقوله فى بازٍ أطلق (٨) :

وطائرةٍ تَتَبَّعُهَا المَنَايَا عَلَى آثارِها زَجِلُ الجَنَاحِ (٩)

---

(١) الحارث بن لقمان : جد أبى العشائر (الممدوح) . والعتاق : الخيل الكرام .

(٢) الذمر : الرجل الشجاع ، والمحاق ــ بضم الميم وكسرها : نقصان القمر فى أواخر الشهر .

(٣) الشفار جمع شفرة ، وهى حد السيف ، والرقاق : الحداد القاطعات .

(٤) ديوانه (٢ : ٨٦) ، يمدح سيف الدولة .

(٥) فى رواية :

* سر حيث شئت يحله النوار *

(٦) الديمة : المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق . والمدرار : الدائم الدر .

(٧) بجح ، بالكسر ويفتح : فرح .

(٨) ديوانه (١ : ٢٥٩) ، وهى أبيات أنشدها وقد أرسل أبو العشائر بازيا على حجلة فأخذها .

(٩) زجل الجناح : الذى يضرب بجناحيه إذا طار .

كأنَّ رُءوسَ أقلامٍ غِلاظٍ ... مُسِحْنَ بريشِ جُؤْجُئِه الصِّحَاحِ (١)
فأقْعَصَها بحُجْنٍ (٢) تحتَ صُفْرٍ ... لها فِعْلُ الأَسِنَّةِ والرِّماحِ (٣)
كأنَّ الريشَ منهُ في سِهامٍ ... على جَسَدٍ تَجَسَّمَ مِنْ رِياحِ
فقُلْتُ: لكلِّ حَيٍّ يومُ سُوءٍ ... وإنْ حَرِصَ النفُوسُ عَلَى الفَلاحِ

وقوله (٤):

فَوَاهِبٌ والرِّماحُ تَشْجُرُه (٥) ... وَطاعِنٌ والهِبَاتُ مُتَّصِلَهْ
وكلما آمَنَ البِلادَ سَرَى ... وكلما خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَهْ
وكلما جاهَرَ العَدُوَّ ضُحًى ... أمْكَنَ حتى كأنهُ خَتَلَهْ

وقوله (٦):

أنَا مِنْكَ بين فَضائلٍ ومكارمٍ ... ومِنَ ارْتياحِكَ في غَمامٍ دائمِ
ومِنَ احْتِقارِكَ (٧) كلَّ ماتَحْبُوبهِ ... فيما أُلاحِظُهُ بعَيْنَيْ حَالمِ
إنَّ الخليفةَ لم يُسَمِّكَ سيفَها (٨) ... حتى ابْتَلاكَ فكُنْتَ عَينَ الصَّارمِ
فإذا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ... وإذا تَخَتَّمَ كُنتَ فَصَّ الخاتَمِ (٩)

---

(١) الجؤجؤ : صدر الطير ؛ يريد نقش صدره ، فشبه سواد صدره برءوس أقلام غلاظ مسحن في ثوب أبيض . (٢) القعص : دق العنق ، وهو الموت السريع ؛ وحجن : جمع أحجن ، أحجن المخالب : معوجها . (٣) في الأصلين : « فعل الأسنة والصفاح » .

(٤) ديوانه (٣ : ٢٧٣) ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحمداني .

(٥) تشجره : تنفذ فيه وتخالطه .

(٦) ديوانه (٣ : ٣٤٩) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة .

(٧) في الأصلين : « ومن ارتياحك » .

(٨) الهاء في « سيفها » للدولة . والابتلاء : التجربة والاختبار .

(٩) تتوج : لبس التاج . يقول : الخليفة يتجمل بك ؛ كما يتجمل بالتاج والخاتم .

وإذا انْتَضَاكَ على العِدَى فى مَعْرَكٍ هَلَـكوا وضاقَتْ كَفُّهُ بالقائمِ (١)
أَبْدَى سَخَاؤُكَ عَجْزَ كلِّ مُشَمِّرٍ فى وَصْفِه وَأَضاق ذَرْعَ الـكاتِمِ

وقوله (٢) :

فـكأنها (٣) والدمعُ يَقْطُرُ فَوْقَها ذَهَبٌ بِسِمْطَىْ لُؤْلُوٍ قَدْ رُصِّعا
نَشَرَتْ (٤) ثَلاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فى لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِىَ أَرْبَعَا
واسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّماءِ بوَجْهِها فأَرَتْنِىَ القَمَرَيْنِ فى وَقْتٍ مَعَا

وقوله (٥) :

وشَـكِيّتى (٦) فَقْدُ السَّقَامِ لأنه قد كان لَمَّا كان لِى أَعْضاءُ
مَثَّلْتِ عَيْنَكِ فى حَشَاىَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهما نَجْـلاءُ

قوله : «فَتَشَابَهَا» كان حقُّه «فتَشَابَهَتا» ، ولـكن حمل الجِراحة على الجرح والعين على العضو .

نَفَذَتْ علىَّ السَّابِرِىِّ وربمـا تَنْدَقُّ فيه الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ (٧)

وقوله (٨) :

كأنَّ العِيسَ كانت فوقَ جَفْنى مُنَاخاتٍ فلمَّا سِرْنَ (٩) سَالَا

---

(١) المعرك : الحرب ، وقائم السيف : ما يكون فى يد الضارب .

(٢) ديوانه (٢ : ٢٦٠) ، من قصيدة يمدح فيها عبد الواحد بن العباس الكاتب .

(٣) الضمير فى كأنها للصفرة فى البيت قبله ، وهو :

سفرت وبرقعها الحياة بصفرة ستَرت محاجرها ولم تك برقعا

(٤) فى الديوان :

* كشفت ثلاث ذوائب من شعرها *

(٥) ديوانه (١ : ١٤) ، من قصيدة يمدح فيها هارون بن عبد العزيز الأدراجى .

(٦) الشكية والشكوى والشكاية بمعنى . (٧) الصعدة : القنـاة التى نبتت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم ، والسابرى : الدرع العظيمة التى لاينفذها شىء ؛ وقيل السابرى : الثوب الرقيق .

(٨) ديوانه (٣ : ٣٢٢) ؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار .

(٩) رواية الديوان : « ثرن » : أى أثاروها للرحيل .

لَبِسْنَ الْوَشْىَ لا مُتَجَمِّلَاتٍ ... ولٰكِنْ كَىْ يَصُنَّ بِهِ الجَمالَا
بدَتْ قَمَرًا ومَالَتْ خُوطَ[١] بَانٍ ... وفَاحَتْ عَنبراً ورَنَتْ غزالَا

وقوله[٢] :

كانَتْ مِنَ الكَحْلَاءِ سُولِى إنَّمَا ... أَجَلِى تَمَثَّلَ فى فُؤَادِىَ سُولَا[٣]
أَجِدُ الْجَفَاءَ على سِوَاكِ مُروءَةً ... والصَّبْرَ إلاَّ فى نَوَاكِ جَمِيلَا
وأَرَى تَدَلُّلَكِ الكَثِيرَ مُحبَّبًا ... وأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا
تَشْكُو رَوَادِفَكِ المَطِيَّةُ فَوْقَهَا ... شَكْوَى الَّتى وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلَا

وقوله[٤] :

الْحُبُّ ما مَنَعَ الكَلامَ الأَلْسُنَا ... وأَلَذُّ شَكْوَى عاشِقٍ مَا أَعْلَنَا
لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِى هَجْرَ الكَرَى ... مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِى صِلَةَ الضَّنَى[٥]
بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا ... أَلْوَانُنا مِمَّا امْتُقِعْنَ تَلَوُّنَا[٦]
وتَوَقَّدَتْ أَنفاسُنَا حَتى لَقَدْ ... أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ[٧] العَوَاذِلُ بَيْنَنَا
أَفْدِى المُوَدِّعَةَ الَّتى أَتْبَعْتُها ... نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا[٨]
أَنْكَرْتُ طارِقَةَ الْحَوادِثِ مَرَّةً ... ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِها فصَارَتْ دَيْدَنَا[٩]

---

(١) الخوط : القضيب ، والعنبر : ضرب من الطيب .

(٢) ديوانه (٣ : ٢٣٣) ؛ من قصيدة يمدح فيها **بدر بن عمار** .

(٣) الكحلاء : التي بعينيها كحل . سولى ؛ أى سؤلى ، وأصله مهموز . والأجل : المدة.

(٤) ديوانه (٤ : ١٩٥) ؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل .

(٥) الجرم : الذنب . (٦) بنا : تفرقنا . وحليتنا : وصفتنا . وامتقع لونه : إذا تغير حياء أو خيفة . (٧) أراد أن تحترق . وأشفقت : خفت .

(٨) أراد «ثناء» ، وقصر للقافية . كذلك سكن زفرات لضرورة الشعر .

(٩) الديدن : العادة .

وقوله (١) :

إِلاَمَ (٢) طَمَاعِيَةُ الْعَاذِلِ ... ولاَ رَأْىَ فى الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
يُرَادُ منَ الْقَلبِ نِسْيانُكُمْ ... وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (٣)
وإنِّى لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ ... نُحُولِى وكلَّ فَتًى (٤) نَاحِلِ
وَلوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ ... بَكَيتُ عَلَى حُبِّىَ الزَّائِلِ
أَيُنْكِرُ خَدِّى دُمُوعِى وقَدْ ... جَرَتْ مِنْهُ فى مَسْلَكٍ سَابِلِ (٥)
أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ... وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ
وَهَبتُ السُّلُوَّ لِمَنَ لاَمَنِى ... وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فى شاغِلِ
كأَنَّ الْجُفُونَ (٦) عَلَى مُقْلَتِى ... ثِيابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ

وقوله (٧) :

ومَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً (٨) ... ولَكِنَّنِى لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ
وإنَّ رَحِيلاً واحداً حَالَ بَيْننا ... وفِى المَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيل رَحِيلُ
إِذَا كانَ شَمُّ الرَّوْحِ (٩) أدنَى إليْكمُ ... فَلاَ بَرِحَتْنِى رَوْضَةٌ وقَبولُ

(١) ديوانه (٣ : ٢١) ؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ، ويذكر استنقاذه تغلب بن داود من الأسر . (٢) إلى : من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من « ما » استخفافا ، وكذلك يفعلون فى : بم ، فيم ، عم . والطماعية : مصدر كالطمع . (٣) يريد إن الطبيعة لا تنقاد لناقلها ، ولا تتأتى لمخالفها .

(٤) فى الديوان :

* نحولى وكل امرىء ناحل *

(٥) المسلك السابل : الطريق الجادة . (٦) فى الأصلين : « جفونى » .

(٧) ديوانه (٣ : ٩٥) ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة .

(٨) سلوة ، منصوب بفعل محذوف تقديره : ماسلوتهم سلوة ، أو بإسقاط حرف الجر ، عن سلوة . أو مفعول له . (٩) الروح : نسيم الرياح .

وَما شَرَقِى بالْمَاءِ إلاَّ تَذَكُّرًا ... لِمَاءٍ بِهِ أهْلُ الحبيبِ نُزُولُ
يُحَرِّمُهُ لَمعُ الأسِنَّةِ فَوْقَهُ ... فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصولُ
أَمَا فى النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وغَيْرِها ... لِعَينى عَلَى ضَوْءِ السَّماءِ دَليلُ
أَلَمْ يرَ هذا اللَّيلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيتى ... فَتَظْهرَ فيهِ رِقَّةٌ ونُحُولُ
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ[1] الْفَجْرَ لُقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِى واللَّيلُ فيه قَتِيلُ
ويَوْمًا كأَنَّ الحُسْنَ فيه عَلامَةٌ ... بَعَثْتِ بها والشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ

وقوله[2] :

دِمَنٌ تَكاثَرَتِ الْهمومُ عَلَىَّ فِى ... عَرَصَاتِها كتَكاثُرِ اللُّوَّامِ
فكأَنَّ كلَّ سَحَابةٍ وَكَفَتْ بها ... تَبْكِى بِعَيْنَى عُروَةَ بنِ حِزَامِ[3]
ولَطَالَمَا أفنَيتُ رِيقَ كِعَابِهَا[4] ... فِيها وأفنَتْ بالعِتَابِ كلامِى

وقوله[5] :

شَامِيَّةٌ[6] طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا ... تُبْصِرُ فى نَاظِرِى مُحَيَّاهَا
فَقَبَّلَتْ ناظرِى تُغَالِطُنِى ... وإنما قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا
تَبُلُّ خَدَّىَّ كلَّمَا ابْتَسَمَتْ ... مِنْ مَطرٍ بَرْقُهُ ثَنَاياهَا
ما نَفَّضَتْ فى يَدِى غَدَائِرُهَا ... جَعَلْتُهُ فى المُدَامِ أفْوَاهَا[7]

---

(١) درب القلة : موضع ببلاد الروم .
(٢) ديوانه (٤ : ٧) ، من قصيدة قالها فى صباه .
(٣) عروة بن حزام : صاحب عفراء ، أحد العشاق المشهورين .
(٤) الكعاب : الكاعب ، وهى الجارية التى قد كعب نهدها .
(٥) ديوانه (٤ : ٢٧٠) ؛ من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة .
(٦) شامية : نسبة إلى الشام . والمحيا : الوجه .
(٧) ما: يجوز أن تكون بمعنى الذى؛ فتكون مبتدأ خبره « جعلته » ، وأن تكون شرطية . والغدائر : الضفائر . والمدام : الخمر . وأفواه الطيب : أخلاطه . يقول : ضفائرها لكثرة الطيب فيها ينتفض الطيب منها ، فالذى ينتفض على منها من الطيب يطيب به الخمر .

فى بَلَدٍ تُضْرَبُ الحِجَالُ[(١)] بِهِ ... على حِسَانٍ ولَسْنَ أشْبَاهَا
لَقِينَنَا والحُمُولُ[(٢)] سائرةٌ ... وهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أمْوَاهَا
كلٌّ مَهَاةٍ كأنَّ مُقْلَتَها ... تَقُولُ إيَّاكُمُ وإيَّاهَا

وقوله[(٣)] :

أَوَمَا وَجَدْتُمْ فى الصَّرَاةِ مُلُوحَةً ... مِمَّا أُرَقْرِقُ فى الفُرَاتِ دُمُوعِى[(٤)]
رَحَلَ العَزَاءُ بِرِحْلَتِى فَكَأَنَّمَا ... أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

وقوله[(٥)] :

ما كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فى الثَّرَى ... أنَّ الكَوَاكِبَ فى التُّرَابِ تَغُورُ[(٦)]
ما كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أنْ أرَى ... رَضْوَى على أيْدِى الرِّجَالِ تَسِيرُ[(٧)]
خَرَجُوا بِهِ ولِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ ... صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ[(٨)]
والشَّمْسُ فى كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ ... والأرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ[(٩)]
وحَفِيفُ أَجْنِحَةِ المَلَائِكِ حَوْلَهُ ... وعُيُونُ أَهْلِ اللَّاذِقِيَّةِ صُورُ[(١٠)]
حَتَّى أَتَوْا جَدَثاً[(١١)] كأنَّ ضَرِيحَهُ ... فى قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ

---

(١) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس .
(٢) الحمول : الإبل التى تحمل الهوادج؛ كان فيها نساء أو لم يكن .
(٣) ديوانه (٢ : ٢٤٨) ، من أبيات قالها فى صباه .
(٤) الصراة : نهر يأخذ من الفرات ، فينسكب فى دجلة . ورقرق الماء : إذا صبه .
(٥) ديوانه (٢ : ١٢٩) ، من قصيدة يرثى فيها محمد بن إسحاق التنوخى .
(٦) تغور : تذهب وتختفى . (٧) رضوى : اسم جبل فى المدينة ؛ شبه المرثى به لعظمته وفخامة قدره . (٨) الطور : جبل كلم الله موسى عليه .
(٩) الواجفة : المضطربة ، وتمور : تذهب وتجىء .
(١٠) الملائك : جمع ملك على غير قياس . وصور : جمع أصور ، وهو المائل .
(١١) الجدث : القبر .

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ   لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

وقوله[(١)]

نَفَرٌ إِذَا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ   عَنْهَا فَآجَالُ العِبَادِ حُضُورُ

وقوله[(٢)]:

وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيماً!   وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِى حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ   نَصِيبُكَ فِى مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ[(٣)] حَتَّى   فُؤَادِي فِى غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِى سِهَامٌ   تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ[(٤)]
وَهَانَ[(٥)] فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا   لِأَنِّى مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي
وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا   لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِى ذَا الْجَلَالِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ   وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ[(٦)]   عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً   وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِى كَرَمِ الْخِلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصاً   جَدِيداً ذِكْرُنَاهُ[(٧)] وَهُوَ بَالِي

وفيها:

---

(١) ديوانه (٢ : ١٣٣) ، من القصيدة السابقة .

(٢) ديوانه (٣ : ٨) ، من قصيدة يرثى فيها والدة سيف الدولة .

(٣) الأرزاء : جمع رزء ، وهى المصيبات . والغشاء : ما يغطى الشيء ويشمله .

(٤) النصال : جمع نصل ، وهى الحديدة التى فى السهم .

(٥) أضمر الفاعل لدلالة الكلام عليه ، والتقدير : وهان رمى الدهر ، لدلالة قوله : رمانى الدهر .

(٦) الحنوط : طيب يستعمل فى غسل الميت .

(٧) رفع « ذكرناه » بجديد ؛ ووضع الضمير المتصل مكان المنفصل كما فى قوله تعالى : (أنلزمكموها) .

أَتَتْهُنَّ المَصَائِبُ[١] غافِلاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ فى[٢] دَمْعِ الدَّلالِ
ولوْ كان النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجالِ

وقوله[٣] :

أَجِدُ الحُزْنَ فِيكَ حِفظاً وَعَقْلاً وأَرَاهُ فى الخَلْقِ ذُعْراً وَجَهْلا
لَكَ إِلْفٌ[٤] يَجُرُّهُ وَإِذَا ما كَرُمَ الأصلُ كان لِلْإِلْفِ أَصْلا
ووَفَاءٌ نَبَتَّ فيـــهِ ولـكنْ لم يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلا
إنَّ خيرَ الدُّمُوعِ عَوْناً لَدَمْعٌ بَعَثَتْهُ رِعايَةٌ فاسْتَهَلَّا[٥]
أين ذى الرِّقَّةُ التى لَكَ فى الحَرْ بِ إذَا اسْتُكْرِهَ الحديدُ وصَلَّا[٦]
أَيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الـ رُّومَ والهَامُ بالصَّوَارِمِ تُفْلَى[٧]
قَاسَمَتْكَ المَنُونُ شَخصَيْنِ جَوْراً جَعَلَ القِسْمُ نفسَهُ فيكَ عَدْلا
فإذا قِسْتَ ما أَخَذْنَ بما غَا دَرْنَ[٨] سَرَّى عَنِ الفُؤَادِ وسَلَّى
وتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى
وَلعَمْرِى لقَدْ شَغَلْتَ المَنَايا بالأعادى فـكيفَ يَطْلُبْنَ شُغْلا

---

(١) رواية الديوان :

* أتتهن المصيبة غافلات *

(٢) فى الأصلين : « مع » .

(٣) ديوانه (٣ : ١٢٤) ، من قصيدة يعزى فيها سيف الدولة بأخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى . (٤) الإلف : السكون إلى الشيء والغبطة به ، يجره : يسحب إليك الحزن .

(٥) الاستهلال : الانسكاب . (٦) صل الحديد : إذا صوت .

(٧) تفلى : تفصل

(٨) فى الديوان : «أغدرن» ، وهو مثل غادرن . وسرى : أذهب . وسلى : عزى .

وكم انتَشْتَ بالسيوفِ مِن الدَّهْـ[١] ـرِ أسِيرًا وبالنَّوالِ مُقِلاًّ
عَدَّهَا نُصْرَةً عليه فلمَّا صال[٢] خَتْلاً رآهُ أدْرَكَ تَبْلاَ[٣]
وإذا لم تجدْ منَ الناسِ كُفوًا ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ المَوْتَ بَعْلاَ
ولذيذُ الحياةِ أنفَسُ فى النَّفْـ ـسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يملَّ وَأَحْلَى
وإذا الشيخُ قال أُفٍّ فمَا مَـ ـلَّ حَيَاةً وإنما الضَّعْفَ مَلاَّ
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فإذا وَلَّيَا عَنِ المَرْءِ وَلَّى
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ ما تَهَبُ الدُّنْـ ـيا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كانَ بُخْلاَ
وَهْىَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لاتَحْـ ـفَظُ عَهْداً ولا تُتَمِّمُ وَصْلاَ
كلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْها عليها وَبفَكِّ الْيَدَيْنِ عنها تُخَلَّى
شِيَمُ الغَانِيَاتِ فيها فلا أَدْ رِى لِذَا أَنَّثَ اسْمَها النَّاسُ أم لا[٤]
يامَلِيكَ الْوَرَى الفَرِّقَ مَحْياً وَمَمَاتاً فيهمْ وعِزًّا وَذُلاًّ
قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفُها أَنْـ ـتَ حُسَاماً بالمَكْرُماتِ مُحَلَّى
فَبِهِ أَغْنَتِ المَوَالِيَ بَذْلاً وبهِ أَفْنَتِ الأعادىَ قَتْلاَ
أَيُّها البَاهِرُ العُقُولَ فَما يُدْ رَكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِى فَمَهْلاَ
مَنْ تعَاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أَعْيا هُ وَمَنْ دَلَّ فى طَرِيقِكَ ضَلاَّ
وإذا ما اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ قال لا زُلْتَ أو نَرَى لك مِثْلا[٥]

---

(١) انتاشه من صرعة : إذا نعشه . (٢) فى الأصلين : « صار » .

(٣) الضمير فى رآه للدهر . صال : وثب . والتبل : الحقد والعداوة . والختل : افتراس الشىء على خديعة وحين غفلة .

(٤) الشيم : الطبائع . والغانيات : النساء الشواب . يريد أن الدنيا طبعها طبع الغوانى؛ لاتصون وداً ، ولا تقيم عهداً . (٥) فى الديوان :

* قال لازلت أو نرى لا مثلا *

وقوله(١) :

النَّوْمُ بَعْدَ أَبِى شُجَاعٍ نَافِرُ ... والليلُ مُعْىٍ(٢) والكواكبُ ظُلَّعُ
إنى لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِى ... وتحسُّ نَفْسِى بالحِمَامِ(٣) فأَشْجُعُ
وَيَزِيدُنى غَضَبُ الأعادى قَسْوَةً ... ويُلِمُّ بى عَتْبُ الصديقِ فأَجْزَعُ(٤)
تَصْفُو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ ... عما مَضَى منها وما يُتَوَقَّعُ(٥)
ولِمَنْ يُغَالِطُ فى الحقائقِ نفسَهُ ... ويَسُومُها طَلَبَ المُحَالِ فَتَطْمَعُ
أين الذى الهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... ما يَوْمُهُ ما قَوْمُهُ ما المَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ الآثارُ عن أصحابِها ... حيناً ويُدْرِكُها الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ
وإذا حَصَلْتَ مِنَ السِّلاحِ على البُكا ... فَحَشاكَ رُعْتَ بهِ وخَدَّكَ تَقْرَعُ(٦)

وقوله(٧) :

طَوَى الجزيرةَ حتى جاءنى خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فيهِ بآمالِى إلى الكَذِبِ
حتى إذا لم يَدَعْ لى صِدْقُهُ أَمَلاً ... شَرِقْتُ بالدمعِ حتى كادَ يَشْرَقُ بى
تَعَثَّرَتْ بهِ فى الأفواهِ أَلْسُنُها ... والبُرْدُ(٨) فى الطُّرْقِ والأقلامُ فى الكُتُبِ
فإن تكنْ تَغْلِبُ الغَلْباءُ عُنْصُرَها ... فإنَّ فى الخمرِ مَعْنًى ليس فى العِنَبِ(٩)

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٦٨) ؛ من قصيدة يرثى فيها أبا شجاع فاتكا . وذلك بعد أن خرج من مصر . (٢) معى : من إعياء الماشى وهو كلاله ، والظلع : التى تغمز فى مشيها عرجا . (٣) الحمام : الموت . (٤) يريد أنه لايلين لأعدائه إذا غضبوا ؛ بل يزيد قسوة عليهم، ويجزع عند عتب الصديق ، فيلين له وينقاد . (٥) يسومها : يكلفها ؛ أى وتصفو الحياة لمن يغالط نفسه فى حقيقة الموت ، ويمنيها السلامة والبقاء فتطمع فى المحال ، ولا تبالى بما ترى من العبر . (٦) تقرع : تضرب ، ورعت : أخفت . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء ، فهو سلاح عليك لا لك . (٧) ديوانه (١ : ٨٧) . كانت قد توفيت أخت سيف الدولة بميافارقين ، وورد خبرها إلى الكوفة ؛ فقال المتنبى قصيدة يرثيها ، ويعزيه بها ، وكتب بها إليه من الكوفة . (٨) البرد : جمع بريد ، وهو الرسول ، وسكن الراء على لغة تميم .
(٩) تغلب الغلباء : إن كانت من تغلب الغالبين الناس لشجاعتهم وعزهم فإنها أفضل منهم .

وما[١] ذَكَرْتُ جميلًا من صنائعها … إلاّ بَكَيْتُ ، ولا وُدٌّ بلا سَبَبِ
فلا تَنَلْكَ اللّيالي إنَّ أيْدِيَهَا … إذا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَبِ[٢]
ولا يُعِنَّ عَدُوًّا أنت قاهِرُهُ … فإنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بالخَرَبِ[٣]
وربما احتَسَبَ الإنسانُ غايَتَها … وَفَاجَأَتْهُ بأمْرٍ غيرِ مُحتَسَبِ
وما قَضَى أحدٌ منها لُبَانَتَهُ[٤] … ولا انتهى أَرَبٌ إلا إلى أَرَبِ
ومَن تفكَّر في الدُّنيا وَمُهْجَتِهِ … أقامَهُ الفِكْرُ بين العَجْزِ وَالتَّعَبِ

وقوله[٥] :

نحن بَنُو المَوْتِ[٦] فَمَا بالُنَا … نَعَافُ ما لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
تَبْخَلُ أيْدِينَا بأرْوَاحِنَا … على زمانٍ هُنَّ[٧] من كَسْبِهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّهِ … وهذه الأجسامُ مِنْ تُرْبِهِ
لَوْ فَكَّرَ العاشِقُ في مُنْتَهَى … حُسْنِ الذي يَسْبِيهِ لم يَسْبِهِ
لم يُرَ قَرْنُ[٨] الشمسِ في شَرْقِهِ … فَشَكَّتِ الأنْفُسُ في غَرْبِهِ
يموتُ راعي[٩] الضَّأْنِ في جَهْلِهِ … مِيتَةَ جَالِينُوسَ في طِبِّهِ

---

(١) في الديوان : « ولا » . أي بكيت لمودتي إياها ، ولكل مودة سبب ، وسبب مودتي ماذكرت من صنائعها (٢) النبع : شجر صلب ينبت في رءوس الجبال تتخذ منه القسي . والغرب : نبت ضعيف ينبت على الأنهار ؛ أي لا أصابتك الليالي بسوء ؛ فإنها تغلب القوى بالضعيف.

(٣) يعن ، من الإعانة ، والضمير لليالي ، والخرب : ذكر الحبارى .

(٤) اللبانة : الحاجة ، وكذلك الأرب .

(٥) ديوانه (١ : ٢١١) ، من قصيدة يرثي بها عمة عضد الدولة ، ويعزيه فيها .

(٦) في الديوان : « الموتى » . (٧) في الديوان : « هي » .

(٨) قرن الشمس : أول ما يبدو منها .

(٩) يريد براعي الضأن : أحقر القوم وأجهلهم

وربما زاد على عُمرِهِ وزَادَ فى الأمْنِ على سِربِهِ[1]
وغايةُ المُفْرِطِ فى سِلْمِهِ كَغَايَةِ المُفْرِطِ[2] فى حَرْبِهِ
فلا قضى حاجتَه طالبٌ فُؤَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ
حاشاكَ أنْ تَضْعُفَ عن حَمْلِ ما تَحَمَّلَ السَّائرُ[3] فى كُتْبِهِ

وقوله — يرثى جدته[4] :

عَرَفْتُ اللَّيالِي قبلَ ما صَنَعَتْ بِنَا فلما دَهَتْنِى لم تَزِدْنِى بها عِلْمَا
حَرَامٌ على قَلْبِى السرورُ فإننى أَعُدُّ الذى ماتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سَمَّا
تَعَجَّبُ مِن خَطِّى وَلَفْظِى كأنها[5] تَرَى بحروف السطرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا[6]
وَتَلْثَمُهُ حتى أصارَ مِدَادُهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وأنيابَها سُحْمَا[7]
رَقَا[8] دَمْعُهَا الجارى وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُبِّى قَلْبَهَا بعد ما أَدْمَى
ولم يُسْلِهَا إلا المَنَايا ، وإنما أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الذى أَذْهَبَ السُّقْمَا[9]
وكُنْتُ قُبَيْلَ الموتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى فقد صارتِ الصُّغْرَى التى كانتِ العُظْمَى
وما انْسَدَّتِ الدنيا علىَّ لِضِيقِهَا ولكنَّ طَرْفًا لا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى

وقوله[10] :

---

(١) الضمير فى عمره يعود على جالينوس . السرب هنا : النفس ، والضمير فى « زاد » يعود على الراعى . (٢) أفرط فى الأمر : جاوز الحد فيه .

(٣) السائر : الذى حمل إلى أبى شجاع عضد الدولة الكتاب بوفاتها .

(٤) ديوانه (٤ : ١٠٤) . (٥) فى الأصلين : « كأنما » .

(٦) الغراب الأعصم : الذى فى أحد جناحيه ريشة بيضاء . وهو قليل الوجود .

(٧) اللثم : التقبيل . وسحما : سودا . (٨) رقأ الدم والدمع : إذا انقطع ، وأصله الهمزة .

(٩) يقول : لم يسلها عنى إلا الموت ، والموت الذى أذهب سقمها بالحزن لأجلى كان أشد من السقم . (١٠) ديوانه (٤ : ١٢٢) ، فى هجاء ابن كيغلغ .

يَاأُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِى الْوَغَى ... لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ
يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وعِنْدَهُ ... أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ
رَاعَتْكِ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِى ... وَلَوَ انَّهَا الأُولَى لَرَاعَ الأَسْحَمُ(١)
لَوكانَ يُمْكِنُنِى سَفَرْتُ(٢) عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلَثُّمُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلاَ أَرَى ... يَقَقاً(٣) يُمِيتُ وَلاَ سَوَاداً يَعْصِمُ
والنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الحِفَاظَ(٤) فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِى يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ
لاَيَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ(٥) النُّفُوسِ فإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لاَيَرْعَوِى ... عَنْ جَهْلِهِ(٦) وخِطَابُ مَنْ لاَ يَفْهَمُ

ثم هجا وقال :

يَحْمِى ابْنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وعِرْسُهُ ... ما بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ
يَمْشِى بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ ... تَحْتَ الْعُلُوجِ(٧) وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ
وجُفُونُه مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا ... مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرِمُ
وإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثاً فَكَأَنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
يَقْلِى مُفَارَقَةَ الأَكُفِّ قَذَالُهُ ... حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ

---

(١) الرائعة : التى تروع الناظر . والأسحم : الأسود . والعارض : مايلى الخد .
(٢) سفرت : أظهرت وكشفت . والتلثم : ستر الوجه .
(٣) أبيض يقق : شديد البياض .
(٤) الحفاظ : المحافظة على العهود وغيرها ، وعاف : من العفو عن الإساءة .
(٥) الشيم : جمع شيمة وهى الخليقة . وفى الأصلين : «فالظلم» .
(٦) لا يرعوى : لا يقلع . ورواية الديوان :

* عن غيه وخطاب من لايفهم *

(٧) العلوج : جمع علج ، وهو الرجل الأعجمى ، والحمار الوحشى .

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

وقوله(١) :

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ(٢)

أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ

وقوله(٣) :

وأَسْوَد أَمَّا القلبُ منه فضَيِّقٌ ... نَخِيبٌ(٤) وأَمَّا بَطْنُهُ فرَحِيبُ

يموتُ به غَيْظاً على الدَّهْرِ أهلُه ... كما مات غَيْظاً فاتكٌ وشَبِيبُ

إِذَا ما عَدِمْتَ الأَصْلَ والعَقْلَ والنَّدَى ... فما لِحَيَاةٍ في جَنابِك طِيبُ

وقوله(٥) :

كَأَنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ ... بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمَا(٦)

نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَمًا ... وَكُلَّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكَمَا

وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا ... وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا

فَلْيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ ... أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهَا(٧) سَلِمَا

وَقُلْ لَهُ لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ ... وَإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا(٨)

***

---

(١) ديوانه (٢ : ٤٦) ، من قصيدة قالها عند خروجه من مصر ، يهجو فيها كافوراً .

(٢) الصيد : جمع أصيد ، وهم الملوك ذوو الكبرياء . (٣) لم نقف عليها فى ديوانه .

(٤) النخيب : الجبان . (٥) ديوانه (٤ : ١٦٤) ، من أبيات يمدح فيها عضد الدولة ، وكان قد نثر ورداً . (٦) العنم : شجر له ثمر أحمر ، يشبه به بنان الجوارى .

(٧) يروى « جوده » ؛ قال فى التبيان : « من رواه مذكراً رجع إلى الممدوح ، ومن رواه مؤنثا رجع إلى اليد » . والضمير فى « منه » يعود إلى الورد .

(٨) يقول : قل للورد لست خيراً مما نثرت يداه ، وإنما جعلك — حين نثرك — عوذة الكرم .

حسن التخلص والخروج

ومن حُسْن التخلص وحسن الخروج قوله(١) :

حَدَقٌ يُذِمُّ(٢) من القَوَاتِل غيرَها ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْماعِيلَا

وقوله(٣) :

وهَزٌّ أطارَ النَّوْمَ حتى كأنَّنى ... من السُّكْرِ فى الغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ(٤)

شَدَوْا بابْنِ إسْحَاقَ الحُسَيْنِ فصافَحَتْ ... ذَفارِيَهَا كِيْرانُهَا والنَّمَارِقُ(٥)

وقوله(٦) :

مرَّتْ بِنا بيْنَ تِرْبَيْها(٧) فقُلتْ لهـا : ... مِنْ أيْنَ جانَسَ هـذَا الشَّادِنُ الْعرَبَا

فاسْتَضْحَكَتْ ثمَّ قَالَتْ كالْمُغيثِ يُرَى ... لَيْثَ الشَّرَى وهْوَ مِنْ عِجْلٍ إذا انْتَسَبَا

وقوله(٨) :

وحُبِيتُ من خُوصِ الرِّكابِ بِأَسْوَدٍ ... من دَارِشٍ(٩) فَغَدَوْتُ أَمْشِى راكِبَا

حالًا متَى عَلِمَ ابنُ مَنْصُورٍ بهـا ... جاءَ الزَّمانُ إلىَّ مِنهـا تَائِبَا

وقوله(١٠):

جَمَحَ الزمانُ فما لذيذٌ خالصٌ ... مما يَشُوبُ ولا سرورٌ كاملُ

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٣٥) . (٢) يذم : يجير ويعطى الذمام ، وأذمه : أجاره .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٤٤) . (٤) الهز : التحريك والإزعاج . أراد بالسكر : النعاس. الغرز : ركاب من خشب، وقيل : من جلد الإبل خاصة . الشبارق : الخلق المقطع .

(٥) الذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ، والجمع ذفريات وذفارى . والكيران : جمع كور ، وهوالرحل ، والنمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة تحت الراكب وغيره. وأراد ما يكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز .

(٦) ديوانه (١ : ١١٢) . (٧) الترب : اللدة ، والشادن من الظباء وغيرها : الذى شدن قرنه وقوى وترعرع . (٨) ديوانه (١ : ١٢٥) .

(٩) الخوص : جمع خوصاء ، وهىالناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدراش :ضرب من الجلود ، وهو من جلد الضأن . يريد : بدلت منخوص الركاب بخف أسود من ردىء الجلود، وأنا ماش راكب . (١٠) ديوانه (٣ : ٢٥٤) .

حتى أبو الفضلِ بنُ عبد الله رُؤْ يتُهُ المنَى وهْيَ المَقَامُ الهائلُ[١]

وقوله[٢] :

ومَقَانِبٍ[٣] بمَقَانِبٍ غادَرْتُها أقْوَاتَ وحْشٍ كُنَّ من أقْوَاتِهَا
أقْبَلْتُها[٤] غُرَرَ الْجِيَادِ كأنما أيدى بَنِى عِمْرَانَ فى جَبَهَاتِها

وقوله[٥] :

وغَيْثٍ ظَنَنَّا تحتــه أنَّ عامراً[٦] عَلَا لم يَمُتْ أو فى السَّحَابِ لهُ قَبْرُ

وقوله[٧] :

إذَا صُلْتُ لم أتْرُكْ مَصَالًا لِفَاتِكٍ وإن قلتُ لم أتْرُكْ مَقالًا لعالِمِ
وإلا فَخَانَتْنِى القَوَافِى وعاقَنِى عن ابن عُبَيْدِ اللهِ ضُعْفُ الْعَزَائِمِ

وقوله[٨] .

ولو كنتُ فى أَسْرِ غير الهوى ضَمِنْتُ ضَمَانَ أبى وائِلِ[٩]
فَدَى نفســه بضمانِ النُّضارِ وأعطى صُدُورَ القَنَا الذَّابلِ[١٠]

وقوله[١١] :

نُوَدِّعهم وَالْبَيْنُ فينا كأنهُ قَنَاابْنِ أبىالهيجَاءِ فى قلبِ فَيْلَقِ[١٢]

---

(١) الهائل : المهيب المخيف . (٢) ديوانه (١ : ٢٢٨) .

(٣) المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

(٤) الضمير فى أقبلتها للمقانب . وأقبلته الشيء : إذا وجهته إليه .

(٥) ديوانه (٢ : ١٥٣) . (٦) يريد عامرا الأنطاكى جد الممدوح . والقصيدة فى مدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكى . وقبر معطوف على خبر إن .

(٧) ديوانه (٤ : ١١٢) . (٨) ديوانه (٣ : ٢٣) .

(٩) أبو وائل : هو تغلب بن داود ، وهو ابن عم سيف الدولة .

(١٠) القنا الذابل : الرقاق . (١١) ديوانه (٢ : ٣٠٨) .

(١٢) أبو الهيجاء : والد سيف الدولة ، والفيلق : الكتيبة الشديدة .

وقوله(١) :

وتَعَذَّرُ الأحرارِ صيَّرَ ظَهْرها   إلاَّ إليكَ علىَّ ظَهْرَ حَرامِ

وقوله(٢) :

كلما رحّبتْ بنا الرّوضُ قُلنا   حَلَبٌ قَصْدُنَا وأنتِ السَّبيلُ
فِيكِ مَرْعَى جِيادِنا والمطايا   وإليها وجيفُنَا والذميلُ(٣)
والمُسَمَّوْنَ بالأميرِ كثيرٌ   والأميرُ الذى بها المأمولُ

وقوله(٤) :

لو أنَّ فنَّا خُسْرَ(٥) صبّحكم   وبرزْتِ وَحْدَكِ عاقَهُ الغزَلُ
ما كنتِ فاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ   مَلِكُ الملوكِ وشأنُكِ البَخَلُ
أتُمَنِّعِينَ قِرًى فتفتضِحِي   أم تَبْذُلِينَ له الذى يَسَلُ
بل لا يَحُلّ بحيث حلّ بهِ   بُخْلٌ ولا جَوْرٌ ولا وجَلُ

* * *

المستكره من تخلصه

ولعلك لا تجدُ له تخلّصاً مستكرها إلا قوله(٦) :

أُحبّكِ أو يقولوا جَرّ نَمْلٌ   ثَبيرًا أو ابْنُ إبْرَاهِيمَ رِيعَا

وقوله(٧) :

فأفْنَى وما أفنتْهُ(٨) نفسى كأنما   أبو الفرج القاضى له دونها كَهْفُ

(١) ديوانه (٤ : ٩) .   (٢) ديوانه (٣ : ١٥٣) .
(٣) الوجيف والذميل : ضربان من السير سريعان .   (٤) ديوانه (٣ : ٢ ، ٣) .
(٥) فناخسر : من أسماء الديلم ، وهو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أتاكم صباحا لغارة .
(٦) ديوانه (٢ : ٢٥٣) .   (٧) ديوانه (٢ : ٢٨٤).
(٨) الضمير فى : أفنته عائد على الضنى فى البيت قبله، والكهف : الموضع الذى يمنع ويعصم من يأوى إليه .

وقوله(١) :

لواستطعتُ ركبتُ الناسَ كلَّهمُ إلى سعيدِ بن عبد الله بُعرانا(٢)

وقوله(٣) :

أعزُّ مكانٍ فى الدُّنى(٤) سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ فى الزمانِ كتابُ

وبحرُ أبو المسكِ الخضمُّ الذى له على كلِّ بحرٍ زخرةٌ وعُبابُ(٥)

فهى وإن لم تكن حسنةً مختارة ، فليست من المستهجن الساقط .

* * *

ابتداءاته

ومن عاب من ابتدائه مثل قوله(٦) :

* كُفِّى أرانى وَيْكِ لَوْمِكِ أَلْوَمَا(٧) *

وقوله(٨) :

هذِى بَرَزْتِ لنا فهجتِ رَسِيسَا ثم انثنيتِ وما شفيتِ نَسِيسَا(٩)

وقوله(١٠) :

أَوْهِ بَدِيلٌ من قَوْلتِى واهَا(١١) لِمَنْ نَأَتْ والبَدِيلُ ذِكْرَاهَا

واستبرد قوله(١٢) :

---

(١) ديوانه (٤ : ٢٢٤) . (٢) البعران : جمع بعير .

(٣) ديوانه (١ : ١٩٣) . (٤) الدنى : جمع دنيا ، والسابح من الخيل : الشديد الجرى .

(٥) الخضم : الكثير الماء ، والزخر : تراكب الماء . وعباب البحر : شدته وقوته .

(٦) ديوانه (٤ : ٢٧) . (٧) وبقية البيت :

* هم أقام على فؤاد أنجما *

(٨) ديوانه (٢ : ١٥٣) . (٩) هذى : يا هذه . والرسيس : ما رس فى القلب من الهوى ؛ أى ثبت . والنسيس : بقية النفس .

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٦٩) . (١١) أوه : كلمة توجع ، وواها : كلمة تعجب .

(١٢) ديوانه (٢ : ٨٢) .

أَمُسَاوِرٌ[١] أمْ قَرْنُ شَمْسٍ هذَا   أم لَيْثُ غابٍ يَقْدُمُ الأسْتَاذَا ؟

وقوله[٢] :

* اثْلِثْ فإنَّا أيُّهَا الطَّلَلُ[٣] *

وقوله[٤] :

* أُحَادٌ أمْ سُدَاسٌ فى أُحَادِ[٥] *

وقوله[٦] :

* مُلِثَّ[٧] القَطْرِ أعطِشْهَا رُبُوعاَ *

وقوله[٨] :

بقَائِى شاء ليسَ هُمُ ارتحالاَ   وحُسْنَ الصبرِ زَمّوا[٩] لاَ الجمالاَ

وقوله[١٠] :

* سِرْبٌ مَحاسِنُه حُرِمْتُ ذَواتِها *

وقوله[١١] :

* أنا لاَئِمى إنْ كنتُ وقتَ اللَّوائِمِ *

---

(١) مساور : هو الممدوح، وهو ابن محمد الرومى. والأستاذ هو الوزير فى لغة بعض أهل الشام.

(٢) ديوانه (٣ : ٢٩٩) .   (٣) بقية البيت :

* نبكى وترزم تحتنا الإبل *

(٤) ديوانه (١ : ٣٥٣) .   (٥) بقية البيت :

* لييلتنا المنوطة بالتنـاد *

(٦) ديوانه (٢ : ٢٤٩) .   (٧) الملث : الدائم المقيم ، وبقية البيت :

* وإلا فاسقها السم النقيعا *

(٨) ديوانه (٣ : ٢٣١) .   (٩) زموا الجمال : خطموها بالأزمة .

(١٠) ديوانه (١ : ٢٢٥) .   (١١) ديوانه (٤ : ١١٠) وتمامه :

* علمت بما بى بين تلك المعالم *

وقوله[١] :

مَبيتى من دِمِشقَ على فِرَاش   حَشاهُ لى بحَرِّ حَشاى حاشِى

وقوله[٢]

* وفاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجَاهُ طاسِمُهْ *

واستقبح افتتاحه مخاطبةَ ملك[٣] بقوله[٤] .

كفى بكَ داءً أن تَرَى الموتَ شافياً   وحَسْبُ المنايا أنْ يكنَّ أمانياَ

وضرب له الامثال ، فروى له خبر ذى الرُّمة حين استنشده بعضُ الملوك من بنى أميّة ـ ويقال : إنه عبدُ الملك بن مروان ـ فأنشده قوله[٥]

* ما بالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ *

فقال : وما سؤالك عن هذا يابن اللَّخْنَاء ! وأمرَ بإخراجه . وكانت عينُ الممدوح بها عِلّة فدمْعُها لايستمسك . وأنا أرتابُ بهذا الخبر ، ولا أظنّه ثبتا .

وخبر أبى حَكِيمة لما استنشده أبو دُلَف بعضَ ما وصف به هَنَه ، فأنشدَه :

* ألا ذهب ... الذى كنت تعرف *

فقال : أمّ الأبعد به أعرف .

*
* *

حسن ابتداءاته

فلْيَغْتَفِرْ ذلك له لقوله[٦] :

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٠٧) .   (٢) ديوانه (٣ : ٣٢٥) وتمامه :

* بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه *

(٣) يمدح كافورا .   (٤) ديوانه (٤ : ٢٨١) .

(٥) الجمهرة ص ٣٦٠ ، وتمامه :

* كأنه من كلى مفرية سرب *

(٦) ديوانه (٢ : ٣٦٢) .

أَتُرَاها لِكَثْرَةِ العُشَاقِ ... تَحْسِبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فى المآقِى

فإنه ابتداء ما سُمِع مثله ، ومعنى انفردَ باختراعه ، وقوله(١) :

* على قَدْرِ أهْل العزمِ تأتى العَزائِم *

وقوله(٢) :

الرّأىُ قبلَ شَجاعةِ الشُّجْعانِ ... هُوَ أوَّلٌ وَهى المَحَلُّ الثانِى

فإذا هما اجْتَمَعا لنَفْسٍ مِرَّةٍ ... بلغَتْ من العلياءِ كلَّ مكانِ

وقوله(٣) :

لِكلِّ امْرِىءٍ من دَهْرِه ما تَعَوَّدَا ... وعادة(٤) سَيْفِ الدولةِ الطَّعْنُ فى العِدا

وقوله(٥) :

* فَدَيناكَ من رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنا كَرْبَا *

وقوله(٦) :

إذا كانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ ... أكلُّ فَصِيحٍ قال شِعْرًا مُتَيَّمُ

وقوله(٧) :

* أيَدْرِى الرَّبْعُ أىَّ دَمٍ أرَاقَا *

وقوله(٨)

---

(١) ديوانه (٣ : ٣٨٧) وتمامه :

* وتأتى على قدر الكرام المكارم *

(٢) ديوانه (٤ : ١٧٤) . (٣) ديوانه (١ : ٢٨١) .

(٤) فى الأصلين « عادات » تحريف . (٥) ديوانه (١ : ٥٦) ، وتمامه :

* فإنك كنت الشرق للشمس والغربا *

(٦) ديوانه (٣ : ٣٥٠) . (٧) ديوانه (٢ : ٢٩٤) وبقيته :

* وأى قلوب هــذا الركب شاقا *

(٨) ديوانه (١ : ١٧٦) . وبقيته :

* وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب *

* أُغالِبُ فيكَ الشَّوْقَ والشَّوْقُ أغْلَبُ *

وقوله[١] :

حَاشَى الرَّقيبَ فخانَتْهُ ضَمائِرُهُ   وغَيَّضَ الدّمعَ فانْهلّتْ بَوادرُهُ[٢]

وقوله[٣] :

يترحّلُ حيثُ يحُلّه النُّوّارُ   وأرادَ فيكَ مُرادَكَ المِقدارُ

وقوله[٤] :

* أعْلَى المَمالِكِ ما يُبْنَى على الأَسَلِ *

وقوله[٥] :

* أفاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لِذَا الزّمنِ *

وقوله[٦] :

فؤادٌ ما تُسَلّيهِ المُدامُ   وعُمْرٌ مثلُ ماتَهَبُ اللئامُ

وقوله[٧] :

اليومَ عَهْدُكُمُ فأينَ الموعِدُ   هَيْهاتَ ليسَ ليومِ عَهْدِكُمُ غَدُ

وأمثال ذلك إن طلبتَه هداكَ إلى موضعه ، وإذا التمستَه دلّك على نفسه . وهذه أفرادُ أبيات منها أمثالٌ سائرة ، ومنها معانٍ مستَوفاة ، لم تجد فى أخَواتها ، وجارات

---

(١) ديوانه (٢ : ١١٥) .   (٢) حاشاه : توقاه . وغيض الدمع : نقصه وحبسه . وانهلت : انصبت . والبوادر : السوابق .   (٣) ديوانه (٢ : ٨٦) .

(٤) ديوانه (٣ : ٣٤) ، وبقيته :

* والطعن عند محبيهن كالقبل *

والأسل : الرماح .

(٥) ديوانه (٤ : ٢٠٩) ، وبقيته :

* يخلو من الهم أخلاهم من الفطن *

(٦) ديوانه (٤ : ٦٩) .   (٧) ديوانه (١ : ٣٢٧) ، والعهد : اللقاء . وأين سؤال عن المكان . فلو قال : متى الموعد ؟ أو أين الوعد ؟ لكان أليق .

جنبها ما يصلح لِمُصاحبتها . ولعل أكثرَها ، أو معظم ما أثبت منها ، وكثيراً مما ذُكر فى درج ما تقدّمها من اللُّمع المختارة ، مختارة المعانى مفترعة المذاهب . وليس لك أن تُلْزمنى تمييزَ ذلك وإفرادَه والتنبيهَ عليه بأعيانه كما فعله كثيرٌ ممن استهدف للألسن ، ولم يحترز من جناية التهجّم ؛ فقال : معنى فرد ، وبيت بديع ، ولم يُسْبق فلان إلى كذا ، وانفرد فلان بكذا ؛ لأنى لم أدّع الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر ؛ بل لم أزعم أنى نَصَفَتُه سماعا وقراءة ، فدَع الحفظ والرواية . ولعل المعنى الذى أَسِمُه بهذه السِّمة ، والبيتَ الذى أُضيفه إلى هذه الجملة فى صدر ديوان لم أتصفّحه ؛ أو تصفّحتهُ ولمْ أعثر بذلك السطر منه ، أو عسانى أن أكونَ رويتهُ ثم نسيتهُ ، أو حفظته لكنى أغفلتُ وجهَ الأخذِ منه ، وطريقة الاحتذاء به .

*
* *

ضياع كثير من الشعر

وإنما أجسر فى الوقت بعد الوقت فأُقْدِم على هذا الحكم انقيادا للظنّ ، واستنامة إلى ما يغلبُ عَلَى النفس ؛ فأما اليقين الثقة ، والعلم والإحاطة فمعاذَ الله أن أدعيه ! ولو ادعيتهُ لَوجب ألاَّ تقبلَه ، مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ ، وخمول أكثر ماقيل : وضياع جلّ ما نُقِل . وأظنّك قد سمعتَ أو انتهى إليك أنّ البحتريَّ أسقط خمسمائة شاعر فى عصره ، فما يُؤمِننى من وقوع بعض أشعارهم إلى غيرى ؟ وما يدرينى مافيها ؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها ، ومقتبَس منها ؟ وهؤلاء المُحْدَثون الذين شاركونا فى الدار والبلد ، وجاوِرونا فى العصر والمولد . فكيف بمَنْ بَعُد عهده ، وقدُم زمانه ، وتناسخت الأمم بيننا وبينه !

زعم بعض آل الزبير أنه زار عُرْوة بن الزبير ذات يوم ، فسأله عما يُعْنى بطلبه من العلوم ، فقال : قلت الشعر . فقال : لأىّ قبائل العرب أنت أروى ! فقلت : لبنى سُلَيْم ، فأنشدنى لعدة أكثرها من بنى سُلَيم ، ولم أعرف واحدا منهم .

وقد ذكر الأصمعى عن كِرْدِينْ المِسْمَعِى[(١)] : أن فتية من الحىّ أتوا أبا ضَمْضَم الراوية ، فقال : ماجاء بكم ؟ قالوا : أتيناك نتحدّث . قال : كذبتم . قلتم : خَرِف الشيخ ، هلمّوا نتفقّاه . ثم أنشدهم لمائة أو ثمانين شاعرا ، كلّهم يسمى عَمْرا . قال الأصمعى[(٢)] : فجهدنا أن نتمّ ثلاثين شاعرا يسمى عَمرا ، فلم نجد .

وزعم الأصمعى أيضا أن إخوة من بنى سعد يسمون مُنْذِراً ، ومُنتذرًا[(٣)] ، ونذيرا ، كانوا رجّازا ، فلم يهبطوا الأمصار ، فذهبت أشعارُهم . وأن أُرجوزة رُؤْبة القافية[(٤)] التى هى قلادتُه ، وعينُ شعره لنذير[(٥)] .

وقد يرى فى أشعار القبائل الأبيات تُنْسب إلى الرجل المجهول الذى لم يُرْوَ له غيرها، ولا يعرف له اسمٌ إلا بها ؛ وكأن النفس تشهد أنّ مثلها لا يكونُ بِاكُورة الخاطر ، ولا تسمحُ بها القريحةُ إلاَّ بعد الدُّرْبة وطُولِ الممارسة ، ومن ذا يسمع قول الهُذَلى:

أبو مالك قاصرٌ فَقْرَه ... على نفسه ومُشيعٌ غِنَاهُ

إذا سُدَتْه سُدْت مِطْواعةً ... ومهما وَكَلْتَ إليه كفاهُ

فيشكّ أنها لم تَنْدُر فَلْتة ، وتَصْدر بَغْتَة ، وأن لها مقدمات سهَّلت سبيلَها ، وأخوات قرّبت مأخذها ؛ وهى فى شعر الهذليين أبيات لم يُرْوَ لشاعر غيرها .

وقد كان قدم مكة أيام مقامى بها شيخٌ بَدَوِىّ من بنى عامر بن ربيعة ؛ يدعى مطرف بن سفيان ، فأنشدنا قصيدةً مدح بها جعفر بن محمد الحسنى وجدتُها متنافرة

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤ . وهو مسمع بن عبد الملك بن مسمع البعرى . كان أخباريا ، وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى .

(٢) الذى فى الشعر والشعراء . «قال الأصمعى : فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين» .

(٣) فى الأصلين : « ومنذرا » ، وهذا عن الشعر والشعراء . (٤) أولها :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

(٥) فى الشعر والشعراء : « منتذر » .

الأبيات ، مختلفةَ الأطراف ، بين عَيْنٍ نادر ، ومتوسّط متقارب ، وضعيف ساقط ؛ فكنت كالمتعجِّب لِما أراه من اضطرابها ، وظهورِ تفاوتها ؛ وامتحنتُ الشيخ فوجدتُ شِعره إلى الضعفِ ماهو ؛ فنحن كذلك إذ أتانا بعض مَنْ كان يقرُبُه من أصحابنا ، فسألناه عن العامرى فأثبته(١) معرفة ، وذكر أنه حضر الحىّ وقت تأهّبه للوفادة ، فرآه فى نادى القوم ، وقد جمع فِتْيان الحلّة ، وأحداث القبيلة ، فقال : إن شيخكم يريد امتداحَ هذا الشريف بمكة ، فزوّدوه ! فزوّدَه كلُّ رجل منهم البيتين والثلاثة ، ثم نظمها قصيدة ، وإذا سببُ ذلك التباين تفاضلُ القرائح ، واختلافُ الأفكار والهواجس .

فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم ، وهذه عدّة من يقرض منهم وينظم ، واللغة فاسدة ، واللسان مدخول ، والأمر مُدْبِر ، وأكثر العرب مستعجم ؛ فما ظنّك بهم والعربُ عرب ، والدارُ خالصة لهم ، والحضَر بعيد منهم ، وأسبابُ الفساد منقطعة عنهم ! وهل يُمْكِن مع هذه الأحوال إحصاء المقرر المتوسّع(٢) ، فضلا عن المقِلّ المتطرّف ! أفنستجيز لى على ما تراه أن أتسرع ولا أتحرّز ، وأعجل ولا أتلبّث ؟ كلا ؛ بل أفصّل لك بين المراتب والمقادم ، وأعزل لك المقدّم عن المؤخر ، وأميز مايقرب عندى من الإبداع عما أشهد عليه بالأخذ ؛ فإن ألحقت به المأخوذ المُسْتَرَق فلبعض الأغراض المتقدّمة : أولزيادة فيه مستحسنة ، فأسلم من تورط المسترسِل ، ولا أقف موقفَ المتكلّف .

* * *

أفرادمن شعره

فمن تلك الأبيات قوله(٣) :

وكُنْتُ إذا يمّمْتُ أرضا بَعِيدةً ... سَرَيْتُ فكنتُ السِّرَّ والليْلُ كاتِمُهْ

* * *

(١) أثبته : عرفه حق المعرفة . (٢) كذا فى الأصلين. (٣) ديوانه (٣ : ٣٤٠) .

أزورهم وسَوادُ اللَّيْـلِ يَشْفَعُ لِي وأنْثني وبياضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي (١)

***

قِفِي تَغْرَمِ الأولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بثانيةٍ والمُتْلِفُ الشيءَ غَارِمُهْ (٢)

***

ضُرِبْنَ إلينـا بالسِّياطِ جَهالَةً فلما تعارفْنَا ضُرِبْنَ بهـا عنّا (٣)

***

لَوْ كنتَ عَصْرًا مُنْبِتاً زَهَـراً كنت الربيعَ وكانت الوَرْدا (٤)

***

وما الجمعُ بينَ الماءِ والنـارِ في يدى بِأَصْعبَ من أنْ أجمعَ الجَدَّ وَالْفهْما (٥)

***

وأَسْمعُ من ألفاظِهِ اللُّغَةَ التى يَلَذُّ بها سَمْعِى وإِنْ ضُمِّنَتْ شَتْمِى (٦)

***

ولا تُنْـكِرا عَصْفَ الرِّياحِ فإنها قِرَى كلِّ ضَيْفٍ بات عند سِوَارِ (٧)

***

دُعِيتُ بتقْرِيظِيكَ فى كلِّ مَجْلِسٍ وظَنَّ الذى يَدْعُو ثَنائى عليك اسمى (٨)

***

---

(١) ديوانه (١ : ١٦١) . (٢) ديوانه (٣ : ٣٣٠) . غرم ما أتلفه : لزمه أداؤه.

(٣) ديوانه (٤ : ١٦٧) . قال أبو الفتح : « كانت خيل الروم قد رأت خيلا لسيف الدولة فظنوهم روما ، فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين .

(٤) ديوانه (١:٣٢٦) ، والعصر : الدهر . (٥) ديوانه (٤:١٠٨) ، والجد : الحظ .

(٦) ديوانه (٤ : ٥٣) . (٧) ديوانه (٢ : ١١٤) ، وسوار : اسم المهجو .

(٨) ديوانه (٤ : ٥٧) . والتقريظ : مدح الرجل حيا ، والتأبين : مدحه ميتا . يقول : قد عرفت بالثناء عليك ؛ حتى صار كأنه اسم لى .

كأنَّ الهامَ فى الهَيْجا عُيُونٌ ... وقد طُبعتْ سُيُوفُكَ من رُقَادِ (١)
وقد صُغْتَ الأسِنَّةَ من هُمُومٍ ... فما يَخْطُرْنَ إلا فى فُؤادِ

* * *

بكل أرضٍ وَطِئْتَها أُمَمٌ ... تُرْعَى بِعَبْدٍ كأنها غَنَمُ (٢)
يَستخشِنُ الخَزَّ حينَ يَلْمَسهُ ... وكان يُبْرَى بظُفْرِهِ القَلَمُ

* * *

مالٌ كأنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ ... فكلما قيل هـذا مُجْتَدٍ نَعَبَا (٣)

* * *

مازَالَ كلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُها ... والسُّقْمُ يُنْحِلُنى حتى حَكَتْ جَسَدِى (٤)

* * *

فقـد خَفِيَ الزَّمانُ به علينا ... كسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفيهِ النِّظامُ (٥)
لقد حَسُنَت بك الأوقات حتى ... كأنك فى فمِ الدَّهْرِ ابتِسامُ

* * *

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَ ... يَّا كَخالٍ فى وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ (٦)

---

(١) ديوانه (١ : ٣٦٠) . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والهيجا : الحرب .
(٢) ديوانه (٤ : ٥٩) ، يمدح على بن إبراهيم التنوخى .
(٣) ديوانه (١ : ١١٧) ، والمجتدى : السائل .
(٤) ديوانه (١ : ٣٤٩) ، وفى الأصلين :

* والصبر ينحلنى حتى حكت جلدى *

الهزيم : الذى لا يستمسك ، والضمير فى « ينحلها » يعود على الديار فى البيت قبله وهو :

ولا الديار التى كان الحبيب بها ... تشكو إلى ولا أشكو إلى أحد

(٥) ديوانه (٤ : ٧٤) . وفى الديوان :

* كأنك فى فم الدهر ابتسام *

(٦) ديوانه (٣ : ١٩٢) ، والدمنة : آثار الديار ، والدو : الأرض الواسعة المستوية القفرة .
ريا : اسم امرأة . والخال : شامة تكون فى الوجه أ . . .

بِطُلُولٍ كأنهن نُجُـومٌ   فى عِرَاصٍ كأنهن لَيَالِ[١]

***

ولو حِيزَ الحِفاظُ بغير عقـلٍ   تجنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الحُسَامُ[٢]

***

وكلما فاضَ دَمْعِي غاضَ مُصْطَبَرِى   كأن ماسالَ من جَفنىَّ من جَلَدِى[٣]

***

كلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فيهـا   أثَرُ النَّارِ فى سَلِيطِ الذَّبالِ[٤]

من بنات الجَدِيلِ[٥] تمْشِي بنا فى الْـ   ـبِيدِ مَشْىَ الأيّام فى الآجالِ

***

وإذا خَفِيتُ على الغَبِىِّ فعاذِرٌ   أن لا ترانى مُقْلَةٌ عمياءُ[٦]

***

أمْضَى إرَادَتَهُ فسوف لهُ قَدٌ   واستقرب الأقصى فثَمَّ لهُ هُنَا[٧]

***

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عليـه   ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلَامُ[٨]

***

---

(١) الطلول : مابقى من آثار الديار ؛ واحدها طلل . يريد أن الطلول الشاخصة الباقية ؛ تلوح فى العراص كالنجوم فى الليالى المظلمة . (٢) ديوانه (٤ : ٧١) . والحفاظ : المحافظة على الحقوق . (٣) ديوانه (١ : ٣٥٠) . والمصطبر : الاصطبار ، وغاض : نقص .

(٤) ديوانه (٣:١٩٤) ، والدياميم : جمع ديمومة وهى الفلاة . والسليط : الدهن ، والذبال : جمع ذبالة وهى الفتيلة . (٥) الجديل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل الكرام .

(٦) ديوانه (١ : ١٥) .

(٧) ديوانه (٤ : ٢٠٠) . يقول : إذا نوى أمراً فكأنه بسابق نيته بوقوعه ، فيصير ماضيا، والمكان البعيد يصير عنده قريبا .

(٨) ديوانه (٤ : ٩٤) .

ضَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِفْنَا أَنها　　لوْلا حَياءٌ عاقَها رَقَصَتْ بنَا(١)
عَقَدَتْ سَنابكُها عليها عِثْيَرًا　　لو تَبْتغِي عَنَقًا(٢) عليه لأَمْكَنا

* * *

يَتعثَّرْنَ بالرءوس كما مَرَّ　　بتَا آتِ نُطْقِهِ التَّمْتَامُ(٣)
خيرُ أعضائِنا الرءوسُ ولكنْ　　فضلَتْها بقَصْدِكَ الأَقْدَامُ(٤)

* * *

فلوْ كنتَ امْرَءًا يُهْجَى هَجَوْنا　　ولكن ضاق فِتْرٌ عن مَسِيرِ(٥)

* * *

لا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بِزَّتِه　　وهل تَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ(٦)

* * *

دونَ التَّعانُقِ ناحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ　　نَصْبٍ أَدَقَّهما وَضَمَّ الشَّاكِلُ(٧)
لِلَّهْوِ آوِنَةٌ تَمُرُّ كأنها　　قُبَلٌ يُزَوَّدُها حبيبٌ رَاحِلُ

* * *

قد كنتُ أشفقُ من دَمْعِي على بصرى　　فاليومَ كلُّ عَزيز بَعدكم هانا(٨)

* * *

---

(١) ديوانه (٤ : ٢٠٣) ، وفى الديوان : « خفنا أنها » .

(٢) العنق : ضرب من السير شديد ، وفى الديوان : « عليها » .

(٣) ديوانه (٤ : ٩٨) ، والتمتام : الذى يتردد لسانه بالتاء .

(٤) يقول : الرأس خير عضو فى الإنسان ؛ لأنه مجمع الحواس ، وفيه محل العقل ؛ ولكن صارت الأقدام أفضل منها ، لقصدها إياك .　(٥) ديوانه (٢ : ١٤٤) ؛ يقول : لو كنت ممن يعبأ به ويتكلف هجاؤه بالشعر لفعلنا ، ولكنك أخس قدراً من أن تستحق هذه العناية ؛ كما أن مسافة الفتر تضيق عن السير فيها .　(٦) ديوانه (٤ : ٢١٣) .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٥٢) ، وأراد الشكلة التى تكون فى الإعراب وهى الفتحة . يريد بالضم : القرب ، ولم يرد الضم الذى يسمى فى الإعراب رفعا .　(٨) ديوانه (٤ : ٣٢٢) .

فكأنها نُتِجَتْ قياماً تحتهم وكأنهمْ وُلدوا على صَهَوَاتِها(١)

*
* *

ولو لم يَعْلُ إلاّ ذُو مَحَلّ تَعَالَى الجيشُ وانحطّ القَتَامُ(٢)

*
* *

ومَن يُنفِق السَّاعاتِ فى جَمْعِ مالِهِ مَخافَةَ فَقْرٍ فالذى فَعَل الفقرُ(٣)

*
* *

وأنفُسٌ يَلْمَعِيّات تُحِبُّهُمُ لها اضْطِرارًا ولو أقْصَوْكَ شَنْآ نا(٤)
كأنّ ألْسُنَهمْ فى النُّطق قد جُعِلت على رماحهم فى الطَّعْنِ خُرْصانا(٥)

*
* *

لو مرّ يَرْكُض فى سُطورِ كِتابةٍ أحْصَى بحافرِ مُهْرِهِ مِيماتِها(٦)
أعْيا زَوَالُكِ عن مَحَلٍّ نِلْتَه لاتخرجُ الأقمارُ عن هَالاَتِها(٧)

*
* *

ومِن نَكَدِ الدُّنيا على الحرِّ أن يَرَى عَدوًّا له مامِنْ صَدَاقَتِه بُدُّ(٨)
تَلَجُّ دُمُوعى بالجُفونِ كأنما جُفونى لعَيْنَىْ كلِّ باكية خدُّ(٩)

*
* *

---

(١) ديوانه (١ : ٢٣٠) ، يصف الممدوحين بطول ألفتهم للخيل وملازمتهم للركوب .
(٢) ديوانه (٤ : ٧٢) ، والقتام : الغبار ؛ يريد أن العلو لايدل على شرف المحل ، ولو كان كذلك لكان الغبار سافلا والجيش عاليا . (٣) ديوانه (٢ : ١٥٠) .
(٤) ديوانه (٤ : ٢٢٩) ؛ والألمى واليلمعى : الحاد الفطنة .
(٥) الخرصان : جمع خرص ، وهو هنا السنان .
(٦) ديوانه (١ : ٢٣١) ، يصف الممدوح بالفروسية ، وأن مهره يطاوعه فى جميع حركاته فلا يضع حافره إلا حيث شاء . وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من جميع الحروف .
(٧) أعيا الأمر : أعجز طالبه ، وزوالك : براحك . يقول : قد بلغت مكانا من الشرف لاتفارقه فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة ، وهو لك كالهالة ، والقمر لا يخرج عن هالته .
(٨) ديوانه (١ : ٣٧٥) . (٩) يقول : كلما بكت باكية ؛ فكأن دموعها تمر بجفنى كما تمر بخدها ؛ فلست أخلو من بكاء ودموع ؛ كما لا تخلو الدنيا من باكية تجرى دموعها .

ذُكِرَ الأنامُ لنا فكان قصيدةً ... كنتَ البديعَ الفَرْدَ من أبْياتِها[(١)]

* * *

كأنّ الجوَّ قاسَى ما أُقاسِى ... فصار سوادُه فيهِ شُحُوبا[(٢)]

أُقلِّبُ فيـــه أَجْفانى كأنى ... أعُدّ به على الدّهرِ الذّنُوبا

* * *

مَنْ خَصّ بالذّم الفِرَاقَ فإننى ... مَنْ لايرَى فى الدهرِ شيئا يُحْمَدُ[(٣)]

* * *

إذَا غَدرت حَسْنَاء وَفّت بعَهْدِها ... ومِن عَهْدِهاأن لايَدُومَ لها عَهْدُ[(٤)]

* * *

فإن يَكُ سيّارُ بنُ مُكْرمٍ انقَضَى ... فإنك ماء الوردِ إن ذَهب الوَرْدُ[(٥)]

* * *

عرفتُ نَوَائبَ الحِدْثانِ حتى ... لَوِ انْتَسَبَتْ لَكنتُ لها نَقِيباَ[(٦)]

يُصيبُ بِبعضها أَفْوَاقَ[(٧)] بعضٍ ... فلولا الكَسْرُ لاتَّصَلَتْ قَضِيباَ

فَآجَرَكَ الإلهُ على عَليلٍ ... بَعَثْتَ إلى المَسِيحِ به طَبِيباَ

---

(١) ديوانه (١ : ٢٣٥) . (٢) ديوانه (١ : ١٣٩) . والشحوب : تغير اللون من الهزال . (٣) ديوانه (١ : ٣٨٤) .

(٤) ديوانه (٢ : ٤) ؛ يقول : إذا غدرت الحسناء ؛ لم تعد سجاياها ؛ لأن عادتها الغدر ؛ وقد وفت بالعهد إذا غدرت ، لأن عهدها ألا تبقى على عهد .

(٥) ديوانه (١ : ٣٨٠) ، ويسار بن مكرم جد الممدوح . يقول : إن كان جدك مات وفنى عمره ؛ فإن فضائله ومحاسنه انتقلت إليك ؛ فلم يفقد إلا شخصه ؛ كماء الورد يبقى بعد الورد .

(٦) ديوانه (١ : ١٤٠) ، والحدثان : هو ما يحدث من نوائب الدهر ، والنقيب : هو الذى يعرف القوم . (٧) الفوق من السهم : موضع الوتر ، والجمع أفواق وفوق .

صِيَامٌ بأبوابِ القِبَابِ جِيادُهم ... وأشخاصُها فى قَلْبِ خائِفِهِم تَعْدُو[(١)]

* * *

بعيدَةُ ما بَيْنَ الجفونِ كأنما ... عَقَدْتُم أعالى كلِّ هُدْبٍ بحاجبِ[(٢)]
ولو قَلَمٌ أُلقِيتُ فى شَقِّ رأسهِ ... منَ السُّقْمِ ماغَيَّرْتُ من خطِّ كاتِبِ

* * *

ولربَّمَا أَطَرَ القنَاةَ بفَارِسٍ ... وثَنَى فقوَّمَها بآخَرَ مِنْهُمُ[(٣)]

* * *

لو سار ذاكَ الحبيبُ عن فَلَكٍ ... مارَضِىَ الشَّمْسَ برجُه بَدَلَهْ[(٤)]

* * *

رأيتُك فى الّذين أرَى مُلُوكاً ... كأنكَ مستقيمٌ فى مُحَالِ[(٥)]
فإنْ تَفُق الأنَامَ وأنت منهُمْ ... فإنّ المِسْكَ بعضُ دم الغزَالِ

* * *

أنتَ الذى لَو يُعَابُ فى مَلأٍ ... مَا عِيبَ إلا بأنَّهُ بشَرُ[(٦)]

* * *

إنى لَأُبغِضُ طَيْفَ مَن أحبته ... إذْ كان يهجرُنا زَمانَ وِصَالِهِ[(٧)]

---

(١) ديوانه (٢ : ٧) ، ويريد : خيل قيام ؛ يقال : صام الفرس ؛ إذا وقف .

(٢) ديوانه (١ : ١٤٨) ، والهدب هو الشعر الذى على حرف العين .

(٣) ديوانه (٤ : ١٣٢) ، وأطر : عوج ، وتأطر الرمح : تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته فى مطعون طعن بها آخر فتقومت . (٤) ديوانه (٣ : ٢٧٥) ، وفى ا « بدل » ، وصوابه من ب والديوان . الضمير فى « برجه » للحبيب ، تقديره لو سار الحبيب عن برج من بروج السماء لم يرض برجه الشمس تحل بدلا منه ، ورضى ؛ بمعنى اختار وأحب .

(٥) ديوانه (٣ : ٢٠) . (٦) ديوانه (١ : ٨٩) وفى الديوان : « لأنه بشر » .

(٧) ديوانه (٣ : ٥٦) .

وتُرَاعُ غيرَ مُعَقَّلَاتٍ حولَهُ ... فَيَفُوتُها مُتَجَفِّلًا بِعِقَالِهِ[١]
لو لم تكُنْ تَجْرِى على أسيافِهِ ... مُهَجَاتُهُمْ لجَرَتْ على إقبالِهِ
فكأنّما قَذِى النّهارُ بِنَقْعِهِ[٢] ... أو غَضّ عنه الطَّرْفَ منْ إجْلَالِهِ

***

وخَصْرٌ تَثْبُتُ الأبصارُ فيهِ ... كأنّ عليه من حَدَقٍ نِطَاقَا[٣]

***

أوّل حَرْفٍ مِنَ اسْمِهِ كَتَبَتْ ... سَنابِكُ الخيلِ فى الجَلَاميدِ[٤]

***

كأنّ العِدَا فى أرْضِهم خُلَفاؤُهُ ... فإنْ شاءَ حازُوها وإنْ شاءَ سَلَّمُوا[٥]

***

لها فى الوغى زِىُّ الفَوارِس فوقَهَا ... فكلُّ حِصانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ[٦]
وما ذاكَ بُخْلًا بالنفوسِ على القَنا ... ولكِنّ صَدْمَ الشَّرِّ بالشَّرِّ أحزَمُ

***

ومَلْمُومَةٌ زَرْدٌ ثَوْبُهَا ... ولكنّهُ فى القَنَا مُخْمَلُ[٧]
يُفاجِئُ جَيْشاً بها حَيْنُه ... ويُنْذِرُ جَيْشاً بها القَسْطَلُ[٨]

---

(١) تراع : تفرع ، والمتجفل : المسرع . والعقال : حبل يشد به يد الجمل إلى عضده .

(٢) النقع : الغبار . (٣) ديوانه (٢ : ٢٥٦) ، والنطاق : كل ماشددت به وسطك وتقويت به . (٤) ديوانه (١ : ٢٦٦) ، والجلاميد : جمع الجلمود ، وهى الحجارة .

(٥) ديوانه (٣ : ٣٥١) . (٦) ديوانه (٣ : ٣٦٠) ، الدراع : ما عليه تجفاف (ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح) ، ومتلثم : على وجهه مخطمة من حديد .

(٧) ديوانه (٣ : ٧١) ، وفى الديوان : « ولكنه بالقنا » ، والملمومة : الكتيبة المجموعة . وخمل الثوب : ماتدلى منه .

(٨) القسطل : الغبار . يقول : يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها .

فلا تُنْكِرَنَّ لهـا صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفس ما يَقْتُلُ[١]
وما اعْتَمَدَ اللهُ تَقْويضَها ... ولـكن أشـار بما تَفْعَلُ[٢]

* * *

إن كنتَ تَرْضَى بأنْ يُعْطُوا الجزَى بذَلوا ... منهـا رِضاكَ ومَنْ لِلْعُورِ بالحَوَلِ[٣]
لعـلّ عَتْبَكَ محمودٌ عَوَاقِبُه ... فرُبما صَحَّتِ الأجسام بالعِلَلِ

* * *

ويُرْجِعُها حُمْرًا كأنّ صَحيحَها ... يبكى دَماً من رحمةِ المتدقِّقِ[٤]

* * *

ما الخِلُّ إلّا مَنْ أوَدّ بقَلْبِهِ ... وأرى بطَرْفٍ لايَرَى بسَوَائِهِ[٥]

* * *

كأنّى عَصَتْ مُقْلَتِى فيكمُ ... وكاتَمَتِ القَلْبَ ما تُبْصِرُ[٦]
إذا ما قدَرْتُ على نَطْقَةٍ ... فإنّى على تَرْكِها أقْدَرُ
فلَا غَفَلَ الدّهْرُ عن أهْلِهِ ... فإنكَ عينٌ بهـا يَنْظُرُ

* * *

وكيفَ انتِفاعى بالرُّقادِ وإنما ... بعلّته يعتَلُّ فى الأعْيُنِ الغُمْضُ[٧]

* * *

---

(١) كان سيف الدولة قد ضرب خيمة بميافارقين ، وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها ، فهبت ريح شديدة ، فوقعت الخيمة ، فتكلم الناس فى ذلك . والضمير فى « لها » يعود إلى الخيمة المذكورة فى الأبيات التى سبقت البيت . (٢) كان قلع الخيمة ؛ تنبيهاً من الله تعالى لك بما تفعله من الارتحال والتوجه إلى الغزو . (٣) ديوانه (٣ : ٨٤) ، والجزى : جمع جزية ، وهى مايعطيه أهل الذمة ليدفعوا به عن أنفسهم ويحفظوا به دماءهم . (٤) ديوانه (٢ : ٣١) ، والمتدقق : المتكسر . (٥) ديوانه (١ : ٤) ، وسوائه : سواه . (٦) ديوانه (٢ : ٩٢) .
(٧) ديوانه (٢ : ٢١٨) . يقول : لا أنتفع بالنوم إذا كان عليلا ؛ لأن النوم يفارق عينى .

وأتعَبُ مَن ناداكَ مَن لا تجيبُهُ   وأغْيَظُ من عاداكَ مَن لا تُشاكِلُ[(١)]

***

إذا كان ما تَنْويهِ فِعلًا مُضارعاً   مَضى قبلَ أن تُلْقَى عليه الجَوازِمُ[(٢)]

***

قُشَيْرٌ وبَلْعَجْلانِ فيها خَفِيَّةٌ   كَرَاءَيْنِ فى ألفاظِ ألثغَ ناطقِ[(٣)]

***

أسِيرُ إلى إقطاعِهِ فى ثِيابِهِ   على طِرْفِهِ مِن دَارِهِ بحُسَامِهِ[(٤)]

***

وإذا حَاوَلَتْ طِعَانَكَ خيلٌ   أبصرَتْ أذرُعَ القنَا أمْيَالَا[(٥)]

***

كأنَّ كلَّ سُؤَالٍ فى مَسَامعهِ   قَميصُ يوسُفَ فى أجْفَانِ يعقوبِ[(٦)]

***

بوَادٍ به ما بالقلوبِ كأنه   وقد رَحَلوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ[(٧)]

***

---

(١) ديوانه (٣ : ١١٧) . (٢) ديوانه (٣ : ٣٨٢) .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٢٤) ، بلعجلان ؛ يريد بنى العجلان ، والألثغ : الذى لا يفصح بالحرف ، وقشير وعجلان : قبيلتان .

(٤) ديوانه (٤ : ٣) ، والإقطاع : ما أقطعه من البلاد ، والطرف : الفرس.

(٥) ديوانه (٣ : ١٤١) . (٦) ديوانه (١ : ١٧٢) .

(٧) ديوانه (٢ : ٢٠) ، يريد أن الوادى كان متزيناً بهم ؛ فلما ارتحلوا عنه تعطل كالعنق إذا سقط عنه العقد .

لا تُنكرِ الحسَّ مِنْ دارٍ تكونُ بها   فإنّ رِيحكَ رُوحٌ فى مَغانيها(١)

***

إنما تَنْجحُ المَقالةُ فى المَرْ   ءِ إذا وافقَتْ هَوًى فى الفؤادِ(٢)

وإذا الحِلمُ لم يكُنْ عن طِباعٍ   لم يُحَلِّمْ تَقَدُّمُ الميلادِ

وإذا كان فى الأنابيبِ خَلْفٌ   وَقعَ الطَّيشُ فى صُدور الصِّعادِ(٣)

***

تَحَمّلوا حَمَلَتْكُمْ كلُّ ناجيةٍ   فكلُّ بَيْنٍ علىَّ اليومَ مُؤْتَمَنُ(٤)

***

كلّما أنبتَ الزمانُ قَناةً   رَكَّبَ المرء فى القَنَاةِ سِنانَا(٥)

وإذا لم يكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ   فمِنَ العَجز أن تكونَ جبانَا

***

إنَّا لَفِى زَمنٍ تَرْكُ القبيح به   من أكثرِ الناس إحسانٌ وإجمالُ(٦)

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثَّانى وحاجَتُهُ   مَا فاتَهُ وفُضُول العَيْش أشْغالُ

لَطَفْتَ رأيكَ فى بِرّى وتَكْرِمَتى   إنَّ الكريمَ على العَلْياءِ يَحْتالُ

***

---

(١) ديوانه (٤ : ٢٦٨) . المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل والمسكن .

(٢) ديوانه (٢ : ٣١) ، وفى الديوان :

* إذا صادفت هوى فى الفؤاد *

(٣) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة المستقيمة ، والطيش : الخفة ، والأنابيب : جمع أنبوب .

(٤) ديوانه (٤ : ٢٣٥) ، والناجية : الناقة المسرعة .

(٥) ديوانه (٤ : ٢٤٠) .

(٦) ديوانه (٣ : ٢٨٧) .

رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وكادَ نباتُها يُرَكِّبُ فيها زُجَّها وسِنانَها(١)
وسَمْراءُ يَسْتَغْوِى الفَوارِسَ قَدُّها ويُذْكِرُها كَرَّاتِها وطِعانَها

* * *

وغالَبَهُ الأعداءُ ثم عَنَوْا له كما غالبَتْ بيضَ السُّيُوفِ رِقابُ(٢)
ولا مُلْكَ إلّا أنتَ والمُلْكُ فَضْلَةٌ كأنَّكَ سَيْفٌ فيه وَهْوَ قِرَابُ(٣)

* * *

فلَا تَرْجُ الخيرَ عند امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فى رَأْسِهِ(٤)

* * *

إذا أَتت الإساءةُ من وَضيعٍ ولَمْ أَلُمِ المُسِئَ فمَنْ أَلومُ(٥)

* * *

لَا تَشْتَرِ العَبدَ إلّا والعَصَا مَعَهُ إنَّ العَبيدَ لأنجاسٌ مَناكِيدُ(٦)

* * *

ومَنْ جَهِلَتْ نفسُه قَدْرَهُ رأى غَيْرُهُ منهُ ما لَا يَرَى(٧)

* * *

كلَّمَا عادَ مَنْ بعثتُ إليها غارَ مِنِّى وخَانَ فيما يقولُ(٨)

---

(١) ديوانه (٤ : ١٧٠) ، ردينية : منسوبة إلى ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح . والزج : الذى يكون فى أسفل الرمح ، والسنان : الذى فى أعلاه .

(٢) ديوانه (١ : ١٩٤) ، عنوا : خضعوا وذلوا .

(٣) القراب : الغشاء الذى فيه يكون السيف والسكين ، ويروى : « كأنك نصل » .

(٤) ديوانه (٢ : ٢٠٤) ، فى رأسه : يعنى على رأسه .

(٥) ديوانه (٤ : ١٥٢) ، وفى الديوان : « من لئيم » .

(٦) ديوانه (٢ : ٤٣) ، المناكيد : جمع منكود ، وهو الذى فيه نكد .

(٧) ديوانه (١ : ٤٤) . (٨) ديوانه (٣ : ١٤٨) . يقول : كلما عاد إليها من أبعثه ، وشاهدها من أرسله ملكه الافتتان بحسنها وشاركنى فى الشغف بها ، وأظهر الغيرة منى عليها ؛ فخالفنى فى أمره ، وخالفنى فى جملة قوله

أفْسَدَتْ بيننا الأماناتِ عَيْنَا هَا وخَانتْ قُلوبَهنَّ العُقولُ[(١)]

* * *

ومَنْ رَكبَ الثورَ بعد الجوا دِ أنْكرَ أظلافه والغَبَبْ![(٢)]

* * *

أتى الزمانَ بَنوهُ فى شَبيبتهِ فسرَّهُمْ وأتيناهُ على الهَرَم[(٣)]

* * *

إنْ أوْحَشَتْكَ المَعَالى فإنها دَارُ غُرْبَه[(٤)]
أوْ آنسَتْكَ المَخَازِى فإنهــا لَكَ نِسْبَهْ

* * *

إذا سَمِعَ الناسُ ألفاظه خَلَقْنَ له فى القلوبِ الحَسَدْ[(٥)]

* * *

وغَيْظٌ على الأيام كالنارِ فى الحَشَا ولــكنه غَيْظُ الأسير على القِدِّ[(٦)]
وقد كنتُ أدركتُ المُنَى غيرَ أنّنى يُعَيِّرُنِى أهْلى بإدراكِها وحْدِى[(٧)]

* * *

وألْقى الشرقُ منها فى ثيابى دَنانيرًا تَفِرُّ من البَنانِ[(٨)]

* * *

---

(١) يقول أفسدت عيناها بسحرهما الأمانات بينى وبين من أنزل الثقه به وأعتقد الخلاص له .
(٢) ديوانه (١ : ٩٨). الغبب للبقرة : ماتدلى تحت حنــكها ، والظلف: ماتطأبه الأرض كالقدم للانسان . (٣) ديوانه (٤ : ١٦٣) . (١) ديوانه (١ : ٢٠٩) .
(٥) دبوانه (٢ : ٥٨) . (٦) ديوانه (٢ : ٦١) ، والقد : سير يشد به الأسير.
(٧) ديوانه (٢ : ٦٩) . (٨) ديوانه (٤ : ٢٥٣) .

وهو مثل قوله فى كلمة أخرى(١)

إذا ضَوْءها لاَقَى منَ الطيرِ فرْجةً   تَدَوَّرَ فوقَ البيضِ مثل الدراهِم

* * *

فلو طُرِحَتْ قلوبُ العشقِ فيها   لما خافت من الحَدَقِ الحِسَانِ(٢)

* * *

قالَتْ : ألاَ تَصْحُو ! فقلت لهـا   أَعْلَمْتِنِى أَنَّ الهوَى ثَمِلُ(٣)

فوقَ السماء وفوقَ ما طلبُوا   فإذا أرادُوا غايةً نزَلوا

* * *

وما أنا غيرُ سَهْمٍ فى هواء   يَعُودُ ولم تَجِدْ فيه امْتِساَكا(٤)

* * *

شُجاَعٌ كأَنَّ الحربَ عاشِقَةٌ له   إذَا زارها فدَّتهُ بالخيل والرِّجْلِ(٥)

* * *

يَرْمِى النُّجُومَ بِعَيْنَىْ مَنْ يحاولُها   كأنها سَلَبٌ فى عَيْنِ مُسْلُوبِ(٦)

* * *

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فهُنَّ كأنما   يُبْدِينَ مِن عِشْقِ الرِّقاب نُحُولاَ(٧)

* * *

(١) ديوانه (٤ : ١١٤) .   (٢) ديوانه (٤ : ٢٦٠) . يريد قلوب أهل العشق.

(٣) ديوانه (٣ : ٢٠٢) .   (٤) ديوانه (٢ : ٣٩٦) .

(٥) ديوانه (٣ : ٢٩٨)   (٦) ديوانه (١ : ١٧٥) ، وفى الأصلين :

* رأى النجوم بعين من يحاولها *

والسلب : الشىء المسلوب

(٧) ديوانه (٣ : ٢٣٧) ، مضاربه : حداه .

فلذا أتتْكَ مَذَمَّتى من ناقص ... فهى الشَّهادةُ لى بأنى كاملُ[١]

* * *

وما التِّيهُ طِبِّى فِيهمْ غير أنَّنى ... بَغِيضٌ إلَىّ الجاهلُ المُتعاقِلُ[٢]

* * *

فَمَا تُرَجِّى النُّفُوسُ من زَمَنٍ ... أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ[٣]!

* * *

تعقيب

قد وفَينا لكَ بما اقتضاه شرطُ الضمانِ وزِدنا ، وبرئنا إليكَ مما يوجبه عقد الكفالة وأفضلنا ، ولم تكن بُغْيتنا استيفاءَ الاختيار ، واستقصاءَ الانتقاد ؛ فيقال : هلاّ ذكرتَ هذا فهو خير مما ذكرتَ ؛ وكيف أغفلتَ ذاك وهو مُقدَّم على ما أثبت ! وإنما دعوْناكَ إلى المقاصّة ، وسِمْنَاكَ[٤] فى ابتداء خطابنا[٥] المحاجّة والمحاكمة ؛ فلزمنا طريقة العدل فيها ، والتقطنا من عُروض الديوان أبياتًا لم نذهب — إن شاء الله — فى أكثرها عن جهة الإصابة ، فإن وقع فى خلالها البيتُ والبيتان فلأنّ الكلام معقودٌ به ، والمعنى لايتمّ بدونه ، وما يتقدمه وما يليه مفتقر إليه ، أو لغرض لا تعظم الفائده إلا بذكره ، ويضيقُ هذا القدر من الخطاب عن استقصاء شرحه ، أو لسهو عارضَ التميز ، وغَفْلَةٍ لابست الاختيار .

وقد جعلنا لك أن تحذف منه ماأحببتَ ؛ وأبحنالك أن تُسقط ما أردتَ ، فإن الذى يفضل نقدك منه ، ويوافقنارأيك عليه ، ينجز وعدك ويبلغ غايتك؛ ويبقى ماوقعت الموافقةُ عليه بيننا وبينك . ثم طالع بقية شعره ، وتصفَّح فضالة ديوانه ؛ لتعلم أنالم نقصد استيعابَ

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٦٠) . (٢) ديوانه (٣ : ١١٧) .

(٣) ديوانه (١ : ٢٦٣) ، أحمد حاليه : البقاء ، وهو غير محمود .

(٤) سمناك : كلفناك . (٥) فى ا « خطابك » ، وما أثبتناه عن ب .

عيونه ، وأُخْذَ صفوته ولُبابه ، وأن فيما غادرنا منه ولم نعرض له مايمكن فيه محاكمتك ، ولا تضعف معه محاجّتك ؛ ولعلك إذا رأيتَ هذ الجدّ فى السعى ، والعنفَ فى القول تقول : إنما وقفت موقفَ الحاكم المسدد ، وقدصرت خَصْماً مجادلا ، وشرعت شروع القاضى المتوسط ، ثم أراك حربا منازعا ؛ فإن خطر ذلك ببالك ، وحدَّثتْك به نفسك فأَشْعِرها الثقة بصدق ، وقرِّر عندها إنصافى وعَدْلى ، واعلم أنى رسولٌ مُبَلِّغ ، وسامع مُؤَدّ ، وأنى كما أُناظرك أناظر عنك ، وكما أخاصمك أخاصم لك ؛ فإن رأيتنى جاوزتُ لك موضع حجة فردّنى إليها ، ونبِّهنى عليها ، فما أُبَرِّئ نَفْسى من الغَفْلة ، ولا أَدَّعى السلامة من الخطأ ؛ والمدّعى أشد اهتماما بما يحقّق دعواه من المتوسط ، وعناية الخصم بشهوده أتمّ من عناية الحاكم ،

***

عود إلى نقد شعر المتنبى

وأعودُ إلى نَسَق الكلام الأول فأقول : ورأيتك وأصحابك أَنْحَيْتُمْ فى منازعة خصمكم على ادّعاء السَّرَق ؛ فقال قائلكم : مايَسْلَمُ له بيت ، ولا يخلص من معانيه معنى ؛ وما هو إلا ليث مُغِير ، أو سارق مُخْتَلِس ، وأنشد منشدكم قول أبى تمام[1] :

مَنْ بنو بَحْدَل مَن ابن الحُبَاب[2] ... مَنْ بنو تَغلب غداة الكلاب

إنما الضيغمُ الهصورُ أبو الأَشْ ... بال رِئْبَالُ[3] كلّ خِيس وغابِ

من عَدَتْ خيلُه على سرح شعرى ... وهو للحين راتعٌ فى كتابى

غارة أَسخنت عيونَ المعالى[4] ... واستحلَّت محارمَ الآداب

(١) ديوانه ص ٤٨٧ ، يهجو شاعراً سرق شعره . (٢) فى الأصل :

* من بنو نجدل من ابن الحساب *

وهذه رواية الديوان .

(٣) فى الديوان : « مناع كل خيس » . والخيس : الشجر الملتف أو موضع الأسد .

(٤) فى الديوان : « أسخنت عيون القوافى » .

ياعَذَارَى الكلام صِرْتُنَّ من بَعْـ   ـدى سبايا تُبَعْنَ فى الأعراب

وقلت : إنما عمد إلى شعر أبى تمام فغيّر ألفاظه ، وأبدل نظمه ؛ فأما المعانى فهى تلك بأعيانها ؛ أو ماسرقه من غيرها ، فإن اعتمد على قريحته ، وحصل على فكره وخاطره ، جاء بمثل قوله[١] :

إن كانَ لايُدْعَى الفَتى إلاَّ كَذَا   رَجُلاً فسمِّ النَّاسَ طُرًّا إِصْبَعا

ومثل قوله[٢] :

أيَا أسَداً فى جسمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ   وكَمْ أُسْدٍ أرواحُهُنَّ كِلاَبُ

جرَى الخُلْفُ إلاَّ فيكَ أنَّكَ وَاحِدٌ   وأنَّكَ لَيْثٌ والمُلوكُ ذِئَابُ

وأنكَ إنْ قويِسْتَ صَحَّفَ كاتِبٌ[٣]   ذِئَاباً ولم يُخْطِئْ فقال ذُبابُ

ومثل قوله[٤] :

لو كانَ صادَفَ رأسَ عازَرَ[٥] سَيفُهُ   فى يوم مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى

أو كانَ لُجُّ البَحْرِ مِثلَ يَمِينِه   ما انْشَقَّ حتى جازَ فيهِ مُوسَى

أو كانَ لِلنِّيرَانِ ضوءُ جَبِينِهِ   عُبِدَتْ فكانَ العَالَمُون مَجُوسَا

فأعيته المعانى ، حتى التجأ إلى استصغار الأنبياء ــ عليهم السلام .

وقوله[٦] :

لم تُسْمَ ياهارون[٧] إلاّ بَعْدَ ما اقْـ   ـتَرَعْتَ ونازعَتِ اسمكَ الأسماءُ

فغَدَوْتَ واسْمُكَ فيكَ غيرُ مُشَارَكٍ   والناسُ فيما فى يَدَيْك سَواءُ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٦٧) .   (٢) ديوانه (١ : ١٩٦) .

(٣) فى الديوان : « صحف قارئٌ » .   (٤) ديوانه (٢ : ١٩٨) .

(٥) عازر : رجل من بنى إسرائيل ، وهو الذى أحياه الله لعيسى ابن مريم . ويوم معركة : يوم حرب .   (٦) ديوانه (١ : ٢٨) .

(٧) هو أبو على هارون بن عبد العزيز الكاتب .

وقوله(١) :

فَخُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فى الْـ ... مُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائقَ الزِّلْزَالِ
رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ ... دِ وَطِينُ الرِّجال مِنْ صَلْصَالِ
وَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتِ الْمَا ... ءَ فصارتْ عُذُوبَةً فى الزُّلَالِ

فهذا مقدارُ اختراعه ، وهذه طريقةُ ابتداعه ، فإن زاد عليه وتجاوزَه قليلا اضطرّ إلى تعقيد اللفظ ، وفساد الترتيب ، واضطرابِ النَّسْجِ ؛ فصار خيرُه لا يفى بشرّه ، وجُرْمه يزيدُ على عُذْره ؛ ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف ؛ وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة كقوله(٢) :

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كلِّ حَىٍّ مِثْلَهُ ... وَلَدَ النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ(٣)

ولِمَ يُسْتَغنى بطيب المولد عن القابلة ؟ وإذا استُغْنى عنها كان ماذا ؟ وأىّ فَخْر فيه ؟ وأى شرف يناله ؟

وقوله(٤) :

لِمَنْ مالٌ تُمَزِّقُهُ العَطايا ... ويَشْرَكُ فى رَغَائِبِهِ الأنامُ
ولا نَدْعُوكَ صاحِبَهُ فَتَرْضَى ... لأنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ(٥)

لمَّا وقع له المعنى الذى يُقَارِب الحسن ضعُفَ عن تحسين لفظه ؛ فجاء كما ترى .

وقوله(٦) :

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وإنما ... حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ(٧)

---

(١) ديوانه (٣ : ١٩٧) . (٢) ديوانه (٣ : ٢٥٧) .

(٣) القوابل جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة .

(٤) ديوانه (٤ : ٧٩) . (٥) أراد بصحبته ، فحذف الهاء ضرورة . الذمام : العهد ، وقيل : جمع ذمة ، وهى الأمان . (٦) ديوانه (١ : ٣٠) .

(٧) الرحضاء : عرق الحمى .

هل زاد على أنْ جعلَ السحاب يحمّ فأفرط ؛ كما جعل أبو تمام الدهر يصرع فى قوله(١) :

* خطوبٌ كأنَّ الدهرَ منهنَّ يُصرَعُ(٢) *

وجعل بشّار الزّمانَ يَمُوقُ(٣) فى قوله(٤) :

وما أنا إلّا كالزّمان فإن صَحَا(٥) صَحَوْتُ وإن ماقَ الزّمانُ أَمُوقُ

وقوله(٦) :

فإن مارَيْتَنى(٧) فارْكَبْ حصاناً ومَثّلْهُ تَخِرَّ لهُ صَرِيعاً

وهذا المعنى عامى ، وكذلك قوله(٨) :

وكلُّ مكانٍ(٩) أتاه الفتى على قَدَرِ الرِّجْلِ فيه الخُطا

وقوله(١٠) :

لَوِ الفَلَكَ الدَّوّارَ أبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعوّقَه شيءٌ عنِ الدَّوَرانِ

وهـذا البيت من قلائده ، إلّا أنك تعلم ما فى قوله « شىء » من الضعف الذى يجتنبه الفحول ، ولا يرضاه النقّاد . وهو وأشباه هذا مما لم نُرد استقصاءه ؛ وإنما دَلَلْناك على منهاجه ، وأريناك بابَه ، وقد قدّمنا ما استرذلنا من شعرِه .

* * *

(١) ديوانه ص ١٩٠ . (٢) أوله :

* تروح علينا كل يوم وتغتدى *

(٣) ماق : حمق فى غباوة . (٤) الأغانى (٣ : ٢٢٥) (طبعة الدار) .

(٥) فى الأغانى : « إذا صحا » . (٦) ديوانه (٢ : ٢٥٦) .

(٧) المماراة : المجادلة (٨) ديوانه (١ : ٤٢) . (٩) فى الديوان :

* وكل طريق أتاه الفتى *

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٤٧) .

فلسفته في شعره

وإنما تجدُ له المعنى الذى لم يسبقه الشعراء إليه إذا دقق ، فخرج عن رسم الشعر إلى طريق الفلسفة ، فقال(١) :

ولَجُدْتَ حتى كِدْتَ تَبْخَلُ حائِلًا(٢) للمنتهَى ومن السرورِ بُكاءُ

وقال(٣) :

إلْفُ هذا الهواءِ أوْقَعَ فى الأنْـ فُسِ أنّ الحِمامَ مُرُّ المَذاقِ

والأسَى قبلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ والأسَى لا يكونُ بعد الفِراقِ

وقوله(٤) :

تَخَالفَ النـاسُ حتى لا اتِّفاقَ لهم إلّا على شَجَبٍ والخُلْفُ فى الشَّجَبِ(٥)

فقِيلَ تَخْلُصُ نفسُ المَرْءِ سالِمةً وقيل تَشرَكُ جسمَ المرء فى العَطَبِ

وقوله(٦) :

خَلَفَتْ صِفاتُك فى العُيون كلامَه كالخطِّ يَمْلأُ مِسْمَعَى مَنْ أبْصرا

---

(١) ديوانه (١ : ٢٩) . (٢) حائلا : راجعا .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٦٩) . (٤) ديوانه (١ : ٩٥) .

(٤) الشجب : الهلاك والحزن . (٥) ديوانه (٢ : ١٦٨) .

السرقات الشعرية

قد أنصفناك فى الاستيفاء لك ، والتبليغ عنك ، ولسنا نُنكِرُ كثيراً مما قلتَه ، ولا نردّ اليسير مما ادّعيتَه ، غير أن لخَصْمك حُجَجًا تُقابل حُجَجك ، ومقالًا لا يُقَصّر عن مَقالك . وزعم خَصْمُك أنك وأصحابَكَ وكثيراً منكم لايعرفُ من السَّرَق إلا اسمَه ، فإن تجاوزه حصل على ظاهره ، ووقف عند أوائله ؛ فإن استُثْبتَ فيه ، وكُشِف عنه ، وُجد عارياً من معرفة واضحهِ ، فضلا عن غامضهِ ، وبعيداً من جليّه ، قبل الوصول إلى مُشْكله ؛ وهذا باب لاينهض به إلّا الناقد البصير ، والعالم المبرِّز . وليس كلّ مَنْ تعرّض له أدركه ، ولا كلّ مَنْ أدركه استوفاه واستكمله . ولستَ تعدّ من جهابذة الكلام ، ونُقّاد الشعر ، حتى تميِّزَ بينَ أصنافهِ وأقسامهِ ، وتحيط علماً برُتَبه ومَنازله ، فتفصل بين السَّرَق والغَصْب ، وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتَفْرِق بين المشتركِ الذى لا يجوز ادّعاء السَّرَق فيه ، والمبتذلِ الذى ليس أحدٌ أولى به ، وبين المختصّ الذى حازه المبتدئُ فملكه ، وأحياه السابق فاقتطعه ، فصار المعتدى مُختَلِسًا سارقاً ، والمشارِك له محتذياً تابعاً ، وتعرفَ اللفظَ الذى يجوزُ أن يقالُ فيه : أُخذ ونقل ، والكلمةَ التى يصحُّ أن يقال فيها : هى لفلان دون فلان .

* * *

المعانى المشتركة والمتداولة

فتى نظرتَ فرأيتَ أن تشبيه الحَسَن بالشمس والبدرِ ، والجوادِ بالغيث والبحر ، والبليدِ البطئ بالحجر والحمار ، والشجاعِ الماضى بالسيف والنار ، والصبّ المستهام بالمخبول فى حيرته ، والسليم فى سَهره ، والسقيم فى أنينه وتألّمه ، أمورٌ[1] متقررة فى النفوس ، متصوّرة للعقول ، يشتركُ فيها الناطقُ والأبكم ، والفصيحُ والأعجم ،

(١) خبر أن ، فى قوله : « فرأيت أن تشبيه » .

والشاعرُ والمفحَم، حكمتَ بأنَ السرقةَ عنها مُنْتَفية ، والاخذَ بالاتباع مستحيل ممتنع، وفَصلتَ بين ما يشبه هذا ويُبَايِنُه ، وما يلحق به وما يتميّزُ عنه ، ثم اعتبرتَ مايصحّ فيه الاختراعُ والابتداع ؛ فوجدتَ منـه مستفيضاً مُتَدَاولا متناقلا لايعدّ في عصرنا مسروقاً ، ولا يُحْسَب مأخوذاً ، وإن كان الأصلُ فيه لمن انفرد به ، وأوّله للذي سَبَقَ إليه ؛ كتشبيه الطّلَل المُحيل بالخطّ الدَّارِس وبالبُرْد النَّهج[1] والوَشْم في المِعْصَم ، والظُّعُنِ المتحمِّلة بالنَّخل ، وعلائقها بأعذاق البُسْر ، والفحل بالفَدَن[2] المَشيد ، والظَّليم المهيج بأحْقَب[3] يسوقُ أُتنه ، وكوصف الحول ومَوَرَانِ[4] الآلِ بها ، وذم الغراب ، والصُّرَد ، والسانِح[5] ، والبارِح[6] ، وسؤال المنزل عن أهله ، والتفجّع لمن استبدل بعد ساكنه ، ولومِ النفس على بُكاء الدار ، واستعطاف العقل واستبطاء الصبر ، وتحسينه تارةً وتقبيحه أخرى ، وتشبيه الفرس باللقْوَة[7] ، والظَّبي بشهاب قَذُف ، والعِقاب بالدَّلو التي خانها الرّشاء ، وكوصف الغيثِ بالعموم والتطبيق[8] ، واقْتِلاع الدوح، وتفريق الوَحْشِ ، وتشبيه دَفْعه بِعَطّ[9] المَزَاد ، وحَلّ العَزَالِي[10]

---

(١) نهج البرد : بلى . (٢) الفدن : القصر المرتفع .

(٣) الأحقب : الحمار الوحش الذى فى بطنه بياض . (٤) الموران : الاضطراب .

(٥) السانح : ما أتاك عن يمينك من ظبى أو طائر أو غير ذلك .

(٦) البارح : ما أتاك عن يسارك من ظبى أو طائر أو غير ذلك .

(٧) اللقوة : بفتح اللام المشددة وكسرها : المرأة السريعة اللقاح ، كالناقة والعقاب الأنثى ، أو الخفيفة السريعة .

(٨) التطبيق : من طبق الشىء تطبيقا : عم ، وطبق السحاب الجو : غشاه ، وطبق الماء وجه الأرض : غطاه . (٩) العط : الشق .

(١٠) العزالى : جمع عزلاء ؛ مصب الماء من القربة فى أسفلها حيث يستفرغ مافيها من الماء ، وتفتح اللام وتكسر .

ووصف البرق بخَطْف الأبصار ، وسرعة اللّمح ، وأنه كالقبَس من النار ، وكالحريق المتضرّم ، وكمصباحِ الرّاهب .

ولم أرد هذه بأعيانها دون غيرها، ولم أُوردها إلّا دلائل على أمثالها؛ فإذا اعتبرتَها تصنّفت لك صنفين : إما مشتركٌ عامُّ الشّركة ، لاينفردُ أحدٌ منـه بسَهم لا يُساهَم عليه[١]، ولا يختصّ بقِسْم لا يُنازَع فيه ؛ فإن حُسْنَ الشمس والقمر، ومَضَاء السيف، وبلادةَ الحمار ، وجَوْد الغيْث ، وحيرة المخبول ، ونحو ذلك مقرّر فى البداية ، وهو مركّب فى النفس تركيبَ الخِلْقة . وصِنْفٌ سبق المتقدّم إليه ففاز به ، ثم تُدُوول بعده فكثُر واستُعمل؛ فصار كالأول فى الجلاء والاستشهاد ، والاستفاضة على ألْسُن الشعراء، فحمى نفسه عن السَّرَق ، وأزال عن صاحبه مذمّة الأخذ ، كما يُشاهد ذلك فى تمثيل الطَّلَل بالكتاب والبُرْد ، والفتاة بالغزَال فى جيـدها وعينيها ، والمهَاة فى حُسْنها وصفائها . ومتى شئتَ أن ترى ما وصفتهُ عِياناً ، وتعلمه يقيناً فاعترض أوّل عامى غُفْل تستقبله ، وأعجمى جِلف تَلْقاه ، ثم سَلْه عن البرق فإنه يؤدى إلى معنى قول عَنْتَرة[٢] :

أَلا يَامَا لِذَا الْبَرْقِ الْيَمَانِى يُضِىءُ كأنَّه مِصبـاحُ بَانِ[٣]

وإن لم يذكر لك البانَ لجَهْله بعادة العرب فى الاستصباح به ، ولأنه لم يعرف منه ما عرفه عَنْترة ، ومعنى امرئ القيس فى قوله[٤] :

يُضِىءُ سَنَاه أو مصابيحُ رَاهِبٍ أَمالَ[٥] السَّلِيطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ

---

(١) لا يساهم : لا يقارع . (٢) لم نجده فى ديوانه .

(٣) البان : من العضاه ، وله حب ، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان .

(٤) ديوانه ص ٤١ . (٥) رواية الديوان :

* أهان السليط بالذبال المفتل *

والسليط : الزيت . والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة .

وهيهات أن يعرضَ لك الأديبُ الفَطِن لقول عامر الثقفى :

كأن رَيِّقَه لما عَلاَ سَبِطاً(١) أقْرابُ أبلق ينفى الخيلَ رَمّاح

وقول آخر :(٢)

وترى البرقَ عارضاً مُستَطِيرا مَرَحَ البُلْقِ جُلْنَ فى الأجلال

إلاّ عن روية كثيرة ، أو فِكْر طويل ، ولو سمعتَ قائلا يقول إن فلانا الشاعر أخذعن فلان قولَه : لامرحباً بالشيب، وحبَّذا الشباب ! وكيف لو عاد ، ويا أسفى لفراق الأحبة ! وما لذِذت العيش بعدهم ، وفاضت عينى صبابةً لذِكْرهم . لحكمت بجهله ، ولم تشك فى غَفْلته . وقد يكون فى هذا الباب ما تَتَّسِعُ له أمة ، وتضيق عنه أخرىَ ، ويُسبقُ إليه قومٌ دون قوم ؛ لعادةٍ أو عهد ، أو مشاهدة أو مِرَاس ؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتَرِيكَة(٣) النّعامة ، ولعلّ فى الأمم من لم يرها ؛ وحمرةَ الخدود بالورد والتفاح ؛ وكثيرٌ من الأعراب من لم يعرفهما ؛ وكأوصاف الفَلاَة ، وفى الناس من لم يُصْحِر ؛ وسيرَ الإبل ؛ وكثير منهم لم يركب .

* * *

التفاضل فى الشعر المتداول

وقد يتفاضل متنازعو هذه المعانى بحسب مراتبهم من العلم بصَنْعة الشعر ؛ فتشترك الجماعة فى الشئ المتداوَل ، وينفردُ أحدهم بلفظة تُستعذب ، أو ترتيب يُستحسَن ، أو تأكيد يُوضع موضعه ، أو زيادة اهتدى لها دون غيره ؛ فيريك المشترَك المبتذل فى صورة المبتدَع المخترع ، كما قال لبيد(٤)

(١) يقال : مطر سبط ؛ أى سح . القرب (بضم القاف وسكون الراء ، وبضمهما) الخاصرة ، وجمعه الأقراب . (٢) منسوب إلى كثير — كما فى اللسان .

(٣) التريكة : البيضة بعد ما يخرج منها الفرخ ، وخص بعضهم به بيض النعام التى تتركها بالفلاة بعد خلوها مما فيها ؛ وقيل : هى بيض النعام المنفرد .

(٤) اللسان — مادة زبر ، العمدة (١ : ١٩٧) ، وشرح المعلقات للتبريزى ص ١٢٨

وجَلَا السُّيُولُ عن الطُّلُولِ كأنها زُبُرٌ[١] تُجِدُّ مُتُونَها أقْلامُها

فأدّى إليك المعنى الذى تداولته الشعراء ، قال امرؤ القيس[٢] :

لِمَنْ طَلَلٌ أبصَرْتُه فشَجَانى كخَطِّ زَبُورٍ فى عَسِيبٍ يمانى[٣]

وقال حاتم[٤] :

أتعرِفُ أطْلالاً ونؤياً مُهَدَّما كخطّك فى رَقٍّ كِتابا مُنَمْنَما

وقال الهذلى[٥] :

عرفتُ الديار كرَسْمِ الكِتا ب يَزْبُره الكاتبُ الْحِمْيَرى

وأمثال ذلك مما لا يُحصى كثرة ، ولا يَخفَى شُهرة ، وبين بيت لبيد وبينهما ماتراه من الفَضْل ، وله عليها ما تشاهد من الزيادة والشِّف[٦] . ولم تزَل العامَّة والخاصة تشبّه الوردَ بالخدود ، والخدود بالورد ، نثرا ونظما ، وتقول فيه الشعراء فتُكْثِر ، وهو من الباب الذى لا يمكن ادّعاء السَّرقةِ فيه إلا بتناول زيادة تُضمّ إليه ، أو معنى يُشفَع به ، كقول علىّ بن الجَهْم :

عشيةَ حيَّانى بوَرْدٍ كأنه خدودٌ أُضِيفت بعضُهن إلى بعض

فإضاف بعضهن إلى بعض له ، وإن أُخذ فمنه يؤخذ ، وإليه ينسب . وكقول ابن المعتز :

بياضٌ فى جوانبه احمرارٌ كما احمرَّت من الخَجل الخدودُ

---

(١) الزبور : الكتاب ، والجمع زبر . وتجد : تجدد (٢) ديوانه ص ١٠٩ .

(٣) العسيب : سعف النخل ، وفى الديوان :

* كخط الزبور فى العسيب اليمانى *

(٤) شعراء النصرانية ص ١١٨ . (٥) اللسان — مادة دوى ، وروايته :

عرفت الديار كخط الدو ى حبره الكاتب الحميرى

(٦) الشف (بفتح الشين وكسرها) : الفضل والزيادة ، والمعروف بالكسر .

والخَجِل إنما يحمّر وجنتاه ، فأما منبت الأصداغ، ومخطّ العِذَار فقليلا مايحمّران؛ فهذا التميز مسلّم له ، وإن لم يكن يسبق إليه ، ولو اتفق له أن يقول : حمرة فى جوانبها بياض ، لكان قد طبّق المَفْصِل ، وأصاب الغرَض ، ووافق شَبَه الخجل ؛ لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان ، فجعل الاحمرارَ فى حوانب البياض ، فراغ عن موقع التشبيه . ثم قال أبو سعيد المخزومى :

والوردُ فيه كأنما أوْراقُه نُزِعت وردّ مكانهن خدود

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرّد ، لكنه كساه هذا اللّفْظَ الرشيق ، فصرت إذا قستَه إلى غيره وجدتَ المعنى واحداً ، ثم أحسستَ فى نفسك عنده هِزّة ، ووجدت طرْبَة تعلم لها أنه انفردَ بفضيلة لم يُنازَع فيها .

***

السرقة الممدوحة

ومتى جاءت السرقةُ هذا المجيء لم تُعَدّ مع المعايب ، ولم تُحْص فى جملة المثالب ، وكان صاحبها بالتفضيل أحقّ ، وبالمدح والتزكية أولى . ومن ذا يشكّ فى فضل امرئ القيس يشبّه الناقة فى سرعتها بتَيْس الظباء فى عَدْوه بقوله[١] :

أَو تيس أظبٍ ببطن واد يعدو وقد أُفْرِدَ الْغَزَالُ

على كل ماقِيل فيه ، والمعنى واحد ؛ لكن امرأَ القيس زاد إفراد الغزال ، وهذه زيادة حسنة ؛ لأنه إذا أُفرد احتمع للتيس الخوف والوَله ؛ فكان أشدَّ لعَدْوه ، وإن امرأ القيس زاد فى قوله يصف الطعنة[٢] :

كَجَيْبِ الدِّفْنِس[٣] الوَرْها ء رِيعَتْ وهى تَسْتَفْلِى

(١) ديوانه : ١٦٢ ، وروايته ــ بشرح السندوبى :

كأنها عنز بطن واد تعدو وقد أفرد الغزال

(٢) اللسان ــ مادة دفنس . (٣) الدفنس : المرأة الحمقاء .

على كل من شبَّهها بجَيْب الحمقاء ، وجَيْب الفتاة ، لأنها إذا رِيعَت وهى تستفلى عجلت عن الرّفق . وقال أوس بن حَجَر ،

وفى صَدْرِه مثـــلُ جَيْبِ الفتا … ة تشهق حيناً وحينا تهِرّْ

فزاد بالتقسيم الجارى على الشهيق والهَرِير ، ولـكنّ زيادة الأول أحسن وأغْمَض مأخذا ، وأوقع تشبيها ، فأما الفِنْد فإنه أورد البيت على حاله : واضطرته القافية إلى ترك الزيادة التى ذكرناها ؛ فقال :

كجَيْبِ الدِّفْنِس الوَرْها … ء رِيعَتْ بَعْدَ إجفَالِ

ومتى سمعتَ قول أبى دَهْبل الجُمَحى :

وكيف أنساك ! لا أيْدِيك واحدة … عندى ولا بالذى أوْلَيْتَ مِن قِدَم

علمتَ أنه من قولِ النابغة[1] :

أبى غفلتى أنى إذا ما ذكرتُه … تقطَّع حزنٌ فى حَشَى الجَوْفِ دَاخِل[2]

وأنَّ تلادى إنْ نَظَرت وشِـكَّتى … ومُهْرِى وما ضمَّت إلىَّ الأناملُ

حِبَاؤُكَ والعِيسُ العِتَاقُ كأنها … هِجَانُ المها تُرْدَى[3] عليها الرّحائل[4]

فإذا أنصفْتَ أبا دَهْبل عرفتَ فضْلَه ، وشهِدْتَ له بالإحسان ؛ لأنه جمع هـذا الـكلام الطويلَ فى : « ولا أيديك واحدة عندى » . ثم أضاف إليه « ولا بالّذى أوليتَ مِنْ قِدَم » . فتم المعنى ، وأكّده أحسن تأكيد ؛ لأن الأمور العظيمة قد تُنْسى إذا طال أمدُها ، وتقادَم عَهْدُها ؛ فنفى عنه وجوه النسيان كلّها ، وقد اختصر

---

(١) ديوانه ص ٦١ . (٢) فى الديوان :

* تحرك داء فى فؤادى شاغل *

(٣) ردت الفرس رديا ورديانا : رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها .

(٤) فى الديوان :

* هجان المها تحدى عليها الرحائل *

النابغةُ أبياته هذه فى بيتٍ من كلمة أخرى ؛ فقال(١) :

وما أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فانتصحنى فكيفَ ومِن عَطائِك جلُّ مالِى

فأحسن وزاد على أبى دَهْبل بأن جعل جُلَّ ماله من عطائه . واقتصر أبو دَهْبل على تتابع الأيادى ، وقد تَصْغُر وقد تَكْبُر ، لكنه انفرد بالمصراع الثانى ، فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى منفرد .

وما أبعد ما وقع العَطَوى من أبى دَهْبَل؛ إذْ أخذ قول ابن مُناذر (قال الأصمعى : ابن مَناذر(٢) جمع مُنْذِر . قال القاضى؛ وهو أعرفُ به لأنه بصرى) ؛ فقال :

تراضَيْنَا بحُكْمِ الله فينا لنا أدبٌ وللثّقَفىّ مالُ

ففرّقه فى أربعة أبيات ، بيتُ ابن مُناذر خيرٌ من جميعها ؛ فقال :

رضينا بحُكْمِ الله بين عباده رِضاَ عُلَماَء لا تَسَخُّط جُهّالِ
لئن خَصّ قوما بالنباهة والغِنَى وألْبَسَنا ثوبَىْ خمول وإقْلالِ
لقد جاء بالعِلْمِ النفيس الذى به رُشِدْنا فلم نلبس ملابسَ ضُلاَّلِ
فلو سُمْتَنَا لم نُعْطِ علماً بثروة ولم نرَ للتمييز كُفْواً مِنَ المالِ

وما ضرّ قول المتنبى(٣) :

فاستعارَ الحديدُ لَوناً وألقَى لونَهُ فى ذَوائبِ الأطفالِ

وإن كان مأخوذا من قول العامة : هذا أمرٌ يشيب الطفل . وكانتِ الشعراء قد تداوَلَتْه وابتذلته حتى أخلق ورثّ ، وقد زاد فيه الزيادة المليحة ، وإنما العيبُ على أبى

---

(١) ديوانه : ٦٥ ، ورواية الديوان مع بيت قبله :

فلا عمر الذى أثنى عليه وما رفع الحجيج إلى إلال
لما أغفلت شكرك فانتصحنى فكيف ومن عطائك جل مالى

(٢) من فتح الميم منه لم يصرفه ويقول : إنه جمع منذر لأنه محمد بن منذر بن منذر بن منذر ، ومن ضمها صرفه . (٣) ديوانه (٣ : ٢٠٠) .

الجُوَيرية[١] . العبدى إذ أخذ قول نُصَيْب[٢] ، فقال :

قفوا خبرونى عن سليمان إنّنى ... لمعروفه من أهل وَدّانَ طالبُ[٣]
فعاجُوا فأثنَوْا بالذى أنت أهلُه ... ولو سَكتُوا أثنت عليكَ الحقائب

فنقل معناه وكثيرا من ألفاظه ، ثم يَقعُ من إحسانه أحسن موقع فيقول :

أقولُ لِقَافلين يُرَى عليهمْ ... عطايا منكَ ليس لها حِسَاب
قِفُوا أُخبِرْكمُ وتُخَبِّرُونى ... قليلا والسَّرَابُ له اخْتِباب[٤]
لأُفْصِحَهم وما كفروكَ حُسْنا ... ولو فعلوا لـكذَّبه العِياب[٥]

وقد أخذ أبو الجُوَيرية بيتى الخَنْساء أحسن أحد ، وجمعهما فى بيت استوفى فيه معنييهما . قالت الخنساء :

وما بَلغت كفُّ امرىء متناول ... من المجد إلاَّ والذى فيك أطْوَلُ
وما بَلغ المُهْدُون نحوكَ مِدْحَة ... وإن أطنَبوا إلاّ وما فيك أفضلُ

فقال أبو الجُوَيرية :

يزيدُ على سَرْوِ الرجال بسَرْوِه[٦] ... ويقصر عنه قولُ مَنْ يتمدّح

وعلى من يأخذ قولَ أبى العطاء :

جَلَّتْ رزِيَّتُه فعمَّ مُصَابها ... فالناسُ فيه كلُّهم مَأْجُور

---

(١) أبو الجويرية العبدى : اسمه عيسى بن أوس العبدى ، شاعر محسن — سمط اللآلى ص ٣٢٣ .

(٢) البيان والتبيين (١ : ٨٣) .

(٣) رواية البيان والتبيين :

قفوا خبرونا عن سليمان إننى ... لمعروفه من آل ودان طالب

(٤) الخبب : ضرب من العدو ، والسرعة ، وخب واختب بمعنى .

(٥) العياب : جمع عيبة ، وهى مايجعل فيه الثياب .

(٦) السرو : المروءة فى شرف .

فيقول :

ولقد أصابَ غليلَها مَنْ لم يُصَب ... وتصيَّرَت فَقْداً لمن لم يَفْقِد

وبين الكلامين فى صحَّةِ النظم وعذوبة المنطق ما تراه . ثم قد كرّر المعنى فى المصراعين ، ولم يزد على قول أبى العطاء : فعم مصابه ، وبقية البيت فضل . ومن يأخذ قول ساعدة بن جؤية :

للمَشْرَفيَّةِ وَقْعٌ فى قِلاَلِهم ... نَحْتَ القُيُون رِطاب الأَثْل بالقُدُم

فيقول :

للمشرفيَّةِ وَقْعٌ فى قِلاَلِهم ... وَقْع القَدُوم بكفِّ القَيْنِ فى الخَشَبِ

فيبدل تلك الألفاظ ، والبيت نقلا ونسخا على هيئته لما كان هـذا المعنى يُعَدُّ مسروقا ؛ لأنه من المبتذَل العامى المشاهَد فى كل حال .

ومتى أحكمتَ هذا الباب حقَّ الإحكام ، وأوليتَه حسنَ التمييز فقد ألقيتَ عن نفسك ثقلا ، وكفيتها مؤونة ، ولم يبقَ عليك إلا أن تَحْترس من التفريط ، كما احترستَ من الإفراط . فلا تكن كمن يرى السَّرَق لايتمُّ إلا باجتماع اللفظ والمعنى ، ونَقْل البيت جملة ، والمصراعَ تامًّا ؛ بل لايَعْرِفُ السارق إلا من يفعل فِعل عبدِ الله ابن الزّبير بأبيات معن بن أوس . حكى أبو عبيدة وغيره أن عبدَ الله بن الزّبير دخل على معاوية فأنشده لنفسه(١) :

إذَا أَنتَ لم تُنْصِفْ أَخاكَ وجدتَه ... على طَرَفِ الهِجْرَان إن كان يَعْقِل

ويركبُ حدَّ السَّيفِ من أن تَضيمه ... إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ! ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوس المزنى ، فأنشده كلمته التى أولها(٢) .

---

(١) الأمالى (٣ : ٢١٨) . (٢) اللسان ــ مادة شقم ، وديوانه ص ٣٧٢ .

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإنى لأَوجَلُ ... على أيِّنَا تَعْدُو المنيةُ أولُ

حتى أتى عليها ، وهذه الأبيات فيها . فأقبل معاوية على عبدِ الله بن الزّبير فقال : ألم تخبرنى أنها لك ؟ فقال : المعنى لى واللفظُ له؛ وبعدُ فهو أخى من الرضاع وأنا أحقّ الناس بشعره .

وكفعل جرير بقول سُوَيد بن كراع العُكْلى (١) .

وما بات قومٌ ضَامِنِينَ لنا دماً ... فنوفيها (٢) إلا دِماءٌ شَوافِعُ

فإنه نقل البيتَ إلى قصيدة له ، فلما أنشدها نبه عليه عمر بن لجاء التيمى ، وكان أحدَ الأسباب التى هاجت الشر بينهما .

وفِعْل الفرزدق إذ سمع جميلا ينشد :

ترى الناسَ ما سِرْنَا يسيرون خَلْفَنا ... وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقَّفُوا

فقال : أنا أحقُّ بهذا البيت ، فأخذه غصباً. وكما ادعى دِعْبِل على أبى تمام (٣) فى كلمته الرائية ، التى رثى بها محمد بن حميد ؛ فإنه زعم أن أبا مَكْنفٍ المُزَنى ، من ولد زُهير بن أبى سلمى رَثَى ذُفافَةَ العَبْسى ، فقال :

أَبعد أبى العباس يُسْتَعتب الدّهرُ ... وما بعده للدهرِ عُتْبَى (٤) ولا عُذر

ألا أيّها الناعى ذُفَافَةَ والنَّدَى ... تَعِستَ وشَلَّت من أناملِك العَشْر

إذا ما أبو العباس خَلَّى مكانه ... فما حملَتْ أنثى ولا مَسَّها طُهْر

ولا مَطَرت أرضا سماءٌ ولا جَرَت ... نجومٌ ولا لذَّت لشاربها الخَمْرُ

كأنَّ بنى القَعْقَاع بعـــد وَفَاتِه ... نجومُ سماء خرَّ من بينها البَدْرُ

---

(١) ديوان جرير ص ٥٧ . (٢) فى الديوان : « فتوفينا » ، وفى اللسان : « فيشفينا » .

(٣) ديوانه ص ٣٦٨ ، أخبار أبى تمام ص ٢٠٠ ، وفى الأصلين : « كما ادعى وعمل » .

(٤) العتبى هنا : ما تعوتب به .

تُوفِّيتِ الآمالُ بعد ذُفَافَةٍ ... وأصبحَ فى شغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفْرُ
يُعَزَّوْنَ عنْ ثَاوٍ تَعزَّى به العُلا ... ويبكى عليه البَأسُ والمَجْدُ والشِّعرُ
وما كان إلاَّ مالَ مَنْ قَلَّ مالُه ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذُخْر

فأخذ أبو تمام أكثرَ هذه القصيدة وجعل مكان «بنى القعقاع» «بنى نبهان» وأبدل باسم ذُفافة محمدا .

أو كما فعل أبو نُخَيْلة بأُرْجوزَة العجَّاج : زعم أبو عبيدة عن أبى الخطاب أن أبا نُخيلة قال : وفدتُ على مَسلمة بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمنى وأنزلنى ، ثم قال لى : مالكَ والقَصيد وأنتَ من بنى سعد ! عليك بالرجز ! فقلت : أولستُ بأرجز العرب ؟ فقال : أسمعنى ، فأنشدته :

ياصاحِ ماشاقَك من رَسْمٍ خالِ ... ودمنةٍ تعرفُها وأطلالِ

وهو من قول العجّاج ، فلما سمع أولها أصاخ ، فلما أسهبتُ فيها قال : أمسك فنحنُ أَرْوى لهذا منك ، وظننته مقتَنى ، فما أصبتُ منه خيراً .

وكما أخذ زُهير(١) بيت أوس :

إذا أنتَ لم تَعرِض(٢) عن الجَهْلِ والخنا ... أصبتَ حليما أو أصابكَ جاهِلُ

وهو مرويٌّ فى قصيدته . وكقول المَعْلُوط(٣) :

إنَّ الظعائِنَ يَوْمَ حَزْمِ عُنَيْزَةٍ ... بَكَيْنَ(٤) عند فراقهنَّ عُيُونا
غيَّضْنَ من عَبَرَاتِهنَّ وقُلْنَ لى ... ماذا لقيتَ من الهوَى ولَقِينا !

وقال جرير(٥) :

إنَّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادروا ... وشَلاً بعَيْنِك مايزال مَعينا

---

(١) أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٧) . (٢) رواية الأمالى : « تقصر » .
(٣) الأمالى (٣ : ٨٠) . (٤) فى الأمالى : « أبكين » .
(٥) ديوانه ص ٥٧٨ .

غَيَّضْنَ من عَبَرَاتِهِنَّ وقلن لى ... ماذا لقيتَ من الهوى ولَقِينا

***

ولا تعدّ المعنى مأخوذا حتى يجىء مجىء قول النابغة(١) :

لو أنها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ راهبٍ ... عَبَد الإلَهَ صَرُورَةٍ(٢) متعبدِّ

وقول ربيعة بن مقروم(٣) :

لو أنها عرضَتْ لأَشْمَط رَاهبٍ ... عَبَد الإلَهَ صَرُورَةٍ مُتَبَتِّلِ

وقول امرئ القيس(٤) :

كأنِّىَ لم أركَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ ... ولم أَتَبَطَّنْ كاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ(٥)

ولم أَسْبَأْ الزِّقَّ الرَّوِىَ ولم أقُلْ ... لِخَيْلِىَ كُرِّى كَرَّةً بَعْدَ إجْفَالِ(٦)

وقول عبد يَغُوث بن وقاص الحارثى(٧) :

كأنىَ لم أرْكَبْ جَوَادًا ولم أقل ... لخَيلىَ كُرِّى نفِّسى عن رِجاليا

ولم أَسْبَأْ الزِّقَّ الروىّ ولم أَقُلْ ... لأيْسَار(٨) صدْقٍ عظِّمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

***

وقول النابغة(٩) :

وما كان دونَ(١٠) الخير لوجاءسالمًا ... أبُو حجر إلا لَيَالٍ قَلَائِل

---

(١) اللسان (مادة صرر) وديوانه ص ٣١ . (٢) الصرورة : الذى لم يتزوج .

(٣) اللسان (مادة تبل) . (٤) ديوانه ص ٥٨ .

(٥) الجواد : الفرس اللاحق ، ولم أتبطن ؛ من البطانة . والكاعب : الجارية التى كعب ثديها وارتفع . والخلخال من الحلى؛ مثل السوار . (٦) سبأ الخمر : اشتراها ، والروى : الذى يروى .

(٧) خزانة الأدب (١ : ٢٩٨) . المواهب الفتحية (١ : ١٠٨) .

(٨) الأيسار جمع ياسر ، وهو الجازر ، والذى يلى قسمة جزور الميسر .

(٩) ديوانه ص ٦٢ . (١٠) رواية الديوان : « بين » .

وقول الحطيئة(١) :

وما كان بينى لو لقيتُك سالِما   وبين الغِـنَى إلّا ليالٍ قَلائِل

* * *

وقال مالك بن الرَّيب :

العبــدُ يُقرَعُ بالعَصا   والحرُّ يكفيه الوَعيدْ

وقول يزيد بن [ربيعة بن] مُفرِّغ :

العبــدُ يُقرَع بالعصا   والحرُّ تَـكْفيه المَـلامَهْ

وقال آخر بعدها :

العبــدُ يُقرَع بالعصا   والحرُّ تَـكْفيه الإشارهْ

* * *

وقول ذى الرُّمة :

يَطْرَحْنَ بالدَّوِيَّةِ(٢) الأَمْلَاس(٣)   لـكلِّ ذئبٍ قَفْرَةٍ وَلّاس(٤)

مَوْتى العظام حيَّـةَ الأنفاس

وقول رُؤْبة :

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّةِ الأَغْفَالِ(٥)   كلَّ جنين لفق السِّرْبال

حىّ الشَّهيق مَيِّتِ الأوصال

* * *

(١) ديوانه ص ٩٩ .   (٢) الدوية : المفازة ، وفى الأصلين : « بالدرية » .

(٣) الملس : المكان المستوى ، والجمع أملاس .

(٤) الولاس : من الموالسة ، وهى المخادعة .

(٥) كل مالا علامة فيه ولا أثر للعمارة من الأرضين والطرق ونحوها غفل ، والجمع أغفال .

وقول امرئ القيس بن عابس(١) :

قِفْ بالدِّيار وُقُوفَ حابسْ ... وتأنَّ إنك غَـيْرُ آيسْ
ماذا عليك من الوقو ... ف بهامد الطَّـلَلين دَارِسْ
لعِبَت بهن العاصفات(٢) الرا ... ئحات من الرَّوائِسْ(٣)

وقول الـكُمَيت :

قف بالديارِ وقوفَ زائرْ ... وتأنَّ إنك غـيرُ صاغرْ
ماذا عليك من الوقو ... ف بهامد الطَّـللين دَاثِرْ
درجت عليه الغاديات الرَّا ... ئحات من الأعاصرْ

* * *

ومثل قول الأُقَيْشر - إن كانت له :

جرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ العِنَيقِ ... وهانَ عليَّ مأثُورُ الفُسوقِ
وَجَدْتُ أَلذَّ عارِيةِ اللَّيالِي ... قِرانَ النغْمِ بالوتَرِ الخَفُوقِ
ومُسْمِعَةً إذا ما شئتُ غنَّت: ... متى نزل الأحِبَّةُ بالعقيق
تمتَّعْ من شبابٍ ليس يبقى ... وصِلْ بعُرَى الصَّبوح عُرَى الغَبُوق(٤)

وقول أبي نواس(٥) :

جريتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجُمُوحِ ... وهان عليَّ مَأثورُ القَبيحِ
وَجَـدْتُ أَلذَّ عاريةِ اللَّيالِي ... قِرَان النَّغْمِ بالوَتَرِ الفَصيحِ
ومُسْمِعَةً إذا ما شئتُ غنَّت: ... متى كان الخيامُ بذى طُلوحِ

---

(١) أخبار المراقسة ص ٩٣ ، وهو امرؤ القيس بن عابس الـكندى . ذكره ابن حجر في الإصابة (١ : ٦٤) ، وأورد شعره المذكور . (٢) في أخبار المراقسة : «الغاديات»

(٣) الرائس : رأس الوادى ، وكل مشرف ، وجمعه روائس . وروائس الوادى : أعاليه . وسحابة رائسة : هي التي تتقدم السحاب . (٤) الغبوق : الشرب بالعشى .

(٥) ديوانه ص ٢٥٧ .

تمتّعْ من شبابٍ ليس يَبْقَى ‌ ‌ ‌ ‌ وَصِلْ بعُرَى الغَبُوق عُرَى الصَّبُوحِ

وأنا أرتابُ بأبيات الأُقَيْشِر ؛ فإنها لاتُشْبه شعرَه ، ولم أرها فى ديوانه .

* * *

وقول الرّاعى :

فَتًى يَشْتَرِى حُسنَ الثناء بمـاله ‌ ‌ ‌ ‌ إذا ما اشترى المَخْزَاةَ بالمال بَيْهَسُ

وقال الأُبَيْرِد :

فَتًى يشترى حسن الثناء بماله ‌ ‌ ‌ ‌ إذا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ[1] أعْوَزَها القَطْرُ

وقول أبى نواس[2] :

فَتًى يشترى حُسنَ الثَّناء بماله ‌ ‌ ‌ ‌ ويعـــلمُ أنَّ الدائرات تَدُور

* * *

وقول محمد بن وَهْب :

هل الدَّهْرُ إلا غَمْرَةٌ وانجلاؤُها ‌ ‌ ‌ ‌ وَشيـكا وإلا ضِيقةٌ تتفرّجُ

وقول البُحْترى[3] :

هل الدهرُ إلا غَمرةٌ ثم تَنْجَلِى ‌ ‌ ‌ ‌ عَمَاها وإلا ضِيقةٌ وانفِرَاجُها

* * *

وقول حَزْن بن جَنَاب المِنقَرِى[4] :

وما المرء إلا حيثُ يَجعلُ نفسَه ‌ ‌ ‌ ‌ ففى صالح الأخلاقِ نفسَك فاجْعَلِ

---

(١) سنة شهباء : كثيرة الثلج مجدبة . ‌ ‌ (٢) ديوانه ص ٩٩ .

(٣) ديوانه (١ : ١٠٣) ، ورواية الديوان :

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها ‌ ‌ ‌ ‌ وشيكا وإلا ضيقة وانفراجها

(٤) فى الأصلين : « ابن حيان » ، والتصحيح عن معجم الشعراء ص ١٠١ .

وقول حُرَيْث أبو اللَّحّام(١) :

وما المرء إلا حيثُ يجعلُ نفسَه ... فأبْصِرْ بعينَيك امْرءا حيثُ يَعْمِد(٢)

* * *

وقال مالك بن الريب(٣) :

يقولون لا تَبْعَد وهم يَدْفِنُوننى ... وليس(٤) مكانُ البُعْدِ إلّا مَكانيا

وقول هُدْبَة بن الخَشْرَم(٥) :

يقولونَ لا تَبْعَد وهم يَدْفِنُوننى ... وليس مكانُ البُعْدِ إلا ضَرائحى(٦)

* * *

وقول العباس بن المطلب :

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهم ... ولا الدّارُ بالدّارِ التى كنت تَعْلَمُ

وقول الفرزدق :

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتَهم ... ولا الدارُ بالدارِ التى كنت تعرِفُ

* * *

وقول نَافذ بن عُطَارِد(٧) :

وإنى لأعطى المالَ مَنْ ليس سَائلًا ... ومَنْ لم يكُن يوما ليُعْطِيَنى سُؤْلى

وقول الأصلع بن قصّاب :

وإنى لأُعْطى المالَ مَن ليس سائلًا ... وَأُعْرِضُ عن بادِى الشَّذَاةِ(٨) مُلِيم

* * *

(١) فى الأصلين : « حريث الإبجام » ، والتصحيح عن الخزانة .

(٢) يعمد : يقصد . (٣) الأمالى (٣ : ١٣٧) .

(٤) فى الأمالى : « وأين مكان البعد » . (٥) فى الأصلين « هرمة بن الخشرم » .

(٦) الضريح : الشق فى وسط القبر ، واللحد فى الجانب . (٧) فى الأصلين : « ناقد » .

(٨) الشذاة : الحدة ، وفى الأصلين : « الشداة » — بالدال .

وقول المُخَضَّع العبْدى[١] :

وَمَن يَقْتَرِف خُلُقًا سوى خُلْقِ نفسه يَدَعْه وتَرْجِعه إليه الرَّوَاجِع

وقول الأعْوَر الشَّنّى :

ومن يقْترف خُلُقًا سِوَى خُلْقِ نفسه[٢] يَدَعْه ويَغْلبه على النَّفْس خِيمُها[٣]

* * *

وقول وَالبة :

يا شقيقَ النَّفْسِ مِنْ أَسَد نمتَ عن لَيْلى ولم أكَدِ

وقول أبى نواس[٤] :

يا شَقيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ[٥] نِمْتَ عن ليْلى ولم أنَم

* * *

وقول حاتم[٦] :

وإنّى لعفُّ الفقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنى وتاركُ شَكلٍ لا يُوَافِقُه شَكلى

وقول جرير[٧] :

وإنى لعفُّ الفقْرِ مُشْتركُ الْغِنى سريعٌ إذا لم أرضَ دَارى احتماليا

وأشباه ذلك مما جمعَ اتفاقَ الألفاظ ، وتساوِىَ المعانى ، وتماثُلَ الأوزان .

* * *

(١) هو من عبد قيس . (٢) رواية البيت فى المؤتلف والمختلف ص ٤٧٥ :

* ومن يبتدع خلقا سوى خلق نفسه *

(٣) الخيم : الطبع . (٤) ديوانه : ٣٢٤ .

(٥) حكم : قبيلة . (٦) مهذب الأغانى (١ : ٦٦) ، ديوانه ص ٢٠ .

(٧) ديوانه ص ٦٠٥ .

سرقة المعانى والأغراض

وأول ما يلزمُك فى هذا الباب ألّا تُقْصِر السَّرقة على ماظهرَ ودعا إلى نفسه دون ما كَمَن ، ونَضَح(١) عن صاحبه ؛ وألّا يكون همُّك فى تتبع الأبيات المتشابهة ، والمعانى المتناسخة طَلَبَ الألفاظ والظواهر دون الأغراض والمقاصد ، ولن تُكْمِلَ ذلك حتى تعرفَ تناسب قول لبيد(٢) :

وما المالُ والأهلونَ إلا وَدَائِع ولا بُدَّ يوماً أن تردَّ الوَدَائعُ

وقول الأفوه الأوْدى :

إنما نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعةٌ وحياةُ المرءِ ثوبٌ مُسْتَعَار

وإن كان هذا ذكر الحياة ، وذلك ذكر المال والولد ، وكان أحدُها جُعِل وديعة ، والآخرُ عارية ، وتعلم أنَّ قولَ الشاعر(٣) :

* وما المرء إلا حيثُ يَجْعَلُ نفسه *

هو من قول الآخر :

فنفسَكَ أَكْرِمها فإنَّك إن تَهُنْ عليك فلن تَلْقى لها الدهرَ مُكْرِما

وحتى تتأملَ هذه الأبيات فتعرف انتسابَ بعضِها إلى بعض ، واتصالَ كلِّ واحد منها بصاحبه ، مع افْتِنان مذاهبهما ، واختلاف مواقعهما ، كقول زهير(٤) :

وليس لمنْ لم يركب الهوْلَ بُغْية وليس لمن قد حطّه الله حامِل

وقول حاتم(٥) :

إذا أَوْطَنَ(٦) القومُ البيوتَ وجدتَهم عُماةً عن الأخْبار خُرْقَ المكاسِبِ

---

(١) نضح عن صاحبه : دفع عنه . (٢) مهذب الأغانى (٢ : ٦٤) .

(٣) سبق ملسوبا إلى حزن بن جناب ص ١٩٣ .

(٤) مختارات ابن الشجرى : ١٨ ، قال : وقد روى الشطر الثانى :

* ليس لرحل حله الله حامل *

(٥) شعراء النصرانية ص ١٢٩ ، ديوانه ص ٤ .

(٦) أوطنه : اتخذه محلا وسكنا (وطنا) .

وقول الآخر :

خاطِرْ بنفسك كى تُصِيبَ غنيمَةً … إن القُعُودَ مع العيـــالِ قَبيح

وقول الآخر(١) :

ومَن يكُ مثلى ذَا عِيال ومُقْتِراً … من المال يَطْرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرَحِ

وقال غيره ـ ويقال لسَهم بن حنظلة(٢) :

اعْصِ العواذِلَ وارْمِ الليلَ عن عَرَضٍ … بذى سَبيبٍ(٣) يُقاسى لَيلَه خَبَبَا

حتى تُصَادِفَ مالًا أو يُقالَ فَتًى … لاقَى(٤) الذى شَعَبَ الفِتْيانَ فانْشَعَبَا

وقول هبيرة بن عبد مناف :

إذا المرءُ لم يَغْشَ الكَريهةَ أوشَكَتْ … حبالُ الهوينَى بالفتى أن تَقَطَّعَا

وقول أبى تمام(٥) :

ذَرِينى وأهوالَ الزمانِ أُعانِها(٦) … فأهوالُه العظمى تليهـا رغائبُهْ

وتعلم أن زهيرا جمع فى قوله :

* وليس لمن لم يركب الهولَ بُغْيَة *

مابسطه هؤلاء ، وأن أباتمام زاد بأن حقَّق درك البُغية ، وحصول المراد لامحالة ؛ واقتصر زهير على التأميل ؛ فلأبى تمام فضيلة التأكيد ، وأن الغرض الحثّ على تجشّم الأهوال فى الطلب ، فكلما ازدادَ الكلامُ تأكيداً كان أبلغ . ولزهير مزية الصدق ؛ لأن الأملَ مقرون بهذه الحال ، والبغية مطاوبة ؛ فأما الظفرُ الذى حكم به

(١) هو أبو العيال ، ولا يعرف له اسم غير هذا : العمدة (١ : ٢٤) .

(٢) اللسان ـ مادة شعب . (٣) السبيب : شعر الناصية .

(٤) رواية اللسان :

* لاقى التى تشعب الفتيان فانشعبا *

(٥) ديوانه ص ٤٤ . (٦) فى الديوان : «فإنها» .

أبو تمام فقد يكون ، وقد يُقْتَطعُ الطالب دونه ، ويُحَالُ بينه وبينه .

* * *

وألطف من هذا التناسب ، وأغمض مَأخذا ما تجده بين هذه الأبيات إذا حذفتَ عنك اعتبار أمْثِلتها ، وأقبلت على صريح معانيها :

قال بعض العرب :

يهاب العديدَ الدُّهْم من حيثُ لا يُرى ... ويخشى شَذَاةَ(١) العِزِّ والعِزُّ غائبُ

وقال أبو هَفَّان :

أنا السيفُ يُخشَى حدُّه قبل هزِّه ... فكيف وقد هُزَّ الحُسَامُ المهنَّدُ

وقول البحترى(٢) :

ويخشى شَذَاهُ وهو غيرُ مُسَلَّط ... وقد يُتوَقَّى السيفُ والسيفُ فى الغِمْد

وقول المتنبى(٣):

تُهَابُ سيوفُ الهند وهْىَ حَدائِدُ ... فكيفَ إذا كانتْ نِزارِيةً عُرْبَا

ويُرْهَبُ نابُ الليثِ والليثُ وَحْدَهُ ... فكيفَ إذا كان اللّيوثُ له صَحْبا

ويُخشى عُبابُ البَحر وهو مكانه ... فكيف بِمَنْ يَغْشى البلادَ إذا عَبَّا

معنى هذه الأبيات الثلاثة واحد ، وإن اختلفت المعارض والأمثلة .

* * *

وكاختلافها واتفاق أغراضها قول الطُّفَيْل الغَنَوى(٤) :

---

(١) الشذاة : الحدة ، وفى الأصل : الشداة — بالدال .

(٢) ديوانه (١ : ١٩٦) ، وفى الأصلين « شداه » . (٣) ديوانه (١ : ٦١) .

(٤) مهذب الأغانى (١ : ٢٢٧) وروايته :

* كواكب دجن كلما انقض كوكب *

نجوم سَماء كلّما انقضَّ كوكبٌ بدا وانجلَت عنه الدُّجُنَّةُ[1] كَوْكَبُ

وقول أبي الطَّمَحان[2] [القَيْنى] :

نجوم سماء كلما غارَ كَوْكَبٌ بَدا كوكبٌ تأْوِى إليه كَوَاكِبُه

وقال أوس[3] :

إذا مُقْرَم منَّا ذرا حَــدُّ نابه تَخَمَّطَ منا[4] نابُ آخرَ مُقْرَم

وقال الخُرَيْمِىّ[5] :

إذا قَمَرٌ منّا تغوّر أوخَــبا بَدا قَمرٌ في جانِب الأُفْق يَلْمعُ

وقال أبو تمام[6] :

رأيتُهُمُ ريشَ الجناحِ إذا مضت[7] قوادمُ منــه بشّرت[8] بقَوادِمِ

* * *

التفنن في السرقة

وحتى لا يغرَّك من البيتين المتشابهين أن يكونَ أحدُهما نسيباً ، والآخر مديحاً ، وأن يكون هذا هجاء ، وذاك افتخاراً ؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عَلِق المعنى المختَلس عدَل به عن نوعه وصِنفه وعن وزنه ونظمه ، وعن رويّه وقافيته ، فإذا مرَّ بالغبيّ الغُفْل وجدها أجنبيين متباعدين ، وإذا تأملهما الفَطِن الذكى عرف قرابةَ ما بينهما ، والوصْلَة التي تجمعهما ، قال كُثَيِّر[9] :

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) في الأصلين « الطحان » .

(٣) اللسان ــ مادة خمط ، وسمط اللآلى : ٤٥٥ ، وروايته :

وإن سيد منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

(٤) في اللسان : فينا ، والتخمط : الغضب والتكبر والأخذ والقهر بغلبة ، والمقرم : السيد ، أراد أنه إذا هلك سيد قام آخر . (٥) في الأصلين : « الخزيمى » .

(٦) ديوانه : ٣٨٦ (٧) في الديوان : «ذوت» . (٨) في الديوان : «أبدت» .

(٩) الأمالى (٣ : ١١٩) .

أُريد لِأَنْسَى ذِكْرَها فكأنما تَمَثَّلُ لى ليلى بكلِّ سبيلِ

وقال أبو نواس(١) :

ملك تصوَّر فى القلوب مِثَالُه فكأنه لم يَخْلُ منه مَكان

فلم يشكّ عالمٌ فى أن أحدهما من الآخر ، وإن كان الأول نسيبا والثانى مديحا .

* * *

وقال أبو نواس(٢) :

خُلِّيتَ وَالحُسْن تأخذه تَنْتقِى منه وتَنْتَخب

فاكْتَسَتْ منه طرَائفَه واستزادت فضلَ

وقال عبد الله بن مُصْعَب :

كأنك جئت مُحْتَكِماً عَليهم تَخَيَّرُ فى الأبوَّةِ ماتَشاءُ

فأحدُ البيتين هو الآخرُ فى المعنى ، وإن كان أحدُهما يتخيَّر الحسن والآخر الأبوة ، وإنّما هما من قول بشار(٣) :

خُلِقْتُ على ما فىَّ غيرَ مُخَيَّرٍ هَواى ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذّبا

ثم تناوله أبو تمام ، فأخفاه فقال(٤) :

ولو صورتَ نفسَكَ لم تَزِدْها عَلَى ما فيك من كَرَمِ الطِّبَاعِ

* * *

(١) ديوانه ص (٥٩) . (٢) ديوانه (ص ٣٦١) .

(٣) ديوانه ص (٣٣) ، وروايته :

* طبعت على مافى غير مخير *

(٤) ديوانه ص ١٩٥ .

وقد أخذ أبو نواس قول جرير[١] :

بعثن[٢] الهوَى ثم ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنا ... بأسْهُمِ أعداء وهنَّ صَدِيقُ

فقال[٣]:

إذا امتحَن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ ... له عن عدوٍّ فى ثياب صديقِ

* * *

وأخذ أيضاً قول أبى خِرَاش الهُذَلى[٤] :

ولم أَدْرِ مَنْ ألقى عليه رِدَاءَه ... على أنه قد سُلَّ من ماجدٍ مَحْضِ

فقال ـ يصف شَرْبا[٥] :

ولم أدرِ منهم غيرَ ما شهدت به ... بشرقىّ ساباط الدّيار البَسَابِس[٦]

فلم يَخْفَ موضع لأخذ ؛ وإن كان قد نقلَ الغزَلَ إلى الزّهد ، والمرثيّة إلى المنادمة .

* * *

مناقضة الشعراء

ومِن لطيفِ السَّرَق ما جاء به على وجه القلب ، وقَصَد به النقض . كقول المتنبى[٧] :

أأُحِبّهُ وأُحِبُّ فيه مَلَامَةً ... إنّ الملامَةَ فيه من أعْدَائه

إنما نقض قول أبى الشُيص[٨] :

أجدُ الملامَةَ فى هواكِ لذيذةً ... حبًّا لِذِكْرِكِ فلْيَلُمْنى اللُّوَّمُ

---

(١) ديوانه ص ٣٩٨ . (٢) فى الديوان « دعون » .

(٣) مختارات البارودى (٤ ـ ٤٦٨) . (٤) مهذب الأغانى (٢ : ١٩٧) .

(٥) ديوانه ص ٢٩٥ . (٦) البسابس : جمع بسبس ، وهو القفر .

(٧) ديوانه (١ ـ ٤) . (٨) التبيان (١ ـ ٤) .

وأصله لأبى نُوَاس فى قوله[1] :

إذا غاديتنى بصَبوحِ عــذلٍ ... فممزوجا[2] بتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فإنى لا أُعَــدّ اللوم[3] فيــه ... عليكِ إذا فعلتِ من الذّنوب

* * *

وقول المتنبى[4] :

والجِرَاحَاتُ عِنْدَه نَغَمَاتٌ ... سَبَقَتْ قبــلَ سَيْبه بِسُؤالِ

إنما ناقض به أبا تمام فى قوله[5] :

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاه[6] أحلى ... على أُذُنَيْهِ من نَغَمِ السَّماعِ

وقد تبعه البُحترى ؛ فقال[7] :

نَشْوَان يَطْرَبُ للسؤال كأنما ... غَنّاه مالك طيىء أو مَعْبَد

* * *

وقول المتنبى[8] :

أَنْتَ نقيضُ اسْمِهِ إذا اختلَفَتْ ... قَوَاضِبُ البيض والقَنَا الذُّبُل

إنما هو نقيض قول أبى نواس[9] :

عباسُ عباسٌ إذا احْتَدَم الوَغَى ... والفضلُ فَضلٌ والرَّبيعُ رَبيعُ

* * *

وقول ابن أبى طاهر :

---

(١) ديوانه ص ٣٦١ . (٢) فى ديوانه : « فشوبيه » .

(٣) فى الديوان : « العذل » . (٤) ديوانه (٣ : ١٩٦) .

(٥) ديوانه ص ١٩٤ . (٦) فى الديوان : « يرجوه » .

(٧) ديوانه ص ١٧٦ . (٨) ديوانه (٣ : ٢١٦) .

(٩) ديوانه ص ٩٦ .

يشترِكَ العالَمُ في ذَمِّه ... لكنني أمدحه وَحْـدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام(١) :

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورَى ... معي وإذا ما(٢) لمتُه لمتُه وَحْـدى

وهذا بابٌ يحتاجُ إلى إنعام الفِكر ، وشدَّةِ البحث ، وحسنِ النظر ، والتحرّزِ من الإقدام قبل التبيّن ، والحكم إلا بعد الثقة . وقد يَغْمُض حتى يخفى ، وقد يذهبُ منه الواضح الجليّ على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة ، متدرّبا بالنقد ؛ وقد تَحْمِل العصبيةُ فيه العالِمَ على دفع العِيان ، وجَحْدِ المُشاهدة ، فلا يزيد على التعرّض للفضيحة ، والاشتهار بالجَوْرِ والتحامل !

(١) ديوانه ص ١٢٩ . (٢) في الديوان : « ومتى مالمته » .

ادعاء السرقة فى شعر البحترى وأبى نواس وأبى تمام

ومتى طالعتَ ما أخرجه أحمد بن أبى طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبى تمام ، وتَتَبَّعه بِشْر بن يحيى على البُحْترى ، ومهلهل بن يموت على أبى نواس عرفت قُبْح آثار الهَوى ، وازداد الإنصاف فى عينك حسنا . زعم مهلهل أن قول أبى نواس [1] :

إليك أبا العبّاس من [2] بَيْنِ مَنْ مَشَى　　عليها امتطينا الحَضْرَمِىَّ المُلَسَّنَا

مأخوذ من قول كُثَيِّر [3] :

لهم أُزُرٌ حُمْرُ الحَواشى يَطَوْنَها [4]　　بأقْدامهم فى الحَضْرَمى [5] المُلَسَّنِ

والحضرمى الملسَّن أشهرُ عند العرب من أن يُفْتَقر فيه إلى قول كثير أو غيره ، وإنما هو صنف [6] من نِعالهم كان مستحسنا عندهم ، فما فى ذِكْر أبى نواس له من السرقة المعروفة شئ ، ثم لو ذكر بعض شعرائنا اليمانى المُخَصَّر [7] والكنانى المُطَبَّق ، ثم وجدناه فى شعر غيره ، أَكُنّا نقول : إنه مأخوذ منه ؟ أو كنا نعدّه سرقة ؟ وليس بين البيتين اتّصال ولا تناسب إلا فى هـذه اللفظة ؛ لأن كثيراً مدح قوماً فوصفهم بالمَرح والنعمة والخُيَلاء ، وذكر سُبُوغ أُزُرِهم ، وأنهم يَطَئُونها بنعالهم الحَضْرَمية المُلَسَّنة هَوَاناً بها ، وقصد أبو نواس معنًى آخر فذكر أنه قَصَدَ مَمْدُوحه ماشيا

(١) ديوانه ص ٧٦ .　　(٢) فى الديوان : « من دون من مشى » .

(٣) اللسان — مادة لسن .　　(٤) فى الأصلين : « بطنها » .

(٥) فى الأصلين : « والحضرمى » .

(٦) الملسن من النعال : الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان .

(٧) خصر النعل : ما استدق من قدام . ونعل مخصرة لها خصران ، وفى الحديث : « إن نعله عليه السلام كانت مخصرة » ، أى قطع خصراها حتى صارا مستدقين .

وامتطى نعله الحضرمية المُلَسَّنة ؛ فما أرى بينها غيرَ ما ذكرت . وزعم أن قول أبى نواس(١) :

نُعَزِّى(٢) أميرَ المؤمنين محمداً على خير مَيْتٍ غيَّبَتْه المقابرُ
وإنَّ أميرَ المؤمنين محمداً لَرابطُ جَأْشٍ للخُطوبِ وصابرُ

من قول مُوسى شَهَوَاتٍ :

بكتِ المنابرُ يوم ماتَ وإنما أبكى المنابر فقدُ فارِسهِنَّه
لما علاهنَّ الوليدُ خليفةً قلن : ابنُه ونظيرُه فسكنَّه

وهذا أعجبُ من الأول ؛ لأنهما لم يتشابها فى لفظٍ ولا معنى ، وأكثر مافيهما أنّ كل واحد منهما عزَّى خليفة عن أبيه ومدَحه ، فإن كان هذا سرقة فالكلامُ كله سرقة ؛ وإنما الذى يقاربُ قولَ موسى قولُ محمد بن عبد الملك يرثى المعتصم ويمدح الواثق :

لَنْ يجبرَ اللهُ أمّةً فقدَتْ مثلَك إلاَّ بمثلِ هارون

لأنه جعل انجبارَ الأمة بعد الوَهن الشديد بهارون كسُكُونِ المنابر بالوليد بعد البُكاء على أبيه ؛ وهذا أخذٌ لطيف . وقد زعم أن قوله :

حباريات جَلْهَتى مَلْحُوبِ فالقُطبيَّات إلى الذَّنُوبِ

من قول عبيد(٣) :

أَقْفَرَ من أهْله مَلْحُوب فالقُطْبِيَّاتُ(٤) فالذَّنُوبُ

وهــذه أسماء مواضع لامعنى للسَّرقة فيها ، ولو كان الجمع بينها سرقة لكان إفرادها كذلك ، فكان يحرم على الشاعر أن يذكرَ شيئاً من بلاد العرب . وأن قوله فى الخمر(٥) :

---

(١) ديوانه ص ١١٧ . (٢) فى الأصلين : « تعز » .

(٣) اللسان — مادة قطب ، ومادة لحب . (٤) القطبية : ماء بعينه ، وملحوب : موضع .

(٥) ديوانه ص ٦٣ .

أتت دونها الأيامُ حتى كأنها تَسَاقُط نور من فُتُوق سَماء

من قول جرير[١]:

يَجْرِي[٢] السِّواكُ على أَغرَّ كأنه بَرَدٌ تحدَّر من مُتُونِ غَمامِ

ولست أرى شبهاً يَشْتركان فيه إلا إن ادُّعى احتذاء المثال فلعلّه . وأن قوله[٣] :

تَرى العينَ تَسْتَعْفيك من لَمَعانِها وتَحسِر حتى ما تُقِلُّ جفونَها

من قول الأُبَيْرِد :

وقد كنت أستعفى الإله إذا اشتكى من الأمر لى فيه وإن عَظُم الأمْر

ولا أراهما اتفقا إلا فى الاستعفاء ، وهى لفظة مشهورة مُبْتَذَلة ، فإن كانت مسترقة فجميعُ البيت مسروق ، بل جميعُ الشعر كذلك ؛ لأن الألفاظَ منقولة متداوَلة وإنما يُدَّعى ذلك فى اللفظ المستعار أو الموضوع ، كقول أبى نُوَاس[٤] :

طوى الموتُ ما بينى وبين محمدٍ وليس لما تَطْوِى المنيةُ ناشرُ

وقول البطَيْن البَجَلى :

طوى الموتُ مابينى وبينَ أحبَّةٍ بهم كنتُ أعطى ماأشاء وأمنعُ

* * *

وكقوله :

* سَقَتْهُ كفُّ الليل أكْؤُسَ الكَرى *

وقول الآخر :

سقاه الكَرَى كأسَ النُّعاس فرأسُهُ لدِينِ الكَرَى فى آخرِ اللَّيلِ سَاجِدُ

* * *

(١) ديوانه ص ٥٥١ . (٢) فى الديوان : « تجرى السواك » .

(٣) لم نقف عليه فى ديوانه . (٤) ديوانه ص ١٢٩ .

وقوله[١] :

كدَّت منادمةُ الدماءِ سيوفَه ... فَلَقَلَّمَا تختارُه الأجْفـــان

وقول بعض العرب :

وتنادَمت دُفع الدماءِ سيوفنا ... حتى اجْتَوى أصحابها سُكْر القَنَا

* * *

وقول أبي تمام[٢] :

حتى تعمّم صُلْعُ هامات الرُّبى ... من دونه[٣] وتأزَّر الأهضامُ

وقول بعض الأعراب :

أصبحت العُقْدة[٤] صَلْعَاء اللِّمم ... وأصبح الأسْوَدُ مخْضوباً بِدَم

* * *

وقول آخر :

بكى فاستملَّ الشوقَ مِنْ فِي حمامةٍ ... أبت في غُصون الأَيْكِ إلا ترنُّما

وقول أبي تمام[٥] :

وقد كاد يُنْسَى[٦] عهدُ ظَمْياءَ باللِّوى ... ولكن أملَّتْه عليه الحَمائِم

فأخذ أملّ من استملّ ، وإن كان تَهْييجُ الحَمام صبابةَ المشتاقِ مبتذلا .

* * *

وقول أشْجَع :

إذا خالط الشيبُ الشباب تجهَّزَتْ ... إلى البين أفْرَاسُ الصِّبا ورَوَاحِله

---

(١) لم نجده في ديوانه . (٢) ديوانه ص ٢٧٩ .

(٣) في الديوان : « من ثوره » . (٤) العقدة من الشجر : ما اجتمع وثبت أصله .

(٥) ديوانه ص ٢٨٥ . (٦) في الأصل : « يبنى » .

وقول زهير(١) :

صَحَا القَلْبُ عن سلمى وأَقْصَرَ باطلُه ... وعُرِّىَ أفراسُ الصِّبَا ورَواحِلُه

* * *

وقول الحلّاج :

نفضنا إلى الموت أَذْرَاعَنا ... كما تَنفُضُ الأسدُ أَلْبَادَها

وقول حسّان(٢) :

ويثربُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا ... أُسُودٌ تُنَفِّضُ أَلْبَادَهَا

* * *

ومما ادّعاه أيضاً على أبى نواس قوله :

كأنَّ فَخِذَيه وقد ضُمَّتَا ... وال ... فيه عقد عشرينا

أنه مأخوذ من قول عَبْد بنى الحسحاس

وأشهدُ بالرحمن أنى رأيتُها ... وعشرين منها إصبعاً من وَرَائيا

وليس بين البيتين اتفاقٌ بحال إلا فى ذكر العشرين ، والمعنيان شديدا التباين ؛ هذا يذكرُ أنه علاها والتحفتْ عليه فعقدت يديها ورجليها فصارت أصابعها العشرون من ورائه ، وأبو نواس يُشَبِّه ماذكره بعقد عشرين ، فأىّ قُرْبى أو نسب بين هذين.

وشبيه بهذا مازعم ابن قتيبة فى قول هُدبة(٣) :

ولا أتمنَّى الشرَّ والشرُّ تاركى ... ولكن متى أُحْمَل على الشرِّ أرْكَب

أنه مأخوذ من قول تأبّط شرّا :

ولَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذا الدهرُ سرّنى ... ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المتحوِّلِ

---

(١) ديوانه ص ٢٤ . (٢) ديوانه ص ١٧ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٥١ .

تأمّلهما فإنّك ترى بينهما من التّبَايُن ما يحظُر ادّعاء ذلك فيهما ، ولو احتمل الكتابُ استقصاء ماحافَتْ به هذه الطائفة على أبى نواس وأبى تمّام والبحترى لبسطنا القولَ فيه ؛ لكنه لما ضاق عنه اقتصرنا على قَدْر ما أريناكَ به الطريقة ، ووقَفْناكَ به على المَنْهَج ، فإن سمَتْ بك همّة ، ونازعتك رَغبة ، فاقْتَفِ فيه هذا الأثر ، وعايره بهذا المعيار فإنك لا تبعدُ عن الإصابة مالم تَمِلْ بك العصبيةُ ، ويستولى عليك الهوى والمداهنة .

***

السرق داء قديم

والسَّرَقُ — أيدَكَ اللهَ — داءٌ قديم ، وعيبٌ عتيق ، وما زالَ الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر ، ويستمدُّ من قريحته ، ويعتمدُ على معناه ولفظه ؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد الذى صدّرنا بذكره الكلام ، وإن تجاوزَ ذلك قليلا فى الغموض لم يكن فيه غيرُ اختلاف الألفاظ ، ثم تسبّب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب ؛ وتغيير المنهاج والترتيب ، وتكلّفوا جَبْرَ مافيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض فى حال ، والتصريح فى أخرى ، والاحتجاج والتعليل ؛ فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور مالا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله . وقد ادّعى جرير على الفرزدق السَّرَق فقال(١) :

سيعلمُ مَنْ يكونُ أبوه فينا ... وَمَن عُرِفَتْ قصائدهُ اجتلابا

وادَّعى الفرزدق على جرير فقال(٢) :

إنَّ استراقَك يا جريرُ قصائدى ... مثل ادّعاكَ سِوَى أبيكَ تَنَقُّلُ

ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرِنا، ثم العصر الذى بعدنا أقربُ فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذَمّة ؛ لأن مَنْ تقدّمنا قد استغرق المعانى وسبق إليها ، وأتى على مُعْظَمها؛ وإنما يحصل على بقايا : إمّا أن تكونَ تُرِكت رغبةً عنها ، واستهانةً بها ، أو لبعدِ

---

(١) ديوانه ص ٦٢ . (٢) النقائض (١ : ١٨٩) .

مَطْلَبِها ، واعتياص مَرَامِها ، وتعذُّر الوصول إليها ؛ ومتى أَجْهَد أحدُنا نفسَه ، وأعمل فكرَه ، وأَتْعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنُّه غريبا مبتدَعا ، ونَظْمِ بيت يحسبه فرداً مخترعا ، ثم تصفَّح عنه الدواوين لم يُخْطِئه أن يجدَه بعينه ، أو يجد له مثالا يغضُّ من حُسْنِه ؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي ، ولا أرى لغيرى بتَّ الحكم على شاعر بالسرقة . وقد أحسن أحمد بن أبى طاهر فى محاجّة البحترى لما ادّعى عليه السَّرَق قوله :

والشعرُ ظَهْرُ طَرِيقٍ أنتَ راكبه … فمنه مُنْشَعِب أو غيرُ مُنْشَعِب

وربما ضمَّ بين الرَّكب منهجه … وأَلْصَق الطُّنُبَ العالى على الطُّنُبِ

إلا أنى إذا وجدتُ فى شعره معانى كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذا لا أثبته بعينه ، ومسروقا لا يتميز لى من غيره ، وإنما أقول : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، فأغتنم به فضيلةَ الصدق ، وأَسلم من اقتحام التهوّر .

سرقات المتنبي

وهذا ما ادُّعى على أبى الطيب فيه السَّرقة ، وما أُضيف إليه مما عثرت به :

قال أبو تمام -وقد روى هذا البيت لبكر بن النَّطاح، وقد دخل فى شعر أبى تمام[1]:

ولو لم يكن فى كفهِ غيرُ نَفْسه[2] لجادَ بهــا فليتَّقِ اللهَ سائلُه

قال أبو الطيب[3] :

يأيُّها المُجْدَى عليــهِ رُوحُه إِذْ لَيْسَ يأتيه لها استِجْدَاء
احمَدْ عُفَاتَكَ[4] لا فُجِعْتَ بِفَقْدِهم فلَتَرْكُ ما لم يأْخـذُوا إِعْطَاء

وبيت أبى تمام أو بكر بن النّطاح أَملحُ لفظا وأصحّ سبكا . وزاد أبو الطيب بقوله : إنه يجدى عليه رُوحه . ولـكن فى اللفظ قصور ، والأول نهاية فى الحسن ، ثم نقل المعنى عن الروح إلى الجسد ، فقال[5] :

لو اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَاذِلٌ مِنْهُ فى الشِّيزَى وأَوْصالُ[6]

وهذا هو الأول ، ومن جاد بأوصاله فقد جاد برُوحه ، وكأنّه من قول ابن الرُّومى :

لو حزَّ من جسمه لِسَائِلِه أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَا أَلِما

ثم كرره وغيَّره بعض التغيير فقال[7] :

---

(١) ديوانه : ٢٣٢ ، التبيان: ٢٦ : وقد رواه هناك منسوبا إلى بكر بن النطاح؛ وروايته فيه :
* ولو أن ما فى كفه غير نفسه *

(٢) فى الديوان : « غير روحه » . (٣) ديوانه (١ : ٢٦) .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الفقير السائل ، وهو طالب المعروف .

(٥) ديوانه (٣ : ٢٨١) .

(٦) القارى . المضيف . خرادل (بالدال والذال) : القطع . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو كل عظم لا يكسر ، ولا يخلط به غيره . الشيزى : جفان تصنع من خشب أسود .

(٧) ديوانه (٤ : ٦٣) .

مِلْتُ إلَى مَنْ يَكادُ بَيْنَكُمَا[1] لَوْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ[2]

ثم لاحظ هذا فأخفاه ؛ وأحسن ماشاء ، فقال[3] :

إنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا مَادُونَ أعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا

فجاء به معنى مُفْرَداً ، وهو من باب السماحة بالرُّوح . والغرضُ واحد . ومن هذا المعنى قول بَكْر بن النَّطَّاح[4] :

ولو خَذَلَتْ أموالَه فيضَ[5] كفِّه لقاسم من يَرْجوه شَطْرَ حَياته

* * *

قال أبو تمام[6] :

لو حارَ[7] مُرْتَادُ المنيَّةِ لم يجدْ إلّا الفِراقَ على النّفُوس دَلِيلَا

قال أبو الطيب[8] :

لَوْلا مُفارقَةُ الأحباب ماوجَدتْ لها المنايا إلى أرْوَاحِنا سُبُلَا

* * *

وقال الأعشى[9] :

لو أسْنَدْتَ مَيْتاً إلى نَحْرِها عاشَ ولم يُنْقَلْ إلى قابِر

وقال أبو الطيب[10] :

فَذُقْتُ ماءَ حياةٍ من مُقَبَّلِها لو صابَ تُرْبًا لأحْيا سالِفَ الأُمَمِ

---

(١) يخاطب صاحبيه ، وهى من عادة الشعراء .

(٢) المعنى : انى عدلت إلى زيارة رجل ، لو جئتما تسألانه يكاد ينقسم بينكما ؛ فصار لكل واحد منكما نفسه . وهذا مبالغة فى الكرم . (٣) ديوانه (٣ : ٢١٦) .

(٤) الأمالى (١ : ٢٤٧) . (٥) فى الأمالى : « جود كفه » .

(٦) ديوانه ص ٢٤٢ . (٧) فى الديوان : « جاء » ، وحار : رجع .

(٨) ديوانه (٣ : ١٦٣) . (٩) التبيان (٤ : ٣٧) .

(١٠) ديوانه (٤ : ٣٧) .

وهذا معنى متداوَل بعد الأعشى ، وقد قيل فيه ما كَثُر .

* * *

قال أبو العباس الناشئ الأكبر[١] :

يا ليتَ[٢] شِعْرِى فقَلْبَانَا لِمَ اخْتَلفَا ... لَفظِى ولَفْظُكَ بالشَّكوى قَدِ ائتلفَا

قال أبو الطيب[٣] .

ولم تُجِنِّى الّذى أَجْنَنْتُ[٤] مِنْ أَلَمٍ ... أَبْدَيْتِ مِثلَ الّذى أبْدَيْتُ من جزَعٍ

والأول أملح لفظا :

* * *

قال محمد بن داود[٥] :

كأنَّ رَقيباً منكِ يَرْعَى خَوَاطِرِى ... وآخَرَ يَرْعَى نَاظِرِى ولِسَانِى

وإنما أخذه من قول العبّاس[٦] [بن الأحنف] :

أقَامَتْ عَلَى قَلْبى رَقيباً ونَاظِرِى ... فَلَيْسَ يُؤَدِّى عَنْ سِوَاها إلى قَلْبى

قال أبو الطيّب[٧] :

كأنَّ رَقيباً مِنْكِ سَدّ مَسَامِعى ... عَنِ الْعَذْلِ حَتى لَيْسَ يَدْخُلُها عَذْلُ[٨]

* * *

أبو تمام[٩]

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فى طَلَبِ العُلَا ... والمَجْدِ ثُمَّتَ تَسْتَوى الأَقْدَامُ

---

(١) التبيان (٤ : ٣٨) .

(٢) فى الأصلين : « فليت » .

(٣) ديوانه (٤ : ٣٨) .

(٤) أجننت الشىء : سترته وكتمته .

(٥) التبيان (٣ : ١٨٣) .

(٦) التبيان (٣ : ١٨٣) ، ديوانه ص ١٦

(٧) ديوانه (٣ : ١٨٣) .

(٨) فى الديوان « يدخلها العذل » .

(٩) ديوانه : ٢٨٢ ، والتبيان (٢ : ١٠) .

قال أبو الطيب[١] :

رَأيْتُ عَلِيًّا وابنَه خيرَ قَوْمِه … وهُمْ خيرُ قوم واسْتَوى الحرُّ والعبدُ

وأعاده فقال[٢] :

حتى يُشَارَ إليكَ ذَا مولاهُمُ … وهُم المَوَالِي والخليقةُ أعْبُدُ

* * *

قال أبو تمام[٣] :

غرّبَتْهُ العُلا على كَثْرَةِ الأهْـ … ـلِ فأضْحَى فى الأقْرَبينَ جَنِيباَ[٤]

فلْيَطُلْ عُمْرُهُ فلَوْ مَاتَ فِي مَرْ … وَ مُقيما بِها لماتَ غَرِيباَ

وقال أبو الطيب[٥] :

وهكذَا كُنْتُ فى أَهلِي وفى وطَنِى … إنَّ النَّفيسَ غريبٌ حيثُما كانَا

وبيتُ أبى الطيب أجودُ وأسلم ، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت فى المديح ، فلا حاجةَ به إليه ؛ والمعنى لايختلّ بفقده ، ومن مات فى بلده غريباً فهو فى حياته أيضا غَريب ، فأىّ فائِدة فى استقبال الممدوح بما يتطيّر منه !

* * *

قال أبو تمام[٦] :

كفى فقتْلُ محمد لِىَ[٧] شاهد … أنَّ العزيزَ مع القضاء ذليلُ

قال أبو الطيب[٨] :

---

(١) ديوانه (٢ : ١٠) . (٢) ديوانه (١ : ٣٣٩) .

(٣) ديوانه ص ٢٦ ، والتبيان (٤ : ٢٢٢) . (٤) جنيبا : أجنبيا .

(٥) ديوانه (٤ : ٢٢٣) . (٦) ديوانه : ٣٧٥ ، والتبيان (١ : ١٠٩) .

(٧) فى الديوان : « لى شاهد » . ورواية التبيان :

* وكفى بقتل محمد لى شاهدا *

(٨) ديوانه (١ : ١٠٩) .

أَلاَ إنما كانت وفاةُ محمَّدٍ ... دَليلًا على أَنْ ليسَ للهِ غالِبُ

***

قال كُثير[١]:

أُرِيد لِأَنْسَى ذِكْرَها فكأَنما ... تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بكلِّ سَبيلِ

وقال أبو نواس[٢]:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القلوبِ مِثَالُه ... فكأَنَّه لم يَخْلُ منه مَكانُ

قال أبو الطيب[٣]:

كذب الخبرُ عنك دُونَكَ وَصْفُه ... مَنْ بالعراقِ يراكَ في طَرْسُوساَ

فقصّر، لأنه اقتصر على مَنْ بالعراق، وعمَّ أبو نواس القلوب والأماكن، وبين اللفظين بَوْنٌ في الجزالة والصِّحة؛ وقد كرّره واستوفى، فقال[٤]:

هـذا الذي أبصرتَ منه حاضِرًا ... مثلُ الَّذي أبصرتَ منه غائبًا

ثم مثّل فقال:

كالبَدْرِ من حيثُ الْتَفَتَّ رأيتَه ... يُهْدِي إلى عَيْنَيْك نُوراً ثاقِباً

***

قال عبد الله بن محمد المهلّبي[٥]:

ما كُنْتَ إلّا كلَحْمِ مَيْتٍ ... دَعَا إلى أكله اضْطِرارُ

وقال أبو الطيب[٦]:

غَيْرَ اختيارٍ رَضيتُ برَّكَ بي[٧] ... والجوعُ يُرْضِي الأُسودَ بالجِيَفِ

---

(١) التبيان (٢ : ٢٠٠). (٢) ديوانه ص ٥٩.

(٣) ديوانه (٢ : ٢٠٠)، وفي الديوان: «صدق المخبر».

(٤) ديوانه (١ : ١٢٩). (٥) التبيان (٢ : ٢٨١).

(٦) ديوانه (٢ : ٢٨١). (٧) في الديوان: «قبلت برك لي».

وقريب منه قول أبي عليّ البصير[١] :

ولكنّ البلادَ إذَا اقشعرَّتْ وصَوَّحَ نَبْتُها رُعِيَ الهَشِيمُ

ومنه قول الآخر[٢] :

فلا تَحْمَدُونى فى الزِّيارةِ إنَّنى أَزُورُكمُ إذْ لا أرَى مُتَعَلَّلاَ

وهذا مما قدمتُ لك ذكرَه من اختلاف صور الأمثلة على المعنى الواحد .

* * *

قال أبو تمام[٣] :

هانت على كلّ شىء فهو يسفكُها حتى المنازلُ والأحداجُ[٤] والإبلُ

قال أبو الطيب[٥] :

فما أمُرُّ برَبْعٍ لا أُسائِله ولا بِذاتِ خِمارٍ لا تُرِيقُ دَمِي

جعل أبو تمام كلّ شىء يسفك دمه ، وجعل أبو الطيب ذات خمار تريق دمه ، فاقتصر على بعض تلك الجملة .

* * *

قال بشار[٦] :

إذا أنشَد حَمّادٌ فقُلْ أحْسَنَ بَشّارُ

وقال أبو هفّان يهجو ابن أبي طاهر[٧] :

إذا أنْشَدكم شِعْرًا فقُولوا أَحْسَنَ النّاسُ

---

(١) التبيان (٢ : ٢٨١) . (٢) التبيان (٢ : ٢٨١) .

(٣) ديوانه ص ٢٧٧ . (٤) الأحداج : الهوادج .

(٥) ديوانه (٤ : ٣٦) ، وفى الديوان :

* فما أمر برسم لا أسائله *

(٦) التبيان (١ : ٢٩١) . (٧) التبيان (١ : ٢٩١) .

وقال أبو تمام مثله فى غير هذا المعنى[١] :

ومهما تَكُنْ من وَقْعَةٍ بَعْدُ لا تَكُنْ　　سِوَى حَسَنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

فقال أبو الطيّب[٢] :

أجِزْنى إذا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فإنما　　بشِعْرِى أتاكَ المادِحُون مُرَدَّدَا

* * *

وقال أبو تمام[٣] :

وكانَتْ ولَيْسَ الصُّبْحُ فيها بأبْيَضٍ　　فأمست[٤] وليْسَ اللَّيلُ فيها بأسْوَدِ

وقال أبو الطيب[٥] :

فاللَّيْل حين قَدِمْتَ فيها أَبْيَضٌ　　والصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنها أَسْوَدُ

* * *

وقال أبو تمام[٦] :

لبسْتُ سِوَاهُ أقْوَاماً فكانُوا　　كمَا أَغْنَى التَّيَمُ بالصَّعيد[٧]

قال أبو الطيب[٨] :

وزَارَكَ بِى دُونَ المُلُوكِ تَحَرُّجِى　　إذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِى التَّيَمُّمُ[٩]

* * *

---

(١) ديوانه ص ١٠٣ ، التبيان (١ : ٢٩١) .　(٢) ديوانه (١ : ٢٩١) .

(٣) ديوانه ص ١٠٣ ، التبيان (١ : ٣٣٤) .　(٤) فى التبيان « وأوضحت » .

(٥) ديوانه (١ : ٣٣٤) .　(٦) ديوانه ص ١٠٧ ، التبيان (٤ : ٩١) .

(٧) الصعيد : وجه الأرض .　(٨) ديوانه (٤ : ٩١) .

(٩) التحرج : التضييق ، والتيمم : القصد . يقول : تحرجى عن قصد غيرك من الملوك حملنى على زيارتك ، وتركى إياك إلى مدح غيرك كترك الماء مع وجود التراب ، وهذا غير جائز .

قال ابن الخياط[١] :

لَمَسْتُ بِكَفِّى كفَّهُ أبْتَغِى الغِنى ... وَلَمْ أَدْرِ أنَّ الجُودَ مِنْ كفِّهِ يُعْدِى

فَلا أَنَا مِنْهُ ما أفَادَ ذَوُو الغِنى ... أفَدْتُ، وأعْدَانِى فأتْلَفْتُ ماعِنْدِى

قال أبو تمام[٢] :

عَلّمَنِى جُودُكَ السَّماحَ فَمَا ... أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَىَّ مِنْ صِلَتِكْ

وقال آخر :

لستُ أُضْحِى مصافحًا لسلام ... إننى إن فعلتُ أتْلَفْتُ مَالِى

فنقله أبو الطيب إلى الزمان ، فصار كالمعنى المنفرد ، فقال[٣] :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ... ولَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزمَانُ بَخِيلَا

وأمّا بخل الزمان فمن قَوْل أبى تمام[٤] :

هَيْهَاتَ لا يأتى[٥] الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ ... إنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

* * *

أبو تمام[٦] :

لمَّا انتضَيْتُكَ للخُطُوبِ كَفَيْتَها ... والسَّيْفُ لا يَكْفِيكَ حتى يُنْتَضَى

أبو الطيب[٧] :

وما الصَّارِمُ الهِنْدِىُّ إلا كَغَيْرِه ... إذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ

* * *

(١) التبيان (٣ : ٢٣٦) . (٢) التبيان (٣ : ٢٢٦) .
(٣) ديوانه (٣ : ٢٣٦) . (٤) ديوانه ص ٣٧٥ .
(٥) فى التبيان: « أن يسخو » . (٦) ديوانه ص ١٨٦ .
(٧) ديوانه (٢ ـ ٢٩) .

أبو تمام(١) :

فاضت سَحائبُ من نَعْمائه وكَفتْ   بؤساً على البؤْسِ حتى اجتثَّتِ البؤْسا

قال أبو الطيب(٢) :

نِقَمٌ على نِقَمِ الزَّمانِ يَصُبُّها   نِعَمٌ على النِّعمِ التى لا تُجْحَدِ

* * *

أبو تمام(٣) :

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقاً ونَمْنَمَةً   طَعْنًا وضَرْباً يَفُلُّ الهامَ والصُّلُفَا(٤)

قال أبو الطيب(٥) :

وكلُّ فَتًى لِلْحُرْبِ فَوْقَ جَبِينِه   مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بالأَسِنَّة مُعْجَمُ

* * *

العتَّابى(٦) :

فإنَّ جَسِيماتِ المَعَالِى(٧) مَشُوبَةٌ   بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فى بُطُونِ الأَساوِدِ

أبو الطيب(٨) :

تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ المعالى رَخِيصَةً   وَلابُدَّ دونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ

* * *

---

(١) ديوانه ص ١٧١ ، وروايته فى الديوان :

فاضت سحائب من أنعامه فطمت   نعماه بالبؤس حتى اجتثت البؤسا

(٢) ديوانه (١ : ٣٣٣) .   (٣) ديوانه ص ٢٠٣ ، التبيان (٣ : ٣٥٧) . وفى الديوان « يقات » . ووفى الأصلين :

* يفانى الهام والصلفا *

(٤) الصلف : جمع صليف ؛ وهو عرض العنق .   (٥) ديوانه (٣ : ٢٥٧) .

(٦) التبيان (٣ : ٢٩١) .   (٧) فى التبيان :

* فإن جسيمات الأمور مشوبة *

(٨) ديوانه (٤ : ٢٩٠) .

قال أبو تمام(١) :

لا يَحْسَبُ الإقْلَالَ عُدْمًا بَلْ يَرَى أَنَّ المُقِـلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْـدِمُ

فقال أبو الطيب — وهو منقول(٢) :

وَرَبَّ مَالٍ فَقِيراً مِنْ مُرُوَّتِهِ لَمْ يُثْرِ منها كما أَثْرَى مِنَ العَدَمِ

* * *

أبو تمام(٣) :

هُم صيَّرُوا تلك البروقَ صواعقاً فيهمْ وذاكَ العفوَ سوطَ عذَاب

قال أبو الطيب(٤) :

ولما سَقَى الْغَيْثَ الذى كَفَرُوا به سَقَى غَيْرَهُ فى غيرِ تِلْكَ الْبَوَارِق

وقد أَلَمَّ بألفاظه فقال(٥) :

لَيْتَ الْغَمَامَ الذى عِنْدِى صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

فأما صريحُ المعنى فمن قول أبى تمام(٦) :

فَلَوْ شَاءَ هذا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرَّهُ كما قَصُرَتْ عَنَّا لُهَاهُ(٧) وَنَائِلُهْ

* * *

قال أبو تمام(٨) :

تَلْقَى السُّعودَ بوَجْهِهِ وتحِبُّه(٩) وعليك مَسْحَةُ بَغْضَةٍ فتُحَبَّبُ

---

(١) ديوانه ص ٢٨٤ ، التبيان (٤ : ٤٠) . (٢) ديوانه (٤ : ٤٠) .

(٣) ديوانه ص ١٩ . (٤) ديوانه (٢ : ٣٢٢) .

(٥) ديوانه (٣ : ٣٧١) . (٦) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٧) لهاه : عطاياه . نائله : عطاياه . (٨) ديوانه ص ٣٩ .

(٩) فى الأصلين « وتحبه » وهذه رواية الديوان .

قال أبو الطيب[١] :

فإنَّك ما مرَّ النُّحُوسُ بكَوْكَبٍ وقابلْتَه إلّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

* * *

أبو تمام[٢] :

إنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إلَيْكَ فقَدْ مَرَرْتَ فيه مُرُورَ العَارِضِ[٣] الهَطِلِ

أبو الطيب[٤] :

وليْسَتْ مِنْ مَواطِنِهِ ولكِنْ يَمُرّ بها كما مَرَّ الغَمَامُ

* * *

أبو تمام[٥] :

وأنا الفداءُ إذا الرماحُ تشاجَرَت[٦] لك والرماحُ من الرِّماح لكَ الفِدَا

أبو الطيب[٧] :

ولك الزَّمانُ منَ الزَّمانِ وِقايةٌ ولك الحِمَامُ[٨] من الحِمَامِ فِدَاءُ

* * *

أبو تمام[٩] :

لَبسَ الشَّجَاعَةَ إنها كانَتْ لَهُ قِدْمًا نَشُوغاً في الصِّبَا ولَدُودَا[١٠]

أبو الطيب[١١] :

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٠) . (٢) ديوانه ص ٢٥٢ .

(٣) العارض : السحاب ، والهطل : المنسكب . (٤) ديوانه (٤ : ٧٣) .

(٥) ديوانه ص ١٢٦ . (٦) تشاجرت : تداخلت في بعضها .

(٧) ديوانه (١ : ٣١) . (٨) الحمام : الموت .

(٩) ديوانه ص ٨٩ . (١٠) النشوغ : السعوط . اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء

(١١) ديوانه (٢ : ٢٦٢) .

أَلِفَ المُرُوَّةَ مُذْ نَشَا فكأنَّمَا سُقِيَ اللِّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرْضَعا

* * *

أبو تمام[١] :

أَيقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّماحِ شَجَاعَةً تُدْمِي وأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ[٢] جُودا

أبو الطيب[٣] :

هُو الشُّجَاعُ يَعُدُّ البُخْلَ مِنْ جُبُنٍ وَهْوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الجُبْنَ من بَخَلِ

وقال فى أخرى[٤] :

فَقُلْتُ : إِنَّ الفَتَى شَجَاعَتُه تُرِيه فى الشُّحِّ صُورةَ الفَرَقِ

وقد لُوحظ فى هذه الأبيات قول مسلم ؛ إذ بيَّن أنَّ الشجاعة جود بالنفس فى قوله[٥] :

تَجُودُ بالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الجَوَادُ بها[٦] وَالجُودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غايَةِ الجُودِ

* * *

عبد الله بن طاهر فى السيف[٧] :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضاهُ فِي الرَّوْعِ صَاحِباً وفَوْقَ رِضَاهُ أَنَّنِى أَنَا صاحِبُهْ

أبو الطيب فى الرمح[٨] :

وأَسْمَرَ ذى عِشرِين تَرْضاهُ وَارِداً ويَرْضاكَ فِي إيرَادِهِ[٩] الخَيْلَ سَاقِياَ

---

(١) ديوانه ص ٩٠ . (٢) فى الديوان :

* تدمى وأن من السماحة جودا *

(٣) ديوانه (٣ : ٣٨) . (٤) ديوانه (٢ : ٣٧٢) .

(٥) التبيان (٢ — ٣٧٢) ، ديوانه ص ٢٥ ، وروايته فيه :

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٦) فى التبيان : « إذ ضن البخيل بها » . (٧) التبيان (٤ : ٢٩٢) .

(٨) ديوانه (٤ : ٢٩٢) (٩) فى الأصلين : « إيرادك » .

وأصله من قول موسى بن جابر الحنفى ، وهو من خفىّ الأخذ :

فلا أَسْلَمَتْنا عند قوم حفيظةٌ ولا نحنُ أغمدنا السيوفَ على وَتْرِ

* * *

عبد الله بن طاهر(١) :

إِنَّ الفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ المُلُوكِ وهِـمّـاتِ الوُلاَةِ وَأَقْدَامِ المَقَادِيرِ(٢)

أبو الطيب(٣) :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تأتى الْعَزَائِمُ وتأتى على قَدْرِ الكِرَامِ المَكارِمُ

* * *

العباس بن الأحنف(٤) :

بَكت غـيرَ آنِسَةٍ بالبُكاَ ترى الدمْعَ فِى مُقْلَتيْها غريبا

أبو الطيب(٥) :

أتتهُنَّ المصائب(٦) غافلاَتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ فى دَمْـعِ الدَّلاَلِ

فزاد وأحسن وملح بذكر الدّلال .

* * *

منصور بن الفرج(٧) :

حَـلّ فى جِسْمِىَ ما كا نَ بعَيْنَيْكَ(٨) مُقِيما

البحترى(٩) :

---

(١) التبيان (٣ : ٣٧٨) . (٢) فى الأصلين : « وأقدام المقاديم) .

(٣) ديوانه (٣ : ٣٧٨) . (٤) ديوانه ص ٣١ . (٥) ديوانه (٣ : ١٧) .

(٦) فى الديوان :

* أتتهن المصيبة غافلات *

(٧) التبيان (٢ : ١٧) . (٨) فى ا : « بعينك » ، وصوابه من ب والديوان .

(٩) ديوانه (٢ : ٢٢٤) ، التبيان (٢ : ١١٧) .

وكأنَّ في جسمي الذي   في ناظريْكَ مِنَ السَّقَمْ

أبو الطيب[١] :

أَعَارَني سُقْمَ جَفْنَيْهِ[٢] وَحَمَّلَني   مِنَ الهَوَى ثِقْلَ ماتَحْوى مآزِرُه

فاختصر وأحسن وأورد البيت في نصف مِصْراع .

* * *

أبو عُيَينة :

لَوْ كما[٤] تَنْقُصُ تَزْدَا   دُ إِذَنْ نِلْتَ السَّماءْ

فنقله أبو تمام[٥] :

أَمَا لَوِ أنَّ جَهْلَكَ كانَ عِلْماً   إِذَنْ لَنَفَذْتَ في عِلْمِ الغُيُوبِ

أبو الطيب[٦] :

ولو نَقَصْتُ كما قد زِدْتَ من كَرَمٍ   على الوَرَى لرَأَوْني مِثلَ شَانِيكا[٧]

فزاد بقوله : «لرأوني مثل شانِيكا» .

* * *

قال جرير[٨] :

كأنّ رُءوسَ القومِ فوقَ رِماحِنا   غداةَ الْوَغَى تِيجانُ كِسْرى وقَيْصَرا

مسلم[٩] :

يكسو السيوفَ نفوسَ النَّاكثينَ به   ويجعلُ الهَامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ

---

(١) ديوانه (٢ : ١١٧) .   (٢) في الديوان : « سقم عينيه » .

(٣) التبيان (٢ : ٣٨٠) .   (٤) في ا :

* لو كان كما تنقص تزداد *

وصوابه من ب ، والتبيان .   (٥) ديوانه ص ٤٨٩ .

(٦) ديوانه (٢ : ٣٨٠) .   (٧) الشانئ : المبغض .

(٨) ديوانه ص ٢٤٢ .   (٩) ديوانه ص ٤٠٩ .

وقريب منه قولُ أبى تمام(١) :

أبْدَلْتَ أرؤُسَهم يوم الكريهة من ... قنا الظُّهورِ قَنَا الخَطِّىِّ مُدَّعَما(٢)

وقد عدّ هذا من سرقاتِ أبى تمام ، ولست أراه كذلك ؛ لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرءوس على القنا ، وهذا معنى مشْترَك لايسرق ، فأما إبدالُ القنَا بقنا الظهور فلم يَعرِض له مسلم ولا جرير ، وهى ملاحظة بعيدة . وأقرب من ذلك إليه قول أبى تمام(٣) :

منْ كلِّ ذى لِمَّةٍ غَطَّتْ ضَفائرُها ... صَدْرَالقَنَاةِ فقد كادت تُرَى عَلَمَا(٤)

ومثله قول أبى الطيب(٥) :

مُبَرْقِعِى خَيْلِهم بالبِيْضِ مُتَّخِذِى ... هَام الكُماةِ على أرْماحِهم عَذَبا

* * *

قال البحترى(٦) :

متسرّعين(٧) إلى الحُتُوفِ كأنها ... وَفْرٌ بأرضِ عَدُوِّهم يُتَنَهَّبُ

قال أبو الطيب(٨)

بكلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِمًا ... حتى كأنَّ لهُ فى قَتْلِهِ أَرَبَا(٩)

وإنما نقل البُحْتُرى كلامَ أبى تمام(١٠) :

مُسْتَرْسِلِينَ إلى الحُتُوفِ كأنَّمَا ... بَيْنَ الحُتُوفِ وَبينَهمْ أرْحَامُ(١١)

---

(١) ديوانه ص ٣٠٣ . (٢) الخطى : الرمح . مدعما : مسندا ، وفى الأصلين : « مدغما » بالغين . (٣) ديوانه : ٣٠٣ . (٤) فى الأصلين :

* صدر القناة فكادت أن ترى علما *

(٥) ديوانه (١ : ١١٨) . (٦) ديوانه (١ : ٦٣) ، والتبيان (١ : ١٢١) .

(٧) فى الديوان : « يتسرعون » . (٨) ديوانه (١ : ١٢١) .

(٩) الأشعث : المتغبر من طول السفر . والأرب : الغرض والبغية .

(١٠) ديوانه ص ٢٨١ . (١١) الحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك .

وقال البحترى أيضا(١) :

تسرَّع حتى قال من شَهِدَ الوَغَى	لقاء أَعَادٍ أم لقاء حَبــائب

ونحوه قول أبى تمام(٢) :

حَنَّ لِلْمَوْتِ(٣) حتى ظَنَّ جَاهِلُهُ	بأَنَّهُ حَنَّ مُشْتاقاً إِلَى الْوَطَنِ

فأخذه أبو الطيب فقال(٤) :

مُقِيمٌ منَ الْهَيْجَاء فى كلِّ مَنزِلٍ	كأَنَّكَ مِنْ كلِّ الصَّوَارِمِ فى أَهْلِ

***

البحترى(٥) :

تَعْنُو لَهُ وُزَراءُ الْمُلْكِ خاضِعَةً	وعَادَةُ السَّيْفِ أنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَا

أبو الطيب(٦) :

حتَّى رَجَعْتُ وأَقْلَامِى قَوَائلُ لِى	المَجْدُ لِلسَّيفِ لَيسَ المَجْدُ لِلْقَلَمِ

اُكْتُبْ بِنَا أبداً بَعْدَ الكِتابِ بِهِ	فإنَّمَا نَحنُ لِلأَسْيَافِ كالْخَدَمِ

***

بعضهم(٧) :

أُحَامِقُه حَتى يَقُولَ سَجِيَّةٌ	وَلَوْ كانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعاقِلُهْ

أبو الطيب(٨) :

وَخَلَّةٍ فى جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهــا	كَيْما يُرَى أننا مِثْلَانِ فى الْوَهَنِ

***

(١) ديوانه (١ : ٧٣) . (٢) ديوانه ص ٣٨٨ . (٣) فى الديوان : «حن إلى الموت» .
(٤) ديوانه (٣ : ٤٦) . (٥) ديوانه (٢ : ٢٥٨) ، التبيان (٤ : ١٦٠) .
(٦) ديوانه (٤ : ١٥٩) . (٧) التبيان (٤ : ٢١٢) .
(٨) ديوانه (٤ : ٢١٢)

أبو تمام(١) :

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولًا(٢)　　وأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وبَيْنِي

وله(٣) :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وقَدْ يُرى(٤)　　بِنَداكَ وهو إلَيَّ منها تائِبُ

أبو هفان(٥) :

أصبحَ الدَّهْرُ مسيئاً كلُّه　　مالَه إلاَّ ابنُ يحيى حَسَنَهْ

أبو الطيب(٦) :

أَزَالَتْ بِكَ الأيامُ عَتْبِي كأنَّما　　بَنُوها لها ذَنْبٌ وأنتَ لها عُذْر

* * *

النّمرى(٧) :

وَقَفْتُ على حَالَيْكُمَا فإذا النَّدَى　　عَليكَ ـ أميرَ المؤمنين ـ أميرُ

أبو تمام(٨) :

ألا إنَّ النَّدَى أضْحَى أميراً　　على مالِ الأميرِ أبي الحُسَيْنِ

أبو الطيب(٩) :

أَميرٌ أَميرٌ عليه النَّدَى　　جَوَادٌ بَخيلٌ بأنْ لا يَجُودَا

* * *

---

(١) ديوانه ص ٣٢٣ .　(٢) فلولا : متفرقين .
(٣) ديوانه ص ٢٩ .　(٤) فى الأصلين : «فى فقد يرى» .
(٥) التبيان (٢ : ١٥٩) .　(٦) ديوانه (٢ : ١٥٩)
(٧) التبيان (١ : ٣٦٧) .　(٨) ديوانه ص ٣٢٣ .
(٩) ديوانه (١ : ٣٦٧) .

أبو تمام[١] :

وتَرْكِى سُرْعَةَ الصَّدْرِ[٢] اغْتِباطاً   يَدُلُّ على مُوَافقَةِ الوُرُودِ

وقال أيضاً[٣] :

هِمَمِى مُعَلَّقَةٌ عليكَ رِقَابُها   مَغْلُولَةٌ إنّ الوَفَاءَ إسار[٤]

ألمّ به أبو الطيب فقال وأحْسَنَ[٥] :

وقَيَّدْتُ نَفسى فى ذَرَاكَ محبَّةً   ومَنْ وَجَد الإحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا

وقد قال[٦] :

وما قيَّـدت من صُعْلُوكِ قَوْم   بنَيْلِ الرِّزْقِ تُخْرِجه الرِّقاع

* * *

البحترى[٧] :

أضَرَّتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ والْبَدْرُ طالِعٌ   وقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبا

وهذا معنى متداوَل ، وهو أحسنُ ما جاء فيه ، وأشدّ استيفاء واختصاراً .

وقال أبو الطيب فأتى بالمصراع الثانى[٨] :

ومَا حاجَةُ الأَظْعَانِ[٩] حَوْلَكَ فى الدُّجَى   إلى قَمَرٍ مَا واجِـدٌ لَكَ عادِمُهْ

يزيد بن الطَّثْرِيّة[١٠] :

ولَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُها   إلَيْـكَ ، وكلاّ لَيْسَ مِنْك قَلِيلُ

---

(١) ديوانه ص ١٠٧ .   (٢) الصدر : الرجوع .   (٣) ديوانه ص ١٤٩ .

(٤) مغلولة : مقيدة بالغل ، وهو طوق من حديد يجعل فى العنق . ورواية التبيان :

* إن الوفاء إسارها *

(٥) ديوانه (١ : ٢٩٢) .   (٦) لم نجده فى ديوانه .

(٧) ديوانه (١ : ٥٥) .   (٨) ديوانه (٣ : ٣٣٠) .

(٩) الأظعان : جمع ظعن ، وهم القوم المرتحلون .   (١٠) التبيان (٣ : ٣) :

إسحاق الموصلى[1] :

إنَّ ما قلَّ مِنْكَ يَكْثرُ عِنْدِى   وكَثيرٌ من الحبيبِ[2] القليلُ

أبو الطيب[3] :

وجُودُكَ بِالْمقَامِ ولوْ قَليلًا   فَمَا فِيما تَجُودُ بِهِ قليـلُ

* * *

بعض العرب ـ وهو عروة بن الوَرْد[4] :

تقولُ سُلَيْمَى لو أقَمْتَ بأرْضِنا   ولَمْ تَدْرِ أنِّى لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

العبّاس بن الأحنف[5] :

سأطْلُبُ بُعْدَ الدارِ عنكم لتقْرُبوا   وتَسْكُبُ عيناىَ الدموعَ لتَجْمُدَا

أبو تمام[6] :

أآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ   ألَمَّ فكانَ دَاعِيَةَ اجْتِماعِ

أبو الطيب[7] :

لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا   يُعِينُ على الإقامَةِ فى ذَرَاكا

* * *

بعضهم :

غَمضْتُ عينى لا أرى أحداً   حتى أراهُمْ آخرَ الدَّهْرِ

أبو الطيب[8] :

---

(١) التبيان (٣ : ٣) .   (٢) فى التبيان : « ممن تحب » .

(٣) ديوانه (٣ : ٣) .   (٤) التبيان (٢ : ٣٨٨) .

(٥) معاهد التنصيص (١ : ٢٠) .   (٦) ديوانه ص ١٩٣ .

(٧) ديوانه (٢ : ٣٨٨) .   (٨) ديوانه (٢ : ٣٨٨) .

فَلَوْ أَنِّى اسْتَطَعْتُ خَفضْتُ طَرْفِى   فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حتى أَرَاكا

* * *

أشجع[١] :

فَقَدْ كُنتَ تَبْكِى[٢] وهم جيرةٌ   فَـكَيْفَ تَـكُون إِذَا وَدَّعُوا

آخر :

أَبْـكِى إذا غضبت حَتى إذا رَضِيتْ   بكيت عندالرِّضَا خَوْفاً من الغَضَبِ

آخر[٣] :

فتبكى إن نأى شوْقاً إليـهِ   وتبـكى إن دنَا خَوْفَ الفِراقِ[٤]

آخر[٥] :

لقَدْ كنتُ أبكى خِيفةً لِفراقِها[٦]   فـكيفَ إذَا بَانَ الحبيبُ فوَدَّعا

أبو الطيب[٧] :

أرَى أسفاً وما سِرْنا شَـدِيداً   فـكيفَ إذَا غدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكا[٨]

وله[٩] :

بَكَيتُ عليها خِيفةً فى حَيَاتِهَا   وذَاقَ كِلانَا ثُـكلَ صاحِبِهِ قِدْمَا

وقال فى أخرى[١٠] :

ولقَدْ بَكَيْتُ على الشَّبابِ ولِمَّـتِى   مُسْوَدَّةٌ ولِماَءِ وجْهِى رَوْنَقُ

---

(١) التبيان (٢ : ٣٨٩) .   (٢) فى التبيان :

* فها أنت تبكى وهم جيرة *

(٣) التبيان (٤ : ١٠٣) .   (٤) رواية التبيان :

فأبكى إن نأوا شوقا إليهم   وأبكى إن دنوا خوف الفراق

(٥) التبيان (٢ : ٣٨٩) .   (٦) فى التبيان : « خيفة لفراقه » .

(٧) ديوانه (٢ : ٣٨٩) .   (٨) الابتراك : السقوط على الركب . وأراد به ههنا سرعة السير .   (٩) ديواته (٤ : ٣٠٣) .   (١٠) ديوانه (٢ : ٣٣٦) .

حَذَرًا عليهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حتى لَكِدْتُ بماءِ دَمْعِيَ[1] أَشْرَقُ

* * *

بشار[2]:

يا أطيبَ الناس ريقاً غير مُخْتَبَرٍ إلا شهادة أطراف المساويك

أبو الطيب[3]:

ويَمْنَعُ ثَغْرَهُ من كلِّ صَبٍّ ويَمْنَحُهُ البَشَامَةَ والأَرَاكا[4]

* * *

عِمْران بن حِطّان[5]:

أنكَرْتُ بعدَكَ مَنْ قد كُنْتُ آلَفُهُ[6] ما النَّاسُ بَعْدَكَ يا مِرْداسُ بالنَّاسِ

قال أبو الطيب[7]:

ومَنْ أَعْتاضُ عَنْكَ إذَا افْتَرَقْنا وكلُّ النَّاسِ زُورٌ ما خَلَاكَا

وله في أخرى[8]:

إنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أنْتَ ومَا النَّا سُ بِنَاسٍ في مَوْضعٍ مِنْكَ خَالِ

فتبرَّد وبالغ .

* * *

أبو تمام[9]:

---

(١) في الديوان : « بماء جفني أشرق » . (٢) ديوانه ص ٧٤ .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٩٢) . (٤) البشام والأراك : ضربان من الشجر يستاك بفروعهما.

(٥) التبيان (٣ : ٣٩٦) . (٦) في التبيان : « من قد كنت أعرفه »

(٧) ديوانه (٢ : ٣٩٦) . (٨) ديوانه (٣ : ٢٠١) .

(٩) ديوانه ص ٢٠٠ .

لاَ أَظْلِمُ البَيْنَ[1] قد كانَتْ خَلاَئِقُها مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَى عِندِي نَوًى قُذُفَا[2]

وله[3]:

ففِرَاقٌ جَرَعْتُهُ مِنْ فِرَاقٍ وفِرَاقٌ جَرَعْتُه مِنْ صُدُودِ[4]

البحترى[5]:

على أنَّ هِجْرَانَ الْحَبيبِ هُوَ النَّوَى لَدَىَّ وعِرْفانَ الْمُسِىءِ هو العَذلُ

قال أبو الطيب[6]:

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي الْبُعْدِ مَالاَ تُكَلَّفُ الإِبِلُ

فاستوفى المعنى وأكّده فى مصراع واحد.

وقد أحسن إبراهيم بن العباس فى هذا المعنى بقوله[7]:

وإنَّ مُقِيمَاتٍ بِمُنْقَطَعِ اللِّوَى لأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وهَاتِيكَ دارُهَا

* * *

ابن الرومى[8]:

شَكَرَتْ نِعْمَةَ الوَلِيِّ على الوَسْـ ـمِيِّ ثُمَّ العِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ

فَهْىَ تُثْنِي على السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فى الْبِلَادِ

من نَسيمٍ كأَنَّ مَسْرَاه فى الأرْ واحِ[9] مَسْرَى الأَرْوَاحِ فِى الأَجْسَادِ

أبو الطيب[10]:

---

(١) فى الديوان: «لا أظلم النأى». (٢) قذف: تقذف بمن يسلكها.

(٣) ديوانه ص ٤٣٩. (٤) رواية الديوان:

نفراق أصابنى من فراق وفراق أصابنى من صدود

(٥) ديوانه (٢: ١٦٣). (٦) ديوانه (٣: ٢٠٩).

(٧) التبيان (٣: ٢٠٩). (٨) ديوانه ص ٧٥. والتبيان (١: ٢٥٥):

(٩) فى التبيان: «الخيشوم». (١٠) ديوانه (١: ٢٥٥).

وذَكِيُّ رَائِحَةِ الرِّيَاضِ كلاَمُها تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتفُوحُ[١]

* * *

بعضهم[٢] :

اعدد ثلاثَ خِلالٍ قد جُمِعْنَ[٣] له هل سُبَّ من أحد أو سَبَّ أو بَخِلَا

أبو الطيب[٤] :

ولَكِنْ نفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمةٍ كَرِيمُ النَّثَا ماسُبَّ قَطُّ ولا سَبَّا

* * *

أبو تمام[٥] :

لقد بثَّ عبدُ اللهِ خوفَ انْتِقَامِه على الليلِ حتى ما تدِبُّ عَقَاربه

فنقله أبو الطيب فقال[٦]:

تَصُدُّ الرِّيَاحُ الهُوجُ عَنها مَخَافَةً وتَفْزَعُ فيها الطَّيْرُ أنْ تَلْقُطَ الحَبَّا

* * *

محمود الورّاق[٧] :

إذا أنْتَ لم تَسْلُ اصْطِبارًا وحِسْبَةً سَلَوْتَ على الأيَّامِ مِثْلَ البهائِمِ

أبو تمام[٨] :

أتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وحِسْبَةً فتُؤْجرَ أمْ تَسْلُو سُلُوَّ البهائِمِ

---

(١) قال العكبرى فى التبيان : وأخذه السرى الموصلى فقال :

وكنت كروضة سقيت سحابا فأثنت بالنسيم على السحاب

(٢) التبيان (١ : ٦٩) . (٣) فى التبيان : « ثلاث خصال قد عددن له » .

(٤) ديوانه (١ : ٦٨) . (٥) ديوانه ص ٤٦ ، والتبيان (١ : ٦٧) .

(٦) ديوانه (١ : ٦٧) . (٧) التبيان (١ : ٥٥) .

(٨) ديوانه ص ٣١٩ ، والتبيان (١ : ٥٥) .

وقال أبو الطيب(١) :

لِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ من زَفَرَاتِهِ سُكُونُ عَزَاءٍ أو سُكُون لُغُوبِ

* * *

بعضهم(٢) :

إنِّى رَأيْتُكَ فى نَوْمِى تُعَانِقُنى كَمَا تُعَانِقُ لَامُ الْكَاتِبِ الْألِفَا

ألمَّ به أبو الطيب فقال(٣) :

دُونَ التَّعَانُقِ نَاحِلَيْنِ كَشَكْلَتَىْ نَصْبٍ أدَقَّهُمَا وضَمَّ الشَّاكِلُ

فكأنه معنى مفرد ؛ ولئن أخذه منه كما يزعمون فما عليه مَعْتب ؛ لأن التعبَ فيه ونقْلَه لاينقصُ عن التعب فى ابتدائه .

* * *

أبو تمام(٤) :

وإنْ نَجِدْ عِلَّةً نُعَمَّ بها حتى ترَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ

على بن الجَهْم(٥) :

وإذا رَابَكُمْ منَ الدَّهْرِ رَيْبٌ عَمَّ ما خَصَّكُمْ جَمِيعَ الأنامِ

أبو هفَّان(٦) :

قالوا اعْتَلَلْتَ فقلتُ كـ ـلاَّ إنما اعْتَلَّ العِبادُ

أبو الطيب(٧) :

---

(١) ديوانه (١ : ٥٥) . (٢) التبيان (٣ : ٢٥٣) .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٥٢) . الشكلة : ماتكون فى الإعراب ، وضم الكاتب مابين الشكلتين؛ إذا قارب ما بينهما . (٤) ديوانه ص ١٨٩ ، والتبيان (٢ : ٢١٨) .

(٥) الأغانى (١٠ : ٢٢٦) (طبع دار الكتب) . (٦) التبيان (٢ : ٢١٨) .

(٧) ديوانه (٣ : ٣٧٦) .

وَمَا أُخُصُّكَ مِنْ بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ   إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وله(١) :

إذا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ   وَمَنْ فَوْقَهَا والبَأْسُ والكَرَمُ المَحْضُ

* * *

على بن الجَهْم ــ فى السحاب(٢) :

إِذَا أُوقِدَتْ نَارُها بالعِرَاقِ   أَضاءَ الحِجَازَ سَنَا نارِهَا

نقله أبو الطيب إلى السيف ، فقال(٣) :

سَلَّهُ الرَّكْضُ(٤) بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ   فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الحِجَازِ

* * *

يعقوب بن الربيع [يرثى جارية له تسمى ملكا](٥) :

يامَلْكُ إِنْ كُنْتِ تحتَ الأرْضِ بَالِيَةً   فإنَّنى فَوْقَهَا بَالٍ مِنَ الحَزَنِ

أبو الطيب(٦) :

بِنَا مِنْكَ فوقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فى الرَّمْلِ   وهٰذَا الَّذِى يُضْنِى كَذَاكَ الَّذِى يُبْلِى

* * *

محمد بن وَهْب(٧) :

وحَارَبَنِى فيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ   كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢١٨) .   (٢) التبيان (٢ : ١٧٧) وقبله :

وقبة ملك كأن النجو   م تصغى إليها بأسرارها

وهو مأخوذ من قول الوائلى :

ما سله أهل الحجاز لحاجة   إلا يبشر بالسحاب الشاما

(٣) ديوانه (٢ : ١٧٧) .   (٤) فى الأصلين : « الركب » .

(٥) التبيان (٣ : ٤٣) .   (٦) التبيان (٣ : ٤٣) .

(٧) التبيان (٤ : ٤٧) .

البحترى[1] :

قَدْ بَيَّنَ الْبَيْنُ الْمُفَرِّقُ بَيْننا ... عِشقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذاكَ الرَّبْرَب

أبو الطيب[2] :

مَلَامُ النَّوَى فى ظُلْمِها غايَةُ الظُّلْمِ ... لَعَلَّ بِهَا مِثلَ الَّذِى بى مِنَ السُّقْمِ

فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّى لِقاءَكُمْ ... وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فيكُمُ خَصْمِى

* * *

أبو تمام[3] :

أقُولُ وقَدْ قَالُوا اسْتراحَ لِمَوْتِهَا ... مِنَ الْكَرْبِ رُوحُ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الكَرْبِ

وقريب منه قوله[4] :

أجارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ ... فَاقِرَةٌ نَجَّتْكَ مِنْ فَاقِرَهْ

أبو الطيب[5] :

ولَمْ يُسْلِها إلاَّ الْمَنَايَا وإنمَا ... أشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِى أذْهَبَ السُّقْمَا

* * *

حاتم[6] ، ويروى لربيعة بن مِرْداس :

مَتَى مَا أتى يوماً إلى المالِ وَارِثى ... يَجِدْ مِلءَ كَفٍّ غير مَلْأَى ولاصِفْرِ

يَجِدْ فرساً مِلْءَ العِنَانِ وصَارِماً ... حُسَاماً إذا ما هُزَّ لم يَرْضَ بالهَبْرِ[7]

---

(١) ديوانه (٢ : ١٩) ، التبيان (٤ : ٤٧) . (٢) ديوانه (٤ : ٤٧) .

(٣) ديوانه ص ٣٥٦ ، والتبيان (٤ : ١٠٥) .

(٤) ديوانه ص ٤٩٧ ، والتبيان (٤ : ١٠٥) . (٥) ديوانه (٤ : ١٠٦) .

(٦) ديوان حاتم ص ١٢١ ، وشعراء النصرانية ص ١٣٢ .

(٧) فى ا : « بالهر » ، وصوابه من الديوان ، و ب .

وأسْمَرَ خَطِّيًّا كأنَّ كُعُوبَه ... نَوَى القَسْبِ قدْ أرْبَى ذِرَاعاً على العَشْرِ (١)

امرأة من العرب (٢) :

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيس مُفَاضَةٍ ... وأبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلاً حَمائِلُه (٣)

عُرْوة بن الورد (٤) :

وذى أَمَلٍ يَرْجُو تُرَاثِى وإنَّ مَا ... يَصِيرُ له مِنْه غَـداً لَقَلِيلُ

ومالىَ مال غير دِرْع ومِغْفَرٍ ... وأبيض من ماء الحديد صَقِيلُ

وأسمرُ خَطِّىُّ القناةِ مُثَقَّفٌ ... وأجردُ عُرْيان السَّرَاةِ (٥) طويلُ

أبو الطيِّب (٦) :

كنَّا نَظُنُّ دِيارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهَباً فَمَاتَ وكلُّ دارٍ بَلْقَعُ

وإذا المكارِمُ والصَّوارِمُ والْقَنَا ... وبنَاتُ أَعْوَجَ كلُّ شىء يَجْمَعُ

* * *

الفرزدق :

وهُمْ قادوا سَفِيهَهُمُ وخافوا ... قلائدَ مثـلَ أطْواقِ الحَمامِ

---

(١) رواية الديوان لهذه الأبيات :

متى يأت يوما وارثى يبتغى الغنى ... يجد جمع كف غير ملأى ولاصفر

يجد فرسا مثـل القناة وصارما ... حساما إذا ماهز لم يرض بالهبر

وأسمر خطيا كأن كعوبه ... نوى القسب قد أرمى ذراعا على العشر

ورواية العكبرى فى التبيان :

متى ما يجىء يوما إلى المال وارثى ... يجد جمع كف غير ملأى ولاصفر

يجد مهرة مثل القناة قويمة ... نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

والقسب : التمر اليابس .

(٢) ديوان الحماسة (٣ : ٧٣) ، وهى زينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد بن الطثرية .

(٣) الدريس : الخلق من الدروع ، والمفاضة : الدرع الواسعة .

(٤) العمدة (٢ : ٢٩) . (٥) السراة : المتن . (٦) ديوانه (٢ : ٢٧٠) .

ابن هرْمة[١] :

عَقَدْتُ من مُلْتَقَى أوداج لَبَّته طوقَ الحمامة لايبْلى على القِدَم

بعضهم :

وهُنَّ إذا وسمتَ بِهنَّ قوماً كأطْوَاقِ الحَمائم فى الرِّقاب

أبو الطيب[٢] :

أَقامَتْ فى الرِّقابِ لَهُ أَيادٍ هى الأَطْوَاقُ والناسُ الحَمَامُ

وهذا من المبتذل الذى لايعد سرقة إلا بزيادة تلحقه ، وزيادةُ أبى الطيب فيه حسنة بديعة ، ولأجلها ذكرتُ الأبيات .

* * *

محمود [الوراق][٣] :

كفاكَ بالشَّيْبِ ذَنْباً عند غانِيَةٍ وبالشَّبابِ شَفِيعاً أيُّها الرَّجُلُ

أبو نُواس فى الشباب :

كانَ المشفَّع فى مَآربه عند الفتاة ومُدْرِكَ القبل

النمرى[٤] :

وإذا تَوَسَّلَ بالشَّبابِ أخُو الْهَوَى أَلْفَاهُ نِعْمَ وَسيلةُ المُتَوَسِّل

أبو الطيب[٥] :

وغَضْبَى من الإدْلَالِ سَكْرَى من الصِّبا شَفَعْتُ إليها من شَبابى برِيِّقِ

والمعنى مبتذل .

* * *

---

(١) مهذب الأغانى (٦ : ١١١) . (٢) ديوانه (٤ : ٧٦) .

(٣) التبيان (٢ : ٣٠٦) . (٤) التبيان (٢ : ٣٠٦) .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٠٥) .

بكر بن النطّاح[1] :

ولو لم يجر فى العمْر قسمٌ لِمَالِكٍ وجازَ له الإعْطَاء مِنْ حَسَناته
لجادَ بِها من غَيْرِ شِرْكٍ بِرَبِّهِ وأشْرَكَنَا فى صَوْمِهِ وصَلاته

أبو الطيب[2] :

ولَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الحَشْرِ تَجْدُو لَأَعْطَوْكَ الَّذِى صَلَّوْا وصَامُوا

وهذا معنى مليح . ولفظ ابن النطاح أحسن ، وله زيادة قوله : « من غير شِرْكٍ بربه » ، وفيه نفى التهمة فى الاستهانة بالأعمال الصالحة ، ولأبى الطيّب فضيلة ذكر الحَشْر ؛ لأنه خصّ الوقت الذى يظهر فيه الافتقار إلى الحسنات ، والضنّ بها ؛ وأصلُه لأبى العتاهية ، قال[3] :

فمَنْ لِي بهذا ؟ ليت أنى أصَبْتُه فقَاسَمْتُه مَالِي مِنَ الحَسَناتِ

* * *

أبو خِرَاش :

فإذا وذلك لَيْسَ إلا ذِكْره وإذا مضى شىء كأن لم يَفْعَل

متمّم بن نويرة[4] :

فَلمَّا تفرَّقْنا كأنِّى ومالكاً لطولِ اجْتماعٍ لم نَبتْ ليلةً مَعًا

علىّ بن جَبَلة :

شبابٌ كأنْ لم يكن وشيب كأنْ لم يَزَلْ

---

(١) نسبهما العكبرى فى التبيان إلى أبى تمام ، وروايتهما عنده :
ولو لم يجد فى قسمة العمر حيلة وجاز له الإعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه وواساهم من صومه وصلاته
وكذلك هى روايتهما فى ديوان أبى تمام ص ٦٣ .

(٢) ديوانه (٤ : ٧٧) . (٣) التبيان (٤ : ٧٧) .

(٤) المفضليات ص ٦٧ . التبيان (١ : ٥٩) .

وما أملح ما قال البحترى فى قريب من هذا المعنى[1] :

فَلَا تَذْكُرَا عَهْدَ التَّصَابِى فإنَّهُ ... تَقَضَّى ولم يَشْعُرْ بِهِ ذٰلِكَ العَصْرُ

أبو الطيّب[2] :

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلًا كأنْ لم أَفُزْ بِهِ ... وعَيْشًا كأنِّى كُنْتُ أقْطَعهُ وَثْبَا

فأما المصراع الثانى فمن قول الهذلى[3] :

عَجِبْتُ لسَعْىِ الدَّهْرِ بَيْنِى وبينكم[4] ... فلمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

فجعل أبو الطَّيِّب السَّعْىَ وَثْباً .

وقد ملح فى اللفظ علىّ بن جَبلة[5] :

وأرَى اللَّيالِى ما طوتْ من قوَّتِى ... زَادَتْه فى عَقْلِى وفى أفهَامِى

* * *

ابن المعتز[6] :

وما يُنْتقصْ من شباب الرجال ... يَزِدْ فى نُهاها وأَلْبابِها

فقلبه أبو الطيب فقال[7] :

لَيْتَ الحَوَادِثَ باعَتْنِى الذى أخَذَتْ ... مِنِّى بحِلْمِى الَّذِى أعْطَتْ وتَجْرِيبِى

فما الحدَاثَةُ من حِلْمٍ بمانِعَةٍ ... قد يُوجَدُ الْحِلْمُ فى الشُّبَّانِ والشِّيبِ

وقد اقتدى فى قوله بأبى تمام فى قوله[8] :

حلّمتنى زعمتمُ وأرَانِى ... قبلَ هذا التحليم كنتُ حليما

---

(١) ديوانه (١ : ٢١٧) ، التبيان (١ : ٥٩) . (٢) ديوانه (١ : ٥٨) .
(٣) الأمالى (١ : ٢٤٨) ، التبيان (١ : ٥٨) . (٤) فى الأمالى : «وبينها» .
(٥) التبيان (١ : ١٧٠) . (٦) التبيان (١ : ١٧٠) .
(٧) ديوانه (١ : ١٧٠) . (٨) ديوانه ص ٢٩١ ، التبيان (١ : ١٧٠) .

فجمع هذا المعنى إلى المعنى الأول ببيتيه .

* * *

عليّ بن جَبَلة :

قمر نمّ عليـــه نورُه   كيف يُخفى الليل بدراً طَلَعَا

أبو الطيب[(١)] :

أَمِنَ ازْدِيارَكِ فى الدُّجى الرُّقَباءُ   إِذْ حَيْثُ كنتِ من الظَّلام ِ ضِياءُ

دِعْبِــلْ :

تلك المساعى إذا ما أَخَّرتْ رَجُلًا   أحَبَّ للناس عيْبًا كالذى عَابَه

كذاك من كان هَدْمُ المجد غايتَه   فإنه لِبُناةِ المجـــد سبَّابَه

أبو تمام[(٢)] :

* وذُو النَّقْص ِ فى الدُّنْيا بذِى الْفَضْل ِ مُولَعُ *

مرْوان بن أبى حفصة[(٣)] :

ما ضَرَّنِى حَسَدُ اللِّئام ِ ولم يَزَلْ   ذُو الفَضْل يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

غـيره :

وأجرأ مَنْ رأيتُ بظهر غَيْبٍ   على عَيْبِ الرجال ذوو العُيُوب

أبو الطيب[(٤)] :

* والْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بأَوْلَادِ الزِّنَى *

---

(١) ديوانه (١ : ١٢) .   (٢) ديوانه ص ١٩ . والتبيان (٤ : ٢٠٦)

وصدره :

* لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف *

(٣) التبيان (٤ : ٢٠٦) .   (٤) ديوانه (٤ : ٢٠٦) وصدره :

* وإنه المشير عليك فى بضلة *

ومثله له[1] :

تُعَادِينَا لِأَنَّا غَـيْرُ لُـكْنٍ ... وتُبْغِضُنا لِأَنَّا غـيرُ عُور

ثم نقله وزاد فيه وغيّره فأحسن[2] :

وإذَا أتَتْكَ مَذَمَّتى مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِىَ الشَّهادَةُ لِى بأَنِّى كامِل

ومن هذا المعنى قول الطِّرِمّاح[3] :

لَقَدْ زَادَنِى حُبًّا لنَفْسىَ أَنَّنى ... بَغِيضٌ إلى كلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طائِل

وأَنِّى شَقِىٌّ باللِّئَامِ ولَنْ ترَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إلاَّ كَرِيمَ الشَّمائِل

* * *

أبو سعيد المخزومى :

قوم إذا أخذوا عليك ثَنِيَّة ... ضاقت عليك سهولُها ووعورُها

أبو الطيب[4] :

أخذت على الأرواح كل ثَنِيَّةٍ ... من العيش تعطى ما تشاء وتَمْنَعُ

قد أخرج هذا فى سرقاته وما أراه منها ؛ لأن أخذ الثنية لفظة مستعملة عند العرب .

* * *

المخزومى :

أَملى فى التاج أَلْبَسه ... وله فى الشعر آمال

أبو الطيب[5] :

---

(١) ديوانه (٢ : ١٤٤) .
(٢) ديوانه (٣ : ٢٦٠) .
(٣) التبيان (٣ : ٢٦٠) .
(٤) لم نجده فى ديوانه .
(٥) ديوانه (١ : ٣٥٥) .

وشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي ... بِبَيْعِ الشِّعْرِ فى سُوقِ الكَسادِ

* * *

النمرى(١) :

ومصلتات كأَنَّ حِقْدًا ... بها على الْهَامِ والرِّقابِ

أبو تمام(٢) :

كأنَّها وهى فى الأَوْدَاجِ والِغَةً (٣) ... وفى الكُلَى تجِدُ الغَيْظَ الَّذِى تجِدُ

أبو الطيب(٤) :

تَحْمَى السُيُوفُ على أعْدَائِه مَعَهُ ... كأنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُه

* * *

أبو عطاء السندى(٥) :

عشية قَامَ النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيوبٌ بأيْدِى مأتَم وخُدُودِ

أبو تمام(٦) :

شقَّ جَيْبًا من رجالٍ لو اسـ ... ـطاعوا لشقُّوا ما وَراءَ الْجُيُوبِ

أبو الطيب(٧) :

عَلَيْنَا لَكَ الإسْعادُ لَوْ كانَ نَافِعاً ... بِشَقِّ قُلوبٍ لا بِشَقِّ جُيوبِ

* * *

---

(١) التبيان (٢ : ١٢٠) . (٢) ديوانه : ٩٩ ، التبيان (٢ : ١٢٠) .

(٣) وفى الأصلين :

* كأنها وهى فى الأرواح والغة *

(٤) ديوانه (٢ : ١٢٠) . (٥) التبيان (١ : ٥٤) .

(٦) ديوانه ص ٣٥٤ ، والتبيان (١ : ٥٤) ، وفى الديوان : « شق جيوبا » .

(٧) ديوانه (١ : ٥٤) .

الفرزدق :

وما وَامَرَتْنى النفسُ فى رحلة إلى … جَدًا أَحَـدٍ إلا إليك ضميرُها

أبونواس(١) :

وإنْ جَرَتِ الألْفَاظُ يَوْمًا بمَدْحَةٍ … لغَيْرِكَ إنْسَانًا فأنْتَ الّذى نَعْـنِى

أبو الطيب(٢) :

وظَنُّونى مَدَحْتُهُمُ قَدِيمًا … وأنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُم مُرَادِى

* * *

أبو تمام(٣) :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ والأمانِى … وإنْ قَلِقَتْ رِكابى فى الْبِلَادِ

أبو الطيب(٤) :

وإنِّى عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لغَادٍ … وقَلْبى عَنْ فِنائِكَ غَيْرُ غادِ

* * *

أبو تمام(٥) :

وما سَافَرْتُ فى الآفاقِ إلّا … وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتى وزَادى

أبو الطيب(٦) :

مُحِبُّكَ حيثُمَا اتَّجَهَتْ رِكابى … وضَيْفُكَ حيثُ كُنْتُ من البلادِ

وهـذا من أقبح ما يكون من السَّرَق ، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية ، ومثل المصراع الأول لأبى الطيب وهو محتذ قول البحترى(٧) :

---

(١) التبيان (١ : ٣٦٥) . (٢) ديوانه (١ : ٣٦٥) .

(٣) ديوانه ص ٧٩ ، التبيان (١ : ٣٦٥) . (٤) ديوانه (١ : ٣٦٥) .

(٥) ديوانه ص ٧٩ ، التبيان (١ : ٣٦٥) . (٦) ديوانه (١ : ٣٦٥) .

(٧) ديوانه (١ : ١٣٧) .

متى ما أسِرْ فى البلاد ركائبى[1]   أجد سائقى يهوى إليك وقائدى

وقد لاحظ أبو تمام قول المثقّب :

إلى عَمْرٍو ومن أثْنى عليه   أخى النّجدات والحِلْمِ الرّزِين

* * *

أبو تمام[2] :

لَهُ مَنْظَرٌ فى العَيْنِ أَبْيَضُ ناصِعٌ   ولٰكِنَّه فِى القَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

أبو الطيب[3] :

اِبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لا بَيَاضَ لَهُ   لأَنْتَ أَسْوَدُ فِى عَيْنِى مِنَ الظُّلَمِ

* * *

أبو دُلَف[4] :

وكلَّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قد طَلَعَتْ   كأنَّما طَلَعَتْ فى نَاظِرِ البَصَرِ

أبو الطيب[5] :

إِذَا لَحَظَتْ بَياضَ الشَّيْبِ عَيْنِى   فقد وَجَدَتْهُ منهـــا فى السَّوَادِ

* * *

أبو تمام[6] :

أثافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً   ونُؤْىٌ مِثْلُ ما انْقَصَم السِّوارُ[7]

أبو الطيب[8] :

---

(١) فى الديوان : « كتائبى » .   (٢) ديوانه ص ١٩٠ ، التبيان (٤ : ٣٥) .

(٣) ديوانه (٤ : ٣٥) .   (٤) التبيان (١ : ٣٥٦) .

(٥) ديوانه (١ : ٣٥٦) .   (٦) ديوانه ص ١٤١ ، التبيان (٣ : ١٩٣) .

(٧) الأثافى : حجارة القدر ، والنؤى : حفير حول الخيمة يمنع السيل .

(٨) ديوانه (٣ : ١٩٢) .

ونُؤيٍ كأنَّهُنَّ عليـه نَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بسُوقٍ خِدَالِ(١)

نقل اللفظ من السوار إلى الخِدَام ، وقد أحسن أبو تمام بقوله : « مثل ما انقصم السوار » ؛ لأن النؤى لاتستدير بالبيت إلا وفيه فرج ، وربما كان من أحد الجوانب تعريج ، فهو كالسوار المنقصم . وقَصّر أبو الطيب عنه فى هذا الوجه ، وإنما جعلها خُرْسا ، وجعل السوق خِدالا ؛ لأنها إذا كانت لاصقة بالبيوت ، فهى كأنما تضغطها ضغطةالخدمة الساقالخدلة ، وإذا كانت كذلك فهى خُرْس ، لأنها لاتتحرك فتصوّت ؛ وإنما أخذه أبو تمام من قول الأول(٢) :

نُؤْىٌ كما نَقَصَ الهِلاَل مُحَاقُهُ أو مِثْلُ ما قَصَمَ السِّوَارَ المِعْصَمُ

***

أحمد بن أبى فنن(٣) :

حَانَ الرَّحِيلُ وقد أَوْلَيْتَنَا حَسَناً والآنَ أَحْوَجُ ما كُنَّا إلى زَادِ

أبو الطيب(٤) :

وقد نَظَرْتُكَ حتى حَانَ مُرْتَحَلٌ وذَا الوَدَاعُ فَكُن أَهْلاً لِمَا شِيتا

***

أبو تمام(٥) :

فَرُدَّتْ علينا الشمسُ واللَّيْلُ راغِمٌ بشمسٍ لهمْ من جانبِ الخِدْرِ تطلُع

أبو الطيب(٦) :

رَأَتْ وَجْه مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِى فَقُلْنَ نَرَى شَمْساً وما طلَع الفَجْرُ

***

(١) الخدام : جمع خدمة ، وأصله السير يشد فى رسغ البعير ، وبه سمى الخلخال . والخدال : السمان . (٢) التبيان (٣ : ١٩٣) . (٣) التبيان (١ : ٢٢٣) .
(٤) ديوانه (١ : ٢٢٣) . (٥) ديوانه ص ١٨٩ ، التبيان (٢ : ١٢٣) .
(٦) ديوانه (٢ : ١٢٣) .

البحترى[1] :

ولمْ أَلْقَ فى رَنْقِ الصَّرَى[2] لِيَ مَوْرِداً   فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النِّيلِ عند احْتِفالِهِ

أبو الطيب[3]:

قَوَاصِدَ كافُورٍ تَوَارِكَ غيرِهِ   ومَنْ قَصَدَ البحرَ اسْتَقَلَّ السَّواقيا

وهذا مصراع نادر ، مستوفى المعنى سائر المَثَل .

* * *

البحترى[4] :

وأشْهَدُ أَنِّى فى اخْتِيارِكَ دونَهُمْ   مُؤَدٍّى إلى حَظِّى ومُتَّبِعٌ رُشْدِى

أبو الطيب[5] :

وما شِئْتُ إلاَّ أنْ أَدُلَّ عواذِلى   على أنَّ رَأْيِى فى هَوَاكَ صَوابُ

وأُعْلِمَ قَوْماً خالَفُونى وشَرَّقوا   وغَرَّبْتُ أنى قَدْ ظَفِرْتُ وخابُوا

* * *

البحترى[6] :

إذا سار كفُّ اللَّحْظِ عن كل منظر   سِواه وغَضَّ الطرْف[7] عن كل مُسْمع

فلستَ ترى إلا أفاضة شاخص   إليه بعينٍ أو مشيرٍ بإِصْبَع

أبو الطيب[8] :

بِمَنْ تَشْخَصُ الأَبْصارُ يومَ رُكُوبه   ويُخْرَقُ من زَحْمٍ على الرَّجُلِ البُرْدُ

وتُلْقِى وما تَدْرى البَنَانُ سِلاحَها   لِكَثْرَةِ إيْماءِ إِلَيْهِ إذا يَبْدُو

---

(١) ديوانه (٢ : ١٧٣) ، التبيان (٤ : ٢٨٧) . (٢) الصرى : الماء يطول مكثه

(٣) ديوانه (٤ : ٢٨٧) . (٤) ديوانه (١ : ١٩٨) ، التبيان (١ : ١٩٩).

(٥) ديوانه (١ : ١٩٩) . (٦) ديوانه (٢ : ٧٩) .

(٧) فى الديوان : « وغض الصوت » . (٨) ديوانه (٢ : ٥) . وزحم : مصدر رحم.

فأكد المعنى وزاد فيه ، كأنه اقتبس معنى البيت الثانى من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَه أَكْبَرْنَهُ ﴾ .

* * *

البحترى[١] :

تَقَاذَفُ بى بلادٌ عن بلادٍ　　　كأنى بَيْنَها عَيرٌ[٢] شَرودُ

بعضهم :

* كأنى قَذًى فى عينِ كلِّ بلادِ *

أبو الطيب[٣] — وهو منقول إلى معنى آخر كالمفرد :

يُخَيَّل لى أنَّ البلادَ مَسَامِعِى　　　وأنىَ فيها ما تَقُولُ الْعَوَاذِلُ

* * *

أشجع[٤] :

وعلى عَدُوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحمدٍ　　　رَصَدَانِ : ضَوْءُ الصُّبْحِ والإظْلَامُ

فإذا تَنَبَّه رُعْتَه وإذا غَفا　　　سَلَّتْ عليه سُيُوفَكَ الأَحْلَامُ

أبو الطيب[٥] :

يَرَى فى النومِ رُمْحَكَ فى كُلَاه　　　ويَخْشَى أنْ يَرَاهُ فى السُّهادِ

فقصّر فى ذكر السُّهاد ؛ لأنه أراد أن يقابل بها النوم ، وبذلك يتم المعنى ، وليس كل يقظة سهادا ؛ إنما السُّهاد امتناع الكرى فى الليل ، ولا يسمى المتصرف فى حاجاته بالنهار ساهدا وإن كان مستيقظا ، وقد جاء به فى بيت آخر فقال[٦] :

وكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ　　　فإنمَا حَلَمَتْ بالسَّبى والجَمَلِ

---

(١) ديوانه (١ : ١٧٢) ، التبيان (٣ — ١٧٧) .　(٢) فى الديوان : « جمل » .
(٣) ديوانه (٣ : ١٧٧) .　(٤) خاص الخاص . ص ٨٨ ، التبيان (١ : ٣٦٤) .
(٥) ديوانه (١ : ٣٦٤) .　(٦) ديوانه (٣ : ٨٣) .

وإنما ذكر الجمل ؛ لأن الروم لاتعرفه إلا إذا غزاها المسلمون ، فهم أشد شيء منه ونفارا عنه :

***

أبو تمام(١) :

شابَ رَأْسِى وما رَأَيْتُ مَشِيبَ الـ ـرَّ أْسِ إلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ

وهو مما استقبح من استعاراته ، وزعموا أنه لما أنشدَ ذلك بحضرة أحمد بن أبى دؤاد قال مَنْ حضر : وكيف يشيب الفؤاد ؟ فقال ارتجالا(٢) :

وكذاك القلوب فى كل بُؤْسٍ ونعيمٍ طلائعُ الأجْسادِ

فقال أبو الطيب(٣) — ونقل شيب الفؤاد إلى الكبد :

إلاَّ يَشِبْ فلَقَدْ شابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْباً إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلاَ(٤)

***

قال أبو نواس(٥) :

ولَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فى وَاحِدِ

وكرّره فقال :

متى تَحُطّى إليه الرحلَ سالمة تستجمعى الخَلْق فى تمثال إنسان

قال أبو الطيب(٦) :

هَـــدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَها إلاَّ رَأَيْتُ العِبادَ فِى رَجُلِ

ثم كرره فقال(٧) :

---

(١) ديوانه ص ٧٥ ، التبيان (٣ : ١٦٤) ، أخبار أبى تمام للصولى ص ١٤٨ .

(٢) ديوانه (١ : ٧٥) . (٣) ديوانه (٣ : ٤٦١) .

(٤) النصول : ذهاب الخضاب (٥) ديوانه ص ٨٧ ؛ التبيان (١ : ٣٦٦) .

(٦) ديوانه (٣ : ١٧٣) . (٧) ديوانه (١ : ٣٦٦) . وصدره :

* أحلما نرى أم زمانا جديدا *

* أَمِ الخَلْقُ فى شَخْصٍ حَىٍّ أُعِيدَا *

ومثل قوله[1]:

* وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الخَلَائِقُ *

وكرر وزاد فقال[2]:

وَلَقِيتُ كلَّ الفَاضِلِينَ كأنَّمَا ... رَدَّ الإلهُ نُفُوسَهُمْ والأَعْصُرَا

ومن مليح ما يشاكل هذا قوله[3]:

نُسِقُوا لنَا نَسْقَ الحساب مُقَدَّما ... وأتى فذلكَ إذ أتيتَ مُؤَخَّرَا[4]

فعلّل وشبه، وأوضح المعنى بذكر الحساب واجتماع أعداده فى الفَذْلَكة، وهو قريب من قوله فى أخرى:

مَضَى وبَنُوه وانفَرَدْتَ بفضلهم ... وألْفٌ إِذَا ما جُمِّعَتْ واحدٌ فَرْدُ

فجعل الألف واحداً فرداً، يجمع ماتحته من الأعداد؛ فجمع هذا فضائل آبائه وهو فرد، كجمع الفَذْلَكة ما تقدمها من تفصيل الحساب.

***

أبو تمام[5]:

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٥٠)، وصدره:

* هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى *

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٠).

(٣) فى الأصلين: «ومن مليح ما يشاكل هذا قول البحترى». وهو خطأ، فهذا البيت للمتنبي: والثانى له أيضا (٢ : ١٧١).

(٤) قال الواحدى فى معنى هذا البيت: «جمع لنا الفضلاء فى الزمان؛ ومضوا متتابعين متقدمين عليك، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم؛ مثل الحساب؛ يذكر تفاصيله أولا؛ ثم تجمع تلك التفاصيل؛ فيكتب فى آخر الحساب: فذلك كذا وكذا».

(٥) ديوانه ص ٤٧٧، والتبيان (٢ : ٢٣٦)، وروايته فى الديوان:

أسكن قلبا هائما فيه مأتم ... من الشوق إلا أن عينى فى عرس

أَفِي الحَقِّ أَنْ يُضْحِي بِقَلْبِيَ مَأْتَمٌ ... مِنَ الشَّوْقِ والْبَلْوَى وعَيْنِيَ فِي عُرْسِ

أبو الطَّيِّب (١) :

حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكِيٍّ من الهَوَى ... وعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ من الحُسْنِ تَرْتَعُ

وهو نحو قول العباس بن الأحنف :

إذا زرت شمسًا تستضيء بِشَمْسِه ... فقلبك مغبونٌ وطَرْفُكَ رَابِحُ

ومن هذا قول أبي الطيب ، وقد أَحْسَنَ (٢) :

فإِنِّي قد وَصَلْتُ إلى مَكانٍ ... عَلَيهِ تَحْسُدُ الحَدَقَ القُلُوبُ

* * *

البحترى (٣) :

سُلِبوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ ... مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لم يُسْلَبُوا

وهو من قول بعض العرب (٤)

وفَرَّقْتُ بَيْنَ ابنى هُشَيمٍ بِطَعْنَةٍ ... لها عائِدٌ يَكْسو السَّلِيبَ إِزَارَا

فنقله أبو الطيب إلى السيف ، فقال (٥) :

يَبِسَ النَّجِيعُ (٦) عَلَيْهِ وهْوَ مُجَرَّدٌ ... مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

* * *

البحترى (٧) ـ وهو معنى مبتذل كثير :

ولو أنّ الجِبَالَ فَقَدْنَ إِلْفًا ... لأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْها يَذُوبُ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٣٥) . (٢) ديوانه (١ : ٧٥) .
(٣) ديوانه (١ : ٦٣) ، التبيان (١ : ٣٣٧) . (٤) التبيان (١ : ٣٣٧) .
(٥) ديوانه (١ : ٣٣٧) . (٦) النجيع : الدم .
(٧) ديوانه (١ : ٢٦)، التبيان (٢ : ٢٣٧) .

أبو الطيب[1] :

ولو لقيتْ[2] صُمُّ الجبالِ الَّذِي بنَا   غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ

* * *

البحترى[3] :

لايتمطَّى كما احْتَاجَ الْبَخِيلُ ولا   يُحب من مالِهِ إلّا الَّذِى يَهَبُ[3]

أبو الطيب[4] :

إِذَا حَازَ مَالًا فقَدْ حَازَهُ   فَتًى لا يُسَرُّ بِمَا لا يَهَبْ

* * *

البحترى[5] :

وإذا اجْتَدَاه الْمُجْتَدُون فإنَّهُ   يَهَبُ الْعُلَا فى نَيْلِهِ الْمَوْهُوبِ

أبو الطيب[6] :

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بالندَى   فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا

* * *

البحترى[7] :

مَلِكٌ له فى كلِّ يومِ كَرِيهةٍ   إِقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مجرِّبِ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٣٦) .   (٢) فى الديوان : « ولو حملت » .

(٣) ديوانه (١ : ٦٥) ، التبيان (١ : ٩٩) ورواية العكبرى :

لا يحرمنك كما احتج البخيل ولا   يحب من ماله إلا الذى يهب

(٤) ديوانه (١ : ٩٩) .   (٥) ديوانه (١ : ٥٧) ، التبيان (٤ : ٢٩٠)

(٦) ديوانه (٤ : ٢٩٠) .

(٧) ديوانه (١ : ٢٠) ، التبيان (١ : ١٣٣) ، ونسبه لحبيب خطأ .

أبو تمام[١] :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ من بَأْسِهِ ... فإذَا لَقُوا فكأنَّهم أَغْمَارُ

وله[٢] :

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتَى الشَّذَاةِ إذَا غَدَا ... لِلْحَرْبِ كانَ الْمَاجِدَ الْغِطْرِيفَا[٣]

أبو الطيب[٤] :

تَدْبِيرُ ذِى حُنَكٍ يُفَكِّرُ فى غَدٍ ... وهُجُومُ غِرٍّ لا يَخَافُ عَوَاقِبَا[٥]

وقد قالوا : إن الأصل فيه قول قَطرى بن الفُجَاءة[٦] :

ثم انثنيت وقدأُصِبْتُ ولم أُصِبْ ... جَذَعَ البصيرة قارح الإقدام

وليس هو عندى كذلك ؛ لأن قَطريا زعم أن إقدامه إقدامُ قارح، وبصيرَته بصيرة جَذَع ، والقارح أتم سنا من الجَذَع. وهؤلاء زعموا أن إقدامهم إقدام غِرّ، وتجاربَهم تجارب كَهْلٍ مُحَنَّك ؛ فهو ضد ذلك المعنى ، اللهم إلّا أن يقال قَلَبه ؛ فلا يبعد ذلك عن الصواب .

* * *

أبو نواس[٧] :

جُدْتَ بِالأَمْوَالِ حَتَّى ... قِيلَ مَا هَـذَا صَحِيحُ

---

(١) ديوانه : ١٤٨ ، التبيان (١ : ١٣٢) .

(٢) ديوانه ص ٢٠٧ ، التبيان (١ : ١٣٢) ، ورواية الديوان :

* إذا عدا الحرب كان القشعم الغطريفا *

(٣) الأناة : الحلم ، والشذاة: بقية القوة . وعدا : أسرع . والقشعم: الأسد . والغطريف: السيد الشريف .

(٤) ديوانه (١ : ١٣٢) .

(٥) الحنك : جمع حنكة ؛ وهى التجربة . والغر : الذى لم يجرب الأمور .

(٦) شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ١٥٠ . قال فى شرحه : « جذع البصيرة ؛ أى فتى الاستبصار ؛ أى وأنا على بصيرتى الأولى . وقارح الإقدام ؛ أى مقرح الإقدام » .

(٧) ديوانه ص ٧٠ ، التبيان (٤ : ٣٣) .

وقال (١)

جَادَ بِالأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسُ حُمْقًا(٢)

أبو تمام(٣) :

ما زَالَ يَهْذِى بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومُ

فتناول معنى بارداً ، وغرضا فاسداً ، فأكده وأضاف إلى الحمى الهذيان . وقال البحترى :

إذا معشر صابوا السماح تعسّفت به همةٌ مجنونة فى ابتذالها

وقال آخر فى قريب من هذا المعنى :

بطل تَنَاذره الكُماة كأنه مما يدلّ على الفوارس أحمقُ

وأصله من قول العنبرى(٤) :

ما كَانَ يُعْطِى مثلَها فى مِثْلِه إلاَّ كَرِيمُ الخِيمِ أَوْ مَجْنُونُ

فقال أبو الطيب(٥) :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ ماذَا عَاقِلاً ويقُولَ بَيْتُ المَالِ مَاذَا مُسْلِماً(٦)

* * *

قال أبو العتاهية(٧) :

وإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا

---

(١) ديوانه ص ١٢١ ، التبيان (٤ : ٣٣) . (٢) رواية الديوان :

جاد إبراهيم حتى جعلوه الناس حمقا

(٣) ديوانه ص٣٠٠ ، شرح ديوان أبى نواس ص٧٠ ، التبيان (٤ : ٣٣) ورواية الديوان :

* ما زال يهذى بالمكارم والعلا *

(٤) التبيان (٤ : ٣٣) . (٥) ديوانه (٤ : ٣٢) .

(٦) قال الواحدى فى معنى البيت : « يقول : هو يفرط فى جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ويقول بيت المال : ماهذا مسلما ؛ لأنه فرق بيوت أموال المسلمين ، ولم يدع فيها شيئاً » .

(٧) التبيان (٣ : ١٦٦) .

أبو تمام[1] :

تَكادُ مغانيه تَهشّ عِرَاصُها ... فتركبُ من شوقٍ إلى كلِّ راكبِ

وله[2] :

وفَدَتْ إلَى الآفاقِ مِنْ نَفَحاتِهِ ... نِعَمٌ تسائلُ عَنْ ذَوِى الإقْتَار

وله[3] :

فإن لَمْ يَفِدْ يَوْماً إلَيْهِنَّ طَالِبٌ ... وَفَدْنَ إلَى كُلِّ امْرِئٍ غير طَالِبِ

أبو الطيب[4] :

قَيْلٌ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ ... فِى الأُفْقِ يسألُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلاَ[5]

ثم كرره فقال[6] :

وَأَنْفُسُهُم مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ ... وأَمْوَالُهُمْ فى دَارِ مَنْ لم يَفِدْ وَفْدُ

ثم كرره فزاد وأحسن ، فقال[7] :

وعَطاء مَالٍ لو عَدَاهُ طالِبٌ ... أنفَقْتَهُ فى أنْ تُلَاقِى طالِبا

* * *

لبعضهم[8] فى طاهر بن الحسين :

عَجِبْتُ لحَرّاقةِ ابْنِ الحُسَيْـ ... ـنِ لا غرقت كيفَ لا تَغْرَقُ

وبَحْرَانِ : مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ ... وآخرُ من تحتِها مُطْبِقُ

وأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُها ... وقَدْ مَسَّها كَيْفَ لاتُورِقُ

---

(١) ديوانه ص ٤١ ، والعراص : جمع عرصة ، وهى كل بقعة بين الدور ، واسعة ليس فيها بناء . (٢) التبيان (٣ : ١٦٧) . (٣) التبيان (٣ : ١٦٧) .

(٤) ديوانه (٣ : ١٦٦) . القيل : الملك العظيم ، ومنبج : بلد بالشام ؛ والمثوى : المنزل.

(٥) القيل : الملك العظيم ، ومنبج : بلد بالشام يبعد عن الفرات مرحلة ، والمثوى : المنزلة .

(٦) ديوانه (٢ : ٧) . (٧) ديوانه (١ : ١٣٢) .

(٨) نسبه صاحب المواهب الفتحية (٢ : ١٣٤) لمقدس بن صيفى .

قال أبو الطيب(١) :

وعَجِبْتُ من أرضٍ سَحَابُ أكُفِّهِمْ   من فوقِها وصُخُورُها لاتُورِقُ

وأصله من قول أبى صَخْر الهُذَلِى(٢) ، وإن كان فى النسيب :

تكادُ يدى تَندى إذا ما لمستُها   ويَنْبُتُ من أطرافها الوَرَقُ النَّضْرُ(٣)

بشار :

أو كَبَدْرِ السَّماء غير قريب   حين يُوفى والضوء منه قريب

أبو عيينة(٤) :

وقُلْتُ لأصحابى هىَ الشمسُ ضَوْءها   قريبٌ ولكنْ فى تَنَاوُلِها بُعْدُ

الطِّرِمَّاح(٥) :

أنَا الشمسُ لمَّا أنْ تَغَيَّبَ لَيْلُها   وغارَتْ فما تَبْدُو لعَيْنٍ نجُومُها

ترَاها عُيُونُ النَّاظِرِينَ إذا بَدَتْ   قَرِيباً ولا يَسْطِيعُها مَنْ يَرُومُها

أبو الطيب(٦) :

كأنَّها الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قابِضِها   شُعَاعُها وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبا

***

أبو تمام(٧) :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِى المَحَلِّ كأنَّهُ   هِلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَاءٍ مَنَازِلُه

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٣٧)   (٢) الأمالى لأبى على القالى (١ : ١٤٩) .

(٣) رواية الأمالى :

* وينبت فى أوراقها الورق النضر *

(٤) التبيان (١ : ١١١) .   (٥) التبيان (١ : ١١١) .

(٦) ديوانه (١ : ١١١) .   (٧) التبيان (١ : ١٣٠) ، ورواه :

* قريب إلى العليا قريب منازله *

البحترى[١] :

كالبَدْرِ أفْرَطَ فى العُلُوِّ وضَوْءُهُ ‏ ‏ ‏ للعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

أبو الطيب[٢]

كالشَّمْسِ فى كَبِد السَّماءِ وضَوْءُها ‏ ‏ ‏ يَغْشَى البلَادَ مَشَارِقاً ومَغَارِبَا

* * *

العباس بن الأحنف[٣] :

نِعْمَةٌ كالشَّمْسِ لمَّا طلعتْ ‏ ‏ ‏ بَثَّتِ الإشْرَاقَ فى كلِّ بَلَدْ

البحترى[٤] :

عَطَاءٌ كضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فمَغْرِبٌ ‏ ‏ ‏ يَكُونُ سَواءً فى سَنَاهُ ومَشْرِقُ

أبو الطيب[٥] :

كالبَدْرِ من حيثُ التَفَتَّ رَأَيْتَه ‏ ‏ ‏ يُهْدِى إلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِبَا

* * *

أبو تمام[٦] :

مَضَوْا وكأن المكرُمَاتِ لَدَيْهِمُ ‏ ‏ ‏ لِكَثْرَةِ ما أوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ

ثم قلبه فقال[٧] :

جُــودٌ تَدِين بِحُلْوِهِ وبِمُرِّهِ ‏ ‏ ‏ فكأنَّه جُزْءٌ من التَّوْحِيدِ

أبو الطيب[٨] :

---

(١) ديوانه (١ : ٥٨) . ‏ ‏ (٢) ديوانه (١ : ١٣٠) .
(٣) التبيان (١ : ١٣٠) . ‏ ‏ (٤) ديوانه (١ : ٣٨) ، التبيان (١ : ١٣٠).
(٥) ديوانه (١ : ١٣٠) . ‏ ‏ (٦) التبيان (١ : ٣٥٩) .
(٧) التبيان (١ : ٣٥٩) . ‏ ‏ (٨) ديوانه (١ : ٣٥٩) .

كأنَّ سخَاءك الإسْلَامُ تَخْشَى   مَتَى مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ(١)

* * *

العوام بن شوذب الشيبانى(٢) :

ولو أنَّها عُصْفورة لحسِبْتَها   مُسوَّمةً تَدْعو عُبَيْدًا وأزْنَمَا

جرير(٣) :

ما زال يَحْسِبُ كلَّ شيء بعْدَهُمْ   خَيْـلًا تَـكُرُّ عَلَيْهِمُ ورِجَالَا

عُروة بن عُتْبة الكِلابى :

إذ تحسِب الشَّجْرَاء خَلْف ظهورنا   خَيْـلًا وأنـ أمامنا الصَّحْراء

أبو نُوَاس فى غير هذا المعنى :

فـكلُّ كفـٍّ رآها ظنها قَدَحاً   وكل شَخْصٍ رآه ظَنَّهُ الساقى

أبو الطيب(٤) :

وضَاقَتِ الأَرْضُ حتَّى كانَ هَارِبُهُمْ   إذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا

فبالغ حتى أحال وأفسد المعنى :

* * *

البحترى(٥) :

جَلَّ عَنَ مَذْهَبِ المَدِيحِ فقَدْ كَا   دَ يَكُونُ المَدِيحُ فِيهِ هِجَاء

---

(١) يقول : أنت تقوم على سخائك وتتعهده ؛ كما يتحفظ الإنسان دينه ؛ أى أنت تعتقد سخاءك اعتقاد الدين ، وتخاف — إذا تحولت — عاقبة الردة ، وهو القتل ودخول النار .

(٢) أيام العرب فى الجاهلية ص ١٩٥ ، شرح شواهد المغنى (٢ : ٢٢٦) ، ونسبه لجرير ومسومة ؛ أى خيلا مسومة ، وعبيد وأزنم : قبيلتان من بنى يربوع ، اللسان — مادة زنم .

(٣) ديوانه ص ٤٥١ .   (٤) ديوانه (٣ : ١٦٨) .

(٥) ديوانه (١ : ٢) .

المتنبي[1] :

تَجَاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حَتَّى كأَنَّهُ … بأَحْسَنِ ما يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ

ونحوه له[2] :

وعُظْمُ قَدْرِكَ في الآفَاقِ أَوْهَمَنِي … أَنِّي بِقِلَّةِ ما أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا

وكَرَّره فقال[3] :

وكَانَ مَنْ عَـدَّدَ إِحْسَانَهُ … كأَنَّه أَسْرَفَ فِي سَبِّهِ

* * *

بعضهم — في وصف عَقْعَق[4] :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ في رَأْسِهِ … كأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زِئْبَقِ

أبو الطيب[5] :

أَدَرْنَ عُيُوناً حَائِرَاتٍ كأَنَّها … مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُها فَوْقَ زِئْبَقِ

* * *

الفرزدق[6] :

جُعِلْتَ لأَهلِ الأَرْضِ عَدْلاً وَرَحْمَةً … وبُرْءاً لآثارِ الجُرُوحِ الكَوَالِمِ

كما بَعَثَ اللهُ النبيَّ مُحَمَّدًا … على فَتْرَةٍ والنَّاسُ مِثْلُ البَهَائِمِ

أبو الطيب[7] :

مِثْلَ ما أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ في العَا … لَمِ والبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهْ

* * *

---

(١) ديوانه (١ : ١٩٤) . (٢) ديوانه (٢ : ٣٧٩) .

(٣) ديوانه (١ : ٢١٤) ، ورواه : أفرط في سبه .

(٤) العقعق : طائر أبيض بسواد وبياض ؛ يشبه صوته العين والقاف : القاموس مادة — عقق .

(٥) ديوانه (٢ : ٣٠٨) . (٦) النقائض (٢ : ٥٤) .

(٧) ديوانه (٢ : ٥٦) .

البحترى[1] :

فى[2] كلِّ مُشْرِفةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ وتُرَابُها مِسْكٌ يُشَابُ بعَنْبَرِ

أبو الطيب[3] :

وَلَيْلًا توَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ[4] تَحْتَه كأنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فى المَفَارِقِ

بلادٌ إذا زَارَ الحِسَانَ بغَيْرِها حَصَا تُرْبِهَا ثَقَّبْنَه للمَخَانِقِ[5]

* * *

البحترى[6] :

مَلِك بعَالِيَةِ العِرَاقِ قِبابُه يَقْرِى البُدورَ بِهَا ونَحْنُ ضُيُوفهُ

المتنبى[7] :

ومَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فأضَافَنِى مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ العِشَارَ لِمَنْ قَرَى[8]

* * *

عمر بن أبى ربيعة :

ألْقَى عصاه وأرْخَى من عِمَامَتِه وقال: ضيف فقلت: الشيبُ؟ قال: أجَلْ

آخر فى الشيب[9] :

أهْلًا وسَهْلًا بضَيْفٍ نَزَلْ وأسْتَوْدِعُ اللهَ إلْفًا رَحَلْ

أبو الطيب — وهو مبتذل[10] :

---

(١) ديوانه (١ : ٢١٣) . (٢) فى ديوانه : « فى رأس مشرفة » .

(٣) ديوانه (٢ : ٣١٧) . (٤) الثوية : موضع بالكوفة ؛ على ثلاثة أميال منها.

(٥) المخانق : العقود ؛ واحدها مخنق . (٦) ديوانه (٢ : ١١٤) .

(٧) ديوانه (٢ : ١٧٠) .

(٨) العشار : جمع عشراء ، وهى التى أتى لحملها عشرة أشهر ، والبدر : جمع بدرة ، وهى عشرة آلاف . والنضار : الذهب . (٩) التبيان (٤ : ٣٤) .

(١٠) ديوانه (٤ : ٣٤) .

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ … والسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللِّمَمِ

والمصراع الثانى من قول البحترى[1] :

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِى … مَكانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرِقِى

* * *

عبد الله بن محمد المهلّبى[2] :

يا ذا اليَمِينَيْنِ لم أَزُرْكَ ولم … أَصحبك من خَلَّة ولا عَدَمِ

زَارَتْكَ بى هِمَّةٌ منازِعَةٌ … إلى جَسِيمٍ من غاية الهِمَمِ

أبو تمام[3] :

ونادبٌ[4] رِفْعَةً قد كنتُ آمُلُها … لديك لا فضـةً أبكى ولا ذَهَبا

وقال يزيد بن محمد المهلّبى فى معناه وأحسن[5] :

لم تزرنى أبا علىّ سنُو الجَدْ … بِ وعندى بمدَالكَفَاف فُضُولُ

غيرَ أنى باغِى الجَليلِ من الأَمْـ … ـرِ وعند الجليل يُبْغَى الجليلُ

أبو تمام[6] :

ومَنْ خَدَمَ الأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ … فإنىَ لم أَخْدُمْكَ إلّا لِأُخْدَمَا

أبو الطيب[7] :

وما رَغْبَتِى فى عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُه … ولكنها فى مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّه

وله[8] :

---

(١) ديوانه (٢ : ١٢٢) . والتبيان (٤ : ٣٤) . (٢) التبيان (٢ : ٣٠) .

(٣) ديوانه ص ٢٢ ، التبيان (٢ : ٣٠) . (٤) رواية الديوان :

* ونادب رفع قدر كنت آمله *

(٥) التبيان (٢ : ٣٠) . (٦) ديوانه ص ٢٦٤ ، التبيان (٢ : ٣٠) .

(٧) ديوانه (٢ : ٣٠) . (٨) ديوانه (٢ : ٢١٦) .

فسِرْتُ إليكَ فى طَلَبِ المعالِى ... وسار سِواىَ فى طَلَبِ المَعاشِ

* * *

عبد الله بن المهلَّب[١] :

فَهَلْ لكَ فى الإِذْنِ لى راضياً ... فإنى أَرَى الإِذْنَ غُنْماً كَبيرَا

أبو الطيب[٢] :

إِذْنُ الأَميرِ بأَنْ تَسِيرَ إِلَيْهِمُ ... صِلَةٌ تَسِيرُ بِذِكْرِهَا الأَشْعَارُ

* * *

العباس بن الأحنف :

فما بكيتُ ليومٍ منك أَسْخَطَنِى ... إلا بكيتُ عليـــه بَعْدَ ماذَهبا

عبد الله المهلّبى :

وكم مُدْرِكٍ أمنيّةً كان داؤُه ... بإدراكها والغيبُ عنه مُحجَّب

نحوه لغيره :

رُبَّ يَوْمٍ بكيتُ مِنْهُ فَلَمَّا ... صِرْتُ فى غيرِهِ بكيتُ عَلَيْهِ

أبو الطيب[٣] :

فـكيفَأَذُمُّ اليومَ ما كُنْتُ أشْتَهى ... وأَدْعُو بمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ

* * *

الجُلَاح :

* ولَلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّرِ *

أبو الطيب[٤] ، وهو معنى مشهور كثير :

أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَاتَهَبُ الدُّنْـ ... يا ، فَيَالَيْتَ جُودَهَا كانَ بُخْلَا!

---

(١) التبيان (٢ : ٨٨) . (٢) ديوانه (٢ : ٨٨) .
(٣) ديوانه (١ : ١٨٩) . (٤) ديوانه (٣ : ١٣٠) .

وهو مستوفى زائد . وقريب من قوله هذا قول علىّ بن جَبَلة :

وما صاحب الأيام إلا درية   على أنها تَنْذُوهُ وهو لها ا كل

* * *

ذو الرّمة[١] :

لِنِى[٢] وَلْيَةً تُمْرِع جَنَابِى فإننى   لِمَا نِلْتُ مِنْ وَسْمِىّ نَيْلِكَ شَاكِرُ

أبو الطيب[٣] :

أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَـةُ الَّتِى   بِغَيْرِ وَلِىٍّ كانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِىّ

وهذا من الألفاظ التى يصح فيها الأخذ .

* * *

ابن المعتز[٤] :

وأرى الثُّرَيَّا فى السماءِ كأَنَّها   خُرُدٌ تَبَدَّتْ فى ثِيَابِ حِدَادِ

أبو الطيب[٥] :

كأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ فى دُجَاها   خَرَائِدُ سَافِرَاتٌ فى حِدَادِ[٦]

* * *

الراعى[٧] :

---

(١) التبيان (٤ : ٤٨) ، واللسان مادة ــ ولى .

(٢) لنى : فعل أمر من الولى ، والولى : المطر الذى يأتى بعد المطر ، أى أمطرنى ولية منك ؛ أى معروفا بعد معروف .

(٣) الوسمى : مطر أول الربيع ، أى إنى شكرت لك أول معروفك .

(٤) التبيان (١ : ٣٥٤) .   (٥) ديوانه (١ : ٣٥٤) .

(٦) بنات نعش : سبع كواكب . والخرائد : جمع خريدة ؛ وهى الجارية الحيية .

(٧) التبيان (٢ ــ ٢٥٧) ، ومعجم البلدان (٨ : ٤٣٦) ، وقبله :

وقد قادنى الجيران قدما وقدتهم   وفارقت حتى ما تحن جماليا

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكُّرَ إِخْوَتِي ... وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبَيْنِ[١] مَالِيَا

البحترى[٢] :

ومِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي ... وأَكْسَبَنِي سُلُوًّا عن بِلَادِي

أبو الطيب ـ وأساء غاية الإساءة[٣] :

أَمُنْسِيَّ السَّكُونَ وَحَضْرَمَوْتًا ... ووَالِدَتِي وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا[٤]

ونحوه له ـ وقد أحسن[٥] :

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ والْـ ... غَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِمٌ[٦]

* * *

البحترى[٧] :

أَرَى الْحِلْمَ بُؤْسًا فى المعيشة للفتى ... ولَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ

المتنبى[٨] :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فى النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ فى الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

وله[٩]:

تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ

* * *

ومثله له[١٠]:

---

(١) وهبين ، بالفتح ثم السكون : جبل من جبال الدهناء .

(٢) ديوانه (١ : ١٣٩) ، التبيان (٢ : ٢٥٧) . (٣) ديوانه (٢ : ٢٥٧) .

(٤) السكون وحضرموت وكندة والسبيع : مواضع بالكوفة. (٥) ديوانه (٤:٦٦) .

(٦) البحيرة : هى بحيرة طبرية بالشام ، والغور : موضع هناك أيضا ، والشبم : البارد .

(٧) ديوانه (٢ : ١٦٤) ، التبيان (٤ : ١٢٤) .

(٨) ديوانه (٤ : ١٢٤) . (٩) ديوانه (٢ : ٢٦٩) .

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٠٩) ، وصدره :

* أفاضل الناس أغراض لذا الزمن *

* يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ *

* * *

البحترى (١) :

يُذَكِّرُنَا رَيَّا الأَحِبَّةِ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ

نقله أبو الطيب وأحسن (٢) :

إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ (٣)

وفى هذا المعنى كلام .

* * *

البحترى (٤) :

سَمَاحاً وَبَأْساً كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي العَارِضِ المُتَرَاكِمِ

أبو الطيب (٥) :

فَتًى كَالسَّحَابِ الجُونِ يُرْجَى وَيُتَّقَى يُرَجَّى الحَيَا مِنْهُ وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

* * *

البحترى (٦) :

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَّرَحُّلِ فِي الدُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ المِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا

أبو الطيب (٧) :

---

(١) ديوانه (١ : ١٣٦) ، والتبيان (٣ : ٩٦) . (٢) ديوانه (٣ : ٩٦) .

(٣) الروح : نسيم الريح ، وأدنى : أشد إدناء ، فبنى « أفعل » من المزيد ، وبرحتنى : فارقتنى . والقبول : ريح الصبا . قال اليازجى : « يقول : إذا كان تشمم النسيم يدينى إليكم بأن يذكرنى منازلكم فلا فارقتنى روضة طيبة ، وريح لينة تحمل إلى روائحها » .

(٤) ديوانه (٢ : ٢٥٣) . التبيان (٢ : ٣٤٦) . (٥) ديوانه (٢ : ٣٤٦) .

(٦) ديوانه (٢ : ٩٧) . (٧) ديوانه (١ : ١٣) ، وعجز البيت :

* ومسيرها فى الليل وهى ذكاء *

* قَلَقُ(١) الْمَلِيحَةِ وَهِىَ مِسْكٌ هَتْكُهَا(٢) *

* * *

البحترى(٣) :

نَزَلُوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ وجانَبُوا ... أَرْضاً تَرِبُّ الشِّيحَ والقَيْصُومَا

أبو الطيب(٤) .

تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ فى أوْطَانِها ... طَلَباً لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا(٥)

البحترى ـ فى وصف الأسد(٦) :

شَارَكْتَه فِى الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَلْتَهُ ... بِالجُودِ مَحْقُوقاً بِذَاكَ زَعِيما

قال أبو الطيب(٧) :

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فى إِقْدَامِهِ ... وتَخَالَفَا فى بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا

* * *

حاتم(٨) :

إِذَا كَانَ بَعْضُ المال رَبًّا لِأَهْلِهِ ... فَإِنِّى بِحَمْدِ اللهِ مَالِى مُعَبَّدُ

حُطائط بن يَعْفُرَ(٩) :

ذَرِينى أَكُنْ لِلمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ ... لِىَ الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِى غِبَّهُ غَدَا

---

(١) يريد بالقلق : الحيرة . (٢) بقيته : * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء *

ومثله قول أبى المطاع بن ناصر الدولة :

ثلاثـــة منعتها من زيارتنـــا ... وقد دجا الليل خوف الـكاشح الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلى وما ... يفوح من عرق كالعنبر العبق

هب الجبين بفضـل الـكم تستره ... والحلى تنزعه ما الشأن فى العرق !

(٣) ديوانه (٢ : ٢٤٣) ، التبيان (٢ : ١٦٩) . (٤) ديوانه (٢ : ١٦٩) .

(٥) الرمث : نبت يوقد به . يقول : تركت الأعراب ووقودهم من هذا النابت ، وأتت قوما وقودهم العنبر . (٦) التبيان (٣ : ٣٤٠) . (٧) ديوانه : (٣ : ٢٤٠) .

(٨) ديوانه ص ٦ (٩) التبيان (٤ : ٦٠)

أبو نواس(١):

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ ... وإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكْ

أبو تمام:

فَمالك العبدُ الذل إذا غدوا ... وهم للالهم المصونِ عبيدُ

ونحوه قول المخزومي(٢):

إِنَّ رَبَّ المال آكِلُهُ ... وَهْوَ لِلْبُخَّال أَكَّالُ

أبو الطيب(٣):

هُمُ لأَمْوَالِهِمْ ولَيْسَ لَهُمْ ... والْعَارُ يَبْقَى والْجُرْحُ يَلْتَئِمُ

* * *

حاتم(٤):

لَحَى اللهُ صُعْلُوكاً مُنَاه وهَمُّه ... مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوساً وَمَطْعَمَا

آخر(٥):

وليس فَتى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ واغْتَدَى ... لشُرْبِ صَبوحٍ أو لشُرْبِ غَبُوقِ

والأصل قول امرئ القيس(٦):

فلو أنَّ ما أَسْعَى لأَدْنَى مَعيشةٍ ... كَفَانِي ولَمْ أَطْلُبْ قَليلٌ من المالِ

ولَكنَّما أَسْعَى لمجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وقَدْ يُدْرِكُ المجْدَ المؤَثَّلَ أمْثالي

فأخذه خُفَاف بن غُصَيْن البُرْجُمي فقال(٧):

فلو أنَّ ما أَسْعَى لنَفْسِيَ وحْدَهَا ... لزادٍ يسيرٍ أو ثياب على جِلْدِي

---

(١) التبيان (٤ : ٦٠).
(٢) التبيان (٤ : ٦٠).
(٣) ديوانه (٤ : ٦٠).
(٤) ديوانه ص ٢٢.
(٥) التبيان (١ : ١٧٤)
(٦) ديوانه ص ٧١
(٧) معجم الشعراء ص ١٠٨.

لأبْتُ على نَفسِي وبَلَّغَ حَاجَتِي ‏ ‏ ‏ من المالِ مالٌ دون مَالِي الذى عندى
ولكنما أسعى لمجد مُؤَثَّل ‏ ‏ ‏ وكان أبى نال المكارم عن جَدِّى

ثم أكثر الناس فيه . وقال أبو الطيب(١) :

تَهْوِى بمُنْجَرِدٍ(٢) لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ ‏ ‏ ‏ لِلُبْسِ ثَوْبٍ ومَأْكُولٍ ومَشْرُوبِ

وقال(٣) :

وفى النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بمَيْسُورِ عَيْشِهِ ‏ ‏ ‏ ومَرْكُوبُه رِجْلَاهُ والثَّوْبُ جِلْدُهُ
ولكنَّ نفسا بينَ جَنْبَيَّ مَالَهاَ ‏ ‏ ‏ مَدًى يَنْتَهِى بى فى مُرَادٍ أَحُدُّهُ

قوله : « والثوب جلده » من قول أبى هَفَّان :

* وما شعارى الدَّهْرَ غير جِلْدِى *

* * *

مُسْلِم(٤) :

قُتِلَتْ وعالجها المُدِيرُ ولم تُقَدْ ‏ ‏ ‏ فإذا به قَدْ صيرتُه قتيلا

ديك الجن ـ ونقله إلى غرض آخر :

تظل بأيدينا نتعتعُ رُوحَها ‏ ‏ ‏ وتأخذ من أقْدَامنا الراح ثارَها

أبو تمام(٥) :

وكأسٍ كَمَعْسُولِ الأَمَانِى شَرِبْتُها ‏ ‏ ‏ ولكِنَّها أَجْلَتْ وقد شَرِبَتْ عَقْلِى

وله(٦)

أَفِيكُمْ فَتًى حَىٌّ فَيُخْبِرَكُم عَنِّى ‏ ‏ ‏ بِمَا شَرِبَتْ مَشْرُوبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْنِى

(١) ديوانه (١ : ١٧٤) . ‏ ‏ ‏ (٢) المنجرد : الرجل الماضى فى الأمور ؛ الجاد فيها .
(٣) ديوانه (٢ : ٢٣) . ‏ ‏ ‏ (٤) لم نعثر عليه فى الديوان .
(٥) ديوانه ص ٣٧٥ ، التبيان (٢ : ١٣٨) .
(٦) ديوانه ص ٣٣٩ ، التبيان (٢ : ١٣٨) ، وفى الديوان « فيخبرنى » .

أبو الطيب[1] :

نالَ الّذِى نِلْتُ مِنْهُ مِنِّى لِلّهِ مَا تَصْنَعُ الخُمُورُ

* * *

الأفوه الأودى[2] :

تَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثارِنا رَأْىَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ[3]

النابغة[4] :

إذا مَا مَاغَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصائِبِ[5]

حُمَيْدبن ثَوْر :

إذا ماغدا يوماً رأيت غمامة من الطير يَنْظُرْنَ الذى هو صانع

أبو نواس[6] :

تَتَأَبَّى الطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ[7]

أبو تمام[8] :

وقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أَعْلامِهِ ضُحًى بعِقْبانِ طَيْرٍ فى الدّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقامَتْ مَعَ الرّاياتِ حَتَّى كأَنَّها مِنَ الجَيْشِ إلاَّ أَنَّها لَمْ تُقاتِلِ

زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلاَّ أَنَّها لَمْ تُقاتِلِ » فهو المتقدم ، وأحسنُ من هذه الزيادة عندى قوله : « فى الدماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات ، وبذلك يتم حسنُ قوله : « إلا أنها لم تقاتل » ، على أن الأفوه الأودىّ قد فضلَ الجماعةَ بأمور : منها السبق وهى الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : « رأىَ عينٍ »

(١) ديوانه (٢ : ١٣٨) . (٢) التبيان (٢ : ٣٢٩) .
(٣) تمار : تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى . (٤) ديوانه ص ٤ .
(٥) العصائب : الجماعات . (٦) ديوانه ص ٦٨ ، رغبة الآمل (٤ : ١٢١) .
(٧) تتأبى : تتعمد ، والجزر : قطع اللحم . (٨) ديوانه والتبيان (٢ : ٣٣٩) .

نخبر عن قُرْبها لأنها إذا بعُدت تُخِيِّلَتْ ولم تُر ، وإنما يكون قُرْبُها متوقعاً للفريسة ، وهذا يؤيد المعنى ، ثم قال : « ثقة أن سَتُمار » فجعلها واثقة بالمِيرَة ، ولم يجمع هذه الأوصاف غيرُه ، فأما أبو نُوَاس فإنه نقل اللَّفظ ولم يزد فَيُفضَّلُ . وقال أبو الطيب[1]

سَحَابٌ من العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَها سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْها صَوَارِمُهْ

فزاد إذ جعلها سحابتين ، وجعل السحابَة السُّفلى تَسْقِى مافوقها ، وهذا غريب ، وقد يَعيبُه المتكلّفون فى هذا البيت بأمرين : أحدُهما أنَّ السحاب لايسقى ما فوقه ، والآخرُ أنْ العِقْبان والطير لاتَسْتَسْقِى ، وإنما تَسْتَطْعِم ، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذى أَغْرَب به ، ولم يجعل الجيش سحابا فى الحقيقة فيمتنع إسقاؤه مافوقه ، وإنما أقامه مَقامَ السحاب من وَجْهين لتزاحمه وكثافته ، وقد فعلت العرب ذلك فى أشعارها ، وأما أنه يَسْتسقى كاستسقاء السحاب فلأنه لمَّا سماه سحابا جعله يستسقى . وقد قال أبو تمام فى صفة المنجنيق :

* أرض على سمائها درور *

مع أن الطير لاتُصيبُ فرائسَها وهى فى الجو ، وإنما تهبط إلى الأرض فهى تستسقى والسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب فى استعارة هذه اللفظة فى كل طلب ، تعظيما لقدْر الماء ، ولذلك قال عَلْقمة[2] :

وفى كلِّ حىٍّ قد خَبَطْتَ بنعمة فحُقَّ لشأسٍ من نَداكَ ذَنُوب[3]

وقال رؤبة[4] :

* يأيها المائح دَلْوِى دُونَكا *

وهما لم يستسقيا ماء ، وإنما طلب أحدهما مالا واستطلق الآخر أسيرا . ولذلك

---

(١) ديوانه (٣ : ٣٣٨) . (٢) ديوانه ص ٥ .

(٣) الحى : القبيلة ، وخبطت بنعمة : أى أنعمت وتفضلت . وشأس أخو الشاعر ، والذنوب الدلو العظيم . (٤) اللسان — مادة ماح ، وتمامه :

* إنى رأيت الناس يحمدونكا *

سموا المجتدى والسائل مستميحين ، وإنما الميح جمع المائح الماء فى الدلو ، والمائح الرجل الذى ينزل فى البئر يملأ الدلاء ، وقد تلغ سباع الطير الدماء . ولذلك قال أبو تمام :

* بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فى الدِّمَاء نواهِلِ *

وإنما النَّهَل فى الشراب . وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيّره ، ولَطُفَ فجاء كالمعنى المخترع فقال(1) :

يُفَدِّى أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ ... نُسُورُ المَلَا أَحْدَاثُها والقَشَاعِمُ(2)

ومَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُه والقَوَائِمُ(3)

* * *

أبو تمام(4) :

تَعَوَّد بَسْطَ الكَفِّ حتى لو انَّهُ ... ثَنَاها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أَنَامِلُه

أبو الطيب ــ ونقله إلى البأس(5) :

وفِى الحَرْبِ حَتى لَوْ أَرَادَ تَأَخُّرًا ... لَأَخَّرَهُ الطَّبْعُ الكَرِيمُ إلى القُدْمِ(6)

* * *

أبو تمام(7) :

عَطَاءٌ لو اسْطَاعَ الذى يَسْتَمِيحُه ... لأصبح ما بَيْنَ الوَرَى وهو عَاذِلُهْ

أبو الطيب(8) :

وكُنتُ أعيبُ عَذْلًا فى سَماحٍ ... فها أنا فى السَّماح له عَذُول

* * *

(1) ديوانه (٣ : ٣٧٩) . (2) الملا : وجه الأرض ، والقشاعم : النسور الطويلات العمر ، ومنه سميت المنية أم قشعم . (3) المخالب : جمع مخلب ؛ وهو الظفر لسباع الطير ، والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف . (4) ديوانه ص ٢٣٢ .

(5) ديوانه (٤ : ٥٥) . (6) القدم : الإقدام . (7) ديوانه ص ٢٣٢ .

(8) ديوانه ص ٦٦٩ (شرح اليازجى) .

البحترى[١] :

وأَحَبُّ أَقْطَارِ البلَادِ إلى الفَتى ... أَرْضٌ يَنالُ بها كريم المَطْلَبِ

أبو الطيب[٢]

* وكلّ مَكانٍ يُنْبتُ العِزَّ طَيِّبُ *

* * *

أبو تمام[٣] :

وليس يَعْرِفُ طيبَ الوصل[٤] صاحبُه ... حتى يصابَ بنأيٍ أَوْ بِهُجْرَانِ

وله[٥] :

والحادثاتُ وإنْ أصابَك بُؤْسُها ... فهو الذى أَنْبَاك كيف نعيمُها

وله[٦] :

قد علمت ما رزئتْ إنَّما ... يُعْرَفُ فَقْدُ الشمس عند المغيب

وله[٧] :

سَمُجَت ونبَّهنا على اسْتِسْماجِها ... ما حولها من نُضرةٍ وجَمال

وكذاك لم تفرط كآبةُ عاطل ... حتى يجاورها الزمانُ بِحَال

وله[٨] :

بَيَّن البينُ بَيْنَها[٩] قلّما تُعْـ ... ـرَف فقْدًا للشمس حتى تَغيبا

---

(١) ديوانه (١ : ٦٠) ، والتبيان (١ : ١٨٣) .

(٢) ديوانه (١ : ١٨٣) ، وصدره :

* وكل امرئ يولى الجميل محبب *

(٣) ديوانه ص ٣٢٤ ، التبيان (١ : ٢٢) .
(٤) فى ديوانه « كنة الوصل » .

(٥) ديوانه ص ٣١٠ ، والتبيان (١ : ٢٤) .
(٦) ديوانه ص ٣٥٤ .

(٧) ديوانه ص ٢٦٠ ، والتبيان (١ : ٢٤) .
(٨) ديوانه ص ٢٥ .

(٩) فى ديوانه : « فقدها » .

البحترى(١) :

وقد زادها إفراط حسن ِجوارُها خلائق أضداد من المجد غُيَّبِ(٢)

وحسن دراري الكواكب أن تُرى طوالع في داجٍ من الليل غَيْهَبِ

وقد مَلُح بشار في هذا المعنى بقوله(٣) :

وكن جَوارِي الحيِّ مادُمْتِ فيهمُ قِباحاً فلما غِبْتِ صِرن مِلاحاً

وقال أبو الطيب(٤) :

ونَذِمّهم(٥) وبِهِمْ عَرَفْنَا فضْلَه وبضدها تَتَبَيَّنُ الأشْيَاء

فصرّح بالمعنى ، وبين أن المضادة هي التي تُثْبتُ حُسْنَ الشيء وقُبْحَه ، ثم أخفاه فقال(٦) :

ولَوْلَا أيَادِي الدَّهْرِ فيالجَمْعِ بيْننَا غَفَلْنَا فلم نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ

وهذا قلب بيت أبي تمام(٧) الأول :

ما إنْ تَرَى شيئاً لشيء مُحيِياً حَتى تُلَاقِيه لآخَر قَاتِلَا

أبو الطيب(٨) :

بذَا قضتِ الأيَّامُ ما بَيْن أَهْلِها مَصَائِبُ قَوْمٍ عند قَوْمٍ فَوَائِدُ

* * *

وله(٩) :

ومَوَالٍ تُحْيِيهمُ مِنْ يَدَيْهِ نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ

---

(١) ديوانه (١ : ٥٠) ، التبيان (١ : ٢٤) . (٢) رواية الديوان والتبيان :

* خلائق أصفار من المجد خيب *

(٣) التبيان (١ : ٢٤) . (٤) ديوانه (١ : ٢٢) .

(٥) رواية الديوان : « نذيمهم » وهى بمعنى نذمهم . (٦) ديوانه (١ : ٥٢)

(٧) التبيان (١ : ٢٧٦) . (٨) ديوانه (١ : ٢٧٦) .

(٩) ديوانه (٣ : ١٥٤)

وهذا البيت كأنه من قول النابغة[١] :

يَرِيشُ قوماً ويبرى آخرين بهم　　لله من رائشٍ عمرو ومن بارِى

* * *

الحُصَيْن بن الحُمَام[٢] :

يَطأْنَ مِنَ الْقَتْلَى ومِنْ قِصَدِ القَنَا　　خَبارًا[٣] فَمَا يَجْرِينَ إلا تَجشُّما

أبو الطيب[٤] :

يَطأْنَ مِنَ الأبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ　　ومِنْ قِصَدِ المُرَّانِ مَالَا يُقَوَّمُ[٥]

* * *

قيس بن ذَرِيح[٦] :

ومَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيّتِى　　بكَفّىَّ إلاَّ أنَّ مَاحَانَ حَائِنُ

دِعْبل[٧] :

لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِى أَحَداً　　قَلْبى وطَرْفِى فِى دَمِى اشْتَرَكَا

أبو الطَّيب[٨] :

وأَنَا الّذِى اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ　　فَمَنِ الْمُطَالَبُ والْقَتِيلُ الْقَاتِلُ

* * *

(١) ديوانه ص ٤٦ . (٢) الأغانى (١١ : ٨٧) ، مهذب الأغانى (٢ : ٢) ؛ التبيان (٣ : ٣٥٣) . (٣) الخبار : مالان من الأرض واسترخى ، وفى الأصل والتبيان: خيارا ، وما أثبتناه عن مهذب الأغانى . (٤) ديوانه (٣ : ٣٥٣) .

(٥) أراد : من ماحملنه ؛ لأن «لا» لا تدخل على الماضى إلا مكررة ، ولـكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ . والقصد : القطع . والمران : الرماح اللينة جمع مارن ؛ أى أن خيله تطأ الأبطال الذين لم تحماهم ؛ يعنى أبطال العدو ، وتدوس قطع الرماح التى لا يحاول أحـد تقويمها لتكسرها . شرح اليازجى (١ : ٣١٠). (٦) الأغانى (٩ : ١٨٥) (طبعة الدار) ، التبيان(٣: ٢٥٠).

(٧) العقد الفريد (٤ : ٢) ، عصر المأمون ، (٣ : ٢٥٩) ، التبيان (٣ : ٢٥٠) .

(٨) ديوانه (٣ : ٢٥٠) .

أبو تمام[١] :

كَثُرَتْ خطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وقَدْ يُرَى ... بِنَدَاك وهْوَ إِلَيَّ مِنها تَائِبُ

أبو الطيب[٢] :

حَالٌ متى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا ... جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا

* * *

ابن وهيب :

لَبسا البِلَى فكأنَّما وَجَدا ... بعد الأحبة مثل ما أجد

أبو الطَّيِّب[٣] :

مازَالَ كلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُها ... والسُّقْمُ يُنْحِلُني حتى حَكَتْ جَسدِي[٤]

وله نحوه ، وقد زاد فى المصراع الأول[٥] :

أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى ... ورَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ[٦]

* * *

عَقِيل بن عُلَّفَة :

طويلُ نِجَادِ السَّيفِ وهو كأنَّما ... يَصُول إذا اسْتَنْجَدْتَه بِقَبيل

أبو تمام[٧] :

ثَبْتُ[٨] القام يرى القبيلة واحدا ... ويُرَى فيحسبُه القَبيلُ قَبيلا[٩]

---

(١) ديوانه : ٢٩ . التبيان (١ : ١٢٥) (٢) ديوانه (١ : ١٢٥) .

(٣) ديوانه (١ : ٣٤٩) . (٤) أراد سحابا هزيم الودق ، وهو الذى لا يستمسك كأنه منهزم . والضمير فى ينحلها يعود على البيت قبله:

ولا الديار التى كان الحبيب بها ... تشكو إلى ولا أشكو إلى أحد

(٥) ديوانه (٤ : ٨٣) . (٦) الأثافى : جمع أثفية ، وهى التى تنصب تحت القدر . والصلى : الاصطلاء بالنار . والرسم : ما بقى من آثار الديار . (٧) ديوانه ص ٢٤٤ .

(٨) الثبت : الثابت . (٩) القبيل الأول العريف ؛ والثانى الجماعة .

أبو الطيب(١) :

بَقِيتَ جُمُوعُهُمُ كأنّكَ كُلُّها ... وبَقِيتَ بَيْنَهُمُ كأنّكَ مُفْرَدُ(٢)

* * *

أبو تمام(٣) :

فرأيتُ أكْثَرَ ما حَبَوْتَ من اللُّهى(٤) ... نَزْرًا وأصْغَرَ ما شكرْتَ جَزِيلَا

أبو الطيب(٥) :

يَسْتَصْغِر الخَطَرَ العَظِيمَ لِوَفْدِه ... ويَظُنُّ دجلَةَ ليس تَكْفِى شَارِبَا

* * *

أبو تمام(٦) :

يَوَدُّ ودادا أن أعضاء جسمه ... إذا أنشدت شوقا إليها المسامع

غيره :

غَنَّتْ فلم تبق فىّ جارحة ... إلا تَمَنَّتْ بِأَنَّها أُذُنُ

أبو تمام فى غير هذا المعنى :

ترى صِلّا تخال بكل عضو ... له من شدة الحركات قَلْبَا

أبو الطيب(٧) :

حتى كأنّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةً(٨) ... فى جِلْدِهِ ولِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَا

* * *

(١) ديوانه (١ : ٣٣٦) . (٢) قال العكبرى : هو مثل قول أبى نواس .

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

(٣) ديوانه ص ٢٤٤ . (٤) اللهى : جمع اللهية ؛ وهى العطية .

(٥) ديوانه (١ : ١٢٥) . (٦) ديوانه ص ٤٨٠ .

(٧) ديوانه (١ : ٢٥٩) . (٨) الرنة : من الرنين ، وهو صوت الباكى .

بشار[١] :

صحِبْته فى الملك أو سوقة	فزاد فى كَثْرَة حُسَّادِى

أبو نواس[٢] :

دَعِينى أكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرِحْلَةٍ	إلى بَلَدٍ فيـــه الخَصِيبُ أَمِيرُ

البحترى[٣] :

وألبَسَتْنى النُّعْمَى الّتى غَيَّرَتْ أخِى	علىّ فأمْسى نَازِحَ الوُدِّ[٤] أَجْنَبا

أبو الطيب[٥] :

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّى بِكَبْتِهِم	فأَنْتَ الّذى صَيَّرْتَهُمْ لِى حُسَّدَا

وأصله لأبى جُوَرية العبدىّ ، وهو أحسن ماقيل فيه[٦] :

وما زال يُعْطِينى ومَالِىَ حَاسِدٌ	من الناس حتى صِرْتُ أُرْجَى وأُحْسَدُ

* * *

بشار[٧] :

خُلِقُوا سَادَةً فَكانُوا سَوَاءً	كَكُعُوبِ القَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ

البحترى[٨] :

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فَقْرَةً	مُنْقَادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الأصْيَدِ

أبو الطيب[٩] :

---

(١) التبيان (١ : ٢٩٠) . (٢) ديوانه ص ٩٩ ، التبيان (١ : ٢٩٠) .

(٣) ديوانه (١ : ٥٦) ، التبيان (١ : ٢٩٠)

(٤) رواية الديوان : « نازح الدار » . (٥) ديوانه (١ : ٢٨٩) .

(٦) التبيان (١ : ٢٩٠) . (٧) التبيان (٣ : ١٢١) .

(٨) ديوانه (١ : ١٧٠) . التبيان (٣ : ١٢١) .

(٩) ديوانه (٣ : ١٢١) .

وكُلٌّ أنَابِيبِ القَنَا مَدَدٌ لَهُ ... وَمَا تَنْكُتُ الفُرْسَانَ إلاَّ العَوَامِلُ[١]

* * *

معاوية بن مالك بن جعفر بن كِلاب[٢] :

رأيت الصَّدْعَ من كَعْب جميعا ... وكان الصَّدْعُ لا يَعْدُو ارتيابا

فأمسى كعبُها كَعْباً وكانت ... من الشنآن قد دعيت كِعَابا

أبو الطيب[٣]:

وعَمْرٌ فى مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ ... وكَعْبٌ فى مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ[٤]

* * *

وقال ذؤيب بن كعب التَّيمى[٥] :

جَانِيك مَنْ يجنى عليكَ وقدْ ... تُعْدى الصِّحاحَ مبارِكُ الجُرْبِ

آخر :

الحرب يلحقُ فيها الكارهون كما ... تدنو الصِّحاح إلى الجَرْبَى[٦] فتُعْدِيها

ومثله قول الآخر[٧]

* إنَّ الفتى بابْنِ عمٍّ السُّوء مَأْخُوذُ[٨] *

---

(١) النكت : الوخز . والأنابيب : جمع أنبوب ، وهى العقدة الناشزة فى القنا . والعوامل : جمع عامل ؛ وهو صدر الرمح مما يلى السنان . قال الواحدى : « هذا مثل ؛ يريد أن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله؛ وإذالم يعاون بعض الرمح بعضاً لا يحصل الطعن ؛ ولكن العوامل هى التى تصيب الإنسان؛ لأن السنان فيها؛ فكذلك القبائل كلهم مدد لك والعمل منك، فأنت فيهم كالعامل من الرمح».

(٢) التبيان (١ : ٧٧) ، ورواه بيتاً واحداً ، ونسبه إلى كعب بن مالك وروايته :

رأيت الصدع من كعب وكانوا ... من الشنآن قد صاروا كعابا

(٣) ديوانه (١ : ٧٧). (٤) يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا ، فصارت عمرو، وهى قبيلة من بنى كلاب ، عمورا ؛ يدعى كل قوم لتفرقهم عمراً ، وكذلك كعب .

(٥) العقد الفريد (٣ : ٢٢١) . (٦) الجربى : جمع جرباء .

(٧) التبيان (١ : ٨٢) . (٨) صدره :

* جنى ابن عمك ذنبا فابتليت به *

البحترى(١) :

نَصُدُّ حياء أن نَرَاكَ بأعْيُنٍ(٢) أتى الذنبَ عاصيها فليمَ مُطِيعها

أبو الطيب(٣) :

وجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهاءُ قَوْمٍ وحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

كأنما اقتبسه من قوله تعالى : « أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا »(٤) :

* * *

أبو تمام(٥) :

فِى عُصْبَةٍ(٦) إنْ سَرَوْا فَجِنٌّ أَوْ يَمَّمُوا شُقَّةً فَطَيْرُ

أبوالطيب(٧) :

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٍّ(٨) فِى زِىِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الجِمَالِ

* * *

أبو تمام(٩):

إذا أنا لَمْ أَلُمْ عثراتِ دَهْرٍ أُصِبْتُ به الغَدَاةَ فَمَنْ أَلُومُ

أبو الطيب(١٠) فأحسن وزاد :

إذا أتتِ الإساءة مِنْ وَضِيعٍ ولم أَلُمِ المسىء فمَنْ أَلُومُ !

* * *

(١) ديوانه (٢ : ٣١٩) . التبيان (١ : ٨٢) . (٢) فى الأصلين : « بأوجه » .
(٣) ديوانه (١ : ٨١) . (٤) وقال العكبرى : هو منقول من قوله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . (٥) التبيان (١ : ١٩٤) .
(٦) رواية العكبرى : « فى ثبة » . (٧) ديوانه (٣ : ١٩٤) .
(٨) ملجن : من الجن . (٩) التبيان (٤ : ١٥٢) .
(١٠) ديوانه (٤ : ١٥٢) .

أبو تمام[١] :

طَلَعَتْ عَلَى الأمْوَالِ أنْحَسَ مَطْلَعٍ   وعَدَتْ على الآمالِ وهِيَ سُعُودُ

أبو الطيب[٢] :

فأَنجُمُ أَمْوَالِهِ فى النُّحُوسِ   وأَنْجُمُ سُؤَّالِهِ فى السُّعُودِ

* * *

أبو تمام[٣] :

تُبَشِّرُهُ خُدَّامُــــه بِعُفَاتِهِ   كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهْ

أبو الطيب[٤] :

يُعطِى الْمُبَشِّرَ بالقُصَّادِ قَبْلَهُمُ   كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا

* * *

أبو تمام[٥] :

لقد خابَ مَنْ يهدى سُوَيْدَاءَ قَلْبِه   لحَدِّ سِنَانٍ فِى يَدِ اللهِ عَامِلُهْ

أبو الطيب[٦] :

عَلَى عَاتِقِ الْمُلْكِ الأغَرِّ نِجَادُهُ   وَفى يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهْ

وله[٧] :

فأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ واللهُ ضَارِبٌ   وأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ واللهُ عَاقِدُ

* * *

أبو تمام[٨] :

---

(١) التبيان (١ : ٣٤٣) .   (٢) ديوانه (١ : ٣٤٣) .

(٣) التبيان (٤ : ٢٢٧) .   (٤) ديوانه (٤ : ٢٢٧) .

(٥) ديوانه ص ٢٠٥ ، التبيان (٣ : ٣٤١).   (٦) ديوانه (٣ : ٣٤١) .

(٧) ديوانه (١ : ٢٧٧) .   (٨) ديوانه ص ٢٠٥ ، التبيان (٢ : ٣٣١) .

فَحاطَ له الإقْرَارُ بالذَّنبِ رُوحَه وجُثْمَانَهُ إذ لَمْ تَحُطْهُ قنابِلُه[١]

أبو الطيب[٢] :

أعدُّوا رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الجَيْشَ حتى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ[٣]

* * *

بعض العرب[٤] :

ما قَصَّر الجودُ عَنكُم يابَنى مَطرٍ ولا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودِ

يَحُلُّ حيثُ حَلَلتُمْ لا يُفارِقُكُمْ ماعَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ البِيضِ والسُّودِ

الكُمَيْت :

يَصِير أَبانٌ قَرِيعَ السَّما حِ والمكرُماتمعا حيثصارا

أبو نُواس[٥] :

فَمَا جازه جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه ولكن يَصِيرِ الجودُ حيثُ يَصِير

أشْجَع[٦] :

فما خَلْفَه لامرئٍ مَطْمَعٌ ولا دُونَه لامْرِئٍ مَقْنَعُ

أبو تمّام[٧] :

إليْكَ تَناهَى الجودُ من كلِّ وِجْهَة يَصِيرُ فمَا يَعْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ

أبو الطّيب[٨] :

ولَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَه ولا مُنْتَهَى الْجُودِ الذى خَلْفَه خَلْفُ

---

(١) القنابل : جمع قنبل ، وهو الطائفة من الناس أو الخيل؛ من الخمسين فصاعدا .

(٢) ديوانه (٢ : ٣٣١) .

(٣) غرب كل شيء : حده ، والفيالق : جمع فيلق ؛ وهى الكتيبة الكثيرة السلاح .

(٤) التبيان (٢ : ٢٩٠) . (٥) ديوانه ص ٩٩

(٦) التبيان (٢ : ٢٩٠) . (٧) ديوانه ص ١٤٣ ، التبيان (٢ : ٢٩٠) .

(٨) ديوانه (٢ : ٢٩٠) .

فأساء وجاوز حتى قارب الهذيان .

* * *

مَنْصُور النمرى[١] :

الجُودُ أَخْشَنُ مَسًّا يابَنِى مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبُزَّكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ
مَا أَعْرَفَ النَّاسَ أَنَّ الجودَ مدفعة للذم لكِنَّهُ يَأْتِى على النَّشَبِ[٢]

أبو الطيب[٣] :

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ

فزاد بقوله : « الإقدامُ قَتَّال » .

* * *

أشجع[٤] :

ولَيْسَ بأَوْسَعِهِمْ فِى الغِنَى ولَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

أبو الطيب[٥] :

بِعصر مُلُوكٌ لَهُمْ مَالَهُ ولَكِنَّهُمْ مالَهُمْ هِمَّةٌ

وأصله قول الأعرابى[٦] :

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مَالًا ولَكِنْ كانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

* * *

أبو تمام[٧] :

وقد يَكْهَمُ السَّيْفُ المسمَّى مَنِيَّةً وقد يرجعُ النَّجْدُ المظفَّرُ خَائِبا

---

(١) التبيان ص ٣ : ٢٨٧ . (٢) رواية العكبرى :

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للمجد لكنه يأتى على النشب

(٣) ديوانه (٣ : ٢٨٧). (٤) التبيان (٤ : ١٥٣) .

(٥) ديوانه (٤ : ١٥٣) . (٦) التبيان (٤ : ١٥٣) (٧) ديوانه ص ٢٣ .

فآفَةُ ذا ألّا يُصادف مَضرباً ... وآفة ذا ألّا يصادِف ضاربا[١]

البحترى[٢] :

رَمى كَلَبَ الأعْداء عن حَدِّ نجْدَةٍ ... بها قطعت تحت العَجَاجِ مَناصِلُه

وما السَّيْفُ إلا بَزُّ غادٍ لزِينَةٍ ... إذَا لم يكُنْ أمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهْ

أبو الطيب[٣] :

إنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كَقُلُوبِهنَّ إذَا الْتَقَى الجَمْعَانِ

تَلْقَى الحُسَامَ على جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الجبَانَ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ

ثم نقله وغيّره[٤] :

إذَا ضربَتْ بالسَّيفِ فى الحرب كَفُّهُ ... تَبَيَّنْتَ أنَّ السَّيفَ بالكَفِّ يضربُ

ومثل هذا البيت قول البحترى[٥] :

فلا تَغْلِبَنْ بالسَّيفِ كلَّ غَلَابِهِ ... ليمضى فإنّ الكَفَّ لا السيف يَقْطَع

وقد أعاد المتنبى ، فقال[٦] :

إذا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَىْ كَرِيهَةٍ ... فسَيْفُكَ فى كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا

ثم نقله إلى الخيل فقال[٧] :

فما تنفَعُ الخيْلُ الكِرَامُ ولا القَنَا ... إذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الكِرَامِ كِرَامُ

* * *

---

(١) رواية الديوان :

وقد يكهم السيف المسمى منية ... وقد يرجع السهم المظفر خائبا

فآفة ذا ألا يصادف راميا ... وآفة ذا ألا يصادف ضاربا

(٢) ديوانه (٢ : ١٦٣) التبيان، (٤ : ١٨٤). (٣) ديوانه (٤ : ١٨٤)

(٤) ديوانه (١ : ١٨٢) . (٥) ديوانه (٢ : ٨٦) .

(٦) ديوانه (٤ : ٢٩٣) . (٧) ديوانه (٣ : ٣٩٤) .

أبو تمام(١) :

فهل كُنْتُ إلّا مُذْنِباً يومَ أَنْتَحِي ... سِـوَاك بآمَالِي فجئْتُك تَائِبَا

أبو الطيب(٢) :

وتَعْذُلني فِيكَ القَوَافِي وهِمّتي ... كأنّي بمَدْحٍ قَبلَ مَدْحِك مُذْنِبُ

* * *

أبو تمام(٣) :

فَغَرَّبْتُ حتى لم أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ ... وشرَّقْتُ حتى قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبا

البحترى(٤) :

فأَكون طَوْرًا مَشْرِقًا للمشرق الـ ... أقْصَى وطوراً مَغْرِباً للمغرب

أبو الطيب(٥) :

فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ للشَّرْقِ مَشْرِقٌ ... وغَرَّبَ حتى لَيْسَ للغَرْبِ مَغْرِبُ

* * *

بعض العرب :

تخاله مُسْتَقْبِلًا أَقْعَدا(٦) ... وهو إذا اسْتَدْبَرْتَ مَكْبُوب

علىّ بن جَبَلة(٧) :

تَحْسَبُه أَقْعَدَ فى اسْتِقْبَالِهِ ... حَتى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكَبّْ

المتنبى(٨) :

إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ لا تَلِيلَ لَهَا ... أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَالَهَا كَفَلُ(٩)

---

(١) ديوانه ص ٢٤ . (٢) ديوانه (١ : ١٨٧) . (٣) ديوانه ص ١٧ .

(٤) ديوانه (١ : ٢٠) . (٥) ديوانه (١ : ١٨٧) .

(٦) يقال : فرس أقعد؛ أى فى وظيفى رجله استرخاء . (٧) التبيان (٣ : ٢١٤).

(٨) ديوانه (٣ : ٢١٤) . (٩) التليل : العنق ، والكفل : الردف .

وهو مأخوذ من قول أُقَيْصر الأسدى لما سُئل عن أكرم الخيل ، فقال: هو الذى إذا استقبلته أقْعَى ، وإذا استدبرته جَبَأَ ، وإذا استعرضته استوى .

* * *

يحيى بن مالك(١) :

أحقاً فما وَجْدِى عليك بهيِّنٍ ... ولا الصَّبْرُ إنْ أُعطِيتُه بجَميلِ

العتبى(٢) :

والصَّبْرُ يَحْسنُ فى المواقِفِ كلِّها ... إلّا عَلَيْكَ فإنَّه مَذْمُومُ

أبو تمام(٣) :

وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْرِ حازِماً ... فأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حين يَجْزَعْ

وله(٤):

لا تُنْكِرنَّ مع الفراقِ تَبلُّدِى(٥) ... فبراعَةُ المشتاقِ أن يَتَبلَّدا

أبو الطيب(٦) :

وجَلَا الوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحاسِناً ... حُسْنُ الْعَزَاء وقد جُلِينَ قَبِيحُ(٧)

وقال(٨) :

أَجِدُ الجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً ... والصَّبْرَ إلاَّ فِي نَوَاكِ جَمِيلاَ

* * *

(١) التبيان (١ : ٢٤٦) . (٢) التبيان (١ : ١٤٦) .

(٣) ديوانه ٣٣٣ ، التبيان (١ : ٢٤٦) .

(٤) ديوانه ص ١١٢ ، التبيان (١ : ٢٤٦) .

(٥) التبلد : نقيض التجلد . ورواية الديوان .

* لم تنكرن مع الفراق تبلدى *

(٦) ديوانه (١ : ٢٤٦) . (٧) فصل بين المبتدأ والخبر بجملة فعلية ، والتقدير : حسن العزاء قبيح وقد جلين ؛ أى المحاسن . والمعنى : لما برز الحبيب للوداع ، وانجلت محاسنه تركت حسن الصبر عنها قبيحا . (٨) ديوانه (٣ : ٢٣٣) .

العباس بن الأحنف[١] .

لو[٢] قَسَّمَ اللهُ جُزْءاً من محاسِنِهَا فى النَّاسِ طُرًّا لتمَّ الحُسْنُ فى النَّاسِ

أبو تمام[٣] :

لو اقْتُسِمَتْ أخْلاَقُه الغُرُّ لَمْ تَجِدْ مَعِيباً ولا خَلْقاً من الناسِ عائِبا

وقلبه فقال[٤] :

لو أَنَّ عُشْر الذى أمسى وظلّ به بالعالمين من البلْوى إذًا فَسَدُوا

منصور الفقيه[٥] :

لو أنَّ مافيهِ من جُودٍ تَقَسَّمَه أَوْلاَدُ آدمَ عَادُوا كلهم سمحاَ[٦]

أبو الطيب[٧] :

لو فَرَّقَ الْـكَرَمَ الْمُفَرِّقَ مَالَه فى النَّاسِ لم يَكُ فى الزَّمَانِ شَحيحُ

* * *

ابن المعذَّل[٨] :

بَاكَرَتْهُ الْحُمَّى ورَاحَتْ عَلَيْهِ فَـكَسَتْهُ حمَّى الرَّوَاح بَهَارَا[٩]

لم تَشِنْهُ لَمَّا أَلحَّتْ وَلَـكِنْ بَدَّلَتْهُ بالاحْمِرَارِ اصْفِرَارَا

أبو تمام[١٠] :

---

(١) ديوانه ص ٩١ ، مختارات البارودى (١ : ٢٠٣) ، التبيان (١ : ٢٥٠) .

(٢) فى مختارات البارودى وفى الديوان : « لو يقسم » .

(٣) ديوانه ص ٢٣ ، التبيان (١ : ٢٥٠) . (٤) ديوانه ص ٤٤٣ .

(٥) التبيان (١ : ٢٥٠) . (٦) قبله :

أقول إذ سألونى عن سماحته ولست ممن يطيل القول إن مدحا

(٧) ديوانه (١ : ٢٥٠) . (٨) التبيان (٢ : ٣٤٢) .

(٩) البهار : نبت طيب الريح ، زهرته صفراء .

(١٠) ديوانه ص ٩٤ ، والتبيان (٢ : ٣٤٢) .

لَهُمْ مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ الْتِدَامُ[١] يُعِيدُ بَنَفْسَجاً وَرْدَ الخُدُودِ

أبو الطيب[٢] .

وقَدْ صارَتِ الأجْفَانُ قَرْحَى من البُكاَ وصارَ بَهارًا فى الخدُودِ الشَّقائِقُ[٣]

البحترى[٤] :

إذا ما الجُرْحُ رُمَّ على فَسَادٍ تبيَّنَ فيهِ تَفْرِيطُ الطَّبيبِ

أبو الطيب[٥] :

فإنَّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إذَا كَانَ البِنَاءُ على فَسَادِ

* * *

نصر بن سيار[٦] :

وإن النَّارَ بالزَّنْدَيْنِ تُورَى وإنَّ الفِعْلَ يَقْدُمُه الكَلَامُ[٧]

أبو الطيب[٨]:

وإِنَّ الماءَ يجْرِى مِنْ جَمَادٍ وإنَّ النَّارَ تُقْدَحُ من زِنَادِ

* * *

النابغة الذُّبْيانى[٩] :

قد عَيَّرتنى بَنُو ذُبْيَان رَهْبَتَهُ وهَلْ عَلَيَّ بأَنْ أَخْشَاهُ من عار

---

(١) الالتدام : الاضطراب . (٢) ديوانه (٢ : ٣٤٢) .

(٣) الشقائق : جمع شقيقة ؛ وهى زهر أحمر ينسب إلى النعمان ، وقرحى : جمع قريح .

(٤) ديوانه (١ : ٨٤) ، التبيان (١ : ٣٦٣) . (٥) ديوانه (١ : ٣٦٣) .

(٦) الأخبار الطوال ص ٣٤٠ ، التبيان (١ . ٣٦٤) . (٧) رواية الأخبار الطوال:

فإن النار بالعودين تذكى وإن الشر مبدؤه الكلام

وقبله :

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام

(٨) ديوانه (١ : ٣٦٤) . (٩) ديوانه ص ٤٤ ، التبيان (٢ : ١١٣) .

شَمْعَلَة بن فائد[١] :

وإن أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ وفِعْلَه ... لَكَالدَّهْرِ لاعارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ

أبو تمام[٢] :

خَضَعُوا لصوْلَتِكَ الَّتي هي عِنْدَهُمْ ... كالموت يأتِي ليس فيهِ عَارُ

أبو الطيب[٣] :

وما في سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ ... ولا في ذِلَّةِ العِبْدَانِ عَارُ

وكل ما تقدمه أحسن منه . وقد أحْسَنَ يزيد بن محمد المهلّبي :

في قوله :

* لا عار إن ضَامَكَ دَهر أو مَلِك *

ومثل هذا الأخذ هو الذي يرْحَضُ[٤] العار عن صاحبه .

* * *

عنترة[٥] :

وأَنَا المَنِيَّةُ في المَوَاقِفِ كُلِّها ... والطَّعْنُ منِّي سَابِقُ الآجالِ

أبو تمام[٦] :

يَكَادُ حينَ يُلَاقِي القِرْنَ مِنْ حَنَقٍ ... قَبْلَ السِّنَانِ عَلَى حَوْبَائِهِ يَرِدُ

أبو الطيب[٧] :

يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا الْعِبادِ ... إِلَيْهِمْ كأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ

ثم قلبه وغيّره فقال[٨] :

---

(١) التبيان (٢ : ١١٣) . (٢) ديوانه ص ١٣٠ .
(٣) ديوانه (٢ : ١١٣) . (٤) يرحض (في الأصل) يغسل ، ويريد : يدفع
(٥) ديوانه ص ١٠٩ ، التبيان (٤ : ١٩١) .
(٦) ديوانه ص ٨٩ ، التبيان (٤ : ١٩٠) . (٧) ديوانه (٤ : ١٩٠) .
(٨) ديوانه (٣ : ٢١٣) .

يَـكادُ مِنْ طَاعةِ الحِمام له يَقْتُل مَنْ مَادَنا لَهُ أجَل[(١)]

* * *

ذو الرُّمة[(٢)] :

* كأنَهَا فِضَّةٌ قد مسَّها ذَهَبُ *

أبو الطَّيِّب[(٣)] :

* لَوْنِي كما صَبَغَ اللجينَ العَسْجَدُ *

* * *

أبو نُواس[(٤)] :

إليكَ أبا العبَّاس مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الحضْرَمِيَّ المُلَسَّنَا[(٥)]

قَلائِصَ لم تَعْرِفْ حنيناً إلَى طَلَا ولَم تَدْرِ ماقَرْعُ الفَنِيقِ ولا الهِنَا[(٦)]

أراد بالحَضْرَمِىّ المُلَسَّن النعال فجعلها قلائص تمتطى وتركب ، وتبعه أبو الطيب فغير الوصف فقال[(٧)] :

لا نَاقتى تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[(٨)]

---

(١) يقول : إن الموت طائع لأمره ، فلو أراد أن يقتل من لم يتم أجله لساعده على ذلك لطاعته إياه . (٢) جمهرة أشعار العرب ص ٣٦٢ ، وصدره :

* كحلاء فى دعج صفراء فى برج *

(٣) ديوانه (١ : ٣٢٩) ، وصدره :

* فضت وقد صبغ الحياء بياضها *

(٤) ديوانه ص ٧٦ . (٥) الحضرمى الملسن : النعل فيه طول كهيئة اللسان، يريد بها نعله .

(٦) القلائص (فى الأصل) : جمع قلوص ، ويريد بها نعله ؛ وهى الإبل الشابة ، والفنيق : فحل الإبل ، والهنا : القطران . (٧) ديوانه (١ : ٣٠١) .

(٨) الرديف : مايرتدف خلف الراكب ، والرهان : السباق ، والناقة هاهنا : نعله .

شِرَاكُها كُورُها ومِشْفَرُها   زِمَامُها والشُّسُوعُ مِقْوَدُها[١]

ثم أكمل المعنى ونقله إلى ذكر الخُفّ فقال :

وحُبيتُ من خُوصِ الرِّكابِ بأَسْوَدٍ   من دَارِشٍ[٢] فغدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا[٣]

وأظنهما لاحظا قول بعض المفسرين لبيت عنترة[٤] :

* وابن النَّعَامَةِ يوم ذلك مركبي *

فإنه زعم أن ابن النعامة عِرْق فى باطن القدم ؛ لأن معنى البيت أنه راكب أخْمَصَهُ ماشياً . وقد جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أنهم التمسوا نعالا . ومثله ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المُنْتَعِل رَاكِب » .

***

بعض العرب :

أَنَخْتُ قَلُوصي واكْتَلأْتُ بِعَيْنِهَا   وأَمَّرْتُ نفسى أىَّ أَمْرَىَّ أفْعَلُ

أبو الطيب[٥] :

وَعَيْنِي إِلى أُذْنَىْ أَغَرَّ كأَنَّه   مِنَ اللَّيْلِ باقٍ بين عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ[٦]

---

(١) الشراك : سير النعل ، والكور : رحل الناقة ، والمشفر من الناقة بمنزلة الشفة من الإنسان ، وزمام النعل : ما تشد عليه سيورها ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة .

قال العكبرى : ومثله قول الآخر :

رواحلنا ست ونحن ثلاثة   نجنبهن الماء فى كل منهل

(٢) ديوانه (١ : ١٢٥) .   (٣) الخوص : جمع خوصاء ؛ وهى الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء ، والدارش : نوع من الجلود .   (٤) ديوانه ص ٢٠ ، والتبيان (١ : ٣٠٢) وصدره :

* ويكون مركبك القعود ورحله *

(٥) ديوانه (١ : ١٧٩) .   (٦) قال العكبرى : إنه كان ينظر إلى أذنى فرسه ، وذلك أن الفرس أبصر شىء ، فإذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه ، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً ، ثم وصف فرسه فقال : كأنه قطعة ليل فى وجهه كوكب .

فنقل العين إلى الأذن واكتلائها .

* * *

قال عنترة(١) :

وإذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وكما عَلِمْت شَمَائِلى وتَكَرُّمِى

وأجود منه قول زهير(٢) :

أَخُو ثِقَةٍ لاتُهْلِكُ الخَمْرُ ما لَهُ ولكنه قد يُهْلِكُ المالَ نائِلُهْ

وقول أبى نواس(٣) :

فتًى لايذيبُ(٤) الخمر شَحْمَةَ مالِهِ ولكِنْ أيَادٍ عُوَّدٍ وبَوادِى

أبو الطيب(٥) :

لَا تَجِدُ الخَمْرُ فى مكَارِمِه إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلافَاهَا(٦)

بعض العرب(٧) :

تغْضِى العُيونُ إذَا تبدَّى هَيْبَةً ويُنَكِّسُ النظَّارُ لحظَ النَّاظِرِ

الحزين الدُّؤَلى(٨) :

يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى من مهَابَتِهِ فلا يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

---

(١) المعلقات للزوزنى ص ١٨٦ . (٢) ديوانه ص ٣١ ، التبيان (٤ : ٢٧٦) .

(٣) ديوانه ص ٧٤ ، التبيان (٤ : ٢٧٦) . (٤) رواية الديوان : « لا تلوك » .

(٥) ديوانه (٤ : ٢٧٦) . (٦) يقول : هو قبل شرب الخمر كريم ؛ يتكرم بالبذل والعطاء ، فلا يزيد تكرمه بشربها ، وليس فى مكارمه خلة يتلافاها الخمر .

(٧) االتبيان (١ : ١١٣) . (٨) الأغانى (١٤ : ٧٥) (طبعة الساسى) ، ونسبه العكبرى إلى الفرزدق ، وقبله :

فى كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم

قال أبو الفرج : « والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها على بن الحسين ابن أبى طالب ؛ وهو غلط ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين » .

أبو نُواس[١] :

إنَّ العُيُونَ حُجِبْنَ عنك بِهَيْبَةٍ فإذا بَدَوْتَ لهُنَّ نُكِّسَ نَاظِرُ

أبو الطيِّب[٢] :

إذَا بَدا حَجَبَتْ عَينَيْكَ هَيبَتُه وليس يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إذَا احْتَجبَا

والمصراع الثانى مثل قوله[٣] :

أصْبَحْتَ تأمرُ بالحجاب بِخَلْوَةٍ هيهات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوء جبينه ونوالُه لم يُحْجَبا لم يَحْتَجِبْ عن ناظر
فإذا احتَجَبْتَ فأنتَ غيرُ مُحَجَّب وإذا بَطَنْتَ فأنتَ عينُ الظَّاهِرِ

أما ذكره الجود؛ فمن قول أبى تمام[٤] :

يأيُّها المُعْرِضُ النَّائِي برؤيته وجودُه لمراعى جودِه كَثَبُ

وقد كرَّره أبو الطيب فقال[٥] :

حتَّى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ محجَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ

وأما ضوء جبينه ، فمن قول قَيْس بن الخَطِيم[٦] :

قَضَى لها الله حين صَوَّرَها الـ خالِق أن لا يُكِنَّها[٧] سَدَفُ

ومن هذا المعنى أخذ أبو تمام[٨] :

فَنَعِمْتِ من شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ من خِدْرِها فكأنَّها لم تُحْجَبِ

وقول أبى نواس فى الخمر[٩] :

---

(١) ديوانه ص ١١٣ . (٢) ديوانه (١ : ١١٣) .
(٣) ديوانه (٢ : ١٣٧) . (٤) ديوانه ص ٢٧ ، التبيان (١ : ١١٣) .
(٥) ديوانه (١ : ١٧٥) . (٦) الأغانى (٣ : ٢٣ ، طبعة دار الكتب) ، التبيان (٢ : ١٣٧) . (٧) السدف : الظلمة ، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .
(٨) ديوانه ص ١٢ ، التبيان (٢ : ١٣٨) .
(٩) التبيان (٢ : ١٣٧).

تَرى ضَوْءها فى باطن الكأسِ ظَاهِراً　　عليك ولو غَطَّيْتَهَا بغِطاء

***

أوس بن حَجَر(١) :

الألْمَعِىّ الّذِى يَظُنُّ بكَ الظَّنَّ كأنْ قَدْ رأَى وقَدْ سَمِعاَ

أبو تمام(٢) :

ولِذَاكَ قيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ　　عِلْمٌ وفى بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ

وقد أكثر الناس فيه .

أبو الطيب(٣) :

مَاضِى الجَنَانِ يُرِيهِ الحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ　　بِقَلْبِهِ مَاتَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ

وكرّره فقال(٤) :

ذَكِىٌّ تَظَنّيه طَلِيعَةُ عَيْنِه　　يرَى قَلْبُه فى يَوْمِه ما يرَى غَدَا

وأعاده فقال(٥) :

ويَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ　　فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ

وقال أيضاً(٦) :

مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَافِى غَدٍ　　فَكأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُوِّنَا

وهذا المعنى الآخر يقرب من قول أبى نواس :

ما تَنْطَوى منه القلوبُ بِعُجْرَةٍ　　إلا تكلِّمه بِهِ العينانِ

على بن الخليل .

كَلَّمنى لحظُكَ عَنْكَ لَمَّا　　أَضْمَرهُ قَلْبُكَ مِنْ غَدْرِ

---

(١) لسان العرب مادة ــ لمع ، التبيان (١ : ١٣٥) .　(٢) ديوانه ص ٣٢٩ ، التبيان (١ : ٣٥١) .　(٣) ديوانه (١ : ٣٥١) .　(٤) ديوانه (١ : ٢٨٢) .
(٥) ديوانه (٤ : ٦٢) .　(٦) ديوانه (٤ : ٢٠١) .

الخَليع :

أما تقــرأ في عينىّ عُنوانَ الذى عِنْدِى

وقد سبق إليه المتقدمون ، قال الثقفى(١) :

تخبِّرنى العينانِ ما القلبُ كاتِمٌ وما جَنَّ بالبَغْضاء والنَّظرِ الشَّزْرِ

آخر(٢)

تُكاشِرُنِى كُرْهاً كأَنَّك ناصِحٌ وعَيْنُكَ تُبْدِى أَنَّ قَلْبَكَ لِى دَوِى

أبو الطيب(٣) :

كأَنَّكَ ناظرٌ فى كلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحلُّ غاشِ

وله(٤) :

* لَهُ خَطَراتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ والْكُتُبَا *

ومثله له(٥) :

وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالأَسْرارِ فانْكَشَفَتْ لَهُ ضَمائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ والجَبَلِ

وهذا المعنى هو الأول ، وإنما فرق ما بينهما أنّ ذاك فى العواقب ، وهذا فى الأسرار والضمائر ، والمراد منهما صحة الحَدْس وجَوْدة الظن ، ومثل قول الثَّقَفِىّ :

* تُخَبِّرُنى العَيْنانِ مَا القَلْبُ كاتِمٌ *

قول أبو الطيب(٦) :

يُخْفِى العَداوَةَ وهْىَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ العَدُوِّ بِما أَسَرَّ يَبُوحُ

* * *

(١) التبيان (١ : ٢٥٣) ، ونسبه إلى ابن الرومى . (٢) التبيان (١ : ٢٥٣) .
(٣) ديوانه (٢ : ٢١١) . (٤) ديوانه (١ : ٦٢) ؛ وصدره :
* عليم بأسرار الديانات واللغى *
(٥) ديوانه (٣ : ٣٨) . (٦) ديوانه (١ : ٢٥٣) .

علاثة بن عربى[١] :

وكُنْتُمْ قَدِيماً فى الحُرُوبِ وغَيْرِها مَيَامِينَ فى الأَدْنَى لأعْدَائِكم نَكدُ

لبيد[٢] :

مُمْقِرٌ[٣] مُرٌّ على أَعْدَائِهِ وعلى الأَدْنَيْنَ حُلْوٌ كالْعَسَلْ

وهو معنى قد تُدُوول بأمثلة مختلفة ، منها قول المسيَّب بن عَلَس[٤] :

هُم الرَّبيعُ عَلَى مَنْ ضَافَ أَرْحُلَهم وفى العَدُوّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِيمُ

وقال كعب بن الأَجْذَم[٥] :

بنو رَافِع قومٌ مَشَائِيمُ للعِدَا ميامينُ للمَوْلَى وللمُتَحَرِّمِ

وقال أبو دُؤاد[٦] :

فَهُمُ لِلْمُلَاينين أَناةٌ وعُرَامٌ إِذَا يُرَادُ عُرَامُ

وأخذه بشّار فزاد فيه وشبّه وأحسن فقال[٧] :

يَلِينُ حيناً وحِيناً فيهِ شِدَّتُهُ كالدَّهْرِ يَخْلِطُ إِيسَاراً بإِعْسَار

وتبعه أبو نواس فقال[٨] :

حَذَرَ امْرِئٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى العِدَا كالدَّهْرِ فِيهِ شَرَاسَةٌ ولِيَانُ

وأخذه أبو الشِّيص فأحسن ماشاء ، ونقل التشبيه من الدهر إلى السيف فقال[٩] :

وكالسَّيفِ إنْ لَايَنْته لَانَ مَتنه وحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

فقال أبو الطيب[١٠]

---

(١) التبيان (١ : ٢٥) . (٢) التبيان (١ : ٢٥) ، لسان العرب (مادة — مقر) .

(٣) ممقر : ص . (٤) التبيان (١ : ٢٥) .

(٥) التبيان (١ : ٢٥) . (٦) التبيان (٣ : ٢٠١)

(٧) التبيان (٣ : ٢٠١) . (٨) ديوانه ص ٦٠ ، التبيان (٣ : ٢٠١).

(٩) التبيان (٣ : ٢٠١). (١٠) ديوانه (٣ : ٢٠١) .

أَنْتَ طَوْرًا أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ وطَوْرًا أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ

وهو بيت لبيد لفظا ومعنى ، وقد قَصَّرَ عنه ؛ لأن لَبيدا فصّل الحالين بين الأعداء والأدنين ، وأجْمل أبو الطيب القول ، ثم أعاده فأخفاه وأجاد فقال[1] :

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى فَكَأَنَّهُ السرَّاءُ والضرَّاءُ[2]

وكأَنَّهُ مَالَا تشاءُ عُدَاتُه مُتَمَثِّلًا لوُفُودِهِ ما شاءوا

* * *

البحترى[3] :

وإذا ما تَنَكَّرَتْ لِى بِلَادٌ أَوْ صَدِيقٌ[4] فإنّنى بِالخِيَارِ

وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين ، وقد جمع هذا البيت طرافة . وقال ابن المعذّل فأحسن وأوجز ؛ لكنه اقتصر على البَلَد[5] :

إذَا وَطَنٌ رَابَنِى فَكُلُّ بلادٍ وَطَنْ

وقد أجاد البحترى فى قوله[6] :

* فالأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ والنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ *

وقال أبو الطيب[7] واحتذى مثالَ البحترى وأجاد ، وللبحترى الفضل :

إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعْيِنِى فِى فِرَاقِهِ الْحِيَلُ

---

(١) ديوانه (١ : ٢٥) . (٢) يريد أنه إنسان واحد ؛ قواه مجتمعة غير متفرقة ، وفيه حلاوة لأوليائه ، ومرارة لأعدائه .

(٣) ديوانه (٢ : ٢٤) ، التبيان (٣ : ٢١٢) .

(٤) فى الديوان : « أو خليل » . (٥) التبيان (٣ : ٢١٢) .

(٦) ديوانه (٢ : ١٧٧) ، التبيان (٣ : ٢١٢) ؛ وصدره :

* ولا تقل أمم شتى ولا فرق *

(٧) ديوانه (٣ : ٢١١) .

فِي سَـــمَةِ الخافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ ... وفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِها بَدَلُ

***

البحترى[١] :

إِذَا شِئْتَ ألاَّ تَعْذِلَ الدَّهْرَ عَاشِقاً ... على كَمَدٍ من لَوْعةِ البَيْنِ فاعْشَقِ

أبو الطَّيب[٢] :

لا تَعْذِلِ المُشَتاق فى أَشْوَاقِهِ ... حتَّى يَكُون حَشاكَ من أَحْشائِهِ

***

أوْس – مِنْ مرثية[٣] :

أبا دُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأَرْمَلَةٍ ... أمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي هِدْمَيْنِ مِحْالِ[٤]

أبو الطيب[٥] فى مثله :

ومَنِ اتَّخَذْتَ على الضُّيُوفِ خَلِيفَةً؟ ... ضَاعُوا ومِثْلُكَ لا يَكادُ يُضَيِّعُ

فزاد المصراع الثانى زيادة صالحة .

***

أوْس :

وَأَفْضَلْتَ فى كلِّ شيْءٍ فما ... تناول سعْيُك مِنْ طَالِبِ

أبو نُوَاس :

كأنَّما أَنْتَ شَيْءٌ ... حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

أبو الطيب[٦] :

---

(١) ديوانه (٢ : ١٢٣) ، التبيان (٣ : ٢١٢) . (٢) ديوانه (١ : ٦) .

(٣) الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى ص ٣٤٢ .

(٤) الأشعث : المتغير اللون من الجوع والهزال . الهدم : الثوب الخلق . والمحال : المجدب المحتاج .

(٥) ديوانه (٢ : ٢٧٥) . (٦) ديوانه (٤ : ٢٨٩) .

يُدِلُّ بمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ   وقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعَانِيَا

* * *

بعضهم[١] :

إذا أَسْلَفَتْهُنَّ المَلَاحِمُ مغنماً   دعاهنَّ مِنْ كَسْبِ المكارِمِ مَغْرَمُ

أبو تمام[٢] :

إذَا ما أَغاروا واحْتَوَوْا مال معشر   أَغَارَتْ عليهمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

أبو الطيب[٣] :

فالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَىْ مَالِهِ   بِنَوَالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ

* * *

أبو تمام[٤] :

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فى فَضْل سُؤْدُدِه   فى الدِّينِ لم يَخْتَلِف فى المِلَّةِ اثنَانِ

البحترى[٥] :

أرَى الناسَ مُجْمِعِينَ عَلَى فَضْ   لِكَ من بَيْنِ سَيِّدٍ ومَسُودِ

أبو الطيب[٦] :

جَرَى الخُلْفُ إلاَّ فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ   وأَنَّكَ لَيْثٌ والملوكُ ذِئَابُ

* * *

أبو تمام[٧] :

فتًى لايَرَى أنَّ الفريصةَ[٨] مَقْتَلٌ   وَلَكِنْ يَرى أنَّ العيُوبَ المَقَاتِلُ

---

(١) التبيان (١ : ٢٤) .   (٢) التبيان (١ : ٢٥) .

(٣) ديوانه (١ : ٢٥) .   (٤) ديوانه ص ٣٢٤ .

(٥) ديوانه ص ٢٨٨ ، التبيان (١ : ١٩٩) .   (٦) ديوانه (١ : ١٩٩) .

(٧) ديوانه ص ٢٥٨ ، التبيان (١ : ١٥٨) .

(٨) الفريصة : ودج العنق .

أبو الطيب[1] :

يرى أنّ مَامَابانَ منك لِضَارِبٍ بأقْتَلَ مِمّا بانَ مِنْكَ لِعَائِبِ[2]

* * *

أبو تمام[3] :

ولولا خِلالٌ سنّها الشِّعْرُ مادَرَى بغاةُ العُلَا مِنْ أيْنَ تُؤْتَى المَكارِمُ

أبو الطيب[4] :

وعَلَّمُوا الناسَ مِنْكَ المَجْدَ واقْتَدَرُوا على دَقِيقِ المَعَانِي من مَعَانِيكا

والمصراع الثانى من قول أبى تمام[5] :

تَغْرى العيونُ به فيَفْلِقُ شاعر فى نعته وصْفاً وليس بِمُفْلق

ونحوه ، وهو كالمحتوى على معنى البيتين قول أبى العتاهية :

شِيَمٌ فَتَّحَتْ مِنَ المَجْدِ مَاقَدْ كَانَ مُسْتَغْلَقاً عَلَى المُدَّاحِ

وقول ابن أبى فَنن[6] :

يُعَلِّمُنَا الفتحُ المَدِيحَ بجُودِهِ ويُحْسِنُ حتى يُحْسِنَ القَوْلَ قَائِلُهُ

ومثله لأبى الطيب[7] :

أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فامْتَدَحُوا جَمِيعَ من مَدَحُوهُ بِالَّذِى فِيكَا

* * *

على بن جَبَلة :

يَأْسُو الَّذِى يَجْرَحُ أَعْدَاؤُه وما لما يَجْرَحُهُ آسِ

(١) ديوانه (١ : ١٥٨) . (٢) قال ابن القطاع : ما الأولى بمعنى ليس ، والثانية بمعنى الذى . قال العكبرى : « يريد أنه ما الذى بان منك لضارب بأقتل من الذى لعائب يعيبك » ؛ يريد أن العيب أشد من القتل . (٣) ديوانه ص ٢٨٧ .

(٤) ديوانه (٢ : ٣٧٨) . (٥) ديوانه ص ٢١٢ .

(٦) التبيان (٢ : ٣٧٨) . (٧) ديوانه (٢ : ٣٧٨) .

أشجع[1] :

فما يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّهُ ولا يَضَعُ النَّاسُ مَنْ يَرْفَعُ

أبو تمام[2] :

فإنْ أفسَدْت شيئاً فليس بصالحٍ وإن أصْلَحْتَ شيئاً فليس بفاسدِ

أبو الطيب[3] :

فلا تَرْتُقِ الأيامُ ما أنتَ فاتقٌ ولا تَفْتق الأيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتق

* * *

أبو تمام فى القلم[4] :

أَحَدُّ اللَّفْظِ يَنْطق عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهِمُ وهْوَ لَيْسَ بذِى سَمَاعِ

أبو الطيب فى مثله[5] :

* وَيفهِمُ عمَّنْ قَالَ ما لَيْسَ يَسْمَعُ *

* * *

أبو العتاهية[6] :

إن المطايا تَشْتَكِيكَ لأنَّهَا قَطَعَتْ إلَيْكَ سَبَاسِبًا ورِمَالَا

أبو الطيب[7] :

قُصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حتى اشْتَكَتْكَ الرِّكابُ والسُّبُلُ

فزاد السبل .

* * *

(١) التبيان (٢ : ٣٤٩) .

(٢) التبيان (٢ : ٢٤٩) ، مهذب الأغانى (٨ : ٢٢٥).

(٣) ديوانه (٢ : ٣٤٩) . (٤) ديوانه (٢ : ٢٤٤) .

(٥) ديوانه (٢ : ٢٤٤) ، وصدره :

* يمج ظلاما فى نهار لسانه *

(٦) التبيان (٣ : ٢١٧) . (٧) ديوانه (٣ : ٢١٧) .

وقال جرير(١) :

إنْ كانَ شَأْنُكُم الدَّلالَ فإنَّه ... حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمَيْمَ جَميلُ

أبو الطّيب(٢) :

وأَرَى تَدَلُّلَكَ الكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا

* * *

أبو تمام(٣) :

لوسَعَتْ بُقْعَةٌ لإعْظَامِ أُخْرَى ... لسَعَى نَحْوَهَا المَكانُ الجَدِيبُ

البحترى(٤) :

ولَوْ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكلَّفَ فَوْقَ مَا ... فِي وُسْعِه لسَعَى إلَيْكَ المِنْبَرُ

* * *

أبو الطَّيِّب(٥) :

تَحاسَدَتِ البُلْدَانُ حتى لَوَانَّهَا ... نُفُوسٌ لسارَالشَّرْقُ والغَرْبُ نَحْوَكا

* * *

لبعض العرب ، ويُنْسَبُ إلى المَجْنون(٦) :

ولاشوق حتَّى يَلْصَقَ الجِلْدُ بالحَشَى ... وتَصْمُتَ حتَّى لا تُجيبَ المُنَادِيَا

وقال قَيس بن ذَريح(٧) :

---

(١) ديوانه ص ٤٧٢ . (٢) ديوانه (٣ : ٢٣٢) .

(٣) التبيان (٢ : ٣٨٢) . (٤) ديوانه (٢ : ٢١٢) ، التبيان(٢ : ٣٨٢) .

(٥) ديوانه (٢ : ٣٨٢) . (٦) التبيان (٤ : ١٩٥)، ديوان المجنون ص١٦٨

ورواية الديوان :

فقلت شفاء الحب أن تلصق الحشا ... بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا

(٧) التبيان (٤ : ١٩٥) .

وَمَا هُوَ إِلّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءةً فَأُبْهَتَ حَتى مَا أَكادُ أُجِيبُ

أبو الطيب[١] :

الحُبُّ مَامَنَعَ الْكَلَامَ الأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا

فأمّا المصراع الثانى فمن قول أبى نواس[٢] :

* ولَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ *

* * *

بعضهم :

اللهُ يَعْلَمُ أنى لستُ أذكره وكيفَ يَذْكُرُهُ مَنْ ليسَ يَنْسَاهُ

نقله أبو الطيب فقال[٣] :

نيطَتْ حَمَائِلُه بعَاتِقِ مِحْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وهَلْ يَكُرُّ ومَاانْثَنَى[٤]

* * *

بعضهم[٥] :

وإذا جَهِلْتَ مِنَ امْرِىءٍ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فانْظُرْ إِلَى مايَصْنَعُ

أبو تمام[٦] :

فُرُوعٌ لا تَرِفُّ عَلَيْكَ إِلّا شَهِدْتَ لَهَا عَلى طِيبِ الْأُرُومِ[٧]

أبو الطيب[٨] :

---

(١) ديوانه (٤ : ١٩٥). (٢) ديوانه ص٢٧٣ ، التبيان (٤ : ١٩٥)، وصدره:

* فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى *

(٣) ديوانه (٤ : ١٩٩) . (٤) نيطت : علقت . والعاتق: أصل العنق من الإنسان. والمحرب : صاحب الحرب الممارس لها . والكر : خلاف الفر ، وما انثنى ؛ أى عما يريد .

(٥) التبيان (٤ : ٢١٦) . (٦) ديوانه ص ٢٨٩ ؛ التبيان (٤ : ٢١٦) .

(٧) الأروم : الأصول . (٨) التبيان (٤ : ٢١٦) .

أَفَمَالَه نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا ... جَدِّى الخَصِيبُ عَرَفْنَا العِرْقَ بالغُصُنِ

* * *

أبو تمام(١) :

أَغَارُ مِنَ القَمِيصِ إذَا عَلَاهُ ... مَخَافَةَ أَنْ يُلَامِسَهُ القَمِيصُ

الخُبْزَأرزِى(٢) :

مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقِى وَدِقَّةِ غَيْرَتِى ... أَنِّى أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكَيْكَا

ولو اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفْظَكَ غَيْرَةً ... أَنِّى أَرَاهُ مُقَبِّلًا شَفَتَيْكَا

أبو الطيب(٣) :

أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وهْىَ تَجْرِى ... على شَفَةِ الأَمِيرِ أَبِى الحُسَيْنِ

فأساء ؛ لأن هذه الغيرة إنما تكون بين المُحِبِّ ومحبوبه ؛ فأمّا الأمراء والملوك فلا يُغارُ على شِفَاهِهما .

* * *

أبو تمام(٤) :

قَوْمٌ إِذَا اسوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا ... فِيهِ وغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

أبو الطيب(٥) :

أَفَاعِيلُ الوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهْمٌ ... وفِعْلُكَ فِى فِعَالِهِمُ شِيَاتُ(٦)

* * *

أبو تمام(٧):

---

(١) التبيان (٤ : ١٩٤) .
(٢) التبيان (٤ : ١٩٣) .
(٣) ديونه (٤ : ١٩٣) .
(٤) التبيان (١ : ٢٢٤) .
(٥) ديوانه (١ : ٢٢٤) .
(٦ الشية فى الألوان : ما خالف معظمه .
(٧) ديوانه ص ٩ ؛ التبيان (٣ : ٦٤) .

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ[(١)]

أبو الطيب[(٢)] :

الجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ ... فِي قَلْبِهِ[(٣)] وَيَمينِه وشِمَالِهِ

* * *

أبو تمام[(٤)] :

وكَأَنّ الأَنَامِلَ اعْتَصَرَتْهَا ... بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ الْبَخِيل

أبوالطيب[(٥)] :

* وعُمْرٌ مِثْلُ مايَهَبُ اللِّئَامُ[(٦)] *

* * *

أبو تمام[(٧)] :

* إِلَيْكَ تجرَّعْنَا دُجًى كحِدَاقِنَا *

أبوالطيب[(٨)]:

لَقًى لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّبْيِ لَوْنًا ... وهَمٍّ كالحُمَيَّا فِي الْمُشَاشِ[(٩)]

وأما المصراع الثانى فكثير ؛ منه قول الأُبَيْرِدِ[(١٠)]:

عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حتَّى كأَنَّنِى ... أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِه الخَمْرُ

* * *

(١) لجب : أى ذو لجب . (٢) ديوانه (٣ : ٦٤) .

(٣) يريد بالقلب قلب الجيش . (٤) التبيان (٤ : ٦٩) .

(٥) ديوانه (٤ : ٦٩) . (٦) صدره :

* فؤاد ما تسليه المدام *

(٧) التبيان (٢ : ٢٠٧) . (٨) ديوانه (٢ : ٢٠٧) .

(٩) اللقى : الشيء الملق ؛ وعين الظبي يضرب بها المثل فى السواد . والحميا : من أسماء الخمر . والمشاش : رءوس العظام النخرة . (١٠) التبيان (٢ : ٢٠٧) .

الناشي الأكبر(١):

ولو لم يَبُحْ بالشُّكْرِ لَفْظِي لخبَّرَتْ يمينى بما أَوْلَيْتَنِي وشِمالِيَا

أبو الطيب(٢):

أَقَرَّ جِلْدِي بِها(٣) عَلَيَّ فما أَقْدِرُ حَتَّى المماتِ أَجْحَدُها

وأصله من قول الله سبحانه وتعالى: « وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا » . الآية . وهو كثير للمتقدمين ومن بعدهم .

* * *

مُسْلِم(٤) :

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الحَرْبِ مُبْتَسِماً إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطَلِ

أبو الطيب(٥) :

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ووجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

وله(٦) :

بكُلِّ أَشْعَثَ(٧) يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِماً حَتَّى كأَنَّ لَهُ فى قَتْلِهِ أَرَبَا

* * *

دِعْبِل :

وقد علمتُ وما أصبحتُ مرتيبا أن التى أدركتنى حِرْفَةُ الأَدَبِ

الحمدونى(٨) :

إن المُقَدَّمَ فى حِذْقٍ بصَنْعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيها فَهْوُ مَحْرُومُ

---

(١) التبيان (١ : ٣١٢) . (٢) ديوانه (١ : ٣١٢) .

(٣) الضمير يعود على المكرمات فى البيت قبله :

ومكرمات مشت على قدم البر إلى منزلى ترددها

(٤) ديوانه ص ٥٩ : (٥) ديوانه (٤ : ٣٨٧) . (٦) ديوانه (١ : ١٢١).

(٧) الأشعث : المتغبر من طول السفر والحروب . (٨) التبيان (٤ : ١٠٨) .

أبو الطيب[١] :

وما الجَمْعُ بَيْنَ الماءِ والنَّارِ في يَدِي بأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الجَدَّ والفَهْمَا

فزاد وأكّد .

***

البحترى[٢] :

وإِذَا تأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُه الْـ مَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

أبو الطيب[٣] :

كأَنَّ أَلْسُنَهُم فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِم فِي الطَّعْنِ خُرْصَانَا[٤]

***

أَوْس بن حَجَر[٥] :

وإنّا وجَدْنا الحلم أَنْفَسَ سَاعَةً إلى الصَّوْنِ من رِيطٍ يَمانٍ مُسَهَّمِ[٦]

فقد تداوله الشعراء فأكثروا ؛ فقال سالم بن وَابصَة[٧] :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلاًّ أَنْتَ عَارِفُهُ والْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وقال الخُرَيْمِيّ ففصّل مَعْنَيَيْه ، وتبع سالما[٨] :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةً وفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَه

أبو الطيب[٩] :

إذا قِيلَ مَهْلًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

---

(١) ديوانه (٤ : ١٠٨) . (٢) ديوانه (١ : ٦٨) ، التبيان (٤ : ٢٢٨).

(٣) ديوانه (٤ : ٢٢٨) . (٤) الخرصان : جمع خرص ، ويريد هنا السنان .

(٥) لسان العرب — مادة سهم ، وروايته فيه :

* فإنا رأينا العرض أحرج ساعة *

(٦) الريط : جمع ريطة ، وهى كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، والمسهم : البرد المخطط . (٧) التبيان (٣ : ١٨٧) . (٨) التبيان (٣ : ١٨٧) .

(٩) ديوانه (٣ : ١٨٧) .

ونحوه له[1] :

فَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وله فى مثله[2] :

إِنِّى أُصَاحِبُ حِلْمِى وَهْوَ بِى كَرَمٌ وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِى وَهْوَ بِى جُبُنُ

وله فى معنى قول الخُرَيْمِىّ[3] :

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّــةٌ لَاجِئٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ

فبيَّنَ العلة ، ونحوه له[4] :

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرْقُ الْمَظَالِمِ

***

امرؤ القيس[5] :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لَمْ تَطَيَّبِ

فأخذه الناس بعده وأكثروا فيه .

أبو الطيب[6] :

أَتَتْ زَائِراً[7] ما خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا وكالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ

***

أبو نُواس[8] :

سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِــدَةٌ فإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

---

(١) ديوانه (١ : ٢٨٨) . (٢) ديوانه (٤ : ٢٣٧) .
(٣) ديوانه (٤ : ٩٣) . (٤) ديوانه (٤ : ١١٢) .
(٥) ديوانه ص ٧٣ . (٦) زائرا : نعت لمحذوف ؛ أى أتت خيالا زائرا ؛ وذكره لأنه أراد الطيف . (٧) التبيان (٢ : ٢٣٨) .
(٨) التبيان (٢ : ٢٣٨) .

بعض المحدثين :

كُنْ إذا أحْبَبْتَ عَبْداً ... لِلّذِى تَهْوَى مُطِيعاً

أبو الطيب[١] :

تَذَلَّلْ لها واخْضَعْ على القُرْبِ والنَّوَى ... فما عَاشِقٌ مَنْ لا يَذِلُّ ويَخْضَعُ

***

بشّار[٢] :

خَلَقْنَا سَماءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا ... سُيُوفاً ونَقْعاً يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا

ومثله لبشّار[٣] :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ[٤] فوقَ رُءوسِنا ... وأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

بعضهم[٥] :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سماءً فَوْقَنا ... جَعَلَتْ أَسِنَّتَنَا نُجُومَ سَمَائِهَا

أبو الطيب[٦] :

يَزُورُ الأَعَادِي فى سَماءِ عَجَاجَةٍ ... أَسِنَّتُهَا فى جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ

***

البحترى[٧] :

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرماحَ مَخَاصِرًا[٨] ... إِذَا زَعْزَعُوها والدُّرُوعَ غَلَائلا

ثم أعاده[٩] فقال :

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٣٨) . (٢) التبيان (١ : ١٠٧) .

(٣) ديوانه ص ١٠١ ، التبيان (١ : ١٠٧) . (٤) النقع : الغبار .

(٥) التبيان (١ : ١٠٧) . (٦) ديوانه (١ : ١٠٧) .

(٧) ديوانه (٢ : ٢١٢) . (٨) المخاصر : جمع مخصرة، وهو مايتوكأ عليه كالعصا ونحوه . (٩) الضمير يعود على أبى الطيب . ديوانه (٢ : ٨٥) .

مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَالُهَا ... فِي الْبَرْدِ خَزًّا والهواجر لَاذَا[1]

ففصّل ما أجمل البحترى فى قوله : « والدروع غلائلا » ، وقصر فى اللفظ ، وسلم للبحترى بقية بيته، وحسن لفظه .

***

أمية[2] ـ ويروى لغيره :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ أَصَبْتَه[3] ... بِخَيْرٍ وما كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ

وَلَيْسَ بِعَارٍ لِامْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ ... إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

فتبعه فيه الشعراء وأكثروا .

وقال أبو الطيب فسفسف[4] :

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ ... وقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ[5]

***

أبو تمام[6] :

وَقَفْتُ وَأَحْشَائِي مَنَازِلُ لِلْأَسَى ... بِهِ وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهْ

أبو الطيب[7] :

لَكِ يا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ ... أَقْفَرْتِ أَنْتِ وهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

***

(١) اللاذ : ثوب رقيق يعمل من الكتان يلاذ به من الحر .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت . شعراء النصرانية ص ٢٢١ ، التبيان (٤ : ٧٥) .

(٣) فى شعراء النصرانية : «حبوته» . (٤) ديوانه (٤ : ٧٥) .

(٥) الذام : المذمة والعيب . (٦) ديوانه ص ٢٢٩ .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٤٩) .

أبو نواس :

قَالَتْ لقد أبْعَدَ المَسْرَى فقلت لها ... مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لم يستبعد الدَّارَا

نقله أبو تمام فقال[١] :

هيهات لم يعلمْ بأنك لو ثَوَى ... بالصين لَمْ تَبعد عليك الصين

ابن النَّاصر :

مَنْ لم يُزَرْ زِرَ إنَّ الشوق راحِلَةٌ ... تُدْنِي البعيدَ وتَطْوِى السَّبْسَبَ العافى

العباس[٢] :

يُقَرِّب الشَّوْقُ داراً وهِيَ نازحةٌ ... مَنْ عالج الشوق لم يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

وأصله قول الأعرابى :

بَعِيدٌ على كسلَان أو ذِى مَلالةٍ ... فأمّا على ذى حاجـةٍ فقريبُ

أبو الطيب[٣] :

نَضَحْتُ[٤] بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا ... فَسَارَتْ وطولُ الأرض فى عَيْنِهَا شِبْرُ

وله[٥] :

يَرمى بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظَفَّرٌ ... كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانِى

وله[٦] :

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ ... دونَ اللِّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ[٧]

* * *

مسلم[٨] :

---

(١) ديوانه ص ٣٢٨ . (٢) خاص الخاص للثعالبى ص ٩٣ .

(٣) ديوانه (٢ : ١٢٤) . (٤) نضحت الشىء بالماء : رششته عليه .

(٥) ديوانه (٤ : ١٧٧) . (٦) ديوانه (٢ : ٨٨) .

(٧) التنوفة : الفلاة البعيدة . ويشط : يبعد . (٨) االتبيان (٣ : ٢٥٢) .

بارَزْتُه وسِلاَحُه خَلْخَالُهُ حتّى فَضَضْتُ بكَفِّىَ الْخَلْخَالاَ(١)

أبو الطيب(٢):

مِنْ طَاعِنِى ثُغَرَ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ومِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وخَلاَخِلُ(٣)

والغرض غير الأول ؛ لـكنهما جعلا الْخَلْخَال سلاحاً .

*
* *

أبو تمام(٤) :

ويَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ(٥) كأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أُنْسِهَا جُمَعُ

أبو الطيب(٦) :

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كأَنَّكَ فِى فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ

فزاد وأحسن ؛ على أن أبا تمام لم يقصّر .

*
* *

بعض العرب(٧) :

إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايَانَا بِرَيَّاكَ هَادِيَا

نقله أبو العتاهية إلى المدح فقال(٨) :

ولو أَنَّ رَكْبًا يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حتَّى يَسْتَدِلَّ به الرَّكْبُ

وتبعه أبو الطيب فقال(٩) :

---

(١) الخلخال : ما يكون من ذهب أو فضة فى الساق . (٢) ديوانه (٣ : ٢٥٢).

(٣) الثغرة : نقرة النحر بين الترقوتين . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . والدملج : مايكون على العضد . قال أبو الفتح : « نساء مثل الجآذر بحليهن؛ يفعلن ما يفعل الطاعن بالرمح » .

(٤) ديوانه ص ٣٧٢ ، التبيان (٤ : ٨٠) .

(٥) الغطارفة : السادات ، وفى الديوان :

* كأن أيامهم من حسنها جمع *

(٦) ديوانه (٤ : ٨٠) . (٧) التبيان (٢ : ٢٩٧) ، ونسبه إلى سحيم

(٨) التبيان (٢ : ٢٩٧) . (٩) ديوانه (٢ : ٢٩٧) .

أَدِلَّتُهَا رِياحُ المِسْكِ فيه إذا فَتَحَتْ مَنَاخِرَها انْتِشَاقَا

* * *

الخنساء[١] :

ومَا بَلَغ المُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وإِنْ أَطْنَبُوا إلاَّ وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ

أبو نواس[٢] :

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

أشجع :

وَمَا تركَ المُدَّاحُ فيك مقالةً ولا قال إلا دون مافيك قَائِلُ

أبو الطّيب[٣] :

وَيَبْقَى ضِعْفُ ما قَدْ قِيلَ فِيهِ إذَا لَمْ يَتْرُكْ أحَدٌ مَقَالاَ[٤]

* * *

إياس الكلابيّ :

فَإِنْ نَكُ فى عَدِيدُكُمُ قَليلُ فإنا فى عَدُوِّكُمُ كَثِيرُ

أبو الطيب[٥] :

* كَثِيرٍ إذا شَدُّوا قَلِيلٍ إذا عُدُّوا[٦] *

* * *

خالد الكاتب[٧] .

---

(١) التبيان (٢ : ٢٢٧) . (٢) ديوانه ص ٦٦ ، التبيان (٢ : ٢٨٨) .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٢٧) .

(٤) يقول : إذا بالغ الناس فى مدحه ، ولم يتركوا مقالا يصلون إليه ؛ فقد خفى عنهم ضعف مافيه من المحاسن التى لم يهتد إليها الواصفون . (٥) ديوانه ص ٣٧٣ .

(٦) صدره :

* ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا *

(٧) التبيان (٤ : ٨٢) ، ورواه :

* كما اشتكى خصرك من ردفكا *

صَبًّا كَئيباً يَتَشَكَّى الْهَوَى ... كما اشْتَكى نِصْفُكَ مِنْ نِصْفِكا

أبو الطيب[1] :

ظَلُومٌ كَمَتْنَيْهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ... ضَعِيفُ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ

فأما المصراع الثانى فمشهور متداول .

***

عبد الله بن الحسن العَلَوى ، وهو متداول[2] :

يُحْسَبْنَ من لِين الْكلامِ زَوَانِياً ... ويَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا الإسْلامُ

أبو الطيب[3] :

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فيما تَحْتَ حُلَّتِها ... وعَزَّ ذلكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا

***

بشّار[4] :

وقد عركت بتَدْمُرَ[5] خيلُ قيس ... وكان لتدمُرٍ فيها دَمَار

أبو الطيب[6] :

ولَيْسَ بغيرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ ... وتَدْمُرَ كاسْمِها لَهُمُ دَمَارُ

***

أبو العتاهية[7] :

فَمَا آفةُ الآجَالِ غَيْرُكَ فِى الْوَغَى ... وَلا آفَةُ الأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِكا

أبو الطيب[8]:

---

(١) ديوانه (٤ : ٨٢) .
(٢) التبيان (١ : ١١١) .
(٣) ديوانه (١ : ١١١) .
(٤) ديوانه ص ٦٥ .
(٥) تدمر : موضع بالشام .
(٦) ديوانه (٢ : ١٠٦) .
(٧) التبيان (١ : ٣٦١) .
(٨) ديوانه (٣ : ٣٦١) .

وَلَا مَوْتَ إِلاَّ مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى ... وَلَا رِزْقَ إِلاَّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ

أبو العتاهية(١):

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الخُطَا ... تُجَاهِدُ بِالمَشْيِ أَكْفَالَهَا

أبو الطيب(٢):

بَانُوا بِخُرْعُوبَةٍ(٣) لَهَا كَفَلٌ ... يَكَادُ عِنْدَ القِيَامِ يُقْعِدُهَا(٤)

* * *

أبو نواس(٥):

ألا يابْنَ الذين فَنُوا وبادوا ... أما واللّٰه ما بادوا لتبقى

أبو الطيب(٦):

نَحْنُ بَنُو المَوْتَى فَمَا بَالُنَا ... نَعَافُ مالا بدَّ من شُرْبِهِ

وأصله لِمُتَمِّمِ بن نويرة(٧):

فَعَدَدْتُ آبائى إلى عِرْقِ الثَّرَى ... فَدَعَوْتُهُمْ فعلمتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلاَ مَحَالَةَ أَنَّنِي ... لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَيْنِي أَجْزَعُ

* * *

(١) مهذب الأغانى (٥ : ٤٦) ، ورواه :

مشت بين حور قصار الخطا ... تجاذب فى المشى أكفالها

(٢) ديوانه (١ : ٢٩٧) . (٣) الخرعوبة : الغصن الغض .

(٤) قال العكبرى فى التبيان : هو منقول من قول أبى دلامة :

وقد حاولت نحوى القيام لحاجة ... فأثقلها عن ذلك الكفل النهد

وأصله لعمر بن أبى ربيعة المخزومى :

تنوء بأخراها فتأبى قيامها ... وتمشى الهوينى عن قريب فتبهر

(٥) ديوانه ص ١٩٨ . (٦) ديوانه (١ : ٢١١) . (٧) المفضليات (١ : ٥٢) .

بعض العرب :

وإمَّـــا القَرْمُ من الأَفِيلِ   وسُحُقُ النَّخْلِ من الفَسِيلِ[1]

أبو الطيب[2] :

* فَأَوَّلُ قُرَّحِ الخَيْلِ المِهَارُ[3] *

***

أبو نُوَاس[4] :

تَبْـكِي فَتَذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ   وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَّابِ

ابن الرُّومي[5] :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدًى   يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَــلَى وَرْدِ

أبو الطيب[6] :

* وتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بالْعَنَمِ[7] *

***

أبو نواس[8] :

فهْىَ إذا سُمِّيَتْ فقد وُصِفَتْ[9]   فَيَجْمَعُ الإسْمُ مَعْنَيَيْنِ مَعَا

---

(١) القرم : الفحل من الإبل الذى يترك من الركوب والعمل. والأفيل : الفصيل . وسحق جمع سحوق ؛ وهى النخلة الطويلة . والفسيل : جمع فسيلة ؛ وهى الصغيرة من النخل .

(٢) ديوانه (٢ : ١١٢) . (٣) صدره :

* لعل بنيهم لبنيك جند *

والقرح : التى قد استوت وصار لها خمس سنين ، والمهار جمع مهر . وهو الصغير من الخيل .

(٤) ديوانه ص ٣٦١ . (٥) ديوانه ص ٤٣١ . (٦) ديوانه (٤ : ٣٧) .

(٧) صدره :

* ترنو إلى بعين الظبي مجهشة *

مجهشة : قد تحير وجهها للبكاء ولم تبك . وترنو : تنظر . والعنم : نبت فى الرمل أحمر .

(٨) ديوانه ص ٣٨٣ .

(٩) فى التبيان (١ – ٨٦) : أُعميت . والمثبت فى الديوان أيضا .

فقلبه أبو الطيب فقال[١] :

* ومَنْ يَصِفْكَ فَقَد سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ[٢] *

* * *

منصور النَّمَرى[٣] :

مِنْ كلِّ سَمْحِ الخُطَى وكلِّ يَعْمَلةٍ خُرْطُومُها باللُّغَامِ الجَعْدِ مُلْتَفِعُ[٤]

أبو الطيب[٥] :

وَهَلْ أَرْمِى هَوَاىَ بِرَاقِصَاتٍ[٦] مُحَلَّاةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ

* * *

الخُرَيْمىّ[٧] :

شَفَعَتْ مَكارِمُه لَهُم فَكَفَتْهُمُ جُهْدَ السُّؤَالِ ولُطْفَ قَوْلِ المَادحِ

أبو تمام[٨] :

طَوَى شِيماً كانَتْ تَرُوحُ وتَغْتَدِى وسَائِلَ مَنْ أَعيَتْ عليهِ وَسَائِلُهْ

أبو الطيب[٩] :

إذَا عَرَضَتْ حاجٌ إليه فَنَفْسُه إلى نَفْسِهِ فيها شَفِيعٌ مُشَفَّعُ

* * *

(١) ديوانه (١ : ٨٦) . (٢) صدره :

* أجل قدرك أن تسمى مؤبنة *

(٣) التبيان (٤ : ١٤٧) ، ورواه :

ويقطع اليد منها كل يعملة خرطومها باللغام الجعد ملتفع

(٤) اليعملة : الناقة السريعة . واللغام : الزبد يخرج من فم البعير .

(٥) ديوانه (٤ : ١٤٧) . (٦) الراقصات : الإبل تسير الرقص؛ وهو نوع من السير.

(٧) التبيان (٢ : ٢٤٣) . (٨) ديوانه ص ٣٧٨ ، التبيان (٢ : ٢٤٣) .

(٩) ديوانه (٢ : ٢٤٣) .

الخُرَيْمِيّ[١] :

صَبَرْتُ فَكانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ وهَلْ جَزَعٌ أَجْدَى عَلَّيَّ فأَجْزَعُ !

أبو الطيب[٢] :

وَهَانَ فمَا أُبَالِي بالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي

* * *

العباس[٣] :

لا تَحْسَبَنِّي عَنْكُمُ مُقْصِرًا إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعُ

أبو الطيب[٤] :

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

* * *

أحمد بن طاهر :

وأبوهم أبو الصنائع عِنْدِى حين أعتدّ بالصنائع عندى

أبو الطيب[٥] :

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُها

فأخذ الولادة وزاد فيه « ربيتها » وهو حسن .

* * *

أبو تمام[٦] :

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونَ وأَهْلُهَا فكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

وهو كثير مشهور :

أبو الطيب[٦] :

---

(١) التبيان (٣ : ١٠) . (٢) ديوانه (٣ : ١٠) .
(٣) التبيان (٣ : ٢٢) . (٤) ديوانه (٣ : ٢٢) .
(٥) ديوانه (١ : ٣١١) . (٦) ديوانه (٣ : ٩) .

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

أبو طاهر [(١)]:

خَلَائِقُكُم لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِب ... تَنَاهى إليها كلُّ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ

نقله أبو الطيب فقال [(٢)]:

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ ... إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وتُنْسَبُ

* * *

أبو هفّان [(٣)]:

وَزَادَهَا عَجَباً أَنْ رُحْتُ فى سَمَلٍ ... وما دَرَتْ دُرُّ أَنَّ الدُّرَّ فِي الصَّدَفِ

نقله أبو الطيب فقال [(٤)]:

لَوْ كَانَ سُكْنَاىَ فِيكَ مَنْقَصَةً ... لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ

* * *

أبو العتاهية :

هب لى أمينَ الله من بَعْضِ ما ... مَلَّكَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ نَفْسِي

أبو الطيب [(٥)]

فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَاحْبُنِي مِنْ بَعْدِهَا ... لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا [(٦)]

ونحوه [(٧)] :

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ ... أَعُدُّ مِنْهَا وَلَا أُعَدِّدُهَا

* * *

---

(١) التبيان (١ : ١٨٦) . (٢) ديوانه (١ : ١٨٦) .

(٣) التبيان (٢ : ٢٨١) . (٤) ديوانه (٢ : ٢٨١) .

(٥) ديوانه (٤ : ٢٠٤) .

(٦) يقول : فاغفر لى ذنبى الذى جنيته ، فدى لك نفسى وأهلى ومالى ، واعطنى بعد عفوك عنى عطية تكون نفسى منها ؛ لأنك إذا عفوت عنى وأعطيتنى كنت قد خصصتنى بعطية هى نفسى ، لأنها قد سلمت بسلامتها منك ، فهى الآن من عطيتك . (٧) ديوانه (١ : ٣٠٤) .

البحترى وهو كثير مشهور[١] :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الهُمُومَ وَتَبْعَثُ الشَّوْ ... قَ الَّذِى قَدْ ضَـلَّ فى الأَحْشَاءِ

أبو الطيب[٢]:

رَأَيْتُ المُدَامَـــةَ غَلاَّبَةً ... تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْـوَاقَهُ

* * *

البحترى[٣] :

كُلُّ الَّذِى تَبْغِى الرِّجَال تُصِيبُهُ ... حَتَّى تُبَغِّى أَنْ تَرَى شَرْوَاهُ[٤]

وله مثله[٥] :

وَلَئِنْ طَلَبْتُ شَبِيهَهُ إِنِّى إِذًا ... لَمُكَلِّفٌ طَلَبَ المُحَالِ رِكَابِى

نقله أبو الطيب فقال[٦] :

وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ ... وإِنْ عَزَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

فزاد ؛ لأنه بيَّنَ وَجْهين من المدح : أحدُها وصفُهُ بالاقتدار والتمكُّن من المراد، والثانى انْفرادُه بالفضل عن الأمثال ، وقد قال مقتصراً على المعنى الأول[٧] :

أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فى عَصْرِهِ ... لا تَبْلُنَا بِطِلَابِ مَالاَ يُلْحَقُ

* * *

البحترى[٨] :

يَتَعَثَّرْنَ فى النُّحُورِ وَفِى الأَوْ ... جُهِ شُكْراً لَمَّا شَرِبْنَ الدِّمَاءَ

أبو الطيب[٩]:

---

(١) ديوانه (١ : ٤) . (٢) ديوانه (٢ : ٣٥٠) .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٢٣) . (٤) الشروى : المثل .

(٥) ديوانه (١ : ١٧) . (٦) ديوانه (٣ : ١٨٩) .

(٧) ديوانه (١ : ٣٣٨) . (٨) ديوانه (١ : ٣) . (٩) ديوانه (١ : ٣٠١)

تَمِيل كأَنَّ فى الأَبْطَالِ خَمْرًا ... عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحًا واغْتِبَاقًا

ثم نقله إلى الخيل فقال[١] :

ما زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِى فى دِمَائِهِمُ ... حَتى مَشَى بِكَ مَشْىَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ[٢]

***

ابن المعتز ، وهو معنى مشهور ، وهذا من مليح ماقيل فيه[٣] :

إنَّا على البِعَاد والتَّفَرُّقِ ... لَنَلْتَقِى بالذِّكْرِ إنْ لَمْ نَلْتَقِ

أبو الطيب[٤] :

لنا ولأَهْلِهِ أبداً قُلُوبٌ ... تَلَاقَى فى جُسُومٍ ما تَلَاقَى

وله نحوه[٥] :

قَرُبَ المَزَارُ ولَا مَزَارَ وإنَّمَا ... يَغْدُو الجَنَانُ فَنَلْتَقِى ويَرُوحُ

البحترى[٦] :

وأَصْفَحُ لِلْبِلَى عَنْ ضَوْءِ وَجْهٍ ... غَنِيتُ يَرُوعُنِى فيهِ الشُّحُوبُ

أبوالطيب[٧]:

* وَبَالٍ كانَ يُفْكِرُ فِى الْهُزَالِ[٨] *

***

أبو تمام[٩] :

هُمْ رَهْطُ مَنْ أَمْسَى بعيداً رَهْطُهُ ... وبَنُو أَبِى رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِى أَبِ

---

(١) ديوانه (٣ : ٤١) .

(٢) الطرف : الفرس الكريم ، والثمل : السكران .

(٣) التبيان (٢ : ٢٩٤) .

(٤) ديوانه (٢ : ٢٩٤) .

(٥) ديوانه (١ : ٢٤٥) .

(٦) ديوانه (١ : ٢٥) ، التبيان (٣ : ١٩) .

(٧) ديوانه (٣ : ١٩) .

(٨) صدره :

* ومغض كان لا يغضى لخطب *

(٩) ديوانه ص ١٤ .

أبو الطيب[١] :

إِذَا تَرَكَ الإنْسانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ ... وَيَمَّمَ كافُوراً فَمَا يَتَغرَّبُ

وأصله قول الأول :

وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فى المَحْلِ أَنَّهُمُ ... لا يعلم الجارُ فيهم أنَّه جارُ

مثله :

ومَا زَالَ بى إكْرَامُهم وافْتِقَادُهُمُ ... وإلطافهمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِى

* * *

أبو تمام[٢] :

فلقبلُ أَظْهَرَ صَقْلُ سَيْفٍ أثْرَه[٣] ... فَبَدَا وهَذَّبَتِ النُّفُوسَ هُمُومُهَا

أبو الطيب[٤] :

ويَبْقَى عَلَى مَرِّ الحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كمَا يَبْدُو الفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ

* * *

أبو تمَّام[٥] :

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثرَى وعَهِدْتُها ... لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الجَوَانِحِ والقَلْبِ

أبو الطيب[٦] :

* فإنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي الحَشَا[٧] *

* * *

أبو تمام[٨] :

---

(١) ديوانه (١ : ١٨١) . (٢) ديوانه ص ٣١٠ .

(٣) أثر السيف : فرنده . (٤) ديوانه (٣ : ٤٧) .

(٥) ديوانه ص ٣٥٦ . (٦) ديوانه (٣ : ٤٤) . (٧) بقية البيت :

* وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل *

(٨) ديوانه ص ٣٠٣ .

قَد قَلَّصتْ شفَتَاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ   فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِماَ

أبو الطيب[١] :

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً   فلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

***

البَعيث[٢]:

وإنَّا لَنُعْطِي المَشْرَفيَّةَ[٣] حَقَّهَا   فَتَقْطَعُ فى أيْمانِنا وتَقَطَّعُ

أبو تمام[٤] :

وما كُنْتَ إلاَّ السَّيْفَ لَاقى ضَرِيبةً   فقطَّعها ثم انْثَنى فَتَقَطَّعا

المتنبى[٥] :

وهَوْلٍ كَشَفْتَ ونَصْلٍ قَصَفْتَ   ورُمْحٍ تَرَكْتَ مُباداً مُبيداً[٦]

ثم أعاده فقال[٧] :

فَتُسْفِرُ[٨] عنهُ والسُّيُوفُ كأَنَّما   مَضَارِبُها مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ[٩]

ثم أعاد وزاد ؛ إذ جعل الحديد مقتولا فقال[١٠] :

قَتَلْتَ نُفُوسَ العِدَا بالحديـــدِ   حتى قَتَلْتَ بِهِنَّ الحَدِيدَا

وكأنه ألمَّ فى استعارة القتل للحديد بقول أبى تمام[١١] :

وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ   منَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليهِ القَنَا[١٢] السُّمْرُ

---

(١) ديوانه (١ : ٣٦٨) . (٢) التبيان (١ : ٣٦٨) .

(٣) المشرفية : السيوف ؛ منسوبة إلى مشارف الشام. (٤) ديوانه ص ٣٧٥ .

(٥) ديوانه (١ : ٣٦٨) . (٦) مبادا ومبيدا ؛ حالان من الرمح ؛ أى تركته مهلكا فى حال إبادتك إياه ، وطعنك العدو به . (٧) ديوانه (١ : ١٠٧) .

(٨) فى الأصلين « فتصدر » ؛ والتصحيح ما أثبتناه عن الديوان .

(٩) المضارب : جمع مضرب ؛ وهو حد السيف، والضرائب جمع ضريبة ؛ وهى الشىء المضروب بالسيف . (١٠) ديوانه (١ : ٣٧٠) . (١١) ديوانه ٣٦٩ .

(١٢) القنا : الرماح .

ثم كرره وزاد إذْ جعله مقتولا فى جسم القتيل ، وجعل للسيوف آجالا فقال(١) :

الْقَاتِلُ السَّيْفَ فى جِسْمِ القَتِيلِ به وِلِلسُّيُوفِ كما لِلنَّاسِ آجالُ

ثم أعاد وزاد تشبيها فقال(٢) :

ومُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيه تَوَارِىَ الضَّبِّ خافَ مِن احْتِرَاشِ(٣)

وَكأَنَّهُ اقْتَدَى فى تَرْكِ السَّيْف فى جِسْم القتيل بقول الحُصَين بن الحُمام(٤) :

نُطَارِدُهم نَسْتَنْفِذُ الجُرْدَ كالقَنَا ويَسْتَنْفِذُون السَّمْهَرِىَّ المُقَوَّمَا(٥)

قيل فى تفسير قوله :

* ويستنفِذُون السَّمهرىَّ المقوما *

إنا نطعنهم فتبقى الرِّماحُ أوْ عَواليها فيهم إذا أعْجَلُونا بِرَكْضِ الخيل عن انتزاعِها ؛ وقيل غير ذلك . وقد قالت امرأة من بنى عامر :

تعرفكم جزر الجزور رماحُنا ويُمْسِكْنَ بالأكْبَادِمُنكسرات

وقد قيل فى تفسيره : إن الرماح تنكسر فتعلق بالأكباد عواليها .

***

وقد قال أبو الطيب(٦) :

نُصَرِّفُه للطَّعْنِ فَوْقَ حَوَاذِرٍ قَدِ انْقَصَفَتْ فيهنَّ منهُ كِعَابُ(٧)

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٨٠) . (٢) ديوانه (٢ : ٢٠٩) .

(٣) المنعفر : الذى يتلطخ بالعفر، وهو التراب . والاحتراش : صيد الضب . يقول : إن السيف قد غاب وتوارى فى هذا المنعفر مثل توارى الضب فى جحره ؛ خوفاً من الصائد . شرح العكبرى .

(٤) المفضليات (١ : ٦٣) . (٥) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . والسمهرى : الرمح. قال ابن الأنبارى : « يقول : نغنم منهم خيلهم ونترك فى أجسادهم رماحنا إذا طعناهم ، فهم يحاولون إخراجها » . (٦) ديوانه (١ : ١٩٣). (٧) نصرفه ؛ الضمير يعود على القنا فى البيت قبله :

تركنا لأطراف القنا كل شهوة فليس لنا إلا بهن لعاب

والحوادر : الخيل التى تحذر الطعن . والكعاب : النواشز فى أطراف الأنابيب .

وقال[١] ، وقد زاد كأنه اخترع المعنى وإن كان يلاحظ بيت أبي تمام :

ونالتْ ثارَها الأكبادُ منه   فأوْلَتْه اندقاقاً أو صُدوعا[٢]

* * *

سعيد بن حُميد :

جلَّت يدُ الدَّهْرِ عندى فى اجتماعهما   وإن أساء بنا فى كلِّ ماصنعا

أبو الطيب[٣] :

يدٌ للزَّمَانِ الجَمْعُ بَيْنى وبَيْنَه   لِتَفْرِيقهِ بَيْنِى وبَيْنَ النَّوَائِبِ

وقد نقله إلى معنى آخر فقال[٤] :

ولَوْلاَ أيادى الدَّهْر فى الجَمْعِ بَيننَا   غَفَلْنَا فلم نَشْعُرْ لَهُ بذُنُوبِ

وكأنه ألَمَّ فى هذا المعنى بقول البحترى[٥] ـ وإن كان فى الغرضين بعض الاختلاف :

تَنْسَى أيادِى الزَّمَانِ فِينَا فمَا   نَذْكُرُ شيئاً مِنْهُ سِوى نُوَبِهْ

* * *

الكُمَيْت :

وكائِن فى المَعَاشر مِنْ أُنَاسٍ   أَخُوهُمْ فَوْقَهُمْ وهُمُ كِرَامُ

أبو الطيب[٦] :

كلُّ آخَائِهِ كِرَامُ بَنِى الدُّنْـ   ـيَا ولٰكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ[٧]

* * *

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٥٥) .   (٢) يقول : لشدة الطعن اندقت الرماح فى الأكباد ؛ فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .   (٣) ديوانه (١ : ١٥٧) .   (٤) ديوانه (١ : ٥٢) .

(٥) ديوانه (١ : ٤١) ، وروايته :

تنسى أيادى الزمان فينا فما   نذكر من دهرنا سوى نوبه

(٦) ديوانه (٣ : ٣٧٨) .   (٧) الآخاء : جمع أخ . يقول : كل كرام بنى الدنيا اخوته ؛ لأنهم يوافقونه فى رأيه ؛ لكنه المقدم فيهم ؛ لأنه أكرمهم .

أبو تمام[١] :

مَضَى طاهرَ الأخلاق لم يبق بقعة ... من الأرض إلا واشْتَهَتْ أنَّها قَبْرُ

أبو الطيب[٢] :

وتَغْبِط الأرْضُ مِنْهَا حيثُ حَلَّ بِهِ ... وتَحْسُدُ الخَيْلُ مِنها أيَّها رَكِبا[٣]

* * *

غيره[٤] :

إنْ أَجْرَمَتْ لَمْ تَنَصَّلْ[٥] مِنْ جَرَائِمِهَا ... وإنْ أساءتْ إلَى الأقْوَامِ لَمْ تُلَمِ

أبو الطيب[٦] :

وَجَدْنَا ابْنَ إسْحَاقَ الحُسَيْنَ كَجَدِّهِ ... على كَثْرَةِ القَتْلَى بَرِيًّا مِنَ الإثْمِ

* * *

أبو تمام[٧] :

مُسْتَبْسِلُونَ كأنما مُهَجَاتُهُمْ ... ليست لهم إلا غـــداةَ تَسِيل

أَلِفُوا المَنَايَا فالقَتِيلُ لدَيْهِمُ ... مَنْ لَمْ يُخَلِّ العيشَ[٨] وهْوَ قَتِيلُ

ونحو هذا اللفظ قول أبي الطيب[٩] :

* وكَقَتْلِهِ ألاَّ يَمُوتَ قَتِيلَا *

* * *

---

(١) ديوانه ص ٣٧٠ ، وروايته هناك وفي التبيان :

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

(٢) ديوانه (١ : ١١٥) . (٣) يريد : أن الأرض يغبط بعضها بعضاً لحلوله فيها، وكذلك الخيل يحسد بعضها بعضاً لركوبه . (٤) هو أبو تمام ديوانه ص ٢٧٠ .

(٥) تنصل : تتبرأ . (٦) ديوانه (٤ : ٥٤) . (٧) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٨) في ديوانه : الحرب . (٩) ديوانه (٣ : ٢٤٣) ، وصدره :

* وأمر مما فر منه فراره *

ومثله[١] :

* لا يَيْأَسُون من الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا *

أبو الطيب[٢] :

ضَرَبْتَهُ[٣] بصُدُورِ الخَيْلِ حَامِلَةً ... قَوْماً إذَا تَلِفُوا قُدْماً فقَدْ سَلِمُوا[٤]

* * *

وله[٥] :

وفَوَارسٍ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَها ... فكأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَان

وأنا أرى أن هذا المعنى منقول من قول زُهَير[٦] :

تَرَاهُ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِى أَنْتَ سَائِلُهْ

لأن زُهيراً جعله يُسَر بالبذل حتى كأنه أخذ ، وجعله هذا يسرع إلى القتل حتى كأنه حياة ، فالمعنيان واحد فى التحصيل ، وقد قال أبو الطيب[٧] فى معنى قول زهير :

من القاسمينَ الشُّكْرَ بينى وبينهمْ ... لأنهم يُسْدَى إليهِمْ بأَنْ يُسْدُوا

* * *

أبو تمام[٨] :

وَيَهْتَزُّ مثلَ السيفِ لَوْ لَمْ تَسُلَّهُ ... يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاه مِنَ الْغِمْدِ

---

(١) هو أبو تمام ؛ ديوانه ص ٢٢٩ ، وصدره :

* يستعذبون مناياهم كأنهم *

(٢) ديوانه (٤ : ٢١) . (٣) الضمير يعود على نهر أرسناس فى البيت قبله :

وجاوزوا أرسناسا معصمين به ... وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم

(٤) يقول : ضربت هـذا النهر بصدر خيل حاملة فرسانا ، يرون سلامتهم فى تلفهم حينما يقدمون على العدو . (٥) ديوانه (٤ : ١٨١) . (٦) ديوانه ص ٤١ .

(٧) ديوانه (٢ : ٧) . (٨) ديوانه ص ١١٦ ، وروايته هناك :

* ونبهن مثل السيف لو لم تسله *

والظبي : حد السيف . والغمد : القراب .

أبو الطيب[١]:

وتَكادُ الظُّبَى لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَها إلى الأعْنَاقِ

***

زيد الخيل[٢]:

وأسْمَرَ مرفُوعٍ يرَى مَا أَرَيْتَهُ بَصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ[٣]

أبو تمام[٤]:

من كل أزْرَق نَظَّارٍ بِلاَ نظَرٍ إلَى الْمَقَاتِلِ مَافي مَتْنِه أَوَدُ[٥]

أبو الطيب[٦]:

يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي[٧]

وقد زعموا أن قوله[٨]:

وقد صُغْتَ الأَسِنَّةَ من هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرْنَ إلاَّ فى فُؤَادِ

مأخوذ من هذا ، ومن قول أبى تمام :

* يَظَلُّ فؤاداً لِلْفؤاد سنانُه *

ولا أبعد أن يكون قد لاحظه ؛ لكنَّه قد أبرَّ به على كل مخترع وسابق ومنفرد . والأقربُ عندى أن يكون مأخوذاً من قول أبى تمام[٩]:

كأنَّهُ كانَ تِرْبَ[١٠] الحبِّ مُذْ زمنٍ فليس يَحْجُبُه قَلْبٌ ولا كَبِدُ

***

أبو تمام[١١]:

تَجَاوز غاياتِ العُقُولِ رَغَائِبٌ تَكادُ بها لولا العِيَانُ يُكَذَّبُ

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٦٧) . (٢) التبيان (٤ : ١٩١) .
(٣) يريد : إذا هيأته نحو العدو . (٤) ديوانه ٧٥ ، التبيان (٤ ـ ١٩١) .
(٥) الأزرق: سنان الرمح . والأود : الاعوجاج. (٦) ديوانه (٤ : ١٩١) .
(٧) الضمير فى حده للسيف ، والهبوة : الغبرة . (٨) ديوانه ١ ـ ٣٦٠ .
(٩) التبيان : ١ ـ ٣٦٠ . (١٠) ترب الحب : ولد معه .
(١١) (التبيان ١ : ١٢٦) .

البحترى :

وحَدِيث مَجْدٍ عنكَ أَفْرَطَ حُسْنُه ... حَتَّى ظَنَنَّا أنه مَوْضُوعُ

وأصله قول بعض العرب :

أحدّث من لاقيتُ يوماً بلاءه ... وهم يحسبون أننى غيرُ صادق

أبو الطيب[١] :

كَرَمًا فلو حَدَّثْتَه عَنْ نَفْسِه ... بعظيم ما صَنَعتْ لظنَّكَ كاذِبَا

فأساء ؛ لأنه جعله يستعظم فعله ، وإنما الجيّد قوله[٢] :

يَسْتَصْغِرُ الخَطَرَ العظيمَ لِوَفْدِه ... ويظُنُّ دِجْلَةَ ليس تَكْفِى شَارِبَا

* * *

أبو نواس فى الكئوس[٣] :

طالعات مع السُّقَاةِ علينا ... فإذا ما غرَّبْنَ يَغرُبْنَ فِينَا

أبو الطيب فى السيوف[٤] :

طَلَعْنَ شُمُوسًا والغمودُ مَشَارِقٌ ... لهُنَّ وهَامَاتُ الرِّجالِ مَغَارِبُ

فأما جعل السيوف شموساً فكثير .

* * *

النابغة[٥] :

لِمَا أغْفَلْتُ شكْرَكَ فانتَصِحْنى ... فكَيْفَ وَمِنْ عطَائِكَ جُلُّ مَالِى

ثم فسر فقال[٦] :

وإنَّ تِلَادِى إنْ نَظَرْتُ وشِكَّتى ... ومُهْرِى وما ضَمَّتْ إلىَّ الأنامِلُ[٧]

---

(١) ديوانه (١ : ١٢٦) . (٢) ديوانه (١ : ١٢٥) .

(٣) ديوانه ص ٣٣٩ . (٤) ديوانه (١ : ١٠٧) .

(٥) ديوانه ص ٦٥ . (٦) ديوانه ص ٦٥ .

(٧) التلاد : المال القليل . والشكة : السلاح . وأراد بالمهر الفرس .

حِبَاؤُكَ والعِيسُ العِتَاقُ كأنَّها ... هِجَانُ المَهَى تُحْدَى عَليها الرَّحَائِلُ(١)

* * *

أبو نواس :

* وكلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ *

وفسر أبو الطيب وشَرَح ومَلُح(٢) :

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِى ثِيَابِهِ ... على طِرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ(٣)

ومَا مَطَرَتْنِيه من الْبِيضِ والْقَنَا ... ورُومِ العِبِدَّى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ(٤)

* * *

حاتم(٥) :

ومن يَبْتَدِعْ ما ليسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِه ... يَدَعْه ويَغْلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمُها

وقال الأعور الشَّنِّى(٦) :

ومن يقترفْ خُلْقاً سِوَى خُلْقِ نَفْسِه ... يَدَعْهُ وتَغْلِبْه عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

إبراهيم بن المهدى(٧) :

من تحلَّى شِيمةً لَيْسَتْ لَهُ ... فارقَتْه وأَقامَتْ شِيمتُه

أبو الطيب(٨) :

وأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعلْتَ تغيُّرًا ... تَكَلُّفُ شىء فى طباعكَ ضِدُّهُ

---

(١) حباؤك : هبتك . والعيس : الإبل البيض . وهجان المهى : بيضها . وتحدى : تساق .

(٢) ديوانه (٤ : ٣) . (٣) الإقطاع : ما أقطعه من البلاد . والطرف : الفرس . والحسام : السيف القاطع . (٤) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والروم : جمع رومى . والعبدى : العبيد . والغمام : السحاب . والهاطل : المنسكب . (٥) التبيان (٢ : ٢٠) .

(٦) التبيان (٢ : ١٩) . (٧) التبيان (٢ : ٢٠) .

(٨) ديوانه (٢ : ١٩) .

وهذا المعنى متداول ، وقد أكثرَ الناسُ فيـه ، وأشبهه بقول أبى الطيب قولُ الأعور الشّنّىّ [١] :

وأدْوَم أَخْلَاقِ الْفَتَى ما نَشَا بِهِ ... وأقصرُ أفْعَالِ الرجالِ البَدَائِعُ

المصراع الثانى هو بيت أبى الطيب بكماله .

* * *

طُفَيْل [٢] :

وما أَنَا بِالْمُسْتَنْكِرِ الْبَيْنَ إِنَّنِى ... بِذِى لَطَفِ الْجِيرَانِ قِدْمًا مُفَجَّعُ

أبو الطّيب [٣] :

ومَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِى فِرَاقًا رَأَيْتُهُ ... وَلَا عَلَّمَتْنِى غَيْرَ ما الْقَلْبُ عَالِمُهْ

المصراع الثانى من قول عدىّ بن الرّقاع [٤] :

وعَرَفْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا ... عَنْ حَرْفِ وَاحِدَةٍ لِكَىْ أَزْدَادَهَا

ومن قوله الأعْوَر :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَا أَحْتَاجُ فِيمَا ... بَلَوْتُ مِنَ الأُمُورِ إِلَى السُّؤَال

وقد كرره أبو الطيب فقال [٥] :

عَرَفْتُ اللَّيَالِى قَبْلَ مَاصَنَعَتْ بِنَا ... فَلَمَّا دَهَتْنِى لَمْ تَزِدْنِى بِهَا عِلْمَا

* * *

أبو الطيب [٦] :

فَلَا يَتَّهِمْنِى الْكَاشِحُونَ فإنَّنِى ... رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِى عَلَاقِمُهْ

---

(١) التبيان (٢ : ٢٠) . (٢) التبيان (٣ : ٢٣٢) .

(٣) ديوانه (٣ : ٣٣٢) . (٤) مهذب الأغانى (٣ : ١٠٣) ، وروايته هناك :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا ... عن علم واحدة لكى أزدادها

(٥) ديوانه (٤ : ١٠٤) . (٦) ديوانه (٣ : ٣٣٢) .

وهو من قول الآخر(١) :

وفارَقْتُ حتَّى مَا أُحِنُّ إِلَى هَوًى وإِنْ بَانَ جِيرَانٌ علىَّ كِرَامُ

وقَدْ جَعَلَتْ نفسى على النَّأْى تَنْطَوى وعَيْنِى على فَقْدِ الْحَبيبِ تَنَامُ

وهو معنى قوله « حتى حلت لى علاقه » .

ومثله قول المؤرِّج بن عَمْرو(٢) :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى ما أُرَاعُ لَهُ وبالتَّفَرُّقِ مِنْ أَهْلى وجِيرَانِى

أو قول الْخُرَيْمِىّ(٣) :

لَقَدْ وَقَرَتْنى الْحَادِثَاتُ فَمَا أُرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَيْبِها أَتَوَجَّعُ

وقد بسطه أبو الطيب وشرحه وزاد فيه تمثيلا حسنا فقال(٤) :

رَمَانِى الدَّهْرُ بالأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِى فِى غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنى سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ على النِّصَالِ

وقد تقدم مايقارب هذا المعنى، وإن كنا أعدناه لتميز أحدهما عن الآخر .

* * *

الطِّرِمَّاح(٥) :

يفرِّق منَّا مَنْ نُحِبّ اجْتِمَاعَه ويجمع منَّا بينَ أَهْلِ الضَّغَائِنِ

آخر(٦) :

عجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى من أُحِبُّه وإِدْنَاء من لا يُستلذُّ لَهُ قُرْبُ

---

(١) التبيان (٣ : ١٠) ، وروايتهما هناك :

وقد جعلت نفسى على البين تنطوى وعينى على فقد الحبيب تنام

وفارقت حتىّ ما أبالى من النوى وإن بان جيران على كرام

(٢) ذيل الأمالى ص ١١٣ ، التبيان (٣ : ٣٣٣) . (٣) التبيان (٣ : ٣٣٣) .

(٤) ديوانه (٣ : ٨) . (٥) التبيان (١ : ١٧٧) .

(٦) التبيان (١ : ١٧٧) .

وهو كثير ، وأصله لمضرِّس بن ربعى من قوله[1] :

لَعمْرُكَ إِنِّى بالخَليلِ الذى له … علىَّ دَلالٌ وَاجبٌ لمفجَّعُ
وإنِّىَ بالمولَى الذى ليسَ نافِعِى … ولا ضائِرِى ما ساءه لمتَّعُ

فنقله أبو الطيب فأحسن وأطاب[2] :

أَمَا تَغْلَطُ الأيّامُ فىَّ بأَنْ أرَى … بَغيضاً تُنَائِى أَو حَبيباً تُقَرِّبُ

* * *

يزيد المهلّبى ، وهو معنى مشهور[3] :

إنْ يُعْجزالدَّهْرُ كَفِّىعَنْجزَائِكُمُ … فإنَّنى بالْهَوَى والشُّكْرِ مُجتَهِدُ

أبو الطيب[4] :

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهاَ وَلَا مَالُ … فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لَمْ تُسْعِدِالْحَالُ

وأصله قول الأول :

يَجْزِيك أو يُثْنى عليك وإنَّ مَنْ … أثْنَى عليك بما فعَلْتَ كمَنْ جزَى

* * *

أبو العَمَيْثَل الأعرابى :

اصْدُقْ وعِفَّ وبر واصْبِر واحْتَمِلْ … واصْفَحْ ودَارِ وكافِ[5] وابْذُلواشْجُعِ

أبو الطيب[6] :

أَقِلْ أَنِلْ أَنْ صن احمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ … زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

فزاد ، وأصل هذه الطريقة قول امرئ القيس[7] :

---

(١) التبيان (١ : ١٧٧) . (٢) التبيان (١ : ١٧٧) .
(٣) التبيان (٣ : ١٧٧) . (٤) ديوانه (٣ : ٢٧٦) .
(٥) كاف : من المكافأة . (٦) ديوانه (٣ : ٨٩) .
(٧) شعراء النصرانية ص ٦٢ ، العمدة (٢ : ٢٥) .

أَفَادَ وجَادَ وسَادَ وزَادَ   وَقَادَ وَعَادَ وأَفْضَـل

* * *

الحُصين بن الحمام[١] :

تأخرتُ أسْتَبْقِى الحياةَ فلم أجِدْ   لنفسى حياةً مثلَ أنْ أتقَدَّمَا

أبو الطيب[٢] :

يَحبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى   وحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا

* * *

سعيد بن حُميد :

يا ليـلُ لو تَلقَى الذى   ألقَى به أو تجِـدُ

قَصَّرَ من طولِك أو   أضعفَ مِنْك الجَلدُ

نقله أبو الطيب فقال[٣] :

كأنَّ الليل[٤] قَاسَى ما أُقَاسِى   فصارَ سَوَادُه فيهِ شُحُوبَا

على بن محمد البسَّامى :

مَنْ كان فى الدنيا له شارةٌ   فنحن من نَظَّارة الدنيا

نَرْمُقها من كَثَبٍ حَسْرَةً   كَأَنَّنَا لفظ بلا معنى

أبو الطيب[٥]:

* والدَّهْرُ لَفظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ[٦] *

* * *

(١) ديوان الحماسة (١ : ١٩٢) ، عيون الأخبار (١ : ١٢٥) .

(٢) ديوانه (١ : ٦٥) .   (٣) ديوانه (١ : ١٣٩) .

(٤) فى الديوان : كأن الجو .   (٥) ديوانه (٤ : ٢٦٣) .

(٦) صدره :

* الناس ما لم يروك أشباه *

بعضهم[١] :

وأُسَرُّ فِي الدُّنْيَا بكلِّ زِيادةٍ ... وزِيادَتى فيها هُوَ النَّقْصُ

أبو الطيب[٢] :

زِيادَةُ شَيْب وهىَ نَقْصُ زِيادَتى ... وقُوَّةُ عِشْقٍ وهِىَ مِنْ قُوَّتى ضَعْفُ[٣]

ومثله له[٤] .

مَتَى ما ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التناهِى ... فَقَدْ وقع انْتِقَاصِى فى ازْدِياد

* * *

على بن الجَهْم فى صفة الشعر ، وهو معنى مشهور[٥] :

فسار مَسِيرَ الشَّمْسِ فى كل بلدةٍ ... وهبَّ هبوبَ الرِّيح فى البَرِّ والبَحْرِ

أبو الطَّيب[٦] :

قَوَافٍ إذا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِى ... وثَبْنَ الجِبَال وخُضْنَ البِحَارَا

وله مثله[٧] :

إِذا قُلْتُه لم يَمْتَنِـعْ من وُصُولِه ... جِدَارٌ مُعَلًّى أَو خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

وأصله قول عنترة بن الأخْرَس[٨]

أَلَمْ تر أنَّ شِعْرِى سَارَ عَنِّى ... وشِعْرَكَ حَوْلَ بيتك مايسير

* * *

(١) التبيان (٢ : ٢٨٣) . (٢) ديوانه (٢ : ٢٨٣) .

(٣) زيادة خبر مبتدأ محذوف تقديره : حال . وقوة : عطف عليها ؛ يقول: حالى زيادةشيب وهى فى الحقيقة نقص زيادتى ، وكلما قوى العشق ضعف البدن ، وضعفت قوته . (شرح العكبرى).

(٤) ديوانه (١ : ٣٥٦) . (٥) التبيان (٢ : ٩٥) .

(٦) ديونه (٢ : ٩٥) . (٧) ديوانه (١ : ١٨٧) .

(٨) التبيان (٢ : ٩٦) .

ابن الرومى[١] :

وما ازْدادَ فَضْلٌ فيكَ بالمَدْحِ شُهْرَةً ... بَلَى؛ كانَ مثلَ المِسْكِ صادفَ مِخْوَضا[٢]

أبو الطيب[٣] :

وذاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كانَ مِسْكاً ... وهَذَا الشِّعْرُ فِهْرِى والمَداكَا[٤]

الحادرة[٥] :

فأَثْنُوا عَلَيْنَا لا أَبَا لِأَبِيكُمُ ... بأحسابنا[٦] إن الثَّنَاءَ هو الخُلْدُ

غيره[٧] :

ردَّتْ صَنَائِعُه عليهِ حَيَاتَه ... فكأَنهُ من نَشْرِهَا مَنْشُورُ

أبو تمام[٨] :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَيْشاً[٩] ثَانِياً ... ومَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا

أبو الطيب[١٠] :

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ ... لمَّا انْطَوَى فكأَنَّهُ مَنْشُورُ

وكأَنما عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ ... وكأَن عَازَرَ شَخْصُه المَقْبُورُ[١١]

وكرره فقال[١٢]:

---

(١) التبيان (٢ : ٣٩٣) .

(٢) المخوض: الذى يحرك به الطيب ؛ وذلك لايزيد الطيب فضلا ؛ بل يظهر رائحته ؛ كذلك الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس ، ولا يزيده فضلا . (٣) ديوانه (٢ : ٣٩٣) .

(٤) النشر : الرائحة الطيبة . والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب . والمداك : الصلاية التى يدك عليها . والدوك : الدق والسحق . (٥) مهذب الأغانى (١ : ٢٣٠) ، التبيان (٢ : ١٣١) .

(٦) فى مهذب الأغانى : بإحساننا .

(٧) ديوان الحماسة (٣ : ٦) ، ونسبه إلى التيمىّ فى منصور بن زياد . قال التبريزى : التيمى هو عبد الله بن أيوب . (٨) ديوانه ص ٩٠ ، التبيان (٢ : ١٣٢) (٩) رواية الديوان :

* سلفوا يرون الذكر عقبا صالحا *

(١٠) ديوانه (٢ : ١٣١) . (١١) يقول : ذكره فى الثناء يحييه ، كما أحيا عيسى بعد ما مات . (١٢) ديوانه (٣ : ١٢) .

فإنَّ لَهُ بِبَطْنِ الأَرْضِ شَخْصاً جَدِيدًا ذِكْرِنَاهُ وَهُوَ بَالِي

* * *

بعض العرب(١) :

وقاسمنى دَهْرِى بَنِىَّ بشَطْرِهِ فلما تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فى شَطْرِى

أبو الطيب(٢) :

قد كانَ قاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُما وعَاشَ دُرُّهُمَا المَفْدِىُّ بالذَّهَبِ

وعَادَ فى طَلَبِ المَتْرُوكِ تَارِكُهُ إنَّا لَنَغْفُلُ والأَيَّامُ فى الطَّلَبِ

ومثل المصراع الأخير قولُ النّمِر بن تَوْلَب :

تدارك ماقبل الشباب وبعده حوادث أيام تَمرُّ وأغْفُلُ

* * *

بعض المُحْدَثين(٣) :

ومَا فَسَدَتْ لِى يَشْهَدُ اللهُ نِيَّةٌ عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِى فاتَّهَمْتَنِى

أبو الطيب وأحسن غاية الإحسان(٤) :

إذَا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنُونه وصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وعادَى مُحِبِّيه بقَوْلِ عُدَاتِهِ وأصْبَحَ فى لَيْلٍ من الشَّكِّ مُظْلِمِ

* * *

بعض العرب(٥) :

لَمّا رأوْهُمْ لم يُحِسُّوا مُدْرِكاً وضعوا أناملَهُمْ على الأكباد

أبو الطيب(٦) :

---

(١) التبيان (١ : ٩٣) . (٢) ديوانه (١ : ٩٣) .
(٣) التبيان (٤ : ١٣٥) . (٤) ديوانه (٤ : ١٣٥) .
(٥) التبيان (١ : ٢٩٥) . (٦) ديوانه (١ : ٢٩٥) .

ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِى عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِها يَدُها[١]

* * *

يحيى بن زياد[٢] :

دَفَعْنَا بِكَ الأَيَّامَ حتى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لم تَسْطِع لهـا عنك مدفعا

أبو الطيّب[٣] :

مازِلْتَ تَدْفَعُ كلَّ أمرٍ فَادِحٍ حتّى أَتَى الأَمْرُ الَّذِى لايُدْفَع

* * *

أبو تمام[٤] :

مَحَاسِنُ من مَجْدٍ متَى يَقْرِنُوا بِهَا مَنَاقِبَ[٥] أَقْوَامٍ تـكُنْ كالمَعَايِبِ

أبو الطيب[٦] :

شَادُوا مَنَاقِبَهم وشِدْتَ مناقباً وُجِدَتْ مَنَاقِبُهم بِهِنَّ مَثَالِبَا

* * *

الحطيئة[٧]

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ومَنْ يُسَوِّى بأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنبَا !

المتنبى[٨] :

قَصَدْتُكَ والرَّاجُونَ قَصْدِى إِلَيْهِمُ كَثِيرٌ ولـكِنْ لَيْسَ كالذَّنَبِ الأَنْفُ

* * *

---

(١) الخلب : غشاء القلب الرقيق . قال العكبرى : « وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الـكبد لأنها دام وضعها على الـكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة » . (٢) التبيان (٤ : ٢٧٣).

(٣) ديوانه (٤ : ٢٧٣) . (٤) ديوانه ص ٤٢ ، التبيان (١ : ١٣١) .

(٥) فى الديوان : « محاسن أقوام » . (٦) ديوانه (١ : ١٣١) .

(٧) ديوانه ص ٦ . (٨) ديوانه (٢ : ٢٨٩) .

الحُصين بن الحمام[١] :

ولما رأيت الوُدَّ ليس بنافعى　　عَمَدْتُ إلى الأمر الّذى كانَ أَحْزَما

أبو الطيب[٢] :

إذَا لم تُجزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ　　أَجازَ الْقَنَا والخَوْفُ خَيْرٌ من الوُدِّ[٣]

والعرب تقول : رَهَبُوت خير من رَحَمُوت ؛ أى أن تُرْهِب خير من أن تَرْحَم .

***

بعض العرب[٤] :

ولا خَيْرَ فى حُسْنِ الجُسُومِ ونُبْلِها　　إذَا لَم تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

عَمْرو بن مَعْدِى كَرِب[٥] :

لَيْسَ الجمالُ بِمِئْزَرٍ　　فاعْلَمْ وإنْ رُدِّيت بُرْدَا

إنّ الجمالَ معادِنٌ　　ومناقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدا

العباس بن مِرْداس ؛ ويروى لربيعة بن ثابت الرّقى[٦] :

فما عِظَمُ الرِّجالِ لَهُمْ بفَخْرٍ　　ولَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخيرُ

أبو الطيب[٧] :

ومَا الحُسْنُ فى وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا له　　إِذَا لَمْ يَكُنْ فى فِعْلِهِ والخَلاَئِقِ[٨]

ومثله له فى وصف الخيل[٩] :

إذَا لم تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا　　وأَعْضَائِهَا فالحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

---

(١) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٣) .　(٢) ديوانه (٢ : ٦٢) .

(٣) قال ابن فورجة : إذا بلغوا فى أسفارهم منازل قوم لم يكن بينهم وبين سكانها مودة أجازتهم رماحهم فلم يخافوا أهل الناحية .　(٤) التبيان (٢ : ٣٢٠) ، ونسبه إلى الفرزدق .

(٥) ديوان الحماسة (١ : ١٧٠) ، عيون الأخبار (١ : ٣٠٠) .

(٦) ديوان الحماسة (٣ : ١٥٣) ، التبيان (٣ : ٣٢٠) .　(٧) ديوانه (٢ : ٣٢٠) .

(٨) الخلائق : الخصال .　(٩) ديوانه (١ : ١٨٠) .

وقريب منه قوله[١] :

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِى وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوسَامِ[٢]

* * *

بعض العرب :

ولستُ وإن أحببتُ مَن يَسْكُن الغضَا بأولِ راجٍ حاجةً لا ينالُها

أبو الطيب[٣] :

ولَيْسَ بأوَّلِ ذِى هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بالنَّائِلِ

* * *

جابر بن حَيَّان[٤] :

وإنْ يَقْتَسِمْ مَالِي بَنِيَّ ونِسْوَتِي[٥] فلم يَقْسِموا خُلُقِى الكريمَ ولا فِعْلِى

أبو تمام[٦] :

وانْفَحْ لنَا من طيب خِيمِك نَفْحَةً إن كانَتِ الأَخْلَاق مِمَّا يُوهَبُ[٧]

أبو الطيب[٨] :

إذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وحُكِّمُوا وإنْ طَلَبُوا المَجْدَ الَّذِى فيكَ خُيِّبُوا

ولو جازَ أَنْ يَحْوُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا ولَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَالَيْسَ يُوهَبُ

* * *

---

(١) ديوانه (٤ : ١٤٤) . (٢) الوسام : الوسامة ؛ وهى الحسن .

(٣) ديوانه (٣ : ٣٠) .

(٤) ديوان الحماسة (٤ : ٢٣٧) ، عيون الأخبار (١ : ٣٤٣) ؛ وقال : هو جابر ابن حبان (بالباء المشددة) وفى الأصلين : « حباب » . (٥) فى ديوان الحماسة : « وإخوتى » .

(٦) ديوانه ص ٤٠ ، التبيان (١ : ١٨٤) . (٧) انفح : اعط . وخيمك : طبعك .

(٨) ديوانه (١ : ١٨٤) .

بعض العرب[١] :

لا أُمْسِكُ المَالَ إلاَّ رَيْثَ أُتْلِفهُ ولا تُغَيِّرُنِى حَالٌ إلَى حَالِ

أشجع :

تُغيِّرُ الأيامُ حالاته وجودُه باقٍ على حالٍ

أبو الطيب[٢]:

وحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وحَالُكَ وَاحِدٌ فى كلِّ حَالِ

* * *

أبو تمام[٣] :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وجَدٌّ آلِفٌ للحَضِيضِ[٤] فهو حَضِيضُ

أبو الطّيب[٥] :

أَبَدًا أَقْطَعُ الْبِلَادَ ونَجْمِى فى نُحُوسٍ وهِمَّتى فى سُعُودِ

* * *

أبو تمام[٦] :

ومَا زَالَ مَنْشُوراً علىَّ نَوَالُهُ وعِنْدِى حتى قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِ

أبو الطيب[٧] :

ويَمْنَعُنى مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِى يَضِيقُ بِهَا عِنْدُ[٨]

* * *

---

(١) التبيان (٣ : ٢٠) . (٢) ديوانه (٣ : ٢٠) .

(٣) ديوانه ص ١٨١ . (٤) الحضيض : المنخفض .

(٥) ديوانه (١ : ٣٢٠) . (٦) ديوانه ص ١١٦ .

(٧) ديوانه (١ : ٣٧٧) . (٨) رفع عند ، وهى لا تستعمل إلا ظرفا ، لأنه حمل الكلام على المعنى ؛ فكأنه قال : يضيق بها المكان .

أبو تمام[١] :

يَعُدُّونَ بالْبِيضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا ... وَهُنَّ سَوَاءٌ والسُّيوفُ الْقَوَاطِعُ

نقله أبو الطيب فقال[٢] :

هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ السَّيْفُ غِمْدَهُ ... وعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهما النَّصْلُ

* * *

أبو تمام وهو كثير[٣] :

قَدْ نَبذُو الحَجَفَ المحبوكَ من زُؤُدٍ ... وصَيَّرُوا هامهم بل صُيِّرَتْ حَجَفَا[٤]

أبو الطيب[٥] :

تَقِي جَبَهَاتُهُمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ ... إذَا بِشِفَارِهَا حَمِيَ اللِّطَامُ[٦]

* * *

أبو تمام[٧] :

وَلَكَمْ عُدُوٍّ قال لى مُتَمَثِّلاً ... وكَمْ مِنْ ودودٍ ليس بالمودودِ

أبو الطيب[٨] :

هو الحبيبُ ولكنِّى أَعُوذُ بهِ ... من أَنْ أَكُونَ مُحبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ

* * *

أبو تمام[٩] :

مَلْقَى الرَّجَاء ومَلْقَى الرَّحْلِ فى نفر ... الجودُ عِنْدهُمُ قَوْلٌ بلا عَمَلِ

---

(١) ديوانه ص ٤٨٠ . (٢) ديوانه (٣ : ١٨٦) .

(٣) ديوانه ص ٢٠٢ . (٤) الحجف ، بالفتح : جمع حجفة ، ضرب من التروس ؛ قيل : هى من الجلود خاصة . والزؤد : الفزع . (٥) ديوانه (٤ : ٧٧) .

(٦) الذرى : العلو . والشفا : السيوف . واللطام : المصادمة بها .

(٧) ديوانه ص ٨٣ . (٨) ديوانه (١ : ١٧٦) . (٩) ديوانه ص ٢٥٠ .

وله[١] :

وأَقلُّ الأَشْيَاءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ   صحةُ القَوْلِ والفِعَالُ مَرِيضُ

وهو كثير . قال أبو الطيب[٢] :

جُودُ الرِّجَالِ من الأيدِى وجُودُهُمُ   من اللِّسَانِ فلا كانُوا وَلَا الجُودُ

وقال فى أخرى[٣] :

* ونُعْمَى النَّاسِ أَقْوالُ[٤] *

وقال فى أخرى[٥] :

أَرَى أُنَاسًا ومَحْصُولِى على غَنَمٍ   وذِكْرَ جُودٍ ومَحْصُولِى على الْكَلِمِ[٦]

وقد يزعم بعضُ مَنْ يذهب عن تمييز السَّرَق أن المِصْراع الأول مأخُوذٌ من قولهم: فلان بهيمة وحمار . ومن قول النَّمَرى :

* شاءٌ من الناس راتع هامِلُ[٧] *

ومن قول السَّيِّد[٨] :

قَدْ ضَيَّعَ اللهُ مَا جَمَّعْتُ مِنْ أَدَبٍ   بَيْنَ الْحَمِيرِ وبَيْنَ الشَّاءِ والْبَقَرِ

قال أبو الحسن : وهـذا البيت يروى للمخيم الراسبى . قال : والجماعة اعْتَمَدَتْ فيه على قول الله عز وجل: ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ، وهذا كما زعم الصولى أن قول البحترى[٩] :

---

(١) التبيان (٢ : ٤٢) .   (٢) ديوانه (٢ : ٤٢) .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٧٧) .   (٤) البيت بتمامه :

واجز الأمير الذى نعماه فاجئة   بغير قول ونعمى الناس أقوال

(٥) ديوانه (٤ : ٣٩) .   (٦) « المحصول : مصدر بمعنى الحصول . وقوله : « وذكر جود » مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام ؛ أى وأسمع ذكر جود . يقول : أرى صور أناس كالغنم لا عقل لهم ، وأسمع ذكر الجود ولـكن لا أحصل منه إلا على المواعيد » .

(شرح الديوان لليازجى)

(٧) الهامل : التى ترعى ولا راعى لها. (٨) التبيان (٤ : ٤٠). (٩) ديوانه (١ : ٤٣).

عليّ نَحْتُ القَوَافِي من مَقاطِعِها وما عليَّ إذا لم تفهم البَقرُ[(١)]

مأخوذ من قول أبي تمام[(٢)] :

لا يَدْهَمَنَّكَ من دهمائهم نَفر فإنَّ جلَّهم بل كلّهم بقرُ[(٣)]

هذا مع اتساعه في الدعاوى ، وتحققه عند نفسه بنَقْد الشعر ، وادعائه أن أحداً لم يسبقه إلى هذا العلم ، وأنه طريق لم تُسْلَكْ قبلَه ، وباب لم يزلْ مستغلقاً حتى افتتحه؛ كأَنْ لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمُّون البليدَ الغبي حمارا أو بقرة .

وإذا استبْعدوا ذهن مخاطَب واستخفوا فطنه منازع قالوا : هذا ثور وتَيْس ؛ حتي شاع ذلك على أفواه العامة وألْسن النِّساء والصبيان . وكيف يُدَّعى في هذا السَّرق ! ومَنْ جعل بعضَ الناس أولى به من بعض وهم فيه شَرَعٌ واحد ! وأي ذهن يغيب عنه ذلك حتى يفتقر إلى الاعتماد فيه على غيره والاستمداد مِمَّنْ تقدم قبله ! وإنما يصحّ فى مثل هذا الأخذ إذا أضيفتْ إليه صنعةُ لفظ ، أو وُصِل بزيادة معنى ، كبيت البحترى فإنَّه لم يرض أن يقول : القوم بقر وبهائم؛ كما قال أبوتمام حتى قال :

* عليَّ نحتُ القوافى من مَقاطعها *

أى عليّ أن أجيد وأبدِعَ وأتأنّق فى شعرى ، وما عليّ إفهام البقر ؛ فهذه زيادة يصح فيها نَقد وسرِقة ، وأما بيتُ أبي الطيب فليس إلا صريح التمثيل المتداول الّذى عرفناك انتفاء هذه الدعوى عنه .

* * *

---

(١) رواية الديوان :

* وما على لهم أن تفهم البقر *

(٢) ديوانه ص ١٥٠ . (٣) رواية الديوان :

* فإن جلهم أو كلهم بقر *

أبو تمام[1] :

وكأنَّمَا نَافَسْتَ قَدْرَكَ حَظَّهُ ... وحَسَدْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

أبو الطيب[2] :

يُحَدِّثُ عَنْ قَلْبِه مُكْرَهًا ... كأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُودًا

إن كان فيه أخذٌ ففى اللفظ ، ومثله قد يؤخذ ؛ فأما المعنيان فمختلفان ، لأن أبا تمام أراد أنك نافستَ قدرَك ، وحَسَدْتَ نفسَك ، فَطَفِقْتَ تُنَاهِى فى شرف الفعل ، وتَزِيد على كلِّ غاية تصلُ إليها ، وإنْ كنتَ فيها منقطعَ القرين فائت الشأو ، وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسُدُك على فضائلك فهو يكره أن يستقبل بذكرها . وهذا نوع آخر من المديح وفى غير المذهب الأول ؛ لكنهما اجتمعا فى حَسَدِ النفس والقلب .

* * *

أبو تمام[3] :

خَابَ امرؤٌ بَخِسَ الحَوَادِثُ سَعْيَه[4] ... فأَقَامَ عَنكَ وأَنْتَ سَعْدُ الأَسْعُدِ

أبو الطيب[5] :

عَجْزٌ بِحُرٍّ فاقةٌ وَوَرَاءَهُ ... رِزْقُ الإلهِ وبَابُكَ المَفْتُوحُ[6]

* * *

أبو تمام[7] :

فَالْمَشْىُ هَمْسٌ والنِّدَاءُ إِشَارَةٌ ... خَوْفَ انتقامِكَ والحديثُ سِرَارُ[8]

---

(١) ديوانه ص ١١٣ . (٢) ديوانه (١ : ٣٦٧) .

(٣) ديوانه ص ١١٣ . (٤) رواية الديوان :

* حارب امرؤ نحس الزمان لسعيه *

(٥) ديوانه (١ : ٢٥٤) .

(٦) الفاقة ؛ الفقر . ووراءه : قدامه ؛ وهو من الأضداد . يقول : إن من العجز أن يقاسى الحر فاقة ولا يطلب الرزق من الله أو يقصد بابك الذى لا يحجب عنه أحد .

(٧) ديوانه ص ١٤٦ . (٨) الهمس : الصوت الخفى ؛ والسرار : السر .

أبو الطيب واقتصر على ذكر المشى فقال[١]

قَصَرَتْ مَخَافَتَهُ الْخُطَا فَكَأَنَّمَا ... رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولَا[٢]

ونحوه له[٣] :

فلم يَسْرَحْ لهم فى الصُّبْحِ مَالٌ[٤] ... ولم تُوقَدْ لَهُمْ باللَّيلِ نَارُ

* * *

الحُصَين بن الحمام[٥] :

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بذلَّةٍ ... ولا مُرْتَقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما

تأبط شراً[٦] :

هُمَا خُطَّتَا إمَّا إِسَارٌ وذِلَّةٌ ... وإمَّا دَمٌ ، والْقَتْلُ بالحرِّ أَجْمَلُ

بشار :

ولَلْمَوتُ خيرٌ من حياة على أذى ... يضيمك فيها صاحب وتراقبه

وقد أكثر الناس وتصرفوا فى أمثلته .

أبو الطيب[٧] :

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٣٩) .

(٢) البيت فى وصف الأسد . القصر : ضد التطويل . والخطا : جمع خطوة . والكمى : لابس السلاح . والجواد : الفرس . والمشكول : المقيد بالشكال . يقول : إن خوفه تمكن من القلوب فأحجمت به قوائم الخيل ؛ وقصرت خطاها ، حتى كأن الشجاع ركب الفرس بشكاله .

(٣) ديوانه (٢ : ١٠٩) (٤) المال : الإبل .

(٥) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٤) .

(٦) شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٣٣٠ ، وروايته هناك :

هما خطتا إما إسار ومنة ... وإما دم والقتل بالحر أجدر

ورواه فى مهذب الأغانى ١ : ٢٢٠ :

لكم خصلة إما إسار ومنة ... وإما دم والقتل بالحر أجدر

(٧) ديوانه (٤ : ٩٣) .

وله[١] :

عِشْ كَرِيمًا أو مُتْ وأنْتَ عَزِيزٌ   بين طَعْنِ الْقَنَا وخَفْقِ البُنُودِ[٢]

وقد أعاده فزاد وأحسن فقال[٣] :

تَغُرُّ حَلَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا   فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامُ

وشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ   يَذِلُّ الّذِى يَخْتَارُهَا ويُضَامُ

ونحوه له[٤] :

وأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ   وكَقَتْلِهِ أَنَّ لَا يَمُوتَ قَتِيلَا

والمصراع الثانى من قول أبى تمام ـ وقد قدمناه[٥] :

أَلِفُوا المَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمُ   مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ وَهْوَ قَتِيلُ

ونحوه قول المتنبى[٦] :

فاطْلُبِ العزَّ فى لَظًى وذَرِ الذ   لّ وَلَوْ كانَ فى جِنَانِ الخُلُودِ

وهو من قول الناس : النارولا العار.

ومثل الأول قوله[٧] :

لقيتُ القَنَا عَنهُ بِنَفْسٍ كريمةٍ   إلى الموت فى الهيجا من العار تَهْرُبُ

* * *

الأَهْتَم بن سِنَان :

وَمَا كلُّ مَنْ يَغْشَى القِتَالَ بِمَيِّتٍ   وَلَا كلُّ مَنْ يَرْجُو الإِيَابَ بِسَالِمِ

زياد الأعْجَم[٨] :

مات المغيرةُ[٩] بعد طُولِ تَعَرُّضٍ   للقتل بين أَسِــنَّةٍ وصفائح

---

(١) ديوانه (١ : ٣٢١) . (٢) البنود : الأعلام الكبار .

(٣) ديوانه (٣ : ٣٩٥) . (٤) ديوانه (٣ : ٢٤٣) .

(٥) ديوانه ص ٣٧٧ (٦) ديوانه (١ : ٣٢٢) . (٧) ديوانه ص ١٨٥ .

(٨) ذيل الأمالى ص ٩ ، وفيات الأعيان (٢ : ١٤٧) .

(٩) هو المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة ، والبيتان من قصيدة طويلة فى رثائه .

والقَتْلُ ليس إلى القِتَالِ ولا أرَى ... سَبَبًا يؤخِّرُ للشَّفِيق الناصح

أبو الطيب(١):

وقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِى لاتَهَابُه ... ويَخْتَرِمُ النَّفْسَ التى تَتهَيَّبُ

وله(٢):

يُقْتَل العَاجِزُ الجَبَانُ وقَدْ يَعْ ... جِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ(٣) المَوْلُودِ

ويُوَقَّى الفَتَى المِخَشُّ وقَدْ خَوَّ ... ضَ فى مَاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ(٤)

* * *

بعض العرب(٥):

إنى لأسْتُرُ ماذُو العَقْلِ سَاتِرُهُ ... من حاجةٍ وأُمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا

عِمْران بن حِطّان(٦):

وكُنْتُ أُجِنُّ السِّرَّ حتى أُمِيتَه ... وقد كان عندى للأمانةِ مَوْضِعُ

أبو الطيب(٧):

وسِرُّكُمْ فى الحَشَا مَيِّتٌ ... إذا أُنشِرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ

* * *

الأعور الشنىّ ـ وهو كثير(٨):

إذا صَبَّحَتْنى من أُناسٍ ثَعَالبٌ ... لأدْفَع ما قَالُوا منحتُهُمُ حَقْرا

أبو الطيب(٩):

ويَحْتَقِرُ الحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لهُمْ ... كأنَّهُمُ فى الخَلْقِ ما خُلِقُوا بَعْدُ

---

(١) ديوانه (١ : ١٨٥) . (٢) ديوانه (١ : ٣٢٢) .

(٣) البخنق : ما يجعل على رأس الصبى .

(٤) المخش : الرجل الجرىء . وخوض : بالغ فى الخوض . واللبة : أعلى الصدر ؛ والمراد بمائها دمها . والصنديد : السيد الشجاع . (٥) التبيان (٢ : ٩٢) .

(٦) التبيان (٢ : ٩٢) . (٧) ديوانه (٢ : ٩٢) .

(٨) التبيان (١ : ٣٨٠) . (٩) ديوانه (١ : ٣٨٠) .

وله[1] :

أَبْدُو فيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي ... فَلَا أُعَاتِبُهُ صَفْحًا وإهْوَانَا

المصراع الثانى هو المعنى الأول ، وقد كثر حتى خرج عن باب السَّرق .

* * *

زياد الأعجم[2] :

إنَّ السَّماحة والمُروءةَ ضُمِّنَا ... قبْرًا بمَرْوَ على الطَّرِيقِ الوَاضِح

أبو الطيب[3] :

فِيهِ الفَصَاحَةُ والسَّماحَةُ والتُّقَى ... والبَأْسُ أَجْمَعُ والحِجَا والخِيرُ

* * *

المؤرج التّغلبى :

يَغْتَابُ عِرْضِى خَالِيًا ... وإذَا تَلَاقَيْنَا اقْشَعَرَّا

يُبْدِى كلاما لَيِّنًا ... عِنْدِى ويُخْفِى مُسْتَسِرَّا

سُوَيْد بن أبى كاهل[4] :

ويُحَيِّينِى إذَا لَاقَيْتُهُ ... وإذا يَخْلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ

ولأبى الطيب[5] :

* مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ على أَثَرِى[6] *

* * *

(١) ديوانه (٤ : ٢٥٣) .
(٢) ذيل الأمالى ص ٩ ، وفيات الأعيان (٢ : ١٤٧) .
(٣) ديوانه (٢ : ١٣٠) . (٤) المفضليات (١ : ١٩٦) .
(٥) ديوانه (٤٠ : ٢٢٣) . (٦) صدر بيت عجزه :
* ألقى الكمى ويلقانى إذا حانا *

الخُرَيْمِيّ وهو مشهور وهذا من أملحه(١) :

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَماً　　أَنَّهُ عِنْدَكَ محقور صغير
تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ　　وهْوَ فى العالم مَشهورٌ كَثِيرْ

قال أبو الطيب — وأحسن وتناهى فى الإحسان(٢) :

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمُ　　أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وما عَلِمُوا

* * *

ذو الإصْبع العَدْوانى — وهو كثير(٣) :

أطَافَ بِنَا رَيْبُ الزَّمَانِ فداسنا　　لَهُ طَائِفٌ بالصَّالِحِينَ بَصِيرُ

البحترى(٤) :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِب كَيْفَ تَسْمُو　　إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ والفُضُولِ

أبو الطيب(٥) :

* أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ(٦) *

ومثل هذا قوله(٧) :

أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ　　فإنَّهُ فى الْكِرَامِ مُتَّهَمُ

ومن هذا المعنى قول أبى تمام(٨) .

إنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ　　ويُسْلِمُ النَّاسَ بَيْنَ الحَوْضِ والْعَطَنِ(٩)
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنَّ أَطْيَبَهُ　　يَفْنى ويَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ(١٠)

---

(١) التبيان (٤ : ٦٥) .　　(٢) ديوانه (٤ : ٦٥) .
(٣) التبيان (٤ : ٦٥)　　(٤) ديوانه (٢ : ١٦١)
(٥) ديوانه (٤ : ١٩٩) .　　(٦) صدر بيت ؛ بقيته :
* يخلو من الهم أخلاهم من الفطن *
(٧) ديوانه (٤ : ٦٩) .　　(٨) ديوانه ص ٣٨٨ .
(٩) ينتحل : ينسب نفسه ، والعطن : مبرك الإبل حول الحوض .
(١٠) الآجن والآسن : المتغير .

وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : «أَعْظَمُ الناس بلاءً الأَمْثَلُ فالأمثل »

* * *

مُزاحم العُقَيْلي(١) :

وجوهٌ لو أنّ المُدْلجين اعْتَشَوْا بها　　قَطَعْنَ(٢) الدجى حتّى تَرَى اللَّيْلَ ينْجَلي

أشجع(٣) :

مَلِكٌ بنُورِ جَبِينِه　　يَسْرِى وبَحْرُ اللَّيلِ طَامِ

أبو الطيب(٤) :

فما زَالَ لولا نُورُ وَجْهِك جُنْحُه　　ولاجابَها الرُّكْبَانُ لولا الأيَانُقُ(٥)

* * *

المرّار بن سعيد ، وقد وصف فَلاةً ودليلها ، وهو كثير عن العرب . وهذا من مليح ماجاء فيه :

يَسْرِى الدليلُ بها خيفة　　وما بكآبته من خفاء

إذا هو أنــكر أسماءَها　　وعىَّ وحُقَّ له بالعياء

له نظرتان فمرفوعَةٌ　　وأخرى تأمل ما فى السِّقَاء

وثالثة بعد طول الصمات　　إلىَّ وفى حلقه كالبُــكاء

هُدْبة(٦) :

يظلُّ بها الهَادِى يقلِّبُ طَرْفَه　　مِنَ الهَوْلِ يَدْعو وَيْلَهُ وهو خائف

---

(١) التبيان (٢ : ٣٤٤) .　(٢) رواية العكبرى : « صدعن » .

(٣) التبيان (٢ : ٣٤٤)　(٤) ديوانه (٢ : ٣٤٤) .

(٥) جنح الليل : طائفة منه . وجاب : قطع . والأيانق : جمع ناقة . يقول: لولا نور وجهك لما زال جنح الظلام ، ولا قطعنا الأرض البعيدة لولا الأيانق .　(٦) التبيان (١ : ١٧) .

آخر(١) :

إذا اجْتَازَهَا الخِرِّيتُ قال لِنَفْسِه   أَتَاكَ برجلى حائن كلُّ حَائِنِ

أبو الطيب(٢) :

يتلوَّنُ الخِرِّيتُ من خَوْفِ التَّوَى   فِيهَا كما تَتَلوَّنُ الحِرْبَاءُ(٣)

وملح فى قوله(٤) :

كَمْ مَهْمَهٍ قُذُفٍ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ   قَلْبُ المُحِبِّ قَضَانِى بَعْدَمَا مَطَلَا

ومن هذا المعنى قول دِعْبِل :

إذا أُقْحِمَ الرّكبان فيها تبتَّلُوا   فمستغفر من ذنبه ومُسَبِّحِ

* * *

عبد الرحمن بن دَارَة وهو كَثِيرٌ عن العرب(٥) :

فإن أَنْتُم لمْ تقتلوا بأَخِيكُم   فكونوا بغَايَا للخَلُوق وللكحل

وبيعوا الرُّدَيْنِيَاتِ بالحُلَى واقعدوا   على الذل وابتاعوا المغازل بالنّبْل

أبو الطّيب(٦) :

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعيشَ بِذِلَّةٍ   فلاَ تَسْتَعِدَّنَّ الحُسَامَ الْيمَانِيَا

ولَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ   ولا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ المَذَاكِيَا(٧)

* * *

أبو تمام(٨) :

كم نِعْمَةَ لِلّهِ كانَتْ عِنْدَهُ   فكأَنَّهَا فى غُرْبَةٍ وإسَار

---

(١) التبيان (١ : ١٧) ، ونسبه إلى الطرماح .   (٢) ديوانه (١ : ١٧) .

(٣) الخريت : الدليل . والتوى : الهلاك . والحرباء : دابة تدور مع الشمس كيفما دارت .

(٤) ديوانه (٣ : ١٧٠) .   (٥) الأغانى (٢١ : ٥٦ ، طبعة الساسى) .

(٦) ديوانه (٤ : ٢٨٢) .   (٧) العتاق : الأفراس الكريمة ؛ والمذاكى : الخيل التى قد تمت أسنانها .   (٨) التبيان (٢ : ٣٧٠) .

آخر[١] :

لَا يليقُ الغِنى بوَجْهِ أَبِى يَعْـ لَى ولا نُورُ بَهْجَةِ الإسلامِ

أبو الطيب[٢] :

والْغِنَى فى يَدِ اللَّئِيم قَبِيحٌ قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ فى الإمْلَاقِ

* * *

أبو جُويرية العَبْدِىّ :

وبدأة مجدٍ لم تَكُنْ فافْترعْتَها إلى كل أُفْق تَحْتَوِيها القَصَائِدُ

البحترى[٣] :

وغرائب فى المجد[٤] تعلم أنها من شاعرٍ أو عالم أو كاتبِ

وهو من قول أبى تمام[٥] :

وأرى سماحك يابن وهب شاعرا يلقى المديح من الندى بنقائص

أبو الطيب[٦] :

شَاعِرُ المَجْدِ خِدْنُه شَاعِرُ اللَّفْـ ظِ كِلاَنَا رَبُّ المَعَانِى الدِّقَاقِ

ومثل هذا المعنى بعينه قول أبى تمام[٧] :

غَرُبَتْ خَلَائِقُه وَأَغْرَب شَاعِرٌ فيه فأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فى مُغْرِبِ[٨]

وقد كرره أبو الطيب وخالف بين أمثلته فقال[٩] :

تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ المَكَارِمِ قَدْرُه فما يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إلاَّ عذَارِبَا[١٠]

---

(١) التبيان (٢ : ٣٧٠) ، ونسبه للعطوى . (٢) ديوانه (٢ : ٣٧٠) .

(٣) ديوانه (١ : ٦٧) . (٤) فى ديوانه : « فى الجود » .

(٥) لم نجد هذا البيت فى ديوان أبى تمام الذى بين أيدينا . (٦) ديوانه (٢ : ٣٧١).

(٧) ديوانه ص ١٥ . (٨) يقول : إن طبائعه غريبة عن طبائع الناس ؛ فهى أرفع منها . وأغرب : أتى بالغريب الذى يتعالى عن غيره من الشعراء . (٩) ديوانه (٤ : ٢٨٨).

(١٠) العون : جمع عوان ؛ وهى خلاف البكر . والعذارى : جمع عذراء ؛ وهى البكر التى لم يمسسها بعل . يقول : إن قدره جليل فلا يفعل شيئاً إلا ابتكارا .

وقال[١] :

يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ   فى مَجْدِهِ كَيْفَ يُخْلَقُ النَّسَمُ[٢]

فزاد فى البيتين معا وقال[٣] :

يَمْشِي الْكِرَامُ على آثارِ غيرِهِمُ   وأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وتَبْتَدِعُ

* * *

بعض المحدثين[٤] :

شَخَصَ الأَنَامُ إِلى جمالك فاسْتَعِذْ   مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِم بعَيْبٍ وَاحِدِ

مثله[٥] :

قد قلتُ حينَ تكامَلَتْ وغَدَتْ   أَفْعالُهُ زَيْناً من الزَّيْنِ :

ما كانَ أَحْوَجَ ذا الكمالَ إلى   عيْب يُوَقِّيهِ من العَيْنِ

أبو الطّيب[٦] :

كأَنَّ الرَّدَى عادٍ على كلِّ ماجدٍ   إذَا لم يُعَوِّذْ مَجْدَه بعُيُوبِ

ومثله[٧] :

فقل له[٨] لَسْتَ خَيْرَ ما نَثَرَتْ   وإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا

خَوْفاً مِنَ الْعَيْنِ أَنْ تُصَابَ بها   أَصَابَ عَيْناً بِهَا يُعَانُ عَمَى

* * *

---

(١) ديوانه (٤ : ٦٣) .   (٢) النسم : جمع نسمة ؛ وهى الروح .

(٣) ديونه (٢ : ٢٣١) .   (٤) التبيان (١ : ٥٢) .

(٥) التبيان (١ : ٥٢) ، وذكر الثعالبى البيت الثانى فى فقه اللغة ص ٧ ، ونسبه إلى كشاجم.

(٦) ديوانه (١ : ٥٢) .   (٧) ديوانه (٤ : ١٦٥) .

(٨) الضمير فى له يرجع إلى البيت قبله :

فليرنا الورد إن شكا يده   أحسن منه من جوده سلما

ذو الرّمة[١] :

رَجيعَةُ[٢] أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجاعٌ لَدَى يُسْرَى الذِّرَاعَيْنِ مُطْرِقُ

أبو الطيب[٣] :

تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا[٤]

وفى هذا البيت معنى يُخرِجه عن اتباع البيت الأول ، لأن ذا الرُّمة لم يَزِدْ على التشبيه وليس هو الذى قصده أبو الطيب ، وإن كان قد جرى فى غَرض بيته ، وإنما أراد أنها لاتترك الأعنة تستقر فى أيدى فرسانها، لما يزعجها من سَوْرة المَرَح، وحسن البقية بعد طول السُّرى ؛ فكأنما الأعنة أفاعى تلدغ أعناقها إذا باشرتها ، فيجاذبها الفارس فرسَه وهى تجاذبه إياها . وهذا غرض آخر ومقصد لم يتعرض له ذوالرُّمة .

* * *

بكر بن النَّطَّاح[٥] :

كأنك عِنْدَ الكَرِّ فِى حَوْمَةِ الْوَغَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِى مِنْ وَرَائِكَا

أبو الطيب[٦] :

فَكَأَنَّهُ والطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا

* * *

بَكْرٍ [بن النَّطاح][٧] :

كَأَنَّ المَنَايَا ليس يَجْرِينَ فى الوَغَى إِذا الْتَقَتِ الأَبْطَالُ إِلاَّ برأيِهِ

---

(١) لسان العرب مادة — رجع . (٢) الرجيع من الدواب : ما رجعته من سفر إلى سفر ؛ وهو الكالّ ، والأنثى رجيعة . (٣) ديوانه (٤ : ٢٨٦) .

(٤) فرسان الصباح : فرسان الغارة التى تغير عند الصباح؛ لأن الغارة عادة تكون فى ذلك الوقت . والأفاعى : جمع أفعى ؛ وهو الذكر من الحيات . (٥) التبيان (٤ : ١٩٩) .

(٦) ديوانه (٤ : ١٩٩) . (٧) التبيان (١ : ٢٧٣) .

أبو الطيب[١] :

تَغْدُو المَنايا فما تنفكُّ واقفةً   حتَّى يقولَ لها عُودِى فتَنْدَفِعُ

* * *

أبو نواس[٢] :

وقَدْ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فدُمُوعُهَا   عَلَى خَدِّهَا حُمْرٌ وفِى نَحْرِهَا صُفْرُ

أبو الطّيب[٣] :

تَبُلُّ الثَّرَى سُوداً مِنَ المِسْكِ وَحْدَهُ   وقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعَرِ الجَثْلِ[٤]

* * *

أبو تمام[٥] :

فَغَرَّبْتُ حتَّى لم أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ   وشَرَّقْتُ حتَّى قد نَسِيتُ المَغَارِبَا

أبو الطيب[٦] :

فَشَرَّقَ حتى ليس للشَّرْقِ مَشْرِقٌ   وغرَّبَ حتى ليس للغَرْبِ مَغْرِبُ

* * *

البحترى[٧] :

لمَّا أَتَاكَ يَقُودُ جَيْشاً أرْعنا   يَمْشِى عَلَيْهِ كَثَافَةً وجُمُوعَا

فنقله أبو الطيب إلى كثافة الرَّهج[٨] فقال[٩] :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا[١٠] عَلَيْهَا عِثْيَرًا   لَوْ تَبْتَغِى عَنَقًا عليه لأَمْكَنَا[١١]

---

(١) ديوانه ص ٢٢٩ . (٢) التبيان (٣ : ٤٤) .

(٣) ديوانه (٣ : ٤٤) . (٤) الجثل : الشعر الكثير الملتف .

(٥) ديوانه ص ١٧ . (٦) ديوانه (١ : ١٨٧) . (٧) ديوانه (٢ : ٨٥).

(٨) الرهج : الغبار . (٩) ديوانه (٤ : ٢٠٤) .

(١٠) السنابك : جمع سنبك ؛ وهو طرف مقدم الحافر ، والعثير : الغبار . والعنق : ضرب من السير شديد . (١١) ديوانه ص ٢٨٨ ، ورواه فى التبيان (٣ : ٢١٥) :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة   لظلت على هاماتهم تتدحرح

وقال ابنُ الرُّومى مثلَ هذا[1] :

فَلَوْ حَصَبَتْهُمْ بالفضَاء سَحَابةٌ لظَلَّ عَلَيْهِمْ حَصْبُهَا يَتَدَحْرَجُ

وتبعه أبو الطيب فقال :

يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَاقَدْ تَضَايَقَ الْأَسَلُ[2]

* * *

مُسْلِم[3] :

فى عَسْكَرٍ تشرقُ الأرْضُ الفَضَاءُ بِهِ كالليلِ أَنْجُمُه القُضْبَانُ والأسَلُ

أبو الطيب[4] :

وكأَنَمَا كُسِيَ النَّهَارُ به دُجَى ليلٍ وأَطْلَعَتِ الرِّماحُ كَوَاكِبَا

وقد نقله إلى مثال آخر فقال[5] :

يَزُور الأعادى فى سماء عَجَاجةٍ أسنَّتُه فى جانبَيها الكواكبُ

وقد ذكرنا أصله فيما تقدم :

* * *

الحصين بن الحمام[6] :

يَطَأْنَ مِنْ الْقَتْلَى وَمِن قِصَد الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِينَ إلاَّ تَجَشُّمَا[7]

أبو الطيب[8] :

يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ ومِنْ قِصَدِ المُرَّانِ مَالَا يُقَوَّمُ[9]

وقد أخذ الشعراء هذا المعنى فتداولوه ، ومنه قول أبى تمام :

---

(١) ديوانه (٣ : ٢١٥) . (٢) الأسل : رماح تصنع من شجر الأسل .

(٣) ديوانه ص ٧١ . (٤) ديوانه (١ : ١٢٨) .

(٥) ديوانه (١ : ١٠٧) . (٦) المفضليات (١ : ٦٤) .

(٧) قصد القنا : القطع المتكسرة من الرماح . والخبار : الأرض اللينة . والتجشم : حمل النفس على المشقة وما تكره . (٨) ديوانه (٣ : ٣٥٣) . (٩) المران : الرماح .

حَوافِرُها مَخْضُوبَةٌ بِدِمَائِه ومن غُنْمِها تيجانُه وخَلاخِلُه

ونحو هذا البيت قول أبي الطيب [١]:

أَجِلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوْطِئُهَامِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ [٢]

وكرر المعنى فقال [٣]

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ المُلُوكِ فَباشَرَتْ سَنَابِكُها هَامَاتِهِمْ والمَغَانِيَا

ثم أعاد وزاد وأحسن فقال [٤] :

حَتَّى انتَهَى الفَرَسُ الجارِي وما وَقَعَتْ فى الأَرْضِ من جِيَفِ القَتْلَى حَوَافِرُهْ

* * *

البحترى [٥]:

ولم أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ لَدَى المَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بواحِدِ

أبو الطيب [٦] :

لمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بها وبالوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ العَدَدِ

* * *

البحترى [٧]:

وإنَّ مُقَامِى حَيْثُ خَيَّمْتَ مِحْنَةٌ تُخَبِّرُ عَنْ فَهْمِ الكِرَامِ الأَجَاوِدِ [٨]

أبو الطيب [٩] :

أَنَا الَّذِي بَيَّنَ الإِلٰهُ له الـ أَقْدَارَ والمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ

* * *

---

(١) ديوانه (٣ : ١٣٧) . (٢) الملاغم ما حول الفم . يقول : إن أجلة خيله ثياب من طغى عليه وخالفه ، وموطئها من كل من بغى عليه وجهه (٣) ديوانه (٤ : ٢٩٣) .

(٤) ديوانه (١ : ١٢١) (٥) ديوانه (١ : ١٣٦) .

(٦) ديوانه (١ : ٣٥٠) ، وروايته هناك :

* لما وزنت بك الدنيا رجحت بها *

(٧) ديوانه (١ : ١٣٦) . (٨) فى ديوانه: « الأماجد » (٩) ديوانه (٣ : ٢٦٨) .

البحترى وهو كثير[1] :

صَحَا واهْتَزَّ لِلْمَعْرُو ... فِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

أبو الطيب[2] :

وجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ ... لَقِيلَ كَرِيمٌ هيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ

* * *

عُمَيْر بن جُمَيْل :

يُثيرانِ من نَسْجِ التراب قَمِيـ ... ـصَيْنِ أسْمالاً ويَرْتديان

عدىّ بن الرِّقاع[3] :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الغُبَارِ مُلَاءَةً ... هَدْبَاءَ سَابِغَةً هُمَا نَسَجَاهَا

أبو الطيب[4] :

خافِياتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْـ ... ـعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعاً وَجِلَالَا[5]

* * *

البحترىّ فى السيف :

مُصْغٍ إلى حكم الردى فإذا مضى ... لم يلتفتْ وإذا قضى لم يَعْدِلِ

أبو الطيب ومثله كثير[6] :

لمَّا تَحَكَّمَتِ الأسِنَّةُ فِيهِمُ ... جَارَتْ وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي الأَحْكَامِ

* * *

أعشى باهلة[7] :

لا يأمن الناس مُمْساه ومُصْبَحه ... من كل أوْبٍ وإنْ لم يأتِ يُنْتَظَرُ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٧٣) . (٢) ديوانه (٤ : ٥٦) .

(٣) التبيان (٣ : ١٣٥) . (٤) ديوانه (٣ : ١٣٥) .

(٥) الجلال : جمع جل ؛ وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج .

(٦) ديوانه (٤ : ١٢) . (٧) الكامل للمبرد (٨ : ١١٢) .

خُزَز بن لوذان :

ودعوتَ جَيْشا بالثغور محلَّهم   والجيشُ باسم أبيهمُ يُسْتَهْزَمُ

ومثله قول الفرزدق :

لقوا مثلهم فاسْتَهْزَموهُ بدعوةٍ   دَعَوْها وكيعا والجيادُ بهم تجرى

يقول : إذا انتموا فَرِق القوم منهم فانْهزمُوا .

وقد أكثر الناس فى الرّعب ، وتصرفوا . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نُصِرْتُ بالرعب » .

قال أشجع :

كأَنّ عليها من مخافة جَعْفَرٍ   كتائبهُ مبثوثة وجَحَافِلَه

العكوّك :

غَدَا مجتمِع العزم   له جُنْدٌ من الرُّعْبِ

أبو تمام[1] :

إلاَّ تكُنْ حُصِرَتْ فقد أضحى لها   من خوف قارِعة[2] الحِصار حِصارُ

وله[3] :

لو لَمْ يُزَاحِفْهُم لزَاحَفَهم لَهُ   ما فى صدورهُمُ من الأوْجَالِ

أبو الطيب[4] :

إذ ما لَمْ تُسِرْ جَيْشاً إليهم   أَسَرْتَ إلى قُلوبهمُ الهُلُوعَا

وله [5]:

بَعثُوا الرُّعْبَ فى قلوبِ الأَعَادِى   فكأَنَّ القتالَ قبل التَّلاقِ

وله[6] :

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَديدُ الخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ   لَكَ المَهَابَةُ مَالَا تَصْنَعَ البُهَمُ[7]

---

(١) ديوانه ص ١٤٥ .   (٢) القارعة : الداهية .   (٣) ديوانه ص ٢٦ .

(٤) ديوانه (٢ : ٢٥٧) .   (٥) ديوانه (٢ : ٣٦٦) .

(٦) ديوانه (٣ : ٣٦٥) .   (٧) البهم : جمع بهمة وهو البطل .

وله[١] :

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فى الْقُلُوبِ دِرَاكاً قَبْلَ أَنْ يُبْصِروا الرِّمَاحَ خَيَالَا[٢]

وله[٣]:

فَهُمُ لاتِّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْ مِ نِزَالٍ ولَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ[٤]

وله[٥] :

صِيَّمٌ[٦] بأَبْوَابِ القِبَابِ جِيَادُهُمْ وأَشْخَاصُها فى قَلْبِ خائِفِهِم تَعدُو

وله[٧] :

تغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتَهُ ومَا لَهُ بأَقَاصِى الْبَرِّ إهْمَالُ

***

عمرو بن الأهْتم :

إذا المرء لم يُحْبِبْكَ إلاّ تَكرُّها يَدُلُّكَ من أَخْلَاقِه مايغَالِبُ

وأصله قول زهير[٨] :

ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرِئٍ مِنْ خليقةٍ وإن خَالَها تَخْفَى على النَّاس تُعْلم

أبو الطيب[٩] :

ولِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى أَكانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا

أبو تمام:

مَفَازَةُ صَدْرٍ لو تطرّق لم يكن ليسلُكها فردا سُلَيكُ القانِب

(١) ديوانه (٣ : ١٤١) . (٢) الدراك : التتابع. (٣) ديوانه (٣ : ١٩٨) .
(٤) النزال : المحاربة . (٥) ديوانه (٢ : ٧). (٦) يقال : صام الفرس إذا قام .
(٧) ديوانه (٣ : ٢٨٠) (٨) ديوانه ص ١٥ .
(٩) ديوانه (٤ : ٢٨٤).

وله(١) :

ورُحْبَ صَدْرٍ لو انّ الأرْضَ واسِعةٌ ... كوُسْعِهِ لم يَضِقْ عن أهْلِهِ بَلَدُ

البحترى(٢):

كريمٌ إذا ضاقَ الزّمانُ فإنّه ... يضلُّ الفضاء الرَّحبُ فى صَدْرِه الرَّحْبِ

وله :

ليسَ الّذى ضلت تميمٌ وسطها الد ... هْنَاء لا بلْ صدرُكَ الدّهْنَا

أبو الطيب(٣) :

شِيَمُ اللّيَالِى أنْ تُشَكِّكَ نَاقتى ... صَدْرِى بِهَا أَفْضَى أم البَيْدَاء

وله(٤) :

تَضيقُ عن جَيْشه الدُّنياَ ولو رَحُبَتْ ... كصَدْرِهِ لم تَبِنْ فيها عَسَاكِرُهُ(٥)

وله ـ وقد أساء(٦) :

وأنّك فى ثَوْبٍ وصَدْرُكَ فيكما ... على أنه من ساحةِ الأرْضِ أوْسَعُ(٧)

وقَلْبُك فى الدّنيا ولو دخَلَتْ بنا ... وبالجِنِّ فيه مادَرَتْ كيف ترْجِعُ(٨)

* * *

(١) التبيان (١ : ١٦) . (٢) ديوانه (١ : ٥٣) ، وروايته هناك :

كريم إذا ضاق اللئام فإنه ... يضيق الفضاء الرحب فى صدره الرحب

(٣) ديوانه (١ : ١٦) . (٤) ديوانه (٢ : ١٢٠) .

(٥) يقول : صدره واسع كأنه لسعته فوق سعة الدنيا . (٦) ديوانه (٢ : ٢٤٧) .

(٧) وصدرك : مرفوع على الاستئناف ؛ أى صدرك فى الثوب وفى جسدك مع أنه أوسع من وجه الأرض . قال العكبرى : ومثله قول ابن الرومى :

كضمير الفؤاد يلتهم الدنـ ... ـيا وتحويه دفتا حيزوم

وقول ابن المعتصم :

يا واسع المعروف هل وسع الثرى ... فى الأرض صدرك وهو منها أوسع

(٨) يقول : قلبك قد أحاطت به الدنيا ، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه .

أبو تمام[1] :

لما نَطقْتُ نَطقْتُ فيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ فلم آثمْ ولمْ أَتحوَّبِ[2]
ولو امتدحتُ سِواكَ كنتُ متى تَضِقْ عنّى لَهُ صِدْقُ المَقَالَةِ أَكْذِبِ

أبو الطيب[3] :

وإنّ مَديحَ الناسِ حَقٌّ وَباطِلٌ ومَدْحُكَ حَقٌّ ليسَ فيه كِذابُ[4]

* * *

أبو تمام[5] :

ولَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا لشعْرى ولَكِنّى مَدَحْتُ بِكَ المَدِيحَا

أبو الطيب[6] :

إِذَا خَلَعْتُ على عِرْضٍ لَهُ حُلَلًا وجَدْتُهَا مِنْهُ فِى أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ

* * *

مطرز بن سبح[7] :

فما أدركَ الساعون فينا بِوتْرِهِمْ ولا فاتنا من سائر النــاس واترُ

الطِّرِمَّاح[8] :

إن نأخذ الناس لا تُدْرَكْ أَخِيذَتُنَا أو نَطَّلب نتعدى الحق فى الطّلب

وهو كثير فى شعر العرب ؛ نقله أبو الطيب إلى الدهر فقال[9] :

تُفيتُ اللّيَالِى كُلَّ شَىْءٍ أَخَذْتَهُ وهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوارِمُ[10]

---

(١) ديوانه ص ١٥ . (٢) لم أتحوب : لم أتجنب الذنب .
(٣) ديوانه (١ : ٢٠٠) . (٤) الكذاب : الكذب ؛ وهو مصدر .
(٥) ديوانه ص ٧١ . (٦) ديوانه (٣ : ٤٠) .
(٧) التبيان (٣ : ٣٨٢) . (٨) التبيان (٣ : ٣٨٢) .
(٩) ديوانه (٣ : ٣٨٢) . (١٠) تفيت : تفعل من الفوت . والغوارم : جمع غارمة .

أبو تمام[١] :

قَفَا سِنْدِبَايَا والمنايا مُشِيحَةٌ ... تُهَدَّى إلى رُوحِ الكمِيِّ فتهتدى[٢]

أبو الطيب[٣] :

هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الجيوشِ كأنها ... تَخَيَّرُ أرْوَاحَ الكُمَاةِ وتَنْتَقِى[٤]

وهذا المعنى هو الذى سبقت إليه العرب ، فقال عبد يغوث بن صَلاءة[٥] :

ولكنني أحمى ذِمار أبيكم[٦] ... وكان الرماحُ يختطفن المُحَامِيَا

فقالت امرأة من العرب :

وقالُوا ماجداً منكم قتلْنا ... كذاك الرّمح يَكْلَفُ بالكريم

* * *

أشْجع :

فما وجه يَحْيَى وحدَه غاب عنهمُ ... ولكنَّ يَحْيَى غاب بالخير أجمعا

أبو الطيب[٧] :

غاب الأميرُ فغاب الخيرُ عن بلدٍ ... كادت لفَقْدِ اسمهِ تبكى مَنَابِرُهُ

فأما بكاء المنابر فمن قوله :

بَكت المنابرُ من فزَارَةَ شَجْوَها ... فاليوم من قَيْسٍ تَضِجّ وتجزع

وقد قال موسى شهوات[٨] :

بَكَتِ المنابرُ يوم ماتَ وإنَّما ... أبْكَى المنابرَ فَقْدُ فَارِسِهِنَّهْ

ونحوه قول أبى الطيب[٩] :

---

(١) ديوانه ص ١٠١ ، التبيان (٢ : ٣٠٩) (٢) قفا : تتبع . ومشيحة : مجدة

(٣) ديوانه (٢ : ٣٠٩) . (٤) الكماة : جمع كمى ، والاملاك : جمع ملك .

(٥) خزانة الأدب (١ : ٣٧٤) ، أيام العرب ص ١٣٠ .

(٦) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه . (٧) ديوانه (٢ : ١١٨) .

(١) التبيان (٢ : ١٨٨) (٨) ديوانه (٣ : ٣٨٢) .

وأصبحَ مِصْرٌ لاتَكُونُ أميرَه   ولو أنَّه ذو مُقْلةٍ وفم بَكَى

* * *

أشجع[1] :

شَدَّ الخِطَامَ بأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ   حَتَّى اسْتَقَامَ له الذى لم يُخْطَمِ

أبو الطيب[2] :

وقد عايَنُوه فى سِوَاهُمْ ورُبَّمَا   أَرَى مارِقاً[3] فى الحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ

ونحوه له[4] :

فَهُمْ حِزَقٌ[5] على الخَابُور صَرْعَى   بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غيرِهِمُ خُمَارُ

ونحوه له[6] :

تَلَفُ الَّذى اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً   وَعَظَ الَّذى اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلَا

* * *

أشجع :

وتَنَالُ منكَ بِحَدِّ مُقْلَتِها   مالا يُنَال بحدة النَّصل

وهو كثير مشهور :

أبوالطيب[7]:

نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا   تَنْدَقُّ فيه الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ[8]

* * *

(١) مهذب الأغانى (٨ : ٢٢٣)   (٢) ديوانه (٢ : ٣٣٠) .

(٣) المارق : الذى يمرق من الطاعة .   (٤) ديوانه (٢ : ١٠٩) .

(٥) الحزق : الجماعات .   (٦) ديوانه (٣ : ٢٤٣) .   (٧) ديوانه (١ : ١٥) .

(٨) السابرى : الدرع العظيمة التى لا ينفذها شىء . والصعدة : القناة . يقول : إن عينك نفذت إلى قلبى فجرحته ؛ وربما كان الرمح يندق دون الوصول إليه .

أشجع[1] :

يَسْبِقُ الرَّعْدَ بالنَّوَالِ كَمَا يَسْـ ... ـبِقُ بَرْقَ الغيُوثِ صَوْبُ الْغَمَامِ

أبو الطيب[2] :

وحَالَتْ عَطايَا كَفِّهِ دُونَ وعدِه ... فَلَيْسَ لَهُ إنْجازُ وَعْدٍ ولا مَطْلُ

ونحوه له[3] :

لقد حالَ بالسَّيْفِ دونَ الوَعيدِ ... وحالتْ عَطاياهُ دونَ الوُعُودِ

ونحوه له[4] :

واجْزِ الأميرَ الَّذِى نُعْمَاهُ فاجِئَةٌ ... بغَيْرِ قَوْلٍ ونُعْمَى النَّاسِ أقْوَالُ

وقد سبقه إلى هذا اللفظ يزيد المهلَّبي فى قوله[5] :

وكَمْ لَكَ نَائِلاً لَمْ أَحْتَسِبْهُ ... كَمَا يُلْقَى مُفاجأةً حَبيبُ

* * *

أشجع[6]:

يُعْطِى زِمامَ الطَّوعِ إخْوانَه ... ويَلْتَوِى بالمـلِكِ القَادِرِ

أبو تمام[7]:

جَليدٌ على عَتْبِ الخُطُوبِ إذَا عَرَتْ ... وليس على عَتْبِ الأخِلاَّءِ بالجَلْدِ

أبوالطيب[8]:

إنى لأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أحبَّتى ... وتُحسُّ نَفْسى بِالحِمامِ فأَشْجُعُ

ويزيدُنى غضبُ الأعَادِى قسوةً ... ويُلِمُّ بى عَتْبُ الصَّدِيقِ فأَجْزَعُ

* * *

الخريمى ، وقد تقدمه فيه جماعة من الشعراء[9]:

(١) التبيان (٣ : ١٨٨) . (٢) ديوانه (٣ : ١٨٨) .
(٣) ديوانه (١ : ٣٤٣) . (٤) ديوانه (٣ : ٢٧٧) .
(٥) التبيان (٣ : ٢٧٧) . (٦) التبيان (٢ : ٢٦٩) .
(٧) ديوانه ص ١٢٨ . (٨) ديوانه (٢ : ٢٦٩) . (٩) التبيان (١ : ١٥٥).

إذا أنْتَ لم تَحْمِ القديمَ بحادثٍ ... من المجدِ لم يَنْفَعْك ما كانَ مِنْ قَبْلُ

البحترى[1] :

ولستُ أعتدُّ للفَتى حَسَباً ... حتى يُرَى فى فعالِه حَسَبُه

أبو الطيب[2] :

إذا لم تَكُنْ نفسُ النسيبِ كأصْلِهِ ... فماذا الَّذِى يُغْنِى كِرَامُ المَنَاصِبِ

ومثله كثير ؛ وله أمثلة ؛ ومن قديم ماجاء فيه [قول] المتوكل الليثىّ :

لَسْنَا وإن كَرُمَتْ أوائِلُنَا ... يوماً على الأحْساب نَتَّكِلُ

نَبْنِى كما كانت أوائلُنا ... تبنى ونفعلُ مثلَ مافعلوا

ومثل هذا قول أبى الطيب[3] :

ولَسْتُ بِقانعٍ مِنْ كلِّ فَضْلٍ ... بأَنْ أُعْزَى إلَى جَدٍّ هُمَامِ

وقريب منهم قول بعضهم :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وأمُّكَ حُرَّةٌ ... وقَدْ يَلِدُ الحُرَّانِ غَيْرَ نجيبِ

وقول الآخر :

لئِنْ فَخَرْتَ بآبَاءٍ لَهُمْ شَرَفٌ ... لَقَدْ صَدَقْتَ ولَكِنْ بئس ما وَلَدُوا

أبو الطيب[4] :

أرَى الأَجْدَادَ يَغْلِبُها كَثِيرٌ ... عَلَى الأوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ

* * *

الخُرَيمى[5] :

كأنَّ عليه الشُّكرَ فى كلِّ نِعْمةٍ ... يُقَلِّدُنِيها بَاديا ويُعِيدُهَا

أبو الطيب[6] :

مِنَ القَاسِمِينَ الشُّكْرَ بينى وبينهم ... لأنَّهم يُسْدَى إليهمْ بأَنْ يُسْدُوا

(١) ديوانه (١ : ٣٣) . (٢) ديوانه (٣ : ١٥٥) .
(٣) ديوانه (٤ : ١٤٥) . (٤) ديوانه (٤ : ١٤٤) .
(٥) التبيان (٢ : ٧) . (٦) ديوانه (٢ : ٧) .

فشُكْرِى لهم شُكْرانِ: شُكْرٌ على النَّدَى ... وشُكْرٌ على الشُّكْرِ الَّذِى وهَبُوا بَعْدُ

وله[1] :

إذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالَا

***

على بن جَبلة ـ وقد جاء مثله فى شعر العرب :

وما يَشْفِى صُداعَ الرَّأْ ... سِ مثل الصارم العَضْبِ

أبو الطيب[2] :

إذَا وَصَفُوا له دَاءً بثَغْرٍ ... سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ

***

على بن جَبَلة[3] :

به عَلِمَ الإعطَاءَ كلُّ مُبَخَّلٍ ... وأَقْدَمَ يومَ الرَّوْعِ كلُّ جبانِ

أبو الطيب[4] :

فيا أَجْبَنَ الفُرْسانِ صاحِبُهُ تَجْتَرِئُ ... ويا أَشْجَعَ الشُّجْعان فارِقْهُ تَفْرَق

وله[5] :

أَضْرَتْ[6] شَجَاعَتُه أَقْصَى كَتَائِبِه ... على الحِمَامِ فما موتٌ بمَرْهُوبِ

***

على بن جَبلة[7] :

فَلَوْ جَزَأَ اللهُ الْعُلَا فَتَجَزَّأَتْ ... لَكَانَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ والأُذنانِ

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٣٠).
(٢) ديوانه (٣ : ١٦) .
(٣) التبيان (٣ : ٢١٥) .
(٤) ديوانه (٣١ : ٢١٥) .
(٥) ديوانه (١ : ١٧٢) .
(٦) أضرت : جرأت .
(٧) التبيان (٤ : ٢٦٤) .

أبو الطيب ـ وقد زاد وأحسن[(١)] :

الْجُودُ عَـيْنٌ وفِيكَ نَاظِرُهَا   والْبَأْسُ باعٌ وأَنْتَ يُمْنَاهُ

* * *

على بن جبلة[(٢)] :

كأَنهُمْ والرِّمَاحُ شابكة   أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الأَجَمُ

أبو تمام[(٣)] :

آسَادُ غِيلٍ مُخْدَرَاتٌ[(٤)] مَالَها   إلاَّ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ

وله[(٥)] :

أُسْدُ الْعرِينِ إِذَا ما الرَّوْعُ صَبَّحَهَا   أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَـكِنْ غابُهَا الأَسَلُ

أبو الطيب[(٦)] :

بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الْأَسَدِ الْـ   أُسْدُ ولَـكِنْ رِمَاحُها الْأَجَمُ[(٧)]

* * *

ابن جبلة :

وما سـوّدَتْ عِجْلاً مآثِر عزمِهمْ   ولـكِنْ بهم سادت على غيرها عِجْل

وهذا معنى سوء يقصّر بالممدوح ، ويغُضُّ من حَسَبه ، ويحقِّر من شأن سَلَفه، وإنما طريقةُ المدح أن يجعلَ الممدوحُ يشرُف بآبائه ، والآباء تزداد شرفا به ، فيجعل لـكل منهم فى الفخْر حظًّا ، وفى المدح نصيبا ؛ فإذا حصَلت الحقائق كان النصيبان مقسومين عليهم ؛ بل كان لـكل فريق منهم ، لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ،

(١) ديوانه (٤ : ٢٦٤) . (٢) التبيان (٤ : ٦٤) .
(٣) ديوانه ص ٣٨١ . (٤) مخدرات : داخلات الخدر ؛ وهو بيت الأسد .
(٥) التبيان (٤ : ٦٤) . (٦) ديوانه (٤ : ٦٣) .
(٧) بنو العفرنى: مبتدأ خبره الأسد، والعفرنى: من صفات الأسد ؛ ومعناه الشديد. ومحطة: اسم جد الممدوح فى القصيدة ، وهو على بن إبراهيم التنوخى ، والأسد : نعت لمحطة باعتبار ما فيه من معنى الشجاعة . والأجم: الغاب . يقول : إن بنى محطة الذى هو أسد أسود مثله ؛ ولـكن غاباتهم الرماح لا الشجر كعادة الأسود .

ومنتقل إلى ولده كانتقال مالِه ؛ فإن رُوعى وحُرِس ثبت و . ا ، وإن أهمل وأضيع هلك وباد ، وكذلك شرف الولد يعمّ القبيلة ، وللوالد منه القِسْم الأوفر ، ولو اقتصر على قوله : « بهم سادت على غيرها عِجْل » لوجد العُذرَ إليه مسلكا ، ولأمكن أن يقال : إن عِجْلا تسود بهم وبأفعالها أيضا فقد تسود القبيلة ، وقد يجتمع للإنسان وجوه من الشرف كلها تقدّمه وتَشيد مجدَه وتُسوِّده ، فكأنهم مفاخر عِجْل التى تسود بها ؛ لكنَّه وعَّر هذه الطريقة بقوله « وما سوّدت عجلا مآثر عزمهم » فجعل الرجل خارجيًّا بائنا ، لاحظّ له فى حسب آبائه وشرفهم . وإنما الجيد ماقال زهير[1]:

وَمَا يكُ مِنْ خير أتوه فإنَّمَا ... توارثه آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ

وقد تجاوز هذا ، فجعل الأبَ أوْلَى بالشرف فقال[2] :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَّمَا حسنا ... نالا الملوكَ وبذَّا هذه السّوَقا[3]

هو الجوادُ فإن يلْحَقْ بشأوِهِما ... على تكاليفه فمثلُه لَحِقا[4]

أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمثل ما قدَّما من صالح سَبَقا[5]

وجرى أبو الطيب على منهاج ابن جَبَلة فقال[6] :

ما بقَوْمِى شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بِى ... وبنَفْسِى فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِى

فختم القول بأنهُ لاشرف له بآبائه . وهذا هَجْوٌ صريح ، وقد رأيتُ من يعتذر به فيزعم أنه أراد : ماشرفت فقط بآبائى ، أى لى مفاخر غير الأبوة ، وفىّ مناقبُ سوى الحسب . وباب التأويل واسع ، والمقاصد مغيّبة ، وإنما يُستشهد بالظاهر ،

---

(١) ديوانه ص ٢٣ . (٢) ديوانه ص ٣٩ .

(٣) الشأو: الغاية . وأراد بالمرأين أباهرم بن سنان وجده . والمراد بقوله « نالاالملوك » أنهما نالابأفعالهماأفعالالملوك . والسوق : أوساط الناس.

(٤) يقول: هو بمنزلة الجواد من الخيل فى مسابقة أبويه؛ فإن لحق بهما وساواهما على مايتكلف من الشدة فمثله لحق ذلك لكرمه .

(٥) المهل: التقدم . يقول : إنسبق الممدو ح أبواه فى الشرف فهو معذور؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراهما . (٦) ديوانه (١ : ٣٢٢) .

ويتبع موقع اللفظ . فأما قوله :

* وبنفسى فخرت لابجدودى *

فهو صالح ؛ لأنه لم يَنْفِ أن يكون له فيهم وبهم رتبة فى الفخر ، لكنه قال : أكتفى فى افتخارى عليكم بنفسى فأفضلكم ولا أفتقر إلى مفاخر جدودى وأتركها وادعة موفورة ؛ وقد صرح بهذا فى قوله[1] :

وإنَّما يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وأَنْفَذُوا حِيَلَهْ[2]

***

هُدْبة بن خَشْرَم[3] :

وإنى لأُخْلِى للفتاةِ فِرَاشَها وأَصْرِمُ ذَاتَ الدلِّ والقلبُ آلِفُ

ومثله كثير .

أبو الطيب[4] :

يَرَدُّ يَداً عَنْ ثَوْبِها وهْوَ قَادِرٌ ويَعْصِى الهوَى فى طَيْفِها وهْوَ رَاقِدُ

***

أشجع :

فأصْبَح فى لَحْدٍ من الأرض ميتا وكانت به حيا تَضِيق الصَّحَاصِح[5]

أبو الطيب[6] :

ومَنْ ضَاقَتِ الأرْضُ عَنْ نَفْسِه حَرًى[7] أنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ

***

(١) ديوانه (٣ : ٢٦٧) . (٢) نفروه : غلبوه بالفخر . يقول : إنما يذكر الأجداد والآباء للمفاخرين من غلبوه ولم يجد حيلة ، فافتخر بالآباء ؛ إذ لم يجد لنفسه فضيلة يفتخر بها .

(٣) التبيان (١ : ٢٦٨) . (٤) ديوانه (١ : ٢٦٨) .

(٥) الصحاصح : جمع صحصح ؛ وهو ما استوى من الأرض .

(٦) ديوانه (٤ : ١٥٤) . (٧) حرى : حقيق وخليق .

أبو عيينة[١] :

تَطِيبُ دُنْيانا إذا ما تَنَفَّسَتْ كأنَّ المِسْكِ فى دُورِنا هَبَّا

أبو الطيب[٢] :

تَنَفَّسُ والعَوَاصِمُ[٣] منك عَشْرٌ فيُعْرَفُ طِيبُ ذَلكَ فى الهوَاء

* * *

حَسَّان[٤] :

إذا ما نضَيْنا بأسْيافنا جعلْنا الجماجمَ أغْمادَها

وقد أكثر الناس فيه بعده . ومن مليحه قولُ الحماسى[٥] :

مَنابِرُهن بطون الأكفّ وأغمادُهن رءوس المُلوك

وقال أبو الطيب[٦] :

لعِلْمِها أنها تَصيرُ دمًا وأنَّه فى الرِّقاب يُغْمِدُها

* * *

صالح بن عبد القدوس[٧] :

عَدُوُّكَ ذُو العَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ الوَامِقِ الأحْمَقِ

أبو الطيب[٨] :

ومِنَ العَدَاوَةِ مَا يَنالُكَ نَفْعُهُ ومِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضرُّ ويُؤلِمُ

* * *

أمية ابن أبى الصَّلْت[٩] :

أأذْكُرُ حَاجَتِى أمْ قَدْ كَفَانِى حَيَاؤُكَ إنَّ شِيمَتَك الحَيَاء

(١) التبيان (١ : ٤٥) . (٢) ديوانه (١ : ٤٥) .
(٣) العواصم : ثغور معروفة تعصم أهلها بما عليها . (٤) ديوانه (١ : ٣٠٩) .
(٥) التبيان (١ : ١٠٩) . (٦) التبيان (١ : ٣٠٩) .
(٧) التبيان (٤ : ١٣٠) . (٨) ديوانه (٤ : ١٣٠) .
(٩) شعراء النصرانية ص ٢٢٠ .

إِذَا أَثْنَى عليك المَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

أبو بكر الخوارزمي(١) :

وإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حاجةً ... فلِقَاؤُه يَكْفِيكَ والتَّسْلِيمُ
وإِذَا رآكَ مُسَلِّمًا عرفَ الَّذِي ... حمَّلْتَه فكَأَنَّه مَلْزُومُ

أبو الطيب(٢) :

وفى النَّفْسِ حاجات وفيكَ فَطَانةٌ ... سُكُوتِي بيانٌ عِنْدَها وخِطَابُ

* * *

عُرْوة بن الوَرْد(٣) :

أُقَسِّمُ جِسْمِي فى جُسومٍ كثيرة ... وأحسو قَراح الماء والماءُ باردُ

ألمّ به أبو الطيب فقال(٤) :

مَنَافِعُها مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا ... تَغَذَّى وتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وأَنْ تَظْمَا(٥)

* * *

خداش بن زُهَيْر(٦) :

ولَا أَكُونُ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَتَه ... على الحمارِ وخلَّى صَهْوَةَ الفَرَسِ

نقله أبو الطيب فزاد وأحسن فقال :

مَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الجَوَا ... دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ والغَبَبْ(٧)

* * *

---

(١) التبيان (١ : ١٩٨) . (٢) ديوانه (١ : ١٩٨) .

(٣) شعراء النصرانية ص ٨٨٧ . (٤) ديوانه (٤ : ١٠٣) .

(٥) الضمير فى «منافعها» للجدة المرثية ، يعنى أنها كانت قليلة المطعم تؤثر بطعامها على نفسها وتجوع لينتفع غيرها . (٦) التبيان (١ : ٩٨) .

(٧) الغبب : ما تدلى تحت حنك الثور . قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا .

بعضهم :

ورُحْتُ لَا تحمِلُنى أعواد سَرْجِىَ مُسرَجا

أبو الطيب[١] :

قُحٍّ يَـكادُ صَهيلُ الخيلِ يَقْذِفُه مِنْ سَرْجِهِ مَرَحا بالعِزِّ أوطَرَبا[٢]

* * *

على بن جَبَلة :

أَعْطَيْتَنى ياولىَّ الحمدِ مُبْتَدِيا عَطِيَّةً كافأَتْ مَدْحِى ولمْ تَرَنِى

ماشِمْتُ برقَك حتى نلتُ رَيِّقَهُ كأنما كنتَ بالجدْوى تبادِرُنِى

وهذا من جيده وجيّد شعرِ المحدثين ، وهو واقع فى كل اختيار عرَض له أبو الطيب ، فقال ـ وهو معنى متداول[٣] :

تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِى عَلَيْهِ وأَلْقَى كِيسَهُ[٤] قَبلَ الوِسَادِ

* * *

أبو تمّام[٥] :

كأنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَها حَبِيباً فما تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِـعُ[٦]

محمد بن أبى زَرْعة[٧] :

كأن صَبَّيْنِ بَاتَا طُولَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْمُقَلَا

أبو الطيب[٨] :

---

(١) ديوانه (١:١٢١) . (٢) القح : الخالص من كل شىء . نعت لأشعث فى البيت قبله:

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما حتى كأن له فى قتله أربا

(٣) ديوانه (١ : ٢٥٨) . (٤) فى الديوان « ماله » .

(٥) ديوانه ص ٢٨٧ . (٦) الغر : البيض . وترقأ : تجف .

(٧) التبيان : (٤ : ٧) . (٨) ديوانه (٤ : ٧) .

وكأنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وكَفَتْ بِها   تَبْكِى بعَيْنَىْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ[١]

* * *

أشجع[٢] :

إنَّ خُرَاسَانَ وإنْ أَصْبَحَتْ   تَرْفَعُ مِنْ ذِى الهِمَّةِ الشَّانَا

لم يَحْبُ هارُونُ بِهَا جَعْفَرًا   لَكِنَّهُ حَابَى خُرَاسَانَا

غيره :

واللهِ ما فَجَعُوكَ بالدِّيوان إذ   صرفُوكَ بل فَجَعُوابكَ الدِّيوانا

أبو الطيب[٣] :

نُهَنِّى بِصُورٍ أَمْ نُهَنِّئُها بِكَا   وقُلْ لِلَّذِى صُورٌ وأَنْتَ له لَكَا

وماصَغُرَ الأُرْدُنَّ والسَّاحِلُ الَّذِى   حُبِيتَ بهِ إلا إلى جَنْبِ قَدْرِكَا

* * *

بعضهم[٤] :

أَتَيْتُ فُؤَادَها أَشْكُو إِلَيْهِ   فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزِّحَامِ

أبو الطيب وهو منقول إلى معنى آخر[٥] :

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كلُّ بِنْتٍ   فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ[٦]

* * *

عنترة بن الأَخْرس[٧] :

إذا أَبْصَرْتَنِى أَعْرَضْتَ عنى   كأنَّ الشمسَ من قِبَلِى تدُورُ

---

(١) عروة بن حزام : أحد عشاق العرب المشهورين .   (٢) التبيان (٢ : ٣٨١) .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٨١) .

(٤) التبيان (٤ : ١٤٧) :   (٥) ديوانه (٤ : ١٤٧) .

(٦) بنت الدهر : الحمى . وبنات الدهر : شدائده .   (٧) سمط اللآلئ ص ٤٥٢ .

أبو الطيّب ـ وهو منقول عن غرَضه[١] :

كأنّ شُعاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فيه ... فَفِي أبْصارِنا عَنْهُ انْكِسارُ

زياد العَبْدى :

صفان مختلفانِ حين تلاقيا ... آبا بوجهِ مطلّق أو ناكح

مسلم :

إذَامانكحْناالحربَ بالبيضِ والْقَنَا ... جعلنا المنايا والدماءَ طلاقَها

سَلْم الخاسر:

يرمى العَجاج بها أغرّ محجّلٌ ... جعل السيوفَ منا كحاً وطلاقا

أبو الطيب[٢]:

يُجَنِّبُها مَنْ حَتْفُهُ عنه عاقِلٌ ... ويَصْلَى بِهامَنْ نَفْسُه مِنْه طَالِق

وهذه الأبيات مختلفة المعانى ، وبيت أبى الطيب بمعزل عنها ؛ وإنما استعار منها لفظة الطلاق فقط.

* * *

مسلم[٣]:

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ ميثاقٌ يُخَلِّدُنَا ... إلَى المَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكِبَرِ

ألمَّ به أبو الطيب فقال[٤] :

وَلَوْ كُنْتُ أدْرِى كَمْ حيَاتِى قَسَمْتُهَا ... وصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ

* * *

أبو تمام[٥] :

ثوَى مالهُ نَهْبَ المَعَالِى وأوْجَبَتْ ... عليهِ زَكَاةُ الجُودِ ما لَيْسَ وَاجِبَا

---

(١) ديوانه (٢ : ١١٠) .
(٢) ديوانه (٢ : ٣٤٧) .
(٣) التبيان (٤ : ١٤٢) .
(٤) ديونه (٤ : ١٤٢) .
(٥) ديوانه (٤ : ١٨) .

أبو الطيب(١) :

وَيَدٌ كأَنَّ نَوَالَهَا وقِتَالَها فَرْضٌ يَحِقُّ عليكَ وهُوَ تَبَرُّعُ

* * *

حَمْزة بن بِيض(٢):

وهَمُّك فيها جِسامُ الْأُمُورِ وَهَمُّ لِدَاتِك أَنْ يَلْعَبُوا

أبو الطيّب(٣) :

وهَمُّها فى الْعُلَا والمَجْدِ نَاشِئَةً وهَمُّ أَتْرَابِهَا فى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

* * *

ابن الرُّومى(٤):

وما الشُّكْرُ إلَّا تَوأَمُ الحِقْدِ فى الْفَتى وبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَمِين إلى بَعْضِ

أبو الطّيب(٥) :

جَزَاكَ رَبُّكَ بالإحْسَانِ مَغْفِرَةً فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الغَضَبِ

* * *

غيره(٦) :

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هَلْكُ واحِدٍ ولكِنَّه بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

ابن المقفع(٧) :

وتَقْتُلُنى فتَقْتُل بى كريماً يموت بموته بَشَرٌ كَثِيرُ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٧٣) .
(٢) التبيان (١ : ٨٩) .
(٣) ديوانه (١ : ٨٩) .
(٤) ديوانه ص ١٦٣ .
(٥) ديوانه (١ : ٩٤) .
(٦) العقد الفريد (١ : ١٦٦)
(٧) التبيان (١ : ٨٧)

أبو الطيب(١) :

غَدَرْتَ ياموتُ كَمْ أَفْنَيْتَ منعدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وكم أسْكَتَّ من لَجَبِ

والبيت الذى بعده :

وكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فى مُنَازَلَةٍ ... وكَمْ سَأَلْتَ فَلَمَ يَبْخَلْ ولم تَخِبِ

ومثل قول البحترى(٢) :

تَرى البيض لم تعرفهم حين واجهتْ ... وجوهَهم فى المــأزِق المتجهِّم

ولم تتذكرْ ريَّها بأكفهّم ... إذا أوردُوها تحت أغْبر أقتم

* * *

البحترى(٣):

لَعَمْرُكَ مَا المَكْرُوهُ الاَّ ارْتِقَابُه ... وأَبْرَحُ مِمَّا حَــلَّ مَايُتَوَقَّعُ

أبو الطيب(٤) :

كُلُّ مَالَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فى الأنْ ... فُسِ سَهْلٌ فيها إِذَا هُوَ كانَا

* * *

قال :

فلسنا على الأعقاب تَدْمِى كُلومنا ... ولكنْ على أقدامنا يُقطرُ الدمُ

ابو الطيب(٥):

رَمَوْا بنَوَاصِيها القِسِيَّ فجِئْنَها ... دَوَامِيَ الْهَوَادِى سَالِمَاتِ الجَوَانِبِ(٦)

* * *

(١) ديوانه (١ : ٨٧) (٢) ديوانه (٢ : ٢٥٦)
(٣) ديوانه (٢ : ٨٧) . (٤) ديوانه (٤ : ٢٤١) . (٥) ديوانه (١٥٣:١).
(٦) القسى : جمع قوس . والهوادى : الأعناق . والنواصى : جمع ناصية ؛ وهو مقدم شعر الرأس .

قال :

والعين تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وتفقده ... وناظر القلب لايَخْلُو من البَصَر

وهو معنى متداول .

بعض المحدَثين :

ولا هممتُ بشربِ الماء من عطشٍ ... إلا رأيتُ خيالاً منك فى الماء

أبو الطيب[١] :

مُمَثَّلَةً حتَّى كأنْ لَمْ تُفَارِقِى ... وحتَّى كأنَّ اليَأْسَ مِنْ وَصْلِك الْوَعْدُ

ومن هذا المعنى قول ابن المعتز[٢] :

إنَّا على البِعَـــاد والتفرق ... لَنَلْتقى بالذكر إنْ لَمْ نَلْتقِ

وقول أبى الطيب[٣] :

لَنَا ولأَهْـــلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ ... تَلَاقَى فى جُسُوم ما تَلَاقَى

* * *

حسَّان[٤] :

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالاً لقائلٍ ... بملتقطَاتٍ[٥] لاتَرى بَيْنَها فَضْلاً

أبو الطّيب[٦] :

إذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكٍ ... وإنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ

* * *

الطرمى فى رطازاته[٧] :

ورَأْسى مَرْفُوعٌ لنجمٍ كأنَّما ... قَفَاى إلى صُلْبى بخيطٍ مخيَّطِ

---

(١) ديوانه (٢ : ٣) . (٢) ديوانه ص ١٢٤ . (٣) ديوانه (٢ : ٢٩٤)

(٤) ديوانه ص ٢٨٧ . (٥) الملتقطات : قطع الذهب الملتقطة . (٦) ديوانه (٤ : ١١٢)

(٧) التبيان (١ : ١٤٨) قال فى اللسان : الرطز : الشعر الضعيف .

فتبعه بعض الرطّازين :

وراسِيَ مرفوعٌ إليه كأنّما ... برأسِيَ مسمار إلى النجم مُوتَدُ

أبو الطيب ـ وهو من فرائده(١) :

بَعِيدَةُ ما بَيْنَ الجفُونِ كأنّما ... عَقَدْتُمْ أعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ

وقريب منه قول بشار :

* كأن جفونَها عنها قصار *

***

أبو تمام(٢):

فإنْ يَكُ من بنى أُدَدٍ جَناحِى ... فإنَّ أثيثَ رِيشِى من إيادِ

أبو الطيب وهو منقول(٣) :

فإنْ يَكُ سيفَ دَوْلَةِ غيرِ قَيْسٍ ... فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ والثِّيَابُ

***

ابن المعتز :

فكرّتْ كنصل السيفِ تَتْلُو لواقحاً ... كأن حصى الصّمّان من وقعها رَمْلُ

أبو الطيب(٤):

إذا وَطِئَتْ بأيْدِيها صُخُوراً ... يَفِئْنَ لوطء أرْجُلِها رِمَالاَ

وقد أحسن فى قوله « يفئن لوطء أرجلها » ، وزاد بأن جعل للأيدى ماجعله الأول لجملة القوائم ؛ وللأول من الفضل أنه خصّ الحصى وهو أشدُّ من الصخر وأصلب وهذا المعنى كثير مُبْتذل ؛ وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظا ومعنى .

***

---

(١) ديوانه (١ ـ ١٤٨) . (٢) ديوانه : ٦١ .

(٣) ديوانه (١ : ٨٢) . (٤) ديوانه : ٣ ـ ٢٢٩ .

البحترى[(١)]

وَمَا أَنَا إِلاَّ عَبْـدُ نِعْمَتِكَ الَّتِى نُسِبْتُ إِلَيْهَا دُونَ رَهْطِى ومَعْشَرِى

نقله أبو الطيب فقال[(٢)]:

دُعِيتُ بتقريظيكَ فى كلِّ مَجْلِسٍ وظَنَّ الَّذِى يَدْعُو ثَنَائِى عَلَيْكَ اسْمِى[(٣)]

* * *

البحترى[(٤)]:

ومُظَفَّرٍ بالْمَجْدِ إدْرَاكاتُهُ فِى الحَظِّ زَائِدَةٌ عَلَى أَوْطَارِهِ

أبو الطيب ـ وقد فسر ما أغفله البحترى[(٥)]:

تُمْسِى الأَمَانِىُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ لشَىْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِى

* * *

زياد الأعجم:

تَرَى الطِّفْلَ منهم يبتغى المجد شيمةً وليس بِمُنْسِيهِ ابتناءَ على الهَرَمِ

وإن هو وفَّى العمر تسعين حجة هذى بِقِرَى الأضْيَافِ والجار والذِّمَمِ

الرواية: « ينسيه بناء مجده العدم ».

البحترى[(٦)]:

عَرِيقُونَ فى الإفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى لِنَاشِئِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ الْعُمْرُ

أبو الطيب[(٧)]:

---

(١) التبيان (٢ : ١٦١). (٢) ديوانه (٢ : ١٦٠).

(٣) التقريظ: مدح الرجل حيا. يقول: قد عرفت بالثناء عليك؛ حتى كأنه اسم لى.

(٤) ديوانه (٢ : ٩). (٥) ديوانه (٣ : ٨١).

(٦) ديوانه (١ : ١٠). (٧) ديوانه (٤ : ٦٥).

كأَنَّما يُولَدُ النَّدى مَعَهُمْ لاصِغَرٌ عاذِرٌ ولَا هَرَمُ

* * *

عَلْقَمة بن أصوى :

فما إنْ رأوْا ناراً تُشَبُّ لدى الوَغَى ولـكنْ رأوْا ناراً بها ورق الدم

زُفَر بن الحرث[1] :

سَقَيْناهُمُ كأساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ولـكنَّهمْ كانُوا على الموتِ أَصْبَرَا

أبو الطيب[2] :

وما عَدِمَ اللَّاقُوكَ بأْساً وشِـدَّةً ولَـكِنَّ مَنْ لَاقَوْا أَشَدُّ وأَنْجَبُ

* * *

... الله بن معاوية ، ويروى لإسحاق الموصلى[3] :

أَرَى نَفْسِى تَتُوقُ إلى أُمورِ يُقَصِّرُ دونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِى

فلا نَفْسِى تُطَاوِعُنِى ببُخْلٍ ولا مَالِى يبلِّغُنِى فَعَالى

وهو من قول الأول :

ذَرِينِى أطوِّف فى البلاد لعلَّنِى أصيبُ غنىً فيه لذى الحق محمَلُ

أليس عجيباً أن تلمَّ مُلمَّه وليس علينا فى الخطوب مُعَوَّل

ومثله قول الآخر :

وتقصرُ أموالُ الفتى دونَ هَمِّه وقد كانَ لولا القلُّ طلاعَ أَنْجُدِ

ونحوه قول إبراهيم الموصلىّ :

فَعالى فعالُ المكثرين توسّعا ومالى كما قد تعلمين قليل

(١) التبيان (١ : ١٨٥) . (٢) ديوانه (١ : ١٨٥) .

(٣) التبيان (٢ : ٢٢) .

وحكى عن بعض الحكماء أنه سُئل عن أسوأ الناس حالاً فقال : مَنْ قويت شهوتُه وبعدت هِمَّتُه ، واتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته .

أبو الطيب(١) :

وأتعبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زاد همُّهُ وقصَّر عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسَ وُجْدُه(٢)

ونحوه قوله(٣) :

لَحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فكلُّ بعيدِ الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ

والأبيات التي تلى هذا البيت متصلة به وهى قوله(٤) :

فلا يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُكَ كُلُّه فَيَنْحَلَّ مجدٌ كان بالمال عَقْدُهُ
ودَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِي المَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ والمالُ زَنْدُهُ
فلا مَجْدَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ولا مالَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قلَّ مَجْدُه

وكأنها مجموعة من معانى أبيات قديمة وحديثة ، منها قول أُحَيْحة بن الجُلَاح(٥) :

ولا أزال على الزّوار أَعْمُرها إنّ الكريمَ على الإخوان ذوالمال
وإنْ أَرَدْتَ مُسَامَاةً تقَاعَدُ بِي عَمَّا يُنَوِّهُ باسْمِي رقَّةُ الحَالِ

وقول ابن المعتز :

يارُبَّ جُودٍ جَرَّ فقرَ امرِيء فقام فى الناسِ مَقام الذَّليل

وحكى الجاحظ عن بعض الحكماء أنه كان يقول فى دعائه : اللهم ارزقنى حمدا ومجدا ؛ فإنه لاحمد إلا بفعال ، ولا مجد إلا بمال .

* * *

(١) ديوانه (٢ : ٢٢) . (٢) الوجد : السعة .
(٣) ديوانه (١ : ٨٠) . (٤) ديوانه (٢ : ٢٢) .
(٥) البيت الأول فى مهذب الأغانى (١ : ١١٤) ، والبيت الثانى فى التبيان (٢ : ٢٢) ونسبه إلى الخليل بن أحمد .

بكر بن النّطاح :

هـذا أبو دُلف الذى لسيوفه ورماحِـه تتعبّد الأقْدارُ

على بن جَبَلة ــ ويروى لخلف بن مَرْزوق :

أنت الذى تُنزل الأيامَ منزلها وتنقل الدهرَ من حال إلى حال

أبو الطيب[١] :

نَفَذَ القَضَاءُ بِما أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّما أَزْمَعْتَ[٢] شيئاً أَزْمَعَا

وأَطَاعَكَ الدَّهْرُ العَصِيُّ كأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لبَّى مُسْرِعاَ

ونحوه له[٣] :

مَلِكٌ تـكوّن[٤] كيفَ شاء كأَنَّمَا يَجْرِى بفَضْل قَضَائِهِ المَقْدُورُ

وأما المصراع الأول فقد قدمنا ذكر أمثاله ونحوه له[٥] :

وأَرَاكَ دَهْرُكَ ماتحَاوِلُ فى الْعِدَى حَتَّى كأَنَّ صُرُوفَه أَنْصَارُ

وله[٦] :

* وأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ *

* * *

يزيد المهلّبى[٧] :

سَعَيْتُمْ فأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالمَقَادِرِ

وله[٨] :

إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْماً عَلَى الْهَوَى فإِنَّـكُمُ قَدَّمْتُمُ بِالْمَنَاقِبِ

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٦٤) . (٢) أزمعت على أمر ؛ إذا ثبت عزمك عليه .

(٣) ديوانه (٢ : ١٣٦) . (٤) فى الديوان « ملك تصور » .

(٥) ديوانه (٢ : ٨٦) . (٦) ديوانه (٢ : ٨٦) وصدره :

* سر حيث شئت يحله النوار *

(٧) التبيان (٤ : ٢٩١) . (٨) التبيان (٤ : ٢٩١) .

أبو الطيب[١] :

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أدْرَكَ المَجْدَ بِالْمُنَى ... ولَـكِنْ بأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا

واللفظ من قول نُفَيْـع بن صفار :

* أيا مالِـكًا لا يُرْتَجَى المُلْكُ بالمُنَى *

ونحوه له[٢] :

لَيْسَ إلاَّ أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ ... سَادَ هَذَا الأَنَامَ بِاسْتِحْقَاقِ

* * *

قال بعضُهم[٣] :

وخبرنى البَوَّابُ أَنَّكُ نَائِمٌ ... وأنت إذا استيقظت أيْضاً فنائمُ

أبو الطيب[٤] :

ونامُ الخُوَيْدِمُ عن لَيْلِنَا ... وقدْ نام قبلُ عمًى لا كرًى[٥]

* * *

حسّان بن ثابت[٦] :

لاعَيْبَ بالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ قِصَرٍ ... جِسْمُ البِغَالِ وأَحْلَامُ العصَافِيرِ

العباس بن مرداس[٧] ويروى لربيعة الرّقى :

فَمَا عَظِمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بفَخْرٍ ... وَلَـكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ

---

(١) ديوانه (٤ : ٢٩١) . قال العكبرى : وأصله للبحترى فى قوله :

فتى هز القنا فحوى سناء ... بها لا بالأحاظى والجدود

(٢) ديوانه (٢ : ٢٦٤) . (٣) التبيان (١ : ٤٣) .

(٤) ديونه (١ : ٤٢) . (٥) يريد بالخويدم كافورا . يقول : غفـل كافور عن ليلنا الذى خرجنا فيه من عنده ؛ وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ؛ ولم يكن نائما كرى .

(٦) ديوانه ص ١٧٥ ؛ وروايته هناك :

لابأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم البغال وأحلام العصافير

(٧) ديوان الحماسة (٣ : ١٥٣) .

ومثله كثير :

أبو الطيب[1] :

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ ... وإنْ كانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامٌ

* * *

أبو جُوَيرية العَبْدى — وقد تقدمه غيره[2] :

تَزِينُ الحَلْىَ إنْ لَبِسَتْ سُلَيْمى ... وتَحْسُنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وأكثر المحدثين فيه فقال بعضهم[3] :

وإذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ ... كانَ للدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا

وتَزِيدِينَ أطْيَبَ الطِّيب طِيباً ... أَنْ تَمَسِّيهِ ؛ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا !

أبو الطيّب ، وتعسّف اللّفظ[4] :

الطِّيبُ أنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... والماءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

وتقدير الكلام : الطِّيب أنْت طيبُه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسلُ له إذا اغتسلت به .

* * *

زياد الأعجم وهو كثير مشهور[5] :

لله دَرُّ منية فاتَتْ به ... فلَقَدْ أراهُ يردُّ غَرْبَ الجامِحِ

ولَقَدْ أراهُ مُجفِّفًا أفراسَهُ ... يَغْشَى الأسِنَّةَ فوق نَهْدٍ قارح

---

(١) ديوانه (٤ : ٧٠) . (٢) التبيان (٣ : ٢٦١) .

(٣) التبيان (٣ : ٢٦١) . (٤) ديوانه (٣ : ٢٦١) .

(٥) ذيل الأمالى ص ٩ ؛ من قصيدة فى رثاء المغيرة بن المهلب ، مطلعها :

يامن بمغدى الشمس أو بمراحها ... أو من يكون بقرنها للتنازح

لو عند ذلك هَايَجَتْهُ منية　　　بَرَح الخفاء وَضُمّ سَرْح السَّارِحِ[(١)]

يزيد المهلبي[(٢)]:

جاءَتْ منيَّتُه والْعَيْنُ هَاجِعَةٌ　　　هَلاَّ أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قصد

أبو الطيب[(٣)]:

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِى طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ　　　على كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا　　　بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ

ومقلوب هذا قول الآخر[(٤)]:

دَفَعْنَا بِكَ الأَيَّامَ حتى إِذَا أَتَتْ　　　تُرِيدُكَ لم نَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا

ومثله لأبى الطيب[(٥)]:

ما زِلْتَ تَدْفَعُ كلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ　　　حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِى لَا يُدْفَعُ

وَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لارِمَاحُكَ شُرَّعٌ　　　فيما عَرَاكَ ولا سُيُوفُكَ قُطَّعُ

وهو مثل قول عمران بن حِطّان ؛ على أنه كثير مبتذل :

ولم يُغْنِ عنه الموتُ ياحَمْز ـ إذ أتى　　　رجالٌ بأيديهم سيوفٌ قواضِبُ

ومن هذا المعنى قول الآخر :

أخِلاَّى لو غيرُ الحمام أصابكمْ　　　عتبتُ ولكن ماعلى الموتِ مَعْتَبُ

ومثله لأبى الطيب[(٦)]:

هبينى أَخَذْتُ الثأر فيك من العِدَى　　　فكيف بأَخْذ الثأرفيكِ من الحُمَّى

* * *

---

(١) رواية الأمالى :

لو عنـد ذلك قارعته منية　　　قرع الحواء وضم سرح السارح

(٢) التبيان (٤ : ٢٤٤) .　(٣) ديوانه (٤ : ٢٤٤) .

(٤) التبيان (٢ : ٢٣٧) :　(٥) ديوانه (٢ : ٢٣٧) .

(٦) ديوانه (٤ : ١٠٦) .

الأعور الشنّى :

وعوراءَ جاءت من أخ فرددْتُها ... بسالمة العينين طالبة عُـــذْرا

وأغضيْتُ عنه وانْتظرت به غدا ... لعل غـداً يبدى لمنتظرٍ أمْرًا

سالم بن وابصه[1]:

وكاشحٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ ... يَقْتَاتُ لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمِ

دَاوَيْتُ صَدْراً طَويلاً غِمْرُه حَقِداً ... مِنْهُ ، وقَلَّمْتُ أَظفَاراً بِلَا جَلَمِ

وقد أكثر الشعراء فيه

أبو الطيب[2] :

وأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وأَعْلَمُ أنَّنِي ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الجَهْلِ يَنْدَمِ

* * *

امرؤالقيس[3]

فللزَّجْرِ أَلْهُوبٌ وللسَّاق درَّةٌ ... وللسوط أخرى غَرْبُهَا يَتَدَفَّعُ

ثم أكثر الناس فيه .

أبوالطّيب[4]:

رِجْلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ والْيَدَانِ يَدٌ ... وفِعْلُهُ مَاتُرِيدُ الْكَفُّ والْقَدَمُ

المصراع الأول نحو قول رؤبة :

* يَهْوِين شَتّى ويقعن وَقْعا *

* * *

(١) التبيان (٤ : ١٣٦) . (٢) ديوانه (٤ : ١٣٦) .

(٣) لم نجد هذا البيت فى ديوان امرئ القيس ؛ والذى روى هناك :

فللسوق ألهوب وللسوط درة ... وللزجر منــه وقع أهوج منعب

(٤) ديوانه (٣ : ٣٦٨) .

الطِّرِمَّاح :

تحييها الكُماة بكلِّ يوم ... مريض الشمس محمرٍّ الخوافى

أبو الطيب(١) :

* تمر عليه الشمس وهى ضعيفة *

* * *

بعض المحدثين(٢) :

خَبَرِى خُذِيهِ عن الضَّنَى وعن الأَسَى ... لَيْسَ اللِّسَانُ وإن تَلِفْتُ بمُخْبِر

أبو الطيب(٣) :

أَمرَ الفؤَادُ لِسَانَهُ وجُفُونَه ... فكَتَمْنَه وكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا

وهو معنى قوله(٤) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا(٥) ... وبُكاكَ إنْ لم يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جرَى

* * *

أبو نواس(٦) :

يَزِيدُكَ وَجْهُه حُسْناً ... إذَا ما زِدْتَهُ نَظَرَا

أبو الطيب(٧) :

* وهو المضَاعَفُ حُسْنُه إنْ كُرِّرَا(٨) *

* * *

---

(١) التبيان (٢ : ١٦١) . (٢) ديوانه (٢ : ١٦٠) .

(٣) ديوانه (٢ : ١٦٠) . (٤) أراد : تصبرن (بنون التوكيد الحقيقة) ؛ فلما وقف عليها أبدلها ألفا . (٥) التبيان (٢ : ١٦٧) .

(٦) ديوانه ص ١٦٧ . (٧) صدره :

* فهو المشيع بالمسامع إن مضى *

(٨) التبيان (٢ : ٣٠٥) .

الجلاح ابن عبد الله السَّدُوسى(١) :

مَدَدْتِ حَبْلَ غُرور غيرَ مُؤْيِسَةٍ فَوْتَ الأَكُفِّ فَلاَ جودٌ ولا بَخَلُ
والصَّرْمُ أَرْوَحُ من غَيْثٍ يُطَمِّعُنَا فيهِ مَخَايلُ ما يُلْقَى بها بَلَلُ

ونحوه لابن الرَّقيات ولم يصرح باختيار أحدهما(٢) :

تَرَكْتَنِى واقفاً على الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ بيَأْس منكمْ ولَمْ أَرِدِ

ومثله قول ابن أبى زرعة الدِّمَشْقى(٣) :

وكأنى بَيْنَ الوِصَالِ وبين الـ هَجْرِ مِمَّنْ مَقَامُهُ الأَعْرَافُ
فى مَحلٍّ بَيْنَ الجَانِ وَبَيْنَالنَّا ر طورًا أرجو وَطَورًا أخاف

وقال أبو حفص الشطرنْجى ، فاختار ضد ما اختار الأول(٤):

وأَحْسَنُ أيَّامِ الهوَى يَوْمُكَ الَّذِى تُهَدَّدُ بالتَّحْرِيش فيـــهِ وبالعَتْبِ
إذَا لم يَكُنْ فى الحُبِّ سُخْطٌ ولا رِضى فأَيْنَ حَلاَوَاتُ الرَّسَائلِ والكُتْبِ

وتبعه أبو الطيب(٥) :

وأَحْلَى الهوَى مَاشَكَّ فى الوَصْلِ رَبُّه وفى الهَجْرِ فَهُوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِى

وقد لاحَظ فى هذا قول الخليع(٦) :

وجَدْتُ أَلَذَّ العَيْشِ فيما بَلَوْتُه تَرَقُّبَ مُشْتَاقٍ زيَارَةَ شَائقٍ

لأنه أيضا يرجو ويتقى ويخاف ويأمل . وقد أكثر الناس فيه على المعنيين معا .

* * *

أبو نواس(٧):

* يَسْبِقُ طَرْفَ العَين فى الْتِهَابِهِ *

وهو معنى عامى مبتذل .

(١) التبيان (٢ : ٣٠٥) .
(٢) التبيان (٢ : ٣٠٥) .
(٣) التبيان (٢ : ٣٠٥) .
(٤) التبيان (٢ : ٣٠٥) ، ونسبه إلى العباس بن
(٥) ديوانه (٢ ــ ٣٠٥) .
(٦) التبيان (٢ : ٣٠٢) .
(٧) التبيان (٣ ــ ٢١٤)

أبو الطيب[١] :

يُقبِّلُهُمْ وَجْهَ كلِّ سَابِحَةٍ   أَرْبَعُهَا قبلَ طَرْفِها تَصِلُ

***

أبو تمّام[٢] :

فَهْوَ غَضُّ الإباءِ والرَّأيِ غَضُّ الـ   ـحزم غَضُّ النَّوالِ غَضُّ الشَّبابِ

أبو الطيب[٣] :

حَدِيدُ اللسان حَدِيدُ الجَنَان   حَدِيدُ الحُسَامِ حديد السنان

***

بعض العرب[٤] :

كأَنَّ يَدَيْهَا حِين جَدَّ نَجَاؤُهَا   طَرِيدَانِ والرِّجْلَانِ طَالِبَتَا وِتْرِ

رُؤْبة :

يداه بالضَّبْعين يشدوانه   ورجلا أحرج يحدوانه

أبو الطيب[٥] :

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أيْدِيها بأَرْجُلِها   حتّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ[٦]

***

بعض رجال العرب[٧] :

إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه   واضطرب القوم اضطراب الأرْشِيهْ

وشـد فوق بعضهم بالأدْويه   هناك أوصِينى ولا تُوصِى بيهْ

وقال الأصمعى وغيره يصف قوما أتعبهم السير والسهر : فرقدُوا على ركابهم ،

---

(١) ديوانه (٣ : ٢١٣) . (٢) ديوانه ص ٣٥٤ . (٣) ديوانه (٤ : ١٩٠).
(٤) التبيان (٤ : ١٥٦) . (٥) ديوانه (٤ : ١٥٦) .
(٦) جوش والعلم : موضعان . (٧) اللسان (مادة ــ نجا).

واضطربوا كاضطراب أرشية الدِّلاء ، وشدَّ بعضهم على ناقته حِذار سقوطه عنها .
وقال بعضهم : إنما ضربه مثلا لنزول الأمر الملمّ؛ إذْ جعل القومَ يضطربون فيه فلا يستقرُّون كاضطراب الحبال ، وبعضهم يشد على البعير للهرب به . قال : ولذلك كانوا أنجية؛ وهو جمع نجيّ[1] والنيام لا يكونون أنجية ، وعلى المذهب الأول احتذى أبو الطيب في قوله[2]:

وهَزٌّ أطارَ النَّوْمَ حتَّى كأنَّنِي ... مِنَ السُّكْرِ في الغَرْزَيْنِ ثوْبٌ شُبارِقُ[3]

* * *

تميم بن مُقبل :

ولو كُحِلتْ حواجبُ خيلِ قيس ... بِتَغْلِبَ بعدَ كلْبٍ ماقَذِينا

أبو الطيب[4]:

فَبَعْدَهُ وَإلى ذَا الْيَوْمِ لو رَكَضَتْ ... بالخَيْلِ في لَهَوَاتِ الطِّفْلِ ماسَعَلَا

* * *

رؤبة[5]:

قد رفع العَجَّاجُ باسْمِي فادْعُنِي ... باسمي إذَا الأَنْسَابُ طالَتْ يكْفِنِي

وإنما أخذه من قول النَّسَّابة البكْرِيّ لما أتاه وقال له : من أنت ؟ فقال : رُؤْبة ابن العجاج . قال : قصرت وعرَّفت .

أبو الطيب[6]:

يأيُّها المَلِكُ الغَانِي[7] بِتَسْمِيَةٍ ... في الشَّرْقِ والْغَرْبِ عن وَصْفٍ وتَلْقِيبِ

* * *

---

(١) النجى : المتناجون . (٢) التبيان (٢ : ٣٤٤).

(٣) الهز : التحريك . وأراد بالسكر النعاس . والغرز : ركاب من خشب الإبل خاصة . وثوب شبارق : مقطع قديم . (٤) ديوانه (٣ : ١٦٩) .

(٥) التبيان (١ : ١٧٦) . (٦) ديوانه (١ : ١٧٦) . (٧) الغانى : المستغنى .

دِعْبل[١] :

هِيَ النَّفْسُ ما حَسَّنْتَهُ فمُحَسَّنٌ لَدَيْهَا وما قَبَّحْتَهُ فمُقَبَّحُ

أبو الطيب[٢] :

فَمَا الخَوْفُ إلاَّ مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَمَا الأَمْنُ إلاَّ مَا رَآهُ الْفَتَى أمْناً

وهو قريب من قول لَبِيد :

اكذب النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَهَا إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بِالأمل

* * *

أبو تمام[٣] :

تَرَى قَسَمَاتِنا[٤] تَسْوَدُّ فِيها وَمَا أَخْلَاقُنَا فِيهَا بِسُودِ

أبو الطيب[٥] :

تُسْوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ واللِّمَمِ[٦]

* * *

[قال[٧] :

وليسَ الَّذِى يَجْرِى مِنَ الْعَيْنِ ماءَها ولكنَّها رُوحِى تذوبُ فتَقْطُرُ]

أبو الطيب[٨] :

أَرْوَاحُنَا انْهَمَلَتْ وعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَاقَطَرَتْ عَلَى الأَقْدَامِ

* * *

ابن المعتز[٩] :

تخَالُ آخِرَه فى الشَّدِّ أَوَّلَه وفيه عَدْوٌ وراءَ السَّبْقِ مذْخُورُ

---

(١) التبيان (٤ : ١٦٩) . (٢) ديوانه (٤ : ١٩٦) .

(٣) ديوانه ص ١٠٥ . (٤) قسماتنا : وجوهنا . (٥) ديوانه (٤ : ١٥٥) .

(٦) العذر : جمع عذار ، وهو الشعر النابت على الخد ، واللمم جمع لمة ؛ وهو الشعر الذى يلم بالمنكب . (٧) التبيان (٤ . ٨) . (٨) ديوانه (٤ : ٨) .

(٩) التبيان : (١ : ١٨٠) .

أبو الطيب[١]:

وأَصْرَعُ أيَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

* * *

النابغة الجعْدى[٢]:

ونُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الوَرْدَ أَشْقَرَا

أبو الطيب[٣]:

جَفَتْنِى كأَنِّى لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا وأَطْعَنَهمْ والشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ

* * *

أبو تمام[٤] :

وما نَفْعُ مَنْ قدمات بالأَمْسِ صَادِيَا إذا ما سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهِمَارُهَا

وأظنه أخذه من قول طرفة - وإن كان غامضا[٥] :

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صوبُ الرَّبِيعِ وديمةٌ تَهْمِى

البحترى[٦]:

واعْلَمْ بأَنَّ الْغَيْثَ ليس بنافِعٍ للناسِ مالم يأتِ فى إبَّانِهِ

أبو الطيب[٧] :

سَبَقْتَ إليهم مَنَايَاهُمْ ومنفعةُ الغَوْثِ قبلَ الْعَطَبْ

* * *

أبو نُوَاس[٨] :

وإذَا المَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

---

(١) ديوانه (١ : ١٨٠) . (٢) التبيان (٤ : ٥٠) .
(٣) ديوانه (٤ : ٥٠) . (٤) التبيان (١ : ١٠٢) .
(٥) ديوانه ص ٦٢ . (٦) ديوانه (٢ : ٣١٥) .
(٧) ديوانه (١ : ١٠٢) . (٨) ديوانه ص ٦٤ .

أبو الطيب[١] :

وتَعَذَّرُ الْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا ... إلاَّ إلَيْكَ عَلَىَّ فَرْجَ حَرَامِ[٢]

* * *

قال زهير[٣] :

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ... ثمانين حَـوْلاً لا أبا لك يَسْأَمِ

قال العلماء بالشعر : إنما سئم تكاليف الحياة لا الحياة ، فهو أصح معنى من قول لَبيد إذ يقول[٤] :

ولقدْ سَئِمْتُ من الحياةِ وطولها ... ومقال[٥] هذا الناس كيف لَبِيد

فقال أبو الطيب[٦] :

وإذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَـ ... ـلَّ حَيَاةً وإنَّمَا الضَّعْفَ مَلاَّ

* * *

البحترى[٧]:

وطَيُّكَ سِرًّا لَوْ تَكَلَّفَ طَيَّه ... دُجَى اللَّيْلِ عَنَّا لَمْ تَسَعْهُ ضَمَائِرُهْ

فنقله أبو الطيب ، وغيّر معناه فقال وأحسن ماشاء[٨] :

وكُنْتُ إذا يَمَّمْتُ أرْضاً بَعِيدَةً ... سَرَيْتَ فَكُنْتُ السِّرَّ واللَّيْلُ كاتِمُهْ

* * *

البُحْتُرِىّ :

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلاً فَفِيكُمْ نَوَالُهُ ... وفِي سِرِّ نَبْهَانَ بْنِ عَمْرٍو مَآثِرُهْ

---

(١) ديوانه (٤ : ٩) . (٢) قال العكبرى : « المعنى : تعذر وجود الأحرار وقلتهم صير ظهر هذه الناقة على فى ركوبها إلى قصد سواك حراما ، كركوب الفرج الحرام — يريد الزنا » .

(٣) ديوانه ص ١٢ . (٤) مهذب الأغانى (٢ : ٦٢) .

(٥) فى مهذب الأغانى : « وسؤال هذا الناس » . (٦) ديوانه (٣ : ١٣٠) .

(٧) ديوانه (١ : ١٢) . (٨) ديوانه (٣ : ٣٤٠) .

أبو الطيب(١) :

تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيَا بمَحْتِدِهِ   وشَارَكَ الْعُرْبَ فى إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ

* * *

البُحْتُرِى(٢) :

وما اخترتُ داراً غيرَ دارِك من قِلًى   وأين ترى قَصْدِى ومِنْ دُونِىَ الْبَحْرُ

أبو الطيب(٣) :

أَأَطْرَحُ المَجْدَ عن كِتْفِي وأَطْلُبُه   وأَتْرُكُ الغَيْثَ فى غِمْدِى وأَنتَجِعُ

* * *

أنشد الجاحظ لبعضهم:

غزا ابن عمير غَزْوةً تركت لها   ثناء كريح الجَوْرَبِ المتمزق

أبو الطّيب(٤) :

تستغرِقُ الكفُّ فَوْدَيْهِ وأخدعه   وتَكْتَسِى منه ريحَ الجوربِ العَرِقِ(٥)

* * *

بعضُهم(٦) :

بِتْنَا وباتَ جَلِيدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنَا   بين البيوت قِرَانَا نَبحُ دِرْواسِ(٧)

أبو الطيب(٨) :

---

(١) ديوانه (١ : ١٣) .   (٢) ديوانه (٣ : ٣٧٦) .

(٣) ديوانه (٢ : ٢٢٢) .   (٤) ديوانه (٢ : ٣٦٠) .

(٥) يقول : هو دميم صغير القدر يصفع ، فتستغرق أكف الصافعين هذه المواضع منه ، وهو نتن الرائحة، يكتسى الكف نتن رائحة من جسده. (٦) اللسان — مادة درس ؛ وروايته هناك:

بتنا وبات سقيط الطل يضربنا   عند النزول قرانا نبح درواس

(٧) قال فى اللسان : الدرواس : الغليظ العنق من الكلاب أو الغليظ الرأس .

(٨) ديوانه (٢ : ١١٤) .

ولا تُنْكِرَا عَصْفَ الرياح فإنَّهَا قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ باتَ عِنْدَ سِوَارِ [١]

* * *

أبو نواس فى وصف كلب [٢] :

* يجمع قطريه من انضماره *

أبو الطيب [٣] :

يَكادُ فِي الْعَدْوِ مِنَ التَّفَتُّلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ والْكَلْكَلِ
وَبَيْنَ أَعْلاَهُ وَبَيْنَ الأَسْفَلِ

أنشد الأصمعى لبعض باهلة :

تُباهِى به الأرضُ السماء إذا مشت عليها وتحيى نسمة المتماوت

أبو الطيب [٤] :

أَكارِمُ حَسَدَ الأَرْضَ السماءُ بِهِمْ وقصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ

* * *

البحترى [٥] :

سماحاً وبأسا كالصواعق والحيا إذا اجتمعا فى العارض المُتَرَاكِمِ

أبو الطيب [٦] :

فَتًى كالسَّحَابِ الجُونِ يُخْشَى ويُتَّقَى يُرَجَّى الحَيَا مِنْهُ وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

* * *

عبد الله بن الزَّبير الأَسَدِى :

لو شددنا من أَخْدَعَيْهِ قليلا لَبَنَيْنا من الرُّءوس منارا

---

(١) سوار : هو الذى يهجوه المتنبى فى هذه المقطوعة . (٢) ديوانه ص ٢١١ .
(٣) ديوانه (٣ : ٢٠٥) . (٤) ديوانه (٢ : ١٩٠) .
(٥) ديوانه (٢ : ٢٥٣) . (٦) ديوانه (٢ : ٣٤٦) .

أبو الطيب ــ وهو غامض[١] :

تَعَوَّدَ أَن لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ ... إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ[٢]

* * *

ثابت بن قُطْنَة العتكى[٣] :

هَدَانَا اللهُ بِالقَتْلَى نَرَاها[٤] ... مُصَلَّبَةً كَأفواهِ الشِّعَابِ

أبو الطيب[٥] :

إِذَا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هادٍ ... فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ

* * *

أنشد الأصمعى لبعض العرب ــ وهو معروف عندهم[٦] :

رِدِى رِدِى وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا[٧] ... كُدْرِيَّةٍ أعجبها بردُ الْمَا

أبو الطيب[٨] :

* وُرُودَ قَطاً صُمٍّ تشايَحْنَ فى وِرْدِ[٩] *

* * *

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٣٠) .

(٢) القضم : أكل الدابة الشعير . والعلائق : جمع عليقة وهى المخلاة . وجنوبها : نواحيها وجيوبها : ما فتح من أعلاها . وجيب المخلاة : فمها .

قال أبو الفتح : سألته عن معنى البيت فقال : الفرس إذا علق عليه المخلاة طلب لها موضعا مرتفعا يجعلها عليه ثم يأكل ، فخيله إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال القتلى لكثرتهم حولها، وقد تعودت خيله ذلك . (٣) التبيان (٢ : ١٠٨) . (٤) فى شرح العكبرى :

* هدانا الله بالقتلى تراهم *

(٥) ديوانه (٢ : ١٠٨) . (٦) اللسان : مادة ــ صم .

(٧) قال فى اللسان : « يقال للقطاة صماء لصممها إذا عطشت » .

(٨) ديوانه (٢ : ٦٥) . (٩) صدره :

* وتلقى نواحيها المنايا مشيحة *

أشاح : أسرع . يقول : أسرعن إلى لقاء المنايا كما تسرع القطا إلى ورود الماء .

مزرّد[١]:

مِنَ الْمُلْسِ هِنْدِيّ مَتَى يَعْلُ حَدُّهُ ذُرَى الْبَيْضِ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ الْكَوَاهِلُ

أبو الطيب[٢]:

إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هامَةً بَرَاهَا وغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ[٣]

* * *

أبو تمام:

* البين أكثر من شواق وأحزانى *

أبو الطيب[٤]:

دِمَنٌ تَكاثَرَتِ الهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكاثُرِ اللُّوَّامِ[٥]

* * *

بعض العرب[٦]:

زُرْقٌ تصايحْنَ فى الْمُنُونِ كما هاجَ دَجاجَ المدينَةِ السَّحَرُ

آخر[٧]:

تصيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فينا وفِيهِمُ صياحَ بَنَاتِ الماءِ أَمْسَيْنَ جُوَّعَا

---

(١) التبيان (٣ : ٣٠) . (٢) ديوانه (٣ : ٣٠) .

(٣) يقول : هذا السيف إذا ضربت به رأس أحد برى رأسه ؛ ووصل إلى عظم الكاهل؛ فجعل ذلك الصوت كالغناء .

قال العكبرى : ومثله قول النمر بن تولب :

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادى

ومثله قول أبى نواس :

إذا قام غنته على الساق حلية لها خطوة وسط الفناء قصير

(٤) ديوانه (٤ : ٧) . (٥) الدمن : جمع دمنة ؛ وهى آثار القوم بعد رحيلهم . والعرصات : جمع عرصة وهى نواحى الدار . (٦) التبيان (٤ — ١٥٨) .

(٧) التبيان (٤ : ١٥٨) .

أبو الطيب[١] :

نَاشُوا الرماح وكانَتْ غير ناطقة ... فعلَّموها صياحَ الطَّيْرِ فى البُهَمِ[٢]

* * *

كُثَيِّر[٣] :

رَمَتْنى بسَهْمٍ رِيشُه الهُدْبُ لم يُصِبْ ... ظواهرَ جلْدِى وهو فى القلب جَارِحِى[٤]

أبو الطيب[٥] :

رَمَتْنى بأَسْهُمٍ رِيشُهَا الهُدْ ... بُ تَشُقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ

* * *

الفرزدق[٦] :

وَأَبَحْتَ أمّكَ ياجريرُ كأنَّهَا ... للناس باركة طريق مُعْمَلُ[٧]

أبو الطيب[٨] :

يَحْمِى ابْنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وعِرْسُه ... ما بين رِجْلَيْهَا الطريقُ الأعْظَمُ[٩]

* * *

الفرزدق[١٠] :

وقَدْ تَلْتَقِى الأسْمَاءُ فى الناسِ والكُنَى ... كثيراً ولَكِنْ فُرِّقُوا فى الخلائق

---

(١) ديوانه (٤ — ١٥٨) . (٢) يقول : تناولوا الرماح ، وهى جماد لا تنطق ، فأسمعوا الناس صريرها فى الأبطال ، فصارت كأنها فرقة طير تصيح . (٣) التبيان (١ : ٣١٥) .

(٤) قال العكبرى : ومثله قول جميل :

وما صائب من نابل قذفت به ... يد وممر العقدتين وثيق

بأوشك قتلا منك يوم رميتنى ... نوافذ لم يعلم لهن خروق

(٥) ديوانه (١ : ٣١٤) . (٦) نقائض جرير والفرزدق (١ : ١٩٢) .

(٧) معمل : مستعمل يداس . (٨) ديوانه (٤ : ١٢٦) .

(٩) كان ابن كيغلغ طلب من أبى الطيب أن يمدحه ، فاعتل عليه بأنه قد حلف ألا يمدح إلى مدة فأخذ عليه الطريق حتى تنقضى المدة ، فهرب منه ومضى ثم هجاه؛ بقصيدة منها هذا البيت ومطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ... عرضا نظرت وخلت أنى أسلم

(١٠) التبيان (١ : ٢٧٢).

أبو الطيب[١] :

فَلاَ تَعْجَبَا إنَّ السيوفَ كثيرةٌ ولـكنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اليومَ وَاحِدُ

* * *

البحترى[٢] :

بلوت منكَ خَلائفاً محمودةً لوكن فى فَلكٍ لـكُنَّ نُجُوماَ

أبو الطيب[٣] :

أقلِّبُ منك طَرْفِى فى سماء وإنْ طلعت كواكبُها خِصالاَ[٤]

* * *

ابن الرومى[٥] :

* أخْشَى عليك اتِّقادَ الفِـكْرِ لاحَذَرا *

أبو الطيب[٦]:

أشفِق عند اتِّقادِ فِـكْرتهِ عليهِمنها أخافُ يشتعِلُ[٧]

* * *

ابن الرومى :

* ومِنْ فَرَحاتِ النفسِ مافيه حَتْفُها

أبو الطيب[٨] :

فلا تُنْـكِرنَّ لها صَرْعَةً فمن فَرَحِ النفس ما يَقْتُلُ

* * *

---

(١) ديوانه (١ : ٢٧١) . (٢) ديوانه (٢ : ٢٤٤) ، وروايته هناك :

وشكرتمنك مواهباً مشهورة لو سرن فى فلك لـكن نجوما

(٣) ديوانه (٢ : ٢٣٢) . (٤) يقول : أنت فى علو قدرك وحسن خصالك سماء؛ وإن كانت كواكبها خصالا . (٥) التبيان (٣ : ٢١٣) . (٦) التبيان (٣ : ٢١٣) .

(٧) حذف أن ورفع الفعل ، والتقدير : أن يشتعل . (٨) ديوانه (٣ : ٦٩) .

بعضهم[١] :

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَا كُمْ نَصِرْنَا　　بذِى لَجَبٍ أَزَبَّ من العَوَالِى

أبو الطيب[٢] :

صَدَمْتَهُمْ بخَمِيسٍ أنتَ غُرَّتُه　　وسَمْهَرِيَّتُهُ فى وَجْهِه غَمَمُ[٣]

* * *

أبو تمام[٤] :

ورُحْبَ صَدْرٍ لوانَّ الأرضَ واسِعةٌ　　كوُسْعِهِ لم يَضِقْ عن أهلِه بَلَدُ

أبو الطيب[٥] :

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِه الدُّنْيَا ولو رَحُبَتْ　　كَصَدْرِهِ لم تَبِنْ فيها عَسَاكِرُهْ

* * *

مُسْلِم[٦] :

والعِيسُ عاطِفَةُ الرُّءُوسِ كأنّما　　يَطْلُبْنَ سِرًّا مُحَدَّثٍ فى الأحْلُس

أبو الطيب[٧] :

ويُغِيرُنِى جَذْبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِها　　فَمَهَا إليك كطالبٍ تَقْبِيلَا

* * *

البحترى[٨] :

ومَنْ لو تَرَى فى مُلْكِهِ عُدْتَ نائلاً　　لأوَّلِ عافٍ من مُرَجِّيهِ مُقْتِرِ

---

(١) التبيان (٤ : ٢٤) .　　(٢) ديوانه (٤ : ٢٤) .

(٣) الخميس : الجيش . والغرة : الوجه . والسمهرية : الرماح . والغمم : كثرة الشعر . جعل الرماح فى هذا الجيش كالغمم فى وجه الإنسان .　　(٤) ديوانه ص ٥٧ .

(٥) ديوانه (٢ : ١٢٠) .　　(٦) التبيان (٣ : ٢٣٤) .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٣٤) .　　(٨) ديوانه (٢ : ٦) .

أبو الطيب[١]:

خِفْتُ إن صرتُ فى يمينكِ أنْ تأْ　　خُذَنِى فِى هِباتِكَ الأَقْوَامُ

* * *

البحترى[٢]

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سيفُه وسِنَانُهُ　　وبَنَانُ راحتِه نَدًى ونجيعاً

أبو الطيب[٣]:

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِه وبَنَانُهُ　　يتباريان دَماً وعُرْفاً ساكِباَ

ومنه[٤]:

إِذا الهندُ سَوَّتْ بين سيفَىْ كَرِيهَةٍ　　فسيفُك فى كَفٍّ تُزِيلُ التساوِيَا

* * *

ابن الرمى[٥]:

يا أَرْمَدَ العَيْنِ قُمْ قُبَالَتَهُ　　فَدَاوِ باللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكْ

أبو الطيب[٦]:

مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَه فَشَفَى يَدِى　　من العُدْمِ مَنْ تُشْفَى به الأَعْيُنُ الرُّمْدُ

* * *

البحترى[٧]:

اللهُ أَكْبَرُ كُفُّوا إنّ خصمَكُمُ　　أبو سعيد وضرب الأرؤس الجدل

(١) ديوانه (٤ : ٩٩) .　(٢) ديوانه (٢ : ٨٤) .
(٣) ديوانه (١ : ١٢٥) .　(٤) ديوانه (٤ : ٢٩٣) .
(٥) التبيان (٢ : ٨) .　(٦) ديوانه (٢ : ٨) .
(٧) ديوانه (٢ : ٢١٤) .

أبو الطيب[١] :

وَرَدَّ بعْضُ القَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كأَنَّه من نفوس القوم فى جدَلِ

* * *

ابن الرومى[٢]:

أعِنْدِىَ تنقضّ الصواعق مِنْكُماَ وعندذَوِىالكُفْرِ الحياوالثّرَى الجَعْدُ

أبو الطيب[٣] :

ليتَ الغمامَ الذى عِنْدِىصواعقُه يُزِيلهنّ إلى مَنْ عِنْدَه الدِّيَمُ

* * *

البحترى[٤]:

مَلِكٌ بِقَارعَةِ العِراق قِبابُه يَقْرِىالبُدُورَ بها ونحنُ ضيوفُه

أبو الطيب[٥] :

ومَلِلْتُ نَحْرَعِشَارِهَا فأضافَنِى مَنْ ينحرالبِدَرَالعِشَارَلمن قَرَى

* * *

البحترى[٦] :

تَشَكَّكْتُ فيهِ منْ سرُورٍ وخِلْتُهُ خيالاً أتى فى آخر الليل يَسْرى

أبو الطيب[٧]:

مَا تَعرِفُ العَيْنُ فرْقَ بَيْنِهِماَ كُلٌّ خَيَالٍ وِصَالُه نَافِدْ

---

(١) ديوانه (٣ : ٨٨) . (٢) التبيان (٣ : ٣٧١) .

(٣) ديوانه (٣ . ٣٧١) . (٤) ديوانه (٢ : ١١٤) .

(٥) ديوانه (٢ : ١٧٠) . (٦) ديوانه (٢ : ٢) ، وروايته هناك :

تشككت فيه من سرور وخلته خيالا أتى فى آخر الليل يسرى

(٧) ديوانه (٢ : ١٧١) .

كل واحد منهما جعله خيالا ، وإن كان البحترى ذهب فيه إلى حيرة السرور ، وأراد أبو الطيب سرعة الزوال. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى على وجه آخر فقال[1] :

نَصيبُك فى حياتِكَ من حَبيبٍ نصيبُك فى منامك من خَيَالِ

* * *

يزيد بن محمد المهلّبى[2] :

أَشْرَكْتُمُونا جميعاً فى سُرُورِكُمُ فَلَهْوُنا إذْ حَزِنْتُمْ غَيْرَ إنْصَاف

أبو الطيب — وقد زاد وأحسن[3] :

ومَنْ سَرَّ أهْلَ الأرْضِ ثمَّ بكَى أَسًى بكَى بعُيُونٍ سَرَّها وقُلُوبِ

* * *

ابن الرومى[4] :

هى الأعْيُنُ النُّجْلُ التى كنتَ تَشْتَكى مواقعَها فى القَلْب والرأْسُ أَسْوَدُ

فما لكَ تأْسَى الآنَ لمَّا رأيْتَها وقد جَعَلَتْ تَرْمِى سِوَاكَ وتَعْمِدُ

فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه فقال[5] :

مُنًى كُنَّ لى أنَّ البياضَ خِضَابٌ فيَخْفَى بتَبْييضِ القُرُون شَبَابُ

فكيفَ أذمّ اليومَ ما كنتُ أشْتَهِى وأدْعُو بما أَشْكُوهُ حينَ أُجَابُ

* * *

إسحاق بن خَلَف[6] :

إذا مَا حُدِينَ بذِكْرِ الأميرِ سَبَقْنَ لِحَاظَ المحبِّ العَجِل[7]

(١) ديوانه (٣ : ٩) . (٢) التبيان (١ : ٤٩) .
(٣) ديوانه (١ : ٤٩) . (٤) التبيان (١ : ١٨٩) .
(٥) ديوانه (١ : ١٨٨) . (٦) التبيان (٢ : ٣٤٥) . (٧) رواه العكبرى :

إذا ما حدين بمدح الأمير سبقن لحاظ الحثيث العجل

أبو الطيب[1] :

شَدَوْا بابْنِ إسْحَاقَ الحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيَها كِيرَانُهَا والنَّمَارِقُ[2]

*
* *

ابن هرْمة : [يذم بخيلا][3]

نَـكَّسَ لمَّا أَتَيْتُ سَائِلَهُ واعْتَلَّ تنْـكِيسَ ناظمِ الخرز[4]

أعرابى[5] :

* وهُنَّ حَيْرَى كَمُضِلّاتِ الخَدَم *

أبو الطيب[6]:

* وُقوفَ شحيحٍ ضاع فى التُّرْبِ خَاتِمُه[7]

*
* *

وقد أتينا على ما حَضَرَنا من هذا الـكتاب ، ونُبْنَا عنك فى جمعه واستحضاره ولَقْطه ، وتصفّح الدواوين ، ولقاءِ العلماء فيه ؛ وبيَّضْنَا أوراقا لمـا لعلّه شَذَّ عنا من غريبه ؛ وما عسانا نظفرُ على مرورِ الأوْقات به ، وما نأبى أن يكونَ عندكَ ، أو عند أحدٍ من أصحابك فيه زيادات لم نعثر بها ، أو لطائف لم نفطِن إليها ، إن كنتَ على ثقةٍ من عِلْمِكَ ، وبصيرة بما عندكَ ، وعَرَفْتَ من طُرُق السَّرَق، ووجوه النقل مايسوغ فيه حُـكْمُك ، وتُعَدَّلُ فيه شهادتك ، فلا بأس أن تُلْحِق به ما أصبته ، وأن تضيف

---

(١) ديوانه (٢ : ٣٤٥) .

(٢) شدوا بمدح إسحق ؛ أى غنوا . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين . والنمارق : الوسائد . يقول : لما غنوا بمدح ابن إسحق نشطت الإبل للسير فرفعت رءوسها حتى ضربت بذفرياتها كيرانها .

(٣) التبيان (٣ : ٣٢٩) .

(٤) شبه هيئته بهيئة من ينظم الخرز فى الإطراق .

(٥) التبيان (٣ : ٣٢٨) .

(٦) ديوانه (٣ : ٣٢٨) .

(٧) صدره :

* بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها *

إليه ما وجدته ، بعد أن تَتَجَنَّبَ الحَيْفَ ، وتتنكب الجَوْر ، وتعلم أن وراءك من النُّقَّاد من يَعْتَبِرُ عليك نَقْدَك ، ومن لا يستسلم للعَصَبيَّةِ استِسْلامَك .

وأنا أعدل إلى ذكر ما رأيتك تُنْكِرُ من معانيه وألفاظه ، وتَعِيبُ من مذاهبه وأغراضه ، وتُحيلُ في ذلك الإنكار على حجة أو شُبْهة ، وتعتمِدُ فيما تعينه على بينة أو تهمة ، إذا كان ما قدّمتَ حكايته عنك ، وما عددتَه من مطاعِنك ، وأثبتَّه من الأبيات التي استَسْقَطتها ، ومِلْتَ على هذا الرجل لأجلها من باب ما يُمْتحن بالطبع لا بالفِكرِ ، ومن القِسْم الذى لاحظ فيه للمحاجّة ، ولا طريق له إلى المحاكمة ، وإنما أقصى ماعند عائبه . وأكثر ما يمكن مُمارضه أن يقول : فيه جَهامة سلبته القَبول ، وكَزَازةٌ نفَّرتْ عنه النفوس ، وهو خالٍ من بهاء الرَّوْنَق ، وحَلاوةِ المنظر، وعُذوبةِ المَسْمَع ، ودماثةِ النثر ، ورشاقة المعرِض ، قد حمل التَّمسُّف على ديباجته ، واحتكم التعمل فى طُلاوته ، وخالف التَّكلُّف بين أطرافه ، وظهرت فَجاجةُ التصنع فى أعطافه، واستهلك التعقيدُ معناه ، وقَيَّدَ التعويصُ مُرادَه .

مواقع الكلام

وهذا أمر تُسْتخبر به النفوس المُهَذَّبة ، وتَسْتَشْهِدُ عليه الأذهان الثقفة ؛ وإنما الكلام أصواتٌ محلُّها من الأسماع محلُّ النواظر من الأبصار . وأنْتَ قد ترى الصُّورة تستكمِلُ شرائط الحُسْن ، وتستوفِي أوصاف الكمال ، وتذهب فى الأنْفُس كلَّ مَذْهب ، وتقف من التَّمام بكل طريق ، ثم تجد أخرى دونها فى انتظام المحاسن ، والْتئام الخِلْقة ، وتَنَاصُفِ الأجزاء ، وتقابل الأقسام ؛ وهى أحظى بالحلاوة ، وأدنى إلى القبول ، وأعْلَقُ بالنَّفس ، وأسْرع ممازجة للقلب ؛ ثم لا تعلم ـ وإن قاسيتَ واعتبرت، ونظرت وفكرت ـ لهذه المزية سبباً ، ولما خُصَّتْ به مُقْتَضِياً .

ولو قيل لك : كيف صارتْ هذه الصورةُ ، وهى مقصورةٌ عن الأولى فى الإحكام والصَّنْعة ، وفى التَّرْتيبِ والصِّيغة ، وفيما يجمع أوصافَ الكمال ، وينتظمُ أسبابَ الاختيار أحْلَى وأرْشق وأحظى وأوقع ؟ لأقمت السائل مقام المتعنّت المتجانِف ، ورددته ردَّ المسْتَبهِم الجاهل ! ولكان أقصى ما فى وسعك ، وغايةُ ماعِنْدكَ أن تقول : مَوقِعُه فى القلب ألْطف ، وهو بالطَّبع ألْيق ؛ ولم تَعْدَم مع هذه الحال مُعارضا يقول لك : فما عبتَ من هذه الأُخرى ؟ وأى وَجْهٍ عَدَل بك عنها ؟ ألمْ يجتمع لها كيت وكيت !! وتتكاملُ فيها ذيهوذيه !! وهل للطاعن إليها طريق ! وهل فيها لغامز مغمز يحاجُّك بظاهرٍ تُحِسُّه النَّواظر ؛ وأنتَ تحيله على باطن تُحصِّله الضمائر !

كذلك الكلام : منثوره ومنظومُه ، ومُجْمَلُه ومُفَصَّلُهُ ؛ تجد منه المُحْكَم الوثيق والجَزْل القَوِيّ ، والمُصَنَّع(١) المُحْكم ، والمنمَّق الموشَّح ؛ قد هُذِّب كلَّ التَّهذيب ، وثُقِّفَ غايةَ التَّثْقيف ، وجَهِد فيه الفِكْر ، وأُتْعب لأجله الخاطر ، حتى احْتَمى ببراءته عن المعائِب ، واحْتَجَر بصِحَّتِهِ عن المطاعن ، ثم تجد لفؤادِك عنه

(١) التصنع : تكلف الحسن .

نَبْوة ؛ وترى بينه وبين ضميرك فَجْوَةً ؛ فإن خَلُص إليهما فبأن يُسهِّل بعضُ الوسائل أذنه ، ويمهِّد عندهما حاله ؛ فأما بنفسه وجوهره ، وبمكانه وموقعه ، فلا . هذا قولى فيما صفا وخَلُص ، وهُذِّب ونُقِّح ؛ فلم يوجد فى معناه خَلَل ، ولا فى لفظه دَخَل ؛ فأما المختل المَعيب ، والفاسد المضطرب ، فله وجهان : أحدُهما ظاهر يُشْتَرك فى معرفته ؛ ويقل التفاضُل فى علمه ؛ وهو ما كان اختلاله وفسادُه من باب اللَّحن والخطأ من ناحية الإعراب واللغة . وأظهر من هذا ما عَرَض له ذلك من قِبَلِ الوزن والذَّوْق ، فإن العامى قد يميِّز بذوقه الأعاريض والأضْرُب ، ويَفْصِل بطبعه بين الأجْناس والأبْحُر ، ويظهر له الانكسار البَيِّن ، والزِّحاف السائغ . والآخر غامض يُوَصَلُ إلى بعضه بالرِّواية ، ويُوقَفُ على بعضٍ بالدِّراية ؛ ويحتاج فى كثير منه إلى دِقَّة الفِطْنة ، وصفاءِ القريحة ، ولُطْفِ الفِكْر ، وبُعْدِ الغَوْص . ومِلَاكُ ذلك كلِّه : وتَمامُه الجامعُ له والزِّمامُ عليه صِحَّة الطَّبْع ، وإدْمَانُ الرياضة ؛ فإنهما أمران ما اجْتَمعا فى شخص فقَصَّرا فى إيصال صاحبهما عن غايته ، ورضيا له بدُون نهايته .

وأقلُّ الناس حَظًّا فى هذه الصناعة مَن اقْتَصَرَ فى اخْتياره ونَفْيِه ، وفى اسْتِجادته واسْتِسْقاطه على سَلَامة الوزن ، وإقامة الإعراب ، وأداء اللغة . ثم كان هَمُّه وبُغْيَتُه أنْ يجد لفظاً مُرَوَّقا ، وكلاما مُزَوَّقا ؛ قد حُشِى تَجْنيساً وترصيعا ، وشُحِن مطابَقةً وبديعاً ، أو معنى غامضاً قد تَعَمَّقَ فيه مُسْتَخْرِجُه ، وتَغَلْغَلَ إليه مُسْتَنْبطه ، ثم لا يَعْبأ باختلاف الترتيب ، واضطراب النَّظْم ، وسوءِ التأليف ، وهَلْهَلَةِ النَّسْج ، ولا يقابِلُ بَيْنَ الألفاظ ومَعانيها ، ولا يَسْبُرُ ما بينهما من نسب ، ولا يَمْتَحِنُ ما يجتمعان فيه من سبب ، ولا يرى اللَّفْظَ إلاَّ ما أدَّى إليه المعنى ، ولا الكلام إلا ما صوَّر له الغرض ، ولا الحُسْنَ إلا ما أفاده البديع ، ولا الرَّوْنق إلا ما كساه التَّصْنيع ، وقد حملنى حُبُّ الإفصاح عن هذا المْعنى على تكرير القَوْلِ فيه ، وإعادةِ الذِّكْرِ له ؛ ولو احتمَل مقدارَ هذه الرسالة استقصاؤُه ، واتسع حَجْمُها للاستيفاء له لاسْتَرْسَلْتُ فيه ، ولأَشْرَفْتُ بك على مُعْظَمه .

وإذا كان هذا محلِّى من التَّحْقِيقِ بهذه الطريقة ، ومقامى فى نُصْرة هذا الرأى فأنا أوّلُ موافق لك على ما ادَّعيته ، وراضٍ منك بالمقدار الذى أوْرَدته ؛ غير أنَّ العصبيه ربما كَدَّرَتْ صفو الطبع ، وفَلَّتْ حَدَّ الذهن ، ولَبَّستِ العِلْم بالشك ، وحَسَّنْتْ لِلمُنْصِف الميل ؛ ومتى اسْتَحْكَمَتْ ورَسخت صَوَّرَتْ لك الشىء بغير صورته ، وحَالَتْ بينك وبين تأمله ، وتخطَّتْ بك الإحسانَ الظاهِرَ إلى العَيْبِ الغامض. وما مَلَكَتِ العصبيَّةُ قَلْباً فتركت فيهِ للتثبتِ موضعاً؛ أوأبْقَتْ منه للإنصاف نصيباً !

دفاع المؤلف عن أبى الطيب

وقد تفقدت ماأنْكَرهُ أصحابُكَ من هذا الديوان ، بعد الأبيات التى حالُها من امتناع الحاجّة فيها ، وتَعَذُّر المخاصمة عليها مَا وَصَفْت فوجدته أصنافا ، منها ألفاظ نُسِبَتْ إلى اللّحْن فى الإعراب، وادُّعِى فيها الخروجُ عن اللغة ، ومعان وُصِفَتْ بالفساد والإحالة ، وبالاختلال والتناقض ، واسْتِهْلَاكِ المعنى ؛ وأخرَى أنْكِرَ منها التَّقْصِيرُ عن الغرض، والوقوعُ دون القصد . وأعْيَبُ مافيها ماعَيْبُه من باب التعقيد والعَويص(١) واستهلاك المعنى وغُمُوض المراد ؛ ومن جِهَةِ بُعْدِ الاستعارة ، والإفراط فى الصنعة ، وقد حَكَيْتُ فى كل باب منها ما عَلِقْتُه من كلام أصحابك ، وما قابلهم به خصومُك ، ورأيت السَّلَامة فى أن أقتصر من هـذه (الوساطة) على حُسْنِ التبليغ ، وحُسْنِ التأدية ، وتَقْرِيبِ العبارة ، وجَمْعِ المُتَفَرِّق ، ثم أقِفُ منكما حَجْزَةً ، وأخْرُجُ عنكما صفراً ؛ قد أدَّيْتُ عن كلٍّ فريق ما تحملتُه ، وسَلِمْتُ من الميل فيما تكلّفته .

وكما لا أحكم على خصمك بالخطأ فى كلٍّ مايذكره، فكذلك لاأُبْعِدُك من الصواب فى أكثر ما تصفه . وجملة القول فى هذه الأبْياتِ وأشباهها أنه لو وُفِّى فيها التهذيب حقَّه . ولم يُبْخَس التَّثْقيفُ شَرْطَه لانقطعت عنها ألْسُن العَيْبِ ؛ وانْسَدَّتْ دونها طُرُق الطعن ، ولَدَخَلَتْ فى جملة أخواتها ، ولجرتْ مَجْرى أغيارها ؛ ولاستغنت عن تكلُّف البَحْث والتَّنْقير ؛ واستغنى خصمك عن تمحّل الحجج والمعاذير . لكنا لم نجد شاعِراً أشْمَلَ للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعرَه أجمع ، بل قَلَّما نجد ذلك فى القصيدة الواحدة ، والخطبة الفردة ؛ ولابد لكل صانع من فَتْرَةٍ ، والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال ؛ ولا يَدُوم فى الأحوال على نَهْج. وقد قدمنا لك فى صَدْر هـذه الرسالة من شعر أبى نُوَاس وأبى تمام وغيرِهما ما مَهَّدْنا به الطريق إلى هـذا القول ،

---

(١) العويص من الشعر : ما يصعب استخراج معناه .

وأقمناه عَلَماً يُرْجَعُ إليه فى هذا الحكم، وأعلمناك أنَّهُ ليس بغيتنا الشَّهادة لأبى الطيب بالعصمة ، ولا مرادُنا أن نُبرِّئه من مفارقة زلّة ، وأن غايتنا فيما قصدناه أن نُلْحِقه بأهل طبقته ، ولا نُقَصِّرَ به عن رتبته ، وأن نَجْعَله رجلا من فحول الشعراء ، ونمنَعك عَنْ إحباط حسناته بسيئاته ، ولا نسوِّغُ لك التحاملَ على تقدُّمه فى الأكثر بتقصيره فى الأقل ، والغضّ من عامّ تبْرِيزه ، بخاص تَعْذيره . ومتى وجدتك تحتمل للفرزدق قوله :

وما مِثْلُه فى النَّاسِ إلّا مُمَلَّكًا   أبُو أمِّهِ حَىٌّ أبُوهُ يُقارِبُه

وقوله :

مَا بالمَدِينة دَارٌ غيرُ واحدةٍ   دار الخليفة إلا دار مَرْوانا

وقوله :

فإنَّ التى ضَرَّتْك لو ذقت طَعْمَها   عليك من الأعباء يوم التخاصم

وأشباهها . وإن لم تَحْتَمِله لم تتعمدْه بالعيب ، ولم تتناول قلائده بالغَضِّ ، ولا تَسْلك بأبى الطّيب هذا المَسْلَك ، وتَحْمِله على هذا المَنْهَج علمتُ أنَّكَ مُتَعَصِّب مائل ، ومتحامل جائر .

ولقد حدثنى بعض أهل الأدب أنه حضر عند أبى الحسن بن لَنْكَك البَصْرى ـ وكان على فَضْله فى العلم ، وتَقَدُّمه فى الأدب ـ شديدَ التَّحامل على أبى الطيب ، وهو يذكر شَيئًا من شِعْرِه حتى انتهى إلى قوله[1] :

* بقائى شاء ليسَ هُمُ ارتحالا *

فجعل يُعجِّب من هذا المصراع مَنْ حضره ويقول: هل رَأيْتُمْ أشد تعقيداً وأظهر تكلفاً ، وأسوأ ترتيبا من هذا الكلام ! قال : فقلت له : هب الأمر على ما ادّعيته ،

(١) ديوانه (٣ : ٢٢١) وبقيته :

* وحسن الصبر زموا لا الجمالا *

وأنَّا سَلَّمنا لك ما زعمته ، أين أنت من قوله فى إثْرِ هذا البيت(١) :

كأنَّ العِيسَ كانَتْ فَوْقَ جَفْنِى مُنَاخَاتٍ فَلمَّا ثُرْنَ سالاَ

قال : فاسْتَشاط غيظا ، ثم قال : هذا المِصْرَاعُ يسقط دواوين عدة شعراء !

فإنْ كانَ هذا الحكم سائغا ، وكان ما قاله مقبولا ، فإن أحَدَ أبْيَاتِ الفرزدق يُسْقِطُ شعر بنى تميم جُمْلة ؛ فقد ترى ما بَيْنَهَا من الفضْل فى النقص ، وتتبين تفاوتها فى سوء الترتيب واختلال النظم . ولو كان التعقيدُ وغموضُ المعنى يُسْقطان شاعراً لوجب أن لا يُرَى لأبى تمام بيتٌ واحد ؛ فإنا لا نعلم له قصيدةً تسلم من بَيْتٍ أو بيتين قد وَفَر من التعقيد حَظُّهما ؛ وأفسد به لفظهما ، ولذلك كَثُرَ الاخْتِلَافُ فى معانيه ، وصار استخراجها باباً منفردا ؛ يَنْتَسِب إليه طائفة من أهل الأدب، وصارت تُتطارح فى المجالس مطارحة أبيات المعانى ، وألغاز المُعَمّى .

وليس فى الأرض بيت من أبْيَاتِ المعانى لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض مستتر ؛ ولولا ذلك لم تكن إلّا كغيرها من الشعر ، ولم تُفْرَدْ فيها الكتبُ المصنّفة، وتُشْغل باستخراجها الأفكارُ الفارغة .

ولسنا نَرِيدُ القِسْمَ الذى خفاء مَعانيه واستتارُها من جِهةِ غَرَابة اللَّفْظ وتوحش الكلام ، ومن قبل بُعْدِ العَهْدِ بالعادة وتغيّر الرَّسْم ، كاخْتلاف الناس فى قول تَميم ابن مُقْبِل(٢) :

يا دارَ سَلْمَى خَلَاءً لا أُكَلِّفُها إلا المرانَةَ حتى تَعْرِفَ الدِّينَا

فان الذى خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المرانة ، فقال قائل : هى ناقته ، وقال آخر : هى موضع دار صاحبته ، وقال آخر إنما أراد الدوام والمُرونة(٣) .

(١) ديوانه (٣ : ٢٢٢) . (٢) اللسان : مادة — مرن .

(٣) قال فى اللسان : «وقيل هى هضبة من هضبات بنى عجلان» ؛ يريد ؛ لا أكلفها أن تبرح ذلك المكان ، وتذهب إلى موضع آخر . وقال الأصمعى : المرانة : اسم ناقة كانت هادية بالطريق . وقال : الدين : العهد والأمر الذى كانت تعهده .

وكقول امرئ القيس[1] :

نَطْعَنهم سُلْكَى ومَخْلُوجَةً … كَرَّكَ لَأْمَيْنِ[2] على نَابِلِ

لمَّا لم يعرفوا : هل الكافُ من كَرَّكَ فتكون اللأمان مُفْردين ، أو الكَرّ مفردا ، ويكون اللأم موصولا اختلفوا .

وإنما أريد مثل قول الأعشى :

إذا كان هادى الفتى فى البلا … د صدرَ القناةِ أطاع الأمير

فإنَّ هذا البيتَ – كما تراه – سليمُ النظم من التعقيد، بعيدُ اللَّفظ عن الاستكراه ، لاتشكل كل كلمة بانفرادها على أدْنَى العامَّة ، فإذَا أرَدْتَ الوقوفَ على مراد الشاعر فمن المحال عِنْدِى ، والمتنع فى رأيى أن تصل إليه إلا من شاهد الأعشى بقوله ، فاستدل بشاهد الحال ، وفحوى الخطاب ، فأما أهلُ زماننا فلا أجيز أن يعرفوه إلا سماعا إذا اقتصر بهم من الإنشاد على هذا البيت المفرد ؛ فإن تقدموه أو تأخروا عنه بأبيات لم أبعد أن يُسْتَدَلّ ببعض الكلام على بعض ، وإلا فمن يسمع بهذا البيت فيعلم أنه يريد: أن الفتى إذا كبر فاحتاج إلى لزوم العصا أطاع لمن يأمره وينهاه، واستسلم لقائده ، وذهبتْ شِرَّته !

وكقول المَعْلُوط :

بل رب مِحْرار تجاوزنه … ببسطة الهامة والمِشْفَرَيْن

مأهولةُ الأرض إذا أصبحت … مجدبة الحيْزُوم والمِرْفقَيْن

البيت الأول منكشف المعنى ، وأما الثانى فلا يُعْلَمَ إلا وَحْياً أو سَمَاعاً ، ولو بلغ طالبه فى علم العرب كلَّ مَبْلَغ ، وحمل على فكره فوق الطاقة ، وإنما معناه أنَّ هذه الناقة إذا أصبحت وانقادت فإن رءوس الإبل عند رجليها ، لأنها أقوى على السير منها ، وصدرها خال لم تلحق بها ناقة لقصورهن عنها .

---

(١) اللسان : مادة — لأم . (٢) ويروى : « لفتك لأمين نابل » .

وكذلك قول الآخر :

فجُنِّبْتَ العَوار أبا زنيب وجادعلى محلّتك السحاب

من يسمع هذا البيت يظنه دعاء له واستسقاء لأرْضه ، وإنما مراد الشاعر الدعاء عليه أنْ يُهْلِكَ اللهُ إبله فلا يملك منها مايُمار عليه ، وأن تجودَ السحاب على أرضه وهو مملق ، فيشتد أسفهُ على ماذهب من ماله إذا رأى الأرض مخصبة ، وسائمة الحى راعية .

وقول الآخر :

وإنى لظلاَّمٌ لأشْعَثَ بائسٍ عَرَانَا ومقدور برَى مالَهُ الدَّهْر
وجارٍ قريبِ الدار أوْ ذِى جِنَايةٍ بعيد مَحَلِّ الدار ليس له وَفْر

هل يشك من أنشدها أن الشاعرَ وصفَ نَفْسه بأقبح الصِّفة ، وأضاف إليها أشْنَع الظُّلم ؛ وإنما يريدُ أنى أظلِم الناقة فأنْحَرُ فَصِيلَها لأجل هذا الأشعث والجار ، ولو قال : وإنى لنحار لاتَّضَح المعنى ، ولم يختل البيت . وأمثالُ هذه الأبيات موجودة شائعة ، واستقصاؤُها مُفارِقٌ للرَّسْم ، وخارج عن الشَّرْط ، والكتب المُصَنَّفة فيها مَعْرُوفة ، والرُّجُوع إليها مُمْكِن .

وأنْتَ لا تجد فى شعر أبى الطّيب بيتاً يَزِيدُ مَعْناهُ على هـذا الغموض ، أو تتعقَّد ألفاظُه تَعَقُّدَ أبيات الفرزدق . فأما ديوان أبى تمام فهو مشحون بهذين القِسْمين ، ومَنْ أنْصَفَ حجزه حضور البيِّنة عن المنازعة .

غلوّ القُدامى

فأما الإفراطُ فمذهب عام فى المُحْدَثين ، وموجود كثير فى الأوائل ، والناس فيه مختلفون ، فمستحسِن قابل ، ومستقبِح رادّ ، وله رسوم متى وقف الشاعرُ عنـدَها ، ولم يتجاوز الوصفُ حدّها جمع بين القَصْد والاستِيفاَء ، وسلم من النقْص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشُعْبَةٌ من الإغراق ، والباب واحد ، ولـكن له دَرَج ومراتب .

فإذا سمع المحدَث قول الأول :

إلا إنمـا غادَرْتِ يا أمَّ مالكٍ صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذْهب

وقول آخر من المتقدمين(١) :

ولو أنّ ما أبقَيْتِ مِنى مُعَلَّقٌ بعودِ ثمامٍ(٢) ما تأوَّد عُودُها

جَسَر على أن يقول :

أُمَرّ إذا نَحِلتُ وذاب جِسْمى لعل الريح تَسْفِى بى إليْهِ

واستحسن غيره أن يقول(٣) :

ذَابَ فلَوْ زُجَّ بِجُسْمانِهِ فى ناظر الوَسْنان لم يَنْتَبِهْ

وسهّل لأبى الطيب الطريق فقال(٤) :

ولوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فى شقِّ رَأْسِهِ من السُّقْمِ ما غيرتُ من خَطِّ كاتِبِ

وقال(٥) :

---

(١) اللسان . مادة ـــ ثم ، والعمدة (٢ . ٤٩) ، ونسبه للأعشى .

(٢) الثمام : نبت ضعيف شبيه بالخوص ؛ وربما سد به خصاص البيوت .

(٣) التبيان (١ : ١٤٩) . (٤) ديوانه (١ : ١٤٩) .

(٥) ديوانه (٤ : ١٨٦) .

كَفى بِجِسْمِى نُحُولًا أنَّنى رَجُلٌ ... لَوْلا مُخاطَبَتى إياك لَمْ تَرَنى(١)

* * *

وإذا قال عنترة(٢) :

وأنا المنيَّةُ فى المواطن كُلِّها ... والطَّعْن منى سابقُ الآجال

وقال النّابغة [الجعْدى](٣) :

بَلَغْنَا السَّماءَ مجدُنا وجُدودُنا ... وإنّا لنرجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرًا

وقال الأعشى:

لو أسندتْ ميتاً إلى نَحْرِها ... عاش ولم يُنْقَلْ إلى قَابر

وقال عُرْوة بن زيد :

بجيشٍ تُطِلّ البلق فى حَجَراتِه ... تَرَى الأُكْمَ مِنْهُ سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ

وقال النابغة(٤) :

تَقُدّ السَّلُوقىَّ المضاعفَ نَسْجُه ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاح نار الحُبَاحِبِ(٥)

---

(١) قال العكبرى : هو مأخوذ من قول الأخطل :

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

قال : ولبعضهم ، ولقد أحسن :

فاستبق ما أبقيت لى فلعلنى ... يوما أقيك به من الأعداء
من مهجة ذابت أسى فلو انها ... فى العين لم يمنع من الإغفاء

(٢) ديوانه ص ١٠٩ ، وروايته هناك :

وأنا المنية حين تشتجر القنا ... والطعن منى سابق الآجال

(٣) مهذب الأغانى (٢ : ٧٥) .

(٤) اللسان ، مادة — حبب .

(٥) السلوق : الدرع المنسوبة إلى سلوق ؛ وهى قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة .

وقال النّمِر بن تَوْلب [١] :

يظل يحفز عنه إن ضربْتَ به ... بَعْدَ الذراعين والسَّاقين والهادِى [٢]

وقال مُهلهل [٣] :

ولولا الريح أَسْمَعَ من بِحِجْرٍ ... صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُور [٤]

وقال امرؤ القيس [٥] :

إذَا رَكِبُوا الخَيْل واسْتَلأَموا ... تحرّقتِ الأَرْضُ واليومُ قَرّْ

وقال الأعور الشَّنِّى :

ولو حَلَّ بالدَّهناء حرث بن جابر ... لأصْبَحَ بَحْرًا بالمَفَازَةِ جاريا

وقال الهُذَلِىّ :

يردّ شعاع الشَّمْس عار رماحنا ... ويصرف حد الشمس حتى تـكركرا

وقال قَيْس بن الخَطِيم :

مَلَـكْتُ بها كَفِّى فأنهرْتُ فتقَها ... تَرى قائمًا من دُونِها ماوراءَها

وقال هُدْبة :

بإجَّانة فيْحاءَ لو خَـــرَّ بازلٌ ... من البُخْتِ فيها ظَلَّ للجَنْبِ يَسْبَحُ

وقال ابن ميّادة :

ولو أن قيسا قَيْسَ عَيْلانَ أَقْسَمَتْ ... على الشمس لم تَطْلُعْ عليها حجابها

وقال الطِرِمَّاح :

ولو أن برغوثا على ظهر قَمْلَةٍ ... يكر على صَفَّىْ تميم لوَلَّتِ

---

(١) العمدة (٢ : ٤٩) . (٢) الهادى : العنق . (٣) الأمالى (٢ : ١٣٣) .

(٤) حجر : قصبة اليمامة ، وإقامتهم كانت بالجزيرة . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف التى عملت من حديد غير أنيث . قال أبو العباس الأحول : أول كذب سمع فى الشعر هذا .

(٥) ديوانه ص ٥

وقال العينى فى جوابه :

ولو أن عُصْفوراً يَمُدُّ جناحه على طيِّىء فى دارها لاسْتَقَلَّتِ

وقال طُريح :

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ج عليـــه كالهضب يَمْتَلِجُ
لارتدَّ أوْسـَاخَ أوْ كانــ لهُ فى سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

وقال العوّام بن عبد عمرو :

ولو أنها عُصفورة لحسبتُها مُسَوَّمَةً تَدْعُو عَبيدًا وأزْنَما

وقال تميم بن مقبل :

ولو كلت حواجب خيل قَيْس بكلب بعـــد تغلب ماقُذِينا

وأمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد مَن بَعْدَهُم سبيلًا مسلوكا وطريقا مُوَطّئا ، فقصدوا، وجاروا، واقتصدوا وأسرفوا وطلب التأخر الزيادة، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول ، ولم يقف عند حد المتقدم ، فاجْتَذَبَهُ الإفراط إلى النقص ، وعَدَل به الإسراف نحو الذم .

عود إلى الدفاع عن أبى الطيب

ولما سمع أبو الطيب قولَ قَيْس بن الخطيم فى الطعنة نافسه فقال[١] :

إذا ما ضَرَبْتَ القِرْنَ ثم أَجزْتَنى فَكِلْ ذَهَباً لِى مَرَّةً منه بالْكَلْمِ[٢]

فلم يحفِلْ بسوء النظم ، وهَلْهَلَةِ النّسْج لمّا حصل له الغرض فى إنْهَارِ[٣] الطعنة ، وتوسيع الجرح .

ولمّا سمع قول العوّام بن عبد عمرو[٤] :

ولو أنها عُصفورةٌ لحسبتها مُسَوَّمَةً تدعو عَبيداً وأزْنَما

وَوَجَدَ المُحْدَثين قد تبعوه ، فذهبوا به مذاهبَ طلب الزيارة فقال[٥] :

وضاقت الأرْض حتى كان هاربُهم إذا رأى غير شىء ظَنَّهُ رَجُلَا[٦]

فلم يكترث بالإحالة ، ولم يستقبح أنْ جَعل غيرَ شىء مرئيًّا لما استوفى عند نفسه الغاية ، ولم يبق وراها مَرْمًى لشاعر ، وشجّعه على ذلك أيضاً أنه سمع قول عَمْرو بن لجأ :

* وقعنب يا بْن لا شىء هتفت به *

وقول أبى تمام :

أفِىّ تنظِمُ قَوْلَ الزُّورِ والفَنَدِ وأنت أنْزَرُ من لاشىء فى العَدَدِ

فقال : قد أجاز هذا أن يكون لا شىء واحدا ، وهذا أنْ يكون معدوداً فكيف

---

(١) ديوانه (٤ : ٥٧) . (٢) القرن : كفء الرجل فى شجاعته . والجائزة : مايعطاها الشاعر . والكلم: الجرح . يقول : إذا أجزتنى فكل لى ذهباً فى جرح القرن إذا نازلته وجرحته . يريد : إنك واسع الضربة ؛ فأعطنى مقدار ماتسع الضربة من الذهب .

(٣) إنهار الجرح : توسيعه . (٤) عيون الأخبار (١ : ١٦٦) .

(٥) ديوانه (٣ : ١٦٩) . (٦) قال الخوارزمى . رأى فى هذا البيت ليست من رؤية العين ؛ وإنماهى من رؤية القلب ؛ يريد به التوهم ، وغير الشىء يجوز أن يتوهم .

يحظر عليَّ أن أجْعَلَه مرئيا ![1] .

ولما رأى مُهَلْهِلًا قد أسمع أهْلَ حِجْر صَلِيل البَيْض، وهو بالذنائب وبينهما عَرْض نجد[2] أقدم على أن قال[3] :

سَلَّهُ الرَّكْبُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ   فَتَصَدَّى للغَيْث أهْلُ الحجاز[4]

وإذا رآهم قد احْتملوا لطريح أن يَجْعلَ الوليد بن يزيد يَرُدّ السَّيْل[5] بقوله من جهة ، ويصرفه عن طَريقه سامهم أن يَحْتملوا فى ابن حَمْدَان قوله[6] :

أَلْقَتْ إليكَ دماءَ الرومِ طاعَتَها   فلوْ دَعَوْتَ بلا ضَرْبٍ أجاب دَمُ

ومتى سامح الرواة وحملة الشعر الفرزدق فى قوله :

لعمرُكَ ما الأرْزَاقُ حين احتفالُها   بأ كْثَرَ خَيْرًا من خِوانِ المُذَافِر[7]

ولو ضافه الدَّجال يلتمسُ القِرَى   وحلَّ على خَبَّازِه بالعساكر

(١) قال ابن القطاع : قد أوخذ فى هـذا البيت ؛ فقيل : كيف يرى غير شىء ، وغير شىء معدوم ، والمعدوم لا يرى ؟ وليس الأمر كما قالوا ؛ بل أراد غير شىء يعبأ به .

(٢) وذلك قوله :

ولولا الريح أسمع من بحجر   صليل البيض تقرع بالذكور

(٣) ديوانه (٢ : ١٧٧) .   (٤) يقول : لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد فرأى أهل الحجاز بريقه ، فظنوه برقا ، فارتقبوا المطر .

قال العكبرى : هو منقول من قول الوائلى :

ماسله أهل الحجاز لحاجة   إلا يبشر بالسحاب الشاما

وأخذه على بن الجهم فى قوله فى قبة المتوكل :

وقبة ملك كأن النجو   م تصغى إليها بأسرارها

إذا أوقدت نارها بالعراق   أضاء الحجاز سنا نارها

(٥) وذلك قوله :

لو قلت للسيل دع طريقك والمو   ج عليــه كالهضب يعتلج

لارتد أوساخ أو كان له   فى سائر الأرض عنك منعرج

(٦) ديوانه (٤ : ٢٦) .   (٧) العذافر : اسم رجل .

بِعدّة يأجوج ومأجوج كلهم لأشْبَعهم يوما غذاء العُذَافِر[١]

وسامحوا سُحَيما عبد بنى الحَسْحَاس فى قوله[٢] :

وما زال بُرْدِى طَيِّباً من رِدائها إلى الحَوْل حتى أنْهَجَ[٣] البردبالِيا

وجميلا فى قوله :

ولو أن جِلْدًا غَيْرَ جِلْدِك مَسَّنِى وباشرنِى دونَ الثِّيابِ شَرِيتُ

ولو أن واقى الموت يدعو جنازتى بمنطقها فى الناطِقين حَيِيتُ

لزمهم أن يسامحوا أبا نُوَاس فى قوله يصف قِدْرًا :

يعضّ بحَيْزُوم الجرادة صَدْرُها وينضج مافيها بِعُودِ خِلَال

تَغْلِى بذكر النار من غير قُرْبها وينزلها عفوا بغير جمال

والعَكَوّكَ فى قوله يصف رِجْله ومشيها :

إذا اتسعت لم يلحق الذَرّ شأوَها وخامرها دون الذراع ابْهارُها

وأبا الطيب فى قوله[٤]:

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيى العِظَامَ وغَضْبَةٌ بهافَضْلَةٌ لِلجُرْمِ عن صاحبِ الجُرْمِ

وَرِقَّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بنَظْرَةٍ على وَجْنَتَيْهِ ما امّحى أثَرُ الخَتْمِ

لَقَدْ حالَ بَيْنَ الجِنِّ والإنْسِ سَيْفُهُ فما الظَّنُّ بعدالجِنِّ بالعُرْبِ والعُجْمِ

وأَرْهَبَ حتَّى لو تأمّل دِرْعَه جَرَتْ جَزَعاً من غير نار ولا فحم

فإن قالوا : ألَسْنا نسامح المتقدمين بالخطأ ؟ ولا نحتَمِلُ لهم هذا الإغراق الفاحش؟ قلنا : أو لَسْتُمْ قد سلّمتم لهم الإحسان فى غير ذلك ، ولَمْ تسقطوهم من عداد الشعراء لأجله فأَجْرُوا هذا الرجل مجْراهم ، وألْحقوه فى الحكم بهم . وإذا احتملوا لامرئ القيس قولَه[٥] :

---

(١) العذافر هنا : الجمل . (٢) اللسان : مادة — نهج .

(٣) أنهج البرد : أخذ فى البلى . (٤) ديوانه (٤ : ٥٥) . (٥) ديوانه ص ١٠٣

من القاصراتِ الطرْف لو دبَّ مُحْوِلٌ … من الذرِّ فوقَ الإتْب منها لأثَّرا[1]

ولحميد قوله[2] .

مُنَعَّمة لو يُصْبِح الذرُّ سارِياً … على جِلْدِها صَبَّت[3] مَدارِجُه دماً

فاحتملوا للمُحدث قوله :

يَجْرَحُــه اللَّحظُ بِتَكرارِهِ … ويشتـكى الإيمـاء بالـكَفِّ

ولأبى الطيب قوله[4] :

تَألَّمُ دَرْزَهُ والدَّرْزُ لَيْنٌ … كَمَا تَتَألَّمُ العَضْبَ الصَّنيما[5]

وإذا لم ينزل عندكم حُميد بن ثَوْر عن مكانه ، ولم يؤخره عن مقامه إفراطه فى قوله يصف امرأة ركبت هودجها[6] :

فما دخلتْ فى الخِدْرِ حتى تَنَقَّضَتْ … تآسيرُ أعلى قِدِّهِ وتحطَّما[7]

وما ركبتْ حتى تطاول يومُهـا … وكانت لها الأيدى إلى الحدب[8] سُلَّما

فجرْجَرَ لَمَّـا كان فى الخِدْر نصفُها … ونصف عــلى دَأْيَاته ما تجزَّما

وما كاد لـما أن علَتْه يُقلّها … بنهضتِه حتى اكْلأَزَّ وأعصَما[9]

وحتى تداعتْ بالنقيض حبالُــه … وهمّت بوانى زَوْره أن تحطَّما[10]

وأثَّر فى صُمّ الصَّفـا ثَفِناتُه … ورام بلمــا أمْرَه[11] ثم صمَّما

قال الأصمعى – وقد قرئت عليه هذه الأبيات: لو كانت هذه المرأة الماز ندرمازاد ؛

---

(١) القاصرات : النساء : اللاتى قصرن أعينهن عن الرجال ؛ أى حبسنها إلا على أزواجهن. والمحول : الصغير من الذر . والإتب : القميص غير مخيط الجانبين ؛ يريد أن يصفها بالنعمة .

(٢) شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسى ص ١٤٠ ، وروايته هناك :

منعمة بيضاء لو دب محول … على جلدها ضت مدارجه دما

(٣) فى الديوان ١٧ : بضت . (٤) ديوانه (٢ : ٢٥١) .

(٥) الدرز : موضع الخياطة المكفوفة من الثوب . والتألم : التوجع . والعضب : السيف . والصنيم : المحكم الصقال . (٦) ديوانه ١٩ . (٧) تنقضت : انحلت ، وتآسير السرج : السيور التى يؤسر بها . (٨) فى الأصل : إلى الحدر . (٩) اكلأز وأعصم : تجمع واستمسك

(١٠) بوانى زوره : أضلاع صدره . والنقيض : صوت المحامل .

(١١) فى الأصل: بسلمى. ورام بلما : أى أراد ألا يقوم؛ من قولهم : كدت أفعل ولما ، ويروى ورمت سليمى أمره ثم صمما

فكيف ملتم على أبى الطيب لإفراطه فى قوله[1] .

ذِرَاعَاها عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعَا

إذا ساغ للمتقدم أن يقول :

فَلَمَّا حثته أعْلى مَحَلِّى وأجْلَسَنِى على السَّبْعِ الشِّدَاد

فأما ماجرى مجرى قول أبى نُوَاس[2] .

وأخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنَّهُ لتخافُكَ النُّطَفُ الّتى لم تُخْلَق

فهو من المحال الفاسد ، وله باب غير هذا ، وكل هذا عند أهل العلم مَعيب مَرْدود ، ومنفى مرذول ، وإن كان أهل الإغراب وأصحابُ البديع من المحْدَثين قد لَهِجوا به واسْتَحْسَنوه ، وتنافسوا فيه ؛ وبارَى بعضُهم بعضاً به .

ولسْنَا نذهب بما نذكره فى هذا الباب مذهب الاحتجاج والتحسين ، ولا نقصد به قصد العُذْر والتسويغ ؛ وإنما نقول : إنه عيب مشترك ، وذنب مُقْتَسَم ، فإن احتمل فللكل ، وإن رُدَّ فعلى الجميع ، وإنما حظ أبى الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء ، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين .

فأما الاستعارة فهى أحد أعمِدة الكلام ، وعليها المعَوَّل فى التوسّع والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر ، وقد قدمنا عند ذكرنا البديع نُبذا منها مثلنا بها الُمسْتَحْسَن والمستقبح ، وفصلنا بين المقتصِد والمُفْرِط .

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٥٢) . (٢) ديوانه ص ٦٢

الإفراط فى الاستعارة

وقد كانت الشعراء تجرى على نَهْج منها قريب من الاقتصاد ، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرّخصة ، فأخرجه إلى التعدى ، وتبعه أكثر المحدَثين بعده،فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة ، والتقصير والإصابة . وأكثرُ هذا الصنف من الباب الذى قدمت لك القول فيه ، وأقمت لك الشواهد عليه ، وأعلمتك أنه يُميَّز بقبول النفس ونفورها ، وينتقد بسكون القلب ونُبُوّه . وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه ، واهتدتْ إلى الكشف عن صوابه أو غلطه ، وقد كان بعض أصحابنا يجارينى أبياتا أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة ، وخرج عن حد الاستعمال والعادة ؛ فكان مما عدد منها قوله[1] :

مَسَرَّةٌ فِى قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها ... وَحَسْرَةٌ فِى قُلُوبِ البَيْضِ والْيَلَبِ[2]

وقوله[3] :

تجمعتْ فى فُؤادِهِ هِمَمٌ ... ملء فؤاد الزمان إحداها

فقال : جعل للطيب والبَيْض واليَلَب قلوبا وللزمان فؤادًا . وهذه استعارة لم تجر على شَبه قريب ولا بعيد ؛ وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة . فقلت له هذا ابن أحمر يقول :

ولهت عليه كل مُعْصفة ... هَوْجاء ليس لِلُبِّها زَبْرُ[4]

فما الفصل بين من جعل للريح لُبّا ، ومن جعل للطيب والبيض قَلْبا ! وهذا أبو رميلة يقول :

هم ساعِدُ الدّهر الذى يتقى به ... وما خير كف لا تنوء بساعدِ

---

(١) ديوانه (١ : ٩٠) .
(٢) اليلب : الدروع تتخذ من الجلود .
(٣) ديوانه (٤ : ٢٧٧) .
(٤) الزبر : الرأى أو القوة .

وهذا الكميت يقول :

ولما رأيت الدَّهْرَ يَقْلِبُ ظهره على بطنه فعل الممّعك[1] بالرَّمْل

وشاتم الدهر العبقى يقول :

ولما رأيتُ الدهر وَعْرًا سبيلُه وأبدى لنا ظهرا أجبّ مسمّما
ومعرفة حصاء غير مفاضة عليه ولونا ذا عثانين أجْدَعا
وجبهة قرد كالشِّراك ضئيلة وصعّر خديه وأنفا مُجدَّعا

فهؤلاء قد جعلوا الدَّهرَ شخصاً مُتَكامِلَ الأعضاء ، تامَّ الجوارح ؛ فكيف أنكرت على أبي الطيب أنْ جعلَ له فؤادًا ! فلم يُحِرْ[2] جواباً غير أنْ قال : أنا اسْتَبَرْت[3] ووجدت بين استعارة ابن أَحْمر للريح لُبًّا ، واستعارة أبي الطيب للطيب قَلْباً بَوْنًا بعيداً ، وأصبت بين استعمال ساعد للدهر فى بيت ابن رميلة ، واستعمالِ فؤادٍ للزمان فى بيتِ أبى الطيب فصلا جَلِيًّا ، وربما قصر اللسان عن مُجَاراة الخاطر ، ولم يبلغ الكلامُ مبلغ الهاجس .

حدَّثنى جماعةٌ من أهل العلم عن أبى طاهر الحازمى وغيره من شيوخ المصريين عن يونس بن عبد الأعلى قال : سألتِ الشافعى رضى الله عنه عن مسألةٍ فقال : إنى لأَجد بيانَها فى قلبى ، ولكن ليس يَنْطلقُ به لسانى .

وما أقربَ ما قالَه من الصواب وأخلقه بالسداد ! وقد أَجد لهذا الفصل الذى تخيَّل له بعضَ البيان ؛ وذلك أنَّ الريحَ لما خرجت بعُصُوفها من الاستقامة ، وزالت عن الترتيب شُبِّهت بالأهوج الذى لا مُسْكَة فى عَقْله ، ولا زَبْر لِلُبِّه ؛ ولما كان مدار الأهوج على التباس العَقْل حَسُن من هذا الوجه أن يجعل للريح عقلا ، فأمَّا الدهرُ فإنما يرادُ بذكره أهلُه ؛ فإذا جَعَل للدهر ساعداً وعَضُداً ومَنْكِبًا فقد أُقيم أهلُه مقام

---

(١) التمعك : التمرغ . (٢) يقال كلمته فما أحار جوابا ؛ أى ما رد جوابا .

(٣) سبر الشىء : خبره ، والسبر : استخراج كنه الأمر كالاستبار .

هذه الجوارح من الإنسان ؛ وليس للطيب والبَيْض واليَلَب ما يُشْبه القلبَ ، ولا ما يجرى مع هذه الاستعارة فى طريق .

وقوله :

* ملء فؤاد الزمان إحداها[١] *

إن عدل به إلى أهله وأزيل عن مقتضى لفظه اختلّ المعنى وانقطع عن قَوْلِهِ بعده[٢] .

فإن أَتَى حَظُّها[٣] بأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

فهذا فصلٌ واضح وفرقٌ ظاهر . وأما أبيات شاتم الدهر[٤] فإنما صدرت مَصْدَرَ الهَزْل ، وجَرَتْ على عادةٍ فى الاستعمال مُتَدَاوَلَةً ؛ وذلك أنهم لما ابتذلوا اسمَ الدهر واعتمدوا على صَرْفِهِ فى الشكاية والشُّكر ، وأحالوا عليه باللَّوْم والعَتْب ، وأَلِفُوا ذلك واعتادوه حتى صار أغلبَ على كلامهم ، وأكثرَ فى شعرهم وخِطَابهم من ذِكْرِ أَهْلِهِ وأبنائه ، ومَنْ تَقَعُ هذه المحامد والملاوم عنه ، ويَحْدُثُ أسبابُها عن جِهَته صار كالشخص المحمود المذموم ، والإنسانِ المحسنِ المسىء ، فوُصِف بأوصافه ، وحلى بحلاه ، وجعل له أعضاء تعدّ وتُنْعت، وتستكرم وتستَهْجَن، ومثل هذه الألفاظ قول امرئ القيس[٥] ؛ يريد الليل :

فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازا وناءَ بكَلْكَلِ[٦]

---

(١) بقية البيت ؛ وصدره :

* تجمعت فى فؤاده هِمَم *

(٢) ديوانه (٤ : ٢٧٨) . (٣) حظها : أى الدنيا إن كان لها حظ

(٤) السابقة التى أولها :

* ولما رأيت الدهر وعرا سبيله *

(٥) ديوانه ص ٣٣ .

(٦) لما تمطى بصلبه : لما تمدد بوسطه . والكلكل : الصدر . وناء بكلكل: تهيأ لينهض .

فجعل له صُلْباً وعَجُزا وكَلْكَلًا لما كان ذا أوّلٍ وآخِرٍ، وأوسط مما يوصف بثقل الحركة إذا استطيل وبخفّة السير إذا استقصر؛ وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غيرُ مستكرهة، وقريبةُ المشاكلة ظاهرةُ المشابهة، وإنما يُحْمَل ما جاء من ألفاظ المحدَثين وكلام المولَّدين زائلًا عن هذا الموضع وغيرَ مستمرّ على هذا السَّنَن على وجوه تقرِّبهم من الإصابة، وتقيمُ لهم بعضَ العُذْر، وتلك الوجوهُ تختلفُ بحسب اختلاف مواضعه، وتتباين على قَدْرِ تباينُ المعانى المتضمنة له، فإذا قال أبو الطيب:

* مَسرَّةٌ فى قلوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها *

فإنما يريد أن مباشرةَ مَفْرِقِها شرف، ومجاورتَه زَيْنٌ ومَفْخرة، وأن التحاسدَ يَقَع فيه، والحسرةَ تقع عليه، فلو كان الطِّيبُ ذا قَلْب كما لو كانت البِيْض ذوات قلوب لأَسِفت؛ وإذا جَعل للزمان فؤادًا أملأته هذه الهمة فإنما أورده على مقابلة اللفظ باللفظ، فلما افتتح البيتَ بقوله:

* تجمَّعَتْ فى فؤاده هِمَم *

ثم أراد أن يقول إن إحداها تشغل الزمان وأهله ولا يتسع لأكثرَ منها ترخَّص بأن جعل له فؤدا وأعانَهُ على ذلك أنَّ الهمةَ لاتحل إلا الفؤاد، وسهَّله فى استعارة الأوصاف. وإذا قال أبو تمام(١):

« يادهرُ قوِّمْ من أَخْدَعَيْك »

فإنما يريدُ: اعدل ولا تَجُر، وأَنْصِف ولا تَحِفْ(٢). لكنه لما رآهم قد استجازوا أن ينسُبوا إليه الجَوْر والميل، وأن يَقذفوه بالعَسْفِ والظلم، والخُرْق والعنف، وقالوا: قد أعرض عنا، وأقبل على فلان، وقد جَفانا وواصل غيرنا، وكان الميلُ

---

(١) ديوانه ص ٢١٠، والبيت بتمامه:

يا دهر قوم من أخدعيك فقد ... أضججت هذا الأنام من خرقك

(٢) لا تحف: لا تجر ولا تظلم.

والإعْراض إنما وقع بانحراف الأَخْدَع[1] وازْوِرَار المَنْكِب ، استحسن أن يجعلَ له أخدعا ، وأن يَأْمُر بتقويمه . وهذه أمور متى حُمِلت على التحقيق ، وطلب فيها محض التقويم أُخْرِجت عن طريقة الشعر ، ومتى اتّبع فيها الرخص ، وأُجْرِيت على المسامحة ، أدّت إلى فساد اللغة ، واختلاط الكلام . وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعُرِف . والاقتصار على ما ظَهَر ووضح .

(١) الأخدعان : عرقان فى العنق .

من مآخذ العلماء على أبى الطيب ودفاع المؤلف عنه

قد قلت فى هذه الأبواب بقدر ما احتملت الرسالة قولاً مجملا يسهِّل لك السبيل، ويوقفك على جهة الاحتجاج . ولم أجد لإثبات كلِّ لفظة ، واستعراض كل بيت موقعا من التدبر مرضيا إذا كان أكثرها مذكورا فى الأبيات المتقدمة ، وكان مالم يذكر منها دالاًّ على نفسه ، ومتميزا عن غيره ، لاسيما وقد كشفت لك هذه الجملة عن وَجْه التميز ، ودلَّتك على مَطْلَب العيب، كما مهَّدت لك طريق العذر ، فأمّا ماوقع الطعن عليه من جهة الإعراب ، واللُّكْنَة فى ناحية الزَّلَل فى اللغة ، وما ألحق بذلك من النَّقْص الظاهر والإحالة البيِّنة ، والتقصير الفاحش ، فلا بدَّ من تعديده ، والحكم على كل واحد بعينه ؛ لاختلاف مأْخَذِ حججه ، وتشعُّب مذاهب القول فى قبوله وردِّه ؛ وإنما أذْكُر ما انتهى إلىَّ منه سماعا وبلاغا ، وما وقفتُ عليه كشفا واستقراء ؛ غير أنى لا أتجاوزُ مايقعُ الاعتراض عليــه من أهل العلم ، وما يَجْرى التنازعُ فيه بين أهل التحصيل والفهم ؛ فإنى لو شرعتُ فى تبيين كل مايشكل منه على الشَّادِى(١) والمتوسط ، وعلى الطبقة الأولى من أهل الأدب لاحتجتُ إلى تفسير الديوان بأسْرِه ، فإن اقتصرتُ فعلَى مُعْظَمه وأكثره فإن المعترضين عليه أحدُ رجلين: إما نحوىٌّ لُغَوى لا بَصَرَ له بصناعةِ الشعر ؛ فهو يتعرَّض من انتقاد المعانى لما يدلُّ على نَقْصه ، ويَكْشِف عن استحكام جَهْله ؛ كما بلغنى عن بعضهم أنه أنكر قوله(٢):

تخطُّ فيها العَوَالى ليس تَنفُذُها ... كأنَّ كلَّ سِنَانٍ فوقها قَلَمُ(٣)

فزعم أنه أخطأ فى وَصْفِ دِرْعِ عدوِّه بالحصانة ، وأسنةِ أصحابه بالكَلاَل . ومَنْ كان هذا قدرُ معرفته ، ونهاية علمه فمناظرتُه فى تصحيح المعانى وإقامةِ الأغراض

(١) الشادى : المبتدئ . (٢) ديوانه (٤ : ٢٥) .

(٣) العوالى : الرماح . يعنى إن الرماح تؤثر فيها ولا تنفذها ؛ حتى كأنها قلم فى كاغد

عَنَاءٌ لايُجْدى ، وتعبٌ لاَ يَنْفَع ؛ كأنه لم يسمع ماشَحَنَت به العربُ أشعارَها من وصف رَكْضِ المنهزم ، وإسراع الهارب ، وتقصير الطَّالب ، وقولهم : إنَّ الذى نجَّى فلانا كرمُ فرسه ، والذى ثبطنى عنه سرعةُ طِرْفه[1] ، ولم يعلم أنَّ مذاهبَ العرب المحمودة عندهم ، الممدوحَ بها شجعانهم التفضلُ عند اللقاء ، وترك التحصن فى الحرب ، وأنهم يرون الاستظهار بالجُنَن [2] ضربا من الجبن ، وكثرة الاحتفال والتأهب دليلا على الوهن ، ولم يسمع قول الأعْشَى :

وإذا تكونُ كتيبة ملمومة ... خرساء يخشى الدارعون نِزَالَها

كنت المقدَّمَ غيرَ لابس جُنَّة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

ولما أنشد كثيِّرٌ عبدَ الملك بن مروان[3] :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينةٌ ... أجَادَ الْمُسَدِّى سَرْدَها وأَذَالَهَا[4]

قال له عبدُ الملك : وصفتنى بالْجُبْنِ ! هلّا قلت كما قال الأعْشَى ، وذَكَر البيتين المتقدمين ؛ فقال : وَصَفْتُكَ بالحَزْم ووصَفه بالخُرْق . وأنشد الأصمعى قول مُزَرِّد ابن ضِرار[5] :

ومَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبَّعِيَّةٌ ... وَآهَا القَتِيرُ تَجْتَوِيهاَ المَعَابِلُ[6]

دِلَاصٌ كظَهْرِ النُّونِ[7] لايَسْتَطيعُها ... سِنَانٌ ولا تلك الحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ[8]

مُوَشَّحَةٌ بيضاءُ دانٍ حَبِيكُهَا[9] ... لها حَلَقٌ بعد الأنامِل فَاضِلُ[10]

---

(١) الطرف : الكريم من الخيل . (٢) الجنن : جمع جنة : والجنة : ماوراك من السلاح .
(٣) اللسان — مادة ذال (٤) الدلاص : الدروع البراقة الملساء اللينة . وأذال فلان ثوبه : إذا أطال ثوبه . (٥) المفضليات (١ : ٩٦). ومزود لقبه ، واسمه يزيد بن ضرار ، وهو أخو الشماخ بن ضرار . (٦) المسفوحة : الدرع المصبوبة ، وكأنه يريد الواسعة . الفضفاضة : الواسعة . تبعية : منسوبة إلى ملوك اليمن . القتير : المسامير . وآها : شددها . المعابل : سهام طوال عراض النصال . تجتويها : تكرهها ؛ يريد أنها تنبو عنها . (٧) النون : السمكة .
(٨) الحظاء : السهام الصغار؛ لا نصال لها ؛ جمع حظوة . (٩) موشحة : فيها طرائق صفر ، أى نحاس . الحبيك : الطرائق من النسج . (١٠) فاضل : زائد ، يريد أنها سابغة .

قال الأصمعي : لَئِنْ كان أجاد فى وَصْف الدِّرْع لقدعاب لابسها ؛ لأن فرسان العرب المذكورين لايحفلون بسبُوغ الدروع وحصانتها ؛ وأنشد :

الدِّرعُ لا أبغى لها ثروة   كل امرئٍ مستودع ماله

ويروى غيره : «لا أبغى لها نثرة » هكذا الأصْمعِىّ ينشده ويقول فى معناه : كل من قدر عليه شىء أصابه . وأنشد أيضا بيتى الأعشى اللذين ذكرناهما . فهذا مذهبُ العرب :

وقد قال الكَلْحَبة العُرَنى[1] ـ لما فاته حَزِيمة بن طارق التَّغلبى :

فأَدْرَكَ إبقاءَ العَرَادَة ظَلْعُها   وقدترَكْتنى من حَزِيمة إصْبَعَا[2]

فاعتذر إذ فاته حَزِيمة بظَلْع فرسه ، وإنما يريد تقصيرها لا امتلاءها الماء ؛ ألا تراه يقول[3] :

ونَادَى مُنَادِى القوم[4] أنْ قد أُتيتم   وقد شَربَتْ ماءَ المَزَادَةِ[5] أَجْمَعا

وقال سَلَمَة بن الخُرْشُب يذكر هَرَب عامر بن الطفيل وأنه نجا بسرعة فرسَه[6] :

نَجَوْتَ[7] بنَصْلِ السيفِ لا غِمْدَ فوقَه   وسَرْجٍ على ظَهْرِ الرحالة قاتِرِ[8]

فأثْنِ عليهـــا بالَّذِى هى أَهْلُه   ولا تَكْفُرَنْهَا ، لا فلاحَ لِكافرِ[9]

فلو أنَّها تَجْرِى على الأرض أدرِكتْ   ولـكنها تَهْفُو بتمثـالِ طائرِ

وقال أوس بن حجر يذكر هَرَب طفيل بن مالك يوم السوبان :

تقبل من خيفانة جرشعية   سليلة معروق الأباجل جرشع

---

(١) المفضليات (١ : ٣٠) ، واسمه هبيرة بن عبد مناف ، والكلحبة لقب له .

(٢) المبقية من الخيل : التى تبقى بعض جريها تدخره . الظلع : العرج فى المشى . ويريد بقوله : «وقد جعلتنى من حزيمة إصبعا» : أن حزيمة فاته وهو قيد إصبع منها. (٣) المفضليات (١ : ٣٠).

(٤) فى المفضليات : ونادى منادى الحى. (٥) المزادة : إناء كبير من جلد يتزود فيه بالماء.

(٦) المفضليات (١ : ٣٥) . (٧) يخاطب عامر بن الطفيل .

(٨) الرحالة : فرسه . والسرج القاتر : الجيد الوقوع على ظهر الدابة ليس بصغير ولا كبير .

(٩) أثن عليها ؛ إذ نجتك . والكافر : الساتر للنعمة والإحسان .

ولو أدركته الخيل شال برجله   كما شال يوم الخال كعب بن أصمع

فى شعر كثير يكاد يفوتُ الجمع ، ولا يأتى عليه العدّ ؛ كل يحيل الأعداء بالسَّبْق والنجاء ، وينسُب خيلَه إلى التقصير ولا يرى ذلك عيبا ، ولا يعده نقصا ، ولم ينقم نَاقِم ، ولم يَعِبه به عائب .

وقد قالت العرب فى معنى أبى الطيب بعينه . قال شريح بن قرواش العبسى :

عشيةَ نازلت الفوارس عنده   وزلّ سنانى عن شريح بن مسهر

وأقسمُ لولا درعه لتركته   عليه عواف من ضباع وأنْسر

وقال وَرْقَاء بن زهير فى هذا المعنى لما ضرب خالد بن جعفر وهو بارك على زهير ابن جَذِيمة[1] :

فَشلَّت يَمينى يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا   وَيَمْنَعُه مِنِّى الحَدِيدُ المُظَاهَرُ

فهو إنما دعا على يمينه بالشلل تأسّفا ، ولم يذمَّ سيفه ولم يذكر نُبُوّه ، ولا نعاه عليه ناعٍ من أعدائه ، كما نُعِى على الفرزدق نُبُوُّ سيفه عن عنق العلْج الخراسانى ، ولو كانت فيه وَصْمَة أو لحق سيف وَرْقَاء منه مَعَابة لما جعله الفرزدق عُذْرًا يحسِّنُ به فِعْلَه ، وحُجَّةً يُنَاضِلُ بها خَصْمَه فيقول :

فسيف بنى عبس وقد ضَرَبُوا به   نبَا بِيَدَىْ وَرْقَاء عن رَأْسِ خالدِ

ولو كان مراده بهذا تقريع بنى عَبْس لا الاحتجاج لنفسه لما قال :

كذاك سيوفُ الهِنْد تَنْبُو ظباتها   ويَقْطَعْنَ أحيانًا مَنَاطَ القَلَائِد

وقال طريف بن تميم لما طعن شيطان بن عمرو الشيبانى .

ألا ليت شعرى والخطوبُ كثيرة   بما آب شيطان بن عمرو بن مرثد

وما أدرى ما أثْوابُه غـــير أننى   غبأت[2] له بالرمح مُسْتَمْكِنًا يدى

---

(١) أيام العرب ٢٤٠ ، لسان العرب ـ مادة ظهر .   (٢) غبأت : قصدت .

فهذا يذكرُ أنه قد طعن مستمكنا مُتَثَبِّتاً ؛ وأنه قد استفرغ ماعنده ، وبلغَ جُهده ، ولم يعلم ماأثوابُه وكيف كانت بِزَّتُه ؟ وهل مَنَعَتْ سِنَانَ الرمح من الخُلوض إلى المَقْتَل ، والوصولِ إلى المَقْصد ، ومن زعم أنه أراد بقوله : لم أدْر من أثوابه؛ أى لم أسلبه ، فلم يصنع شيئا ؛ لأنه لايتمكن من سَلبه إلا وهو صَرِيع طَرِيح ، ولو كان ذلك لم يمكنه الإياب ولم يشكُ ، وقد قتله بِما آب به .

وللعرب فى وصف السلاحِ والخيل مذهبان ؛ فإذا وصف شاعرُهم خيلَ قومِه ، وأدَاةَ رَهْطه ، وسلاحَ عشيرته ، وما ادَّخَره هو من عَتَاد ، واقْتَنَاه من رباط[1] ، فإنما يريد أننا أهلُ حروب ومغارات ، ولنا النجدة والمَنَعة ، وأنا فينا العزُّ والقهر ، ولنا الغلبةُ والفضل ، وإذا وصف بذلك عدوَّه ومحارِبَه فإنما يطلب الغضَّ منه والنعىَ عليه، وليس يفعل ذلك إلا وقد حادَ ذلك العدوُّ عنه فى مُلْتَقى ، أو حاجزه فى مُعْتَرك، أو دعاه إلى البِراز فلم يُجبه ، أو أجابه فلم يثبت له ؛ فهو إذا وصف سلاحه فإنما يقول له : إنك هربت وأنت مُؤْد[2] شاكُ السلاح ، تامّ الآلة ، حديد السيف ، ماضى السنان ؛ فهو أثْلَم لِعِرْضِك ، وأدلُّ على عجزك ، وأبلغُ فى ذَمِّك . وإذا وصف فرسه فإنما يعتذرُ من بقائه بَعْدِ لقائه ، ومن خلاصه بعد تورطه . ويريد أن الفرس نجَّته وأطلقته ؛ وإنما منّتْ عليه وأنقذته ، فهو طليقُها ، وأسير مَنِّها ورَقِيقها ، كما قال :

* ولا تَكْفُرَنْهَا ، لا فَلَاحَ لِكافِرِ *

فهذا هذا .

أو معنوى[3] مدقِّق لا عِلْمَ له بالإعْرَاب ، ولا اتِّسَاعَ له فى اللغة ؛ فهو ينكر

---

(١) الرباط من الخيل : الخمس فمافوقها ، والرباط : ملازمة ثغر العدو ، وربما سميت الخيل رباطا.

(٢) رجل مؤد : ذو أداة ، وهو شاك فى السلاح .

(٣) الثانى الذى يقابل قوله قبل : فإن المعترضين عليه أحد رجلين : إما نحوى أو لغوى .

الشىء الظاهر ، وينقم الأمرَ البيِّن ، كفعل بعضهم فى قوله[1] :

* لأنْتَ أسودُ[2] فى عَيْنى من الظُّلَمِ *

فإنَّه أنكر أسْود من الظُّلَم ، ولم يعلم أنه قد يحتملُ هذا الكلام وُجوها يصح عليها ، وأن الرجل لم يرد «أفعل» التى للمبالغة . كإنكار آخر قوله :

* فالغيث أبخل مَنْ سعى *

فزعم أن مَنْ لا تكون إلا لما يعقل ، و«أفعل» لا يجرى إلا على البعض من تلك الجملة ، تقول : زيد أفضل من الناس ؛ فلابد أن يكون زيدٌ من الناس ، ولو قلت : أفضل الحمير لم يصحّ . وكذلك لو قلت : أفضل ما يقضم الشَّعير ويَرْعَى الكلأ لم يَجزْ . قال : فَمَنْ سَعَى لا يقع إلا على عاقل ، والغيث ليس من هذه الجملة . وهذا الاعتراض يدلُّ على تقصير شديد فى العلم بكلام العرب ؛ لأن العرب إذا وصفت الشىء بصفةِ غيره استعارت له ألفاظه ، وأجرته فى العبارة مجراه ، وإن كان لو انفردانفردعنه بصفته ، وتميَّزَ دونه بعبارته ؛ فمن ذلك قول الله تعالى : « وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ » لمَّا وصفهما بالسجود جمعهما بالياء والنون ، ولا يُجمع بهما إلا جنس مَنْ يعقل ، أو ما خَرَج عن بابه لعللٍ مذكورة فى مواضعها ، لكنه لما أجرى على الكواكب صفة مَنْ يعقل ألحقها فى العبارة بهم . وكذلك قوله حاكياً عن السموات والأرض : « قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين » لما حكى عنهما النطق والقول والطاعة والائتمار أجرى الكلام على ذلك فقال: «فقضاهنَّ» وعلى هذا قولهُ عز وجل « وكلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » وهو كثيرٌ . وفى الشعر ؛ فإذا جعل الغيث بخيلا أو جوادا ، ووجدَ العرب قد أجازت وتكلمت به جاز له إلحاقه بالبخلاء والأجواد فى استعمال العبارة ،

---

(١) ديوانه (٤ : ٣٥) . وصدر البيت :

* ابعد بعدت بياضا لا بياض له *

(٢) لا يقال : أسود من كذا ؛ لأن الألوان لايبنى منها أفعل التفضيل ، على أن الكوفيين قد حكى عنهم: ماأسود شعره وما أبيضه! ولصاحب التبيان هنا كلام يوجه به كلام المتنبي ويصححه.

فكأنه قال : الغيث أبخل السُّماة ، ولو قال ذلك لم ينكره منكر، وإن كان هذا السعى ابتناء المعالى لا السعى على الأقدام ، وقد أنشدنى بعض من أثِقُ به لبعض العرب :

متى نوَّهْت فى الهيجاء باسمى أتاك السيفُ أوَّلَ مَنْ يُجيب

لَمَّا جعل السيفَ مُجيباً له ألحقه بمن تصحُّ منه الإجابةُ من العقلاء . وكإنكارهم قوله[1] :

* أثَابَ بِها مُعْيِي المطِيِّ وَرازِمُه[2] *

فزعموا أن كلامَ العرب : ثاب جسم فلان : رجع لقوته بعد المرض ؛ وهذا أبو زيد يروى عن العرب : أثاب الرَّجُلُ إذا ثابَ إليه جسمُه ، وقد حكاه عنه أبو عبيد فى الغريب المصنف ، وحكى غيره ثابَ وأثابَ بمعنى واحد .

ولو عرَّجْنا على كل مُعترِض وأصغينا لكل قائل لامتدَّ بنا القولُ ولأعْجَزَنا كثرةُ الخَصْمِ عن امتحان الشهادات ، وشغلنا باتِّصال الدعوى عن التوسط ، وإنما يقصد بالكشف ما يشتبه ، ويتوسط فى الأمر الذى يشكل ويلتبس . ونصون كتابنا عن سخيف الاعتراض ، كما نصونُه عن ضعيف الانفصال .

---

(١) ديوانه (٣ : ٣٣١) وصدره :

* إذا نفرت منك العيون بنظرة *

(٢) الرازمة من النوق ، والرازم من الإبل : الذى قام من الإعياء وأقعده الهزال عن المشى.

ما عاب العلماء على أبي الطيب

فما أنكره عليه أهلُ العلم واستضعفوه قوله[١] :

جَلَلًا كما بى فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ … أَغِذَاء ذَا الرَّشَإ الْأَغَنِّ الشِّيحُ[٢]

فقال أهل الإعراب : حذفُ النون من تكن إذا استقبلها اللام خطأ ؛ لأنها تتحرَّك إلى الكسر، وإنما تحذف استخفافا إذا سكنت، فقال لهم المحتجّ عن أبي الطيب: لعمرى إن وَجْهَ الكلام ما ذكرتم، لكنَّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام ، وقد حكاه أبو زيد عن العرب فى كتابه المعروف بكتاب النوادر، وأنشد فيه لحسيل بن عُرْفُطَة[٣] :

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أن هاجَه[٤] … رَسْمُ دَارٍ قد تَعَفَّى[٥] بالسُّرَر

غيَّر الجِدَّة عن عِرْفَانِها … خُرْقُ الريحِ وطُوفانُ المطر

وأبو زيد ثِقَة والرواية عن العرب حجَّة ، وقد جاء مثله[٦] :

فلَسْتُ بِآتِيه وَلَا أَسْتَطِيعُهُ … وَلَاكِ اسْقِنِى إنْ كانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْل

كأنه حذف ثم جاء بالساكن من بعد فتركه على الحَذْف . وأنكر أصحابُ المعانى قطعَ المصراع الثانى عن الأول فى اللفظ والمعنى ، فقال المحتجُّ عنه إنما يسوغُ الإنكار لو قطع قبل الإتمام ، وابتدأ بالثانى وقد غادر من الأوّل بقية ، فأمّا أنْ يستوفى مراده، ثم ينتقل إلى غيره فليس بعيب ، وإنما المِصْرَاعان كالبيتين ، وهو قد استوفى بقوله :

* جَلَلًا كما بى فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ *

---

(١) ديوانه (١ : ٢٤٣) . (٢) التبريح : الشدة . والجلل : الأمر العظيم . والرشأ : ولد الظبية . والأغن . الذى فى صوته غنة ، وهى صوت من الخيشوم .

(٣) التبيان (١ : ٢٤٣) . (٤) فى الأصلين:

* لم يك الحق على إنهاجه *

(٥) فى التبيان : «قد تعفت» . (٦) التبيان (١ : ٢٤٣) .

هذا المعنى ، ثم ابتدأ بالمصراع الثانى مستفهِماً فما فى هذا من العيب ! وقال بعضُهم: قد يفعلُ الشاعر مثل هذا فى النسيب خاصّة ليدلَّ به على تمكُّن الشوق منه ، وغَلَبَةِ الحُبّ عليه ، وليَرَى أن آثارَ الاختلاط ظاهرة فى كلامه ، وأنه مشغول عن تقويم خِطَابه ، قالوا : ولذلك قال :

* أَغِدَاء ذَا الرَّشَإِ الأَغَنِّ الشِّيحُ *

وجعلوا من هذا الباب قول زُهَير[1] :

قِفْ بالدِّيار الَّتى لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ ... بَلَى وغَيَّرَها الأَرْوَاحُ[2] والدِّيَمُ

فنقض بالمصراع الثانى الأوّل ولم يحفل بتكذيب نفسه ، وأنكر هؤلاء قول من ذهب إلى أن معنى البيت أن القدم لم يَعْفُها ، وإنما غيَّرها الأرواح والدِّيَم . ومن النقض الظاهر قول بشار :

لم يَطُلْ لَيلى ولـكن لم أَنَمْ ... ونفى عنى الْـكَرى طَيفٌ أَلَمّ

فقال : لم أنم ، ثم زعم أنَّ الطيف ألمَّ به ، وهو لا يُلِمُّ إلاَّ بنائم . وقال غيره إن بين المصراعين اتصالًا لطيفاً ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه ، وشدَّة أسفه بيَّن أن الذى أورثه التّبريح والأسف وهَدَى إليه الشوق والقلق هو الأغَنّ الذى شكَّكه غلَبَة شِبْه الغِزْلان عليه فى غذائه ، وهذا الاعتذارُ قريب .

وعابوا له[3] :

أَمْطِ عَنْكَ تَشْبيهى بِما وَكأَنَّهُ ... فلا أَحَدٌ فَوْقِى ولا أَحَدٌ مِثْلى

فقالوا : إنما يشبه من الأسماء بِمِثْل وشِبْه ونحوها ، ومن الأدوات بالـكاف ، ثم تدخل على أنَّ فيقال: كأنَّه الأسد ، وقد تُقَرِّب العربُ التشبيه بأن تجمل أحدَ الشيئين

---

(١) ديوانه ص ١٤٥ ، والتبيان (١ : ٢٢٤) .

(٢) الأرواح : جمع ريح . والديم : جمع ديمة ، مطر يدوم مع سكون يوما أو يومين .

(٣) ديوانه (٣ : ١٦١) .

هو الآخر ، فتقول زيد الأسد عادياً ، والسيفُ مسلولا ، فأمّا مَا فلها مواقعُ معروفة وليس للتشبيه فى أبوابها مَدْخل . وهذا مما سُئِل أبو الطيب عنـه فذكر أنَّ ما تأْتى لتحقيقِ التشبيه؛ تقول : عبد الله الأسد وما عبدالله إلّا الأسد وإلا كالأسد، تنفى أن يشبَّه بغيره ، قال :

وما هِنْد إلّا مُهْرَة عربية ... سَلِيلةُ أفراس تجلَّلَهَا بَغْل

وقد تجىء مع الـكاف قال لبيد :

وما المرء إلا كالشِّهاب وضَوئِه ... يَحُورَ رَمادًا بعد إذْ هو سَاطِعُ

فكأَن قائلا قال : ماهو إلا كذا ، وآخرُ قال : كأنه كذا ، فقال : أمط عنك تشبيهى بما وكأنه . وأقول: إن التشبيه بما محال وإنما يقع التشبيه فى هذه المواضع التى ذكرها بحرْفه ، فإذا قال : ما المرء إلا كالشهاب فإنما المفيد للتشبيه الـكاف ودخلت ما للنفى فنفتَتْ أن يكون المرء إلا كالشهاب ، فهى لم تتعد موضعها من النفى ، لـكنها نَفَت الاشتباه سوى المستثنى منها، وإذا قال : ماهند إلا مهرة فإن ما دخلت على المبتدأ والخبر ، وكأن الأصل هند مهرة ، وهو فى تحقيق المعنى عائد إلى تقريب الشَّبَه ، وإن كان اللفظ مُبَايناً ، ثم نفى أن يكون كذلك فأدخل حرفى النفى والاستثناء ، فليس بمُنْكَر أن يُنسَب التشبيهُ إلى ما إذا كان له هذا الأثر[1] ، وباب الشعر أوسع من أن يضيق عن مثله .

وأنـكروا قوله[2] :

إذا كان بعضُ الناس سيفاً لدَوْلةٍ ... ففى الناس بوقاتٌ لهـا وطُبُول

فقالوا : إنَّ جمعَ بوق على بوقات خَطأً ، وإنما يجمع باب فُعْل على أفعال فى أدنى العدد، ... له : فعُل وأفعال . رعُود وأَعْواد ، وقد يخرج عنه إلى أفعل ؛ مثل بُرْد وأبرد،

(١) قال فى التبيان: الصحيح من معنى هذا البيت أن ما نكرة بمعنى شىء موضوعة للعموم ، كأنه قال : أمط عنك تشبيهى بشىء من الأشياء . (٢) ديوانه (٣ : ١٠٨) .

فأما فى أكثر العدد فالباب فُعُول؛ نحو جند وجنود ، وبُرْد وبرود ، فإن كان من المضاعف ففِعَال ، نحو خُفّ وخفاف ، وحُب[1] وحِباب ، وقد جاء على فِعَلة نحو تُرْس وتِرَسَة ، وجُحْر وجِحَرة ، وعلى فِعْلان ، نحو كُوز وكِيزَان ، وعلى فِعَالة ، نحو مُهْر ومِهَارة ، وإنما يجمع على فعلات[2] ما كان على فُعْلة ؛ نحو ركبة وركبات ، فيكون فيها ثلاثة أوجه : فتح الكاف وضمها وتسكينها ، فأما فُعْل وفعلات فممّا لايُعْرَف فى شىء من الكلام فى صحيح ولا معتلّ . وسئل أبو الطيب عن ذلك فقال: هذاالاسمُ مولّد لم يُسْمَع واحده إلاهكذا ولاجمعه بغير التاء، وإنما هو مثل حَمّام وحَمّامات وساباط وساباطات ؛ وسائر ماجَمَعُوه من المذكر بالتاء . وقال المحتجّ عنه . إن أصل الجمع التأنيث ، ولذلك جاء ماجاء منه بالتاء ، وإن كان فى الأصل مذكّرا . قال : فمن جمع اسمًا لم يَجِدْ عن العرب جَمْعَه فأجراه على الأصل لم يَسُغ الردُّ عليه ، ولم يَجُز أن ينسب إلى الخطأ لأجْلِهِ ، وهـذا اسمٌ أعجمى تكلَّمت به العربُ ، ولم يحفظ عنهم جمعه ، فلما احتاج المولّدون إليه أجْرَوه علىأصلِ الجموع ، وتبعوا فيه عادة العرب فى الأسماء المنقولة عنالأسماء الأعجمية ، نحو سُرَادق وسُرَادِقات ، وسَابَاط وسَابَاطات، وخَان وخَانَات، وهارون وهارونات، وإوان[3] وإوانات، فعدلوا بجميع هذه الأبنية عن أُصُول قياسها ، وألحقوها بأَصل الجمع وغلبوا فيها التأنيث ، ولولا ذلك لما جاز فى خَان وهو مثل مَالٍ أنْ يُجْمَعَ على خانات ، كما لايقال : مال ومالات ، ولافى إوان وهو مثل جِرَاب، وقد تَرَخَّصُوا فى الأسماء العربية بمثل ذلك تغليباً للتأنيث فى هذا الباب، فأخرجوها عن أبوابها ، وخالفوا فيها اخواتها ؛ قالوا : بُوَان وبُوَانات[4] ، وخَيَال وخيالات، وجمل سِجِلّ وجمل سِجِلَّات ، ولميلهم لهذا الاختيارقالوا فى جمع ذى القعدة: ذوات القعدة ، وفى جمع ابن آوى بنات آوى ، وكذلك بنات عرس ، وقالوا مثل

---

(١) الحب : الجرة ، ويجمع على أحباب أيضا . (٢) فى الأصلين فعلان — بالنون .

(٣) هو الإيوان . (٤) البوان : عمود للخباء .

ذلك فى الشهور ، فجمعوا رمضان وشوال رمضانات وشوّالات ؛ كلُّ هذا تقديماً للتأنيث فى باب الجمع ، ومَيْلًا به عن التذكير ، ولكلٍّ اسم من هذه الأسماء قياسٌ مطَّرِد وبابٌ متَّسِق ، عدلوا به عنه وهو معرض . وتركوه وهو سَهْلٌ ممكن . فلهذا وأشباهِه اختار أبو الطيب بوقات على أبْوَاق ، والوزن يتم بهما ، والضرورة لاتدفع أحدهما .

قال الخَصْم : هذه اللفظةُ وإن كانت قليلةً عن العرب فقد تكلّمت بها ، وعرفت قديماً فى لغتها : وأنشدوا :

رحى طَحَّانَةٍ صَاحَ بُوقُها[1]

وقد روى فى الحديث أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما استشار أصحابه فى أمْرٍ ينصبه عَلَماً للصلاة ؛ يجمع الناس عليها ؛ قال بعضهم : ناقوسٌ كناقوس النصارى ، وقال آخرون : بُوق كبُوقِ اليهود ، ولَسْنا نبعد أن تكونَ الكلمةُ عربيةً صحيحة، وأن تكونَ اللغتان اتفقتا فيها ، فإنا نجدُ لها اشتقاقا وأصلاً فى العربيةِ مشهوراً ، وهو قولهم : أصابتنا بُوقة من المطر ؛ أىْ دَفْعَة . قال رؤبة[2] :

* من بَاكِرِ الوَسْمِىِّ نَضَّاحِ البُوَقْ *

ويقولون للشيء إذا انفجر دَفْعة : انبَاق ، وهذا البوق المصوِّت يندفع فيه الصوت فكأنَّه ينفجرُ منه ، ويَنْفَلِت انفلاتَ البُوقَة من المطر ، فإن كانت عربية فبابُ جَمْعِها معروف، وإن كان أعجميةً فالعربُ إذا عرَّبت أعجمياً ألحقتهُ بكلامها، وأجْرَتْه على أبنيتها ؛ ألا تراهم قالوا : مُهْرَق[3] ومَهارِق، و بَلَاس[4] وبُلُس، وبُسْتَان وبَساتين، ويَلْمَق[5] ويَلَامق، ورَزْدَق ورَزادِق[6] ، وأمثال ذلك كثير موجود ؛ وإنما يعدلون

(١) البوق : شبه منقاف ملتوى الخرق ينفخ فيه الطحان فيعلو صوته فيعلم المراد به .

(٢) اللسان — مادة بوق : (٣) المهرق : الصحيفة البيضاء ، وقيل : المهرق : ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ، ثم يكتب فيه ؛ وهى فارسية معربة .

(٤) البلاس : المسح . قال أبو عبيدة : ومما دخل فى كلام العرب من كلام فارس المسح .

(٥) اليلمق : القباء المحشو ، وهو فارسى .

(٦) الرزدق : السطر من النخيل ، والصف من الناس ، وهو معرب من الفارسية .

يبعضها عن بابه إلى التاء كما يعدلون بالعربى فى نحو قولهم : بُوَان وبُوَانات ، وإنما هذه الأحرف التى عَدَدْتُمُوها ألفاظ خرجت عن القياس ، وشذَّت عن العبرة ، وإنما يتبع فيها السماع، ويوقَف عند الرواية، لايتعدَّى إلى غيرها ، ولا يتجاوز تلك الحروف بأعْيُنها . ولا تـكاد تجد باباً من العربية يخلو من نوادر وشواذّ ؛ ولو جعلت أصولا وأُجْرِيت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الـكلام ، ولجاز أنْ يقال فى جَمل أجمل كما قالو : جَبَل وأَجْبل ، وجاز كلْب وأَكْلَاب كما قالوا : فَرْخ وأَفراخ . قال المحتج : ليس هـذا من الباب الذى ذكرته ، وليس بجارٍ مجرى الشاذّ والنَّادِر ، بل قياسٌ مستمر فى جميع مالا يوجد له مِثَال القلَّة من المذكَّر ، وقد جاء أيضاً فيما له مثال القِلَّة وإن لم يكن مستمرًّا ، وأنشد قول أَوْس بن حَجَر :

تـكنفَّنَا الأعْدَاءُ من كلِّ جانبٍ   لينتزعوا علقاتنا ثم تربعوا

فجمع علقا على علقات وأنشد لغيره :

يرى عيسا يسودهن ماء   من النَّجَدَاتِ يحلبها النميل

يريد جمع النَّجَد ، وهو العرَق ؛ فى أبيات كثيرة تشهد لما قاله .

***

قد قال الفريقان ما حكيناه ؛ وقد كان لأبى الطيب فى الصَّحِيح مندوحة ، وفى المُجْتَمع عليه متَّسَع .

وعابوا قوله(٢) :

وإنِّى لَمِنْ قَوْمٍ كأنَّ نُفُوسَنا   بها أَنَفٌ(٣) أن تَسْكُنَ اللَّحمَ وَالْعَظْمَا

فقالوا ؛ قَطَع الـكلام الأوّل قبل استيفاء الـكلام وإتمام الخبر ، وإنما كان يجب أن يقولَ: كأنَّ نفوسهم ليرجعَ الضمير إلى القوم ، فيتمّ به الـكلامُ . وهذا من شنيع ماوُجِد فى شعره ، وقد اعتذر له بأمور سنذكرها على ما فيها بمشيئة الله تعالى .

---

(١) البوان : بكسر الباء وضمها : عمود للخباء   (٢) ديوانه (٤ : ١٠٩)

(٣) الأنف : الاستنكاف من الشىء .

زعم بعضُ المحتجين عنه أنَّ العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرفُ الضميرَ عن وَجْهِهِ ، وتتركُ ردَّه مع الحاجة إليه ؛ لأن المراد بالضمير الثانى هو الأوَّل فى الحقيقة ، وإن اختلفت العلامتان . قالوا : وقد جاء ذلك عن العرب فى الأسماء الناقصة التى تتمُّ صِلَاتُها وهى أحوجُ إلى الضمير الراجع إليها ؛ لأنها كالحَرْف المفرد لايتمُّ إلا بالحروف التى تَنْضَافُ إليه ؛ فَصِلَتُه بما فيه من الضمير كبقية حروف الاسم ، فهو أمسُّ حاجةً ، وأشدُّ افتقاراً إلى رَدِّ الضمير إليه ، وتكميل ذلك النَّقْص به ، فمَّا جاء فى ذلك قول المهلهل :

وأنا الذى قتلتُ بَكْراً بالقَنَا وتركتُ تَغْلِبَ غير ذاتِ سِنَام

وإنما وَجْهُ الكلامِ : وأنا الذى قَتَل ؛ ويكونُ فى قَتَل ضميرٌ تقديرُه وأنا الذى قتل هو .

وقول أبى النَّجْم

يأيُّها الذى قد سُؤْتَنِى وفضحتنى وطردتَ أُمَّ عِياليا

ولوردّ الضميرَ على حقيقةِ الكلام لقال: الذى قد ساءنى .

وكلُّ هذا حُمِل على المعنى، قالوا : وقد جاء فى القرآن العزيز : « إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » . وليس فى الخبر مايرجعُ إلى الأوَّل ، ولو ردَّ الضميرُ إلى الأول لقيل : إنَّا لانضيعُ أجرَهم ؛ لكنه لما كان من أحْسَن عملا هم المُضْمرون بهم ، الذى فى أجرهم جاز أنْ ينوبَ أحدُهما عن الآخر ، لأنَّ مَنْ أحسنَ عملا هوَ مَنْ آمن .

ومثلُ هذا قوله تعالى : « والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالْكِتَابِ وأقامُوا الصَّلاة إنَّا لانضيعُ أجرَ المُصْلِحين » لما كان معنى المصلحين معنى الذين يمسكون بالكتاب جاز ن يُقَامَ مقامَه فيعود الذكر إليه فى المعنى ، فكأنَّه قال : إنا لانُضيع أجرَهم . وعلى هذا أجاز النحويون : المؤمنُ أكرمُ من اتَّقَى الله ، لأنَّ معنى مَن اتَّقى الله معنى المؤمن ؛ قالوا : فكذلك هذان الضميران فى اتفاق المعنيين .

قالوا : وقد جاء فى شعر العرب مايُشْبِـه هذا مما أُقيم فيه أحد الـكنايتين مقام الأخرى اعتماداً على المعنى؛ مثل قول لبيد[1] :

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمْـكهُ[2] فسَما إليهِ كَهْلُها وغُلامُها

يريد كَهْلُنا وغُلامنا . قالوا : وشبيهٌ بهذا قولُ الله تعالى : « حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ » عدل عن ضمير المخاطب إلى ضميرِ الغائبِ اعتماداً على ظُهورِ المعنى . قالوا : ويجوزُ أن يكونَ اكتفى بقوله : وإنى لمن قَوْمٍ كرام وأَشْرافِ .

فحذف الصفة استغناء بما تقدم ، وما تعقب من الـكلام ، ثم ابتدأ خبراً ثانياً ، وصرفَ الخطابَ عن الأول ، وهذ سائغٌ لايُرَدُّ . ألَا تراه لو قال : وإنى لمن قوم كرام ، ثم أَمْسَكَ لـكان قد استكمل الفائدة ، واستوفَى الغَرض ، ولم يُحْظَر عليـه العدولُ إلى غيره ، ولم يُطالَب بردِّ الضمير إلى ما تقدّمه . ومن طلب أبوابَ الحَذْفِ والاختصار ، والانتقال من كلام إلى كلام ، والانصراف عن الخطابِ قبل استتمامه اجتزأ بظُهور الغاية واسْتِبَانة المراد . وتَتَبَّعَ ذلك فى مَعادنِهِ . والـكتب المصنفة فيه تُصوِّر صحةَ ما قلناه ؛ فأما استقصاء ذلك وذِكْرُ جميعه فما يُعْظِم حجم الـكتاب ، ويُطيل حواشي الـكلام ، ولا يحصلُ منه على كبير فائدة .

وأَنْشَدُوا لعبد الله بن قيس الرَّقيّات :

فتاتان أمّا منهما فشبيهة هلالاً وأُخرى منهما تُشْبِه الشمسا
فتاتان بالنجم السعيد وُلِدْتُما ولم تلقيا يومًا هَواناً ولا نَحْسَا

فلم يقل فتاتان وُلِدَتا ، وهو حقُّ الـكلام ؛ لـكنه عدل إليهما مخاطباً ، ولم يَحْفِل بتغيير الـكنايات والضمائر . قولُه : فتاتان كالمنقطع من الـكلام قبل استقلاله بفائدة ، والـكلام الثانى كالمبتور قبل تمامه إلّا أن يُحْمَـل على ما حملنا عليه بيتَ أبى الطيب ،

---

(١) شرح المعلقات للتبريزى ص ١٦٨ . (٢) السمك : الارتفاع .

ونحو بيت ابن الرقيات قول أبي الطيب[1] :

قومٌ تفرَّستِ[2] المنايا فيكم ... فرأتْ لكم في الحربِ صبرَ كِرامِ[3]

كأنه قال : أنتم قوم هذه حالكم ، وقوله[4] :

كريمٌ متى استُوهِبتَ ما أنتَ راكبٌ ... وقد لقحتْ حربٌ فإنَّك باذلُ[5]

وأقول : إنَّ هذه القضية إذا استمرت على ظاهرها ، واقتصر على القَدْرِ المذكور منها ، اختلطت الكنايات وتداخلت الضمائر ، ولم ينفصِل غائب عن حاضر ، ولم يتميَّز مخاطب . وله مواضع تختصُّ بالجواز ، وأخرى تبْعُد عنه ، وبينهما فصولٌ تدِقّ وتَغْمُض ، ولذِكْرِها موضعٌ هو أمْلَك بهما ، وأبياتُ أبي الطيب عندي غير مُسْتَكْرَهة في قسم الجواز ، وقد بلغ هذا المحتجُّ منه مبلغاً ، غيرَ أنّ أبا الطيب عندي غيرُ معذور بتَرْكِه الأمرَ القويَّ الصحيح إلى المُشْكِل الضعيف الواهي لغير ضرورةٍ داعية ، ولا حاجةٍ ماسَّة ؛ إذْ موقعُ اللفظتين من الوَزْنِ واحد ؛ ولو قال : نفوسهم لأزال الشُّبْهَة ، ودفع القَالة ، وأسْقَط عنه الشَّغَب ، وعناء التعب .

وقوله[6] :

مَضَى بَعْدَ مَاالْتفَّ الرِّمَاحَانِ[7] سَاعَةً ... كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الهُدْبا[8]

فأنكروا تثنية الرماح ، وهو جمع رمح فحاجَّهم أبو الطيب ببيت أبي النَّجْم[9] :

تنقلتُ من أول التنقل ... بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ ونَهْشَلِ

والتثنية عند النحويين جائزة في مِثل هـذا إذا اختلفت الضروب والأجناس ،

---

(١) ديوانه (٤ : ١٤) . (٢) تفرست : تأملت .

(٣) وكان الوجه أن يقول : فيهم فرأت لهم ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح . (٤) ديوانه (٣ : ١١٦) .

(٥) في الأصل : نازل . لقحت الحرب : اشتدت . (٦) ديوانه (١ : ٦٤) .

(٧) يريد رماح الفريقين . (٨) الهدب : أشفار العين .

(٩) التبيان (١ : ٦٤) .

وأكثر ما على أبى الطيب أن يتبع أبا النَّجم وأضرابه من شعراء العرب، فبهم القدوة وبهم الائتمام ، وفيهم الأُسْوة .

وقوله :

فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ مَاتَنِى(٢) تَتَقَطَّعُ

فأنكروا تشديدَ النون من لدنّ ، وإنما هو لَدُنْ ولَدْن ؛ فأما تشديد النون فغير معروف فى لغة العرب ، وقد كان أبو الطيب خُوطِب فى ذلك فجعل مكان لدنّه ببابه ، ثم احتجَّ بما أذكره جملة . قال : قد يجوزُ للشاعر من الكلام ما لا يجوزُ لغيره لا للاضطرار إليه ، ولكن للاتِّسَاعِ فيه ، واتفاق أهله عليه ، فيحذفون ويزيدون ، وروى أبياتا منها :

إذا غاب غدواً عنك بَلْعمّ لم تكن جليدا ولم تعطِفْ عليك العواطف

إنما هو ابن العم ؛ ومنها قول قَطرِىّ :

غَداة طغت عَلْمَاءِ بكر بن وائل وعُجْنا صدورَ الخيل نحو تميم

وقول لبيد(٣) :

* دَرَسَ المَنَا بِمُتَالِعٍ فأبَان *

يريد المنازل .

وقول الآخر :

ثم تنادوا بعد ذاك الضَّوْضَا منهم بهاتِ وهلاَّ ويَابَا
نادى منادٍ منهم ألاتا قالوا جميعا كلهم ألافا

آخر(٤) :

قد وَعَدَتنى أمُّ عَمْرٍ وأَنْ تَا تدهن(٥) رَأسى وتُفَلِّينِى وا

(١) ديوانه (٢ : ٢٤٠) . (٢) فى الديوان : «لاتنى» . (٣) بقية البيت :

* بالحبس بين البيد والسوبان *

ومتالع : جبل بناحية البحرين .

(٤) أنشده الأخفش كما فى اللسان ــ مادة قنف ، نتأ . (٥) فى اللسان : «تمسح» .

* وتَمْسَحُ القَنْفَاء[١] حتى تَنْتَا[٢] *

ومما زاد فيه قول شبيب بن ثعلبة :

ولَسْبَةُ الحُرْقُوصِ بالقَفَنْ[٣] ودُمَّل فى الاست مستقرّن
أحِبُّ منك موضع الوُشْحُنّ فذاكَ من ذاكَ إلى السنن
قطنة من أجود القطن

فزاد هذه النونات .

وقول الآخر :

تعرضت لم تأْل عن قتلٍ لى تعرض المهرة فى الطولْ

فزاد لاما . وقال الآخر :

* ياليتها قد خَرَجَتْ من فه *

وقول الآخر :

وليسَ المـال فاعلْمه بمال وإن أعياكَ إلّا الدينى

والتشديد فى لدنّ أحسن من هـذا كله ؛ لأن النون ساكنة مع هاء ، والنون تتبين عند حروف الحلق لتباعدها منها ؛ فزاد فى تبينها فاجتلب التشديد ، وهذه زيادة نون . وقد قال بعض العرب[٤]

* مُذْ لَدُ شَوْلًا فَالِىَ إتْلائِها *

فحذف النون من لَدُنْ . وقال آخر :

منا إن ذرّ قرن الشمس حتى أغاثَ شريدَهم غلسُ الظَّلامِ

---

(١) فى الأصلين : القيفاء : والقنفاء : الحشفة .

(٢) فى الاصلين : حتى سا ، وهـذه رواية اللسان — قال : أراد تنتأ ، فإما أن يكون خفف تخفيفا قياسيا ، وإما أن يكون أبدل إبدالا صحيحا ، وكل ذلك ليوافق قوله : تا .

(٣) لسبة الحرقوص : عضتها ، والحرقوص : دويبة كالبرغوث لها حمة كالزنبور .

(٤) اللسان — مادة شول .

راد ألفاً فى مَنْ . وقال آخر(١) :

إنْ شكلى وانَّ شَكْلَكِ شتى ... فالْزمى الخُص واجفظى(٢) تَبْيَضِضِّى

أراد : تَبْيَضِّى ، فزاد ضاداً أخرى ، والعرب تقول : أنْظور بمعنى أنْظُر ؛ وأنشدوا :

وإننى حيث ما يثنى الهوى بصرى ... مِنْ حَيْثُ مَاسَلَكُوا أَدْنُو فأنْظُورُ

قال : وللفصحاء المدلِّين فى أشعارهم مالم يُسْمَع من غيرهم ؛ كقول امرِئ القَيْس: «دِيمَةٌ هَطْلَاءُ»(٣). وذى الرُّمة : «أُدْمَانَة»(٤) — يعنى أَدْماء . وفى شعر ابن أحمر وأمية: «الهَيْمان»(٥)، و«البلقوس»، و«القَسَاوِسَة»؛ فى جمع قَسٌ . ومثل هذا أكثر من أنْ يُحْصى .

فقال الخصم : قد خلط هذا الرجل فى احتجاجه ، وجمع بين أمور مختلفة ، ودلّنا على بُعْدِه عن تحصيل المعانى ، وذهابه عن مقاييس النحو ، وأجْرى كلامَه إلى غاية

(١) اللسان — مادة بيض . (٢) فى اللسان : « فاخفضى » .

(٣) من بيت لامرئ القيس :

ديمة هطلاء فيها وطف ... طبق الأرض تحرى وتدر

قال النحويون : قولهم هطلاء جاء على غير قياس ؛ لأنه لا يقال سحاب أهطل ، ولا مطر أهطل . اللسان — مادة هطل .

(٤) من بيت له :

أقول للركب لما أعرضت أصلا ... أدمانة لم تربيها الأجاليد

والأدمانة : الأدماء .

وقد جاءت هذه الكلمة فى شعر آخر له :

* والجيد من أدمانة عتود *

قال فى اللسان : وقد عيب عليه ، فقيل : إنما يقال هى أدماء ، والأدمان كأحمر وحمران ، وأنت لا تقول : حمرانة ولا صفرانة . وكان أبو على يقول: بنى من هذا الأصل فعلانة كخمصانة . اللسان — مادة أدم .

(٥) الهيمان : الصوت الخفى .

توجت قلبَ اللغة ، ونَقْضَ مبانى العربيه ؛ لأنه حمل الشعراء بزعمه أمراءَ الكلام ، وأباح لهمُ التصرّفَ على غير ضرورة ؛ وهذه القضية إن سبقت على اطّراد قياسِها زال نظام الإعراب ، وجاز للشاعر أن يقول ماشاء ، وأن يتناول ماأراد عن قرب ، فيثقّلُ كل مخفّف ، ويخففُ كل مثقّل ، ويحذف ويزيد ، ويغيّر المجموع ، ويتحكّم فى التصريف ، ويتعدّى ذلك إلى حركات الإعراب ، ويتجاوزُه إلى ترتيب الحروف ؛ فإذا كان هذا ممتنعا محظورا ، ومتعذَّرا محجورا ، فلا بُدَّ من حد يقف عنده الشاعر ، وينتهى إليه الفرق بين النظم والنثر ، فيزول هـذا الأساس الذى مهَّده ، والأصل الذى قرّره ، ويرجع إلى ماقالت العلماء فيه ، وما أجيزَ للمضطر من التسهيل ، وفُضِّلَ به النظمُ من التسامح ، وهى أبواب معروفة ، ووجوه محصور أكثرُها ، ومُعْظَمُ ما يوجد فيها رد الكلمة إلى أصلها ، وإلى ما أوجب القياس الأعم لها ؛ مثل صرف مالا ينصرف ؛ لأن تَرْكَ الصرف لعلة ، فأزيلت وألحق الاسمّ بأصل الأسماء . ومثل قصر ما يُمدّ ، لأن المَدّة زيادة عارضة فحذفت . ومثل إظهار التضعيف كقوله :

* إنى أَجُود لأقْوَامٍ وإنْ ضَنِنُوا *

لأنه الأصل ، ونحو هذا وشبهه .

وقد يجىء عن العرب شواذ لا تجعل أصولا ، ولا يَلزَمُ لها قياس ؛ لأنَّ ذلك لو ساغ واستمر لانقلبت اللغة ، وانتقضت الحقائق ، وَهُمْ إلى الحذف فيه أميل ، وبالتخفيف أوْلع ، وعلى ذلك قالوا : دَرس المنا ؛ يريد المنازل . وقالوا : قواطن مكة من وُرْق الحِمَى يريد الحَمام . وهذا باب يتسع فيه القول ، وتتشعّب فيه الوجوه ، وقد صنفت فيه كتب معروفة . ولأهْلِ الكوفة فيه رُخَص لاتكاد توجد لغيرهم من النحويين ؛ كإجازتهم مد المقصور ، وترك صرف الاسم المنصرف ، ونحو ذلك ؛ غير أنهم لايبلغون به مرتبة الإهمال ، ولا يُعرِّضونه لتحكم الشعراء ، ويجعلون هذا الباب من الضرورة ، ويقتصرون به على الحاجة .

فأما ذكر أبى الطيب فى هذا الكلام بَلْمٍ وعَلْماء ، ونحو ذلك فبمعزل عن هذا الشأن ؛ لأنه سائغ فى غير الشعر ، وجائز فى كل الكلام ، وأكثر ما تقول العرب : عَلْمَاءِ بنى فلان ، وله باب ولا حاجة بنا إلى ذكره ، بعد أنْ عرفناك أنه غير متصل بما تنازعه من ضرورات الشعر ، وكذلك الأبيات التى عددها فى الحذف ، فقد قدمنا لك مَيْل العرب إلى الاختصار ، وإيثارَها الإيجاز ، وغلبة الحذف على كلامها ، وكثرته فى خطابها .

وقد حكى الأصمعى أن أخَوَيْن من العرب مكثا متهاجرين زمانا ، وهما يَحُلّان ويرتحلان معا فإذا أراد أحدُهما الرحيل ، قال : ألَا تَا ، فيجيبه الآخر آلَا فا ، وعلى هذا الطريق جروا فى استعمال الترخيم ، وترك الخبر فى كثير من الابتداءات فى مواضع من الشروط ، وهذا لا يوجب التعدى إلى ما ترخص به أبو الطيب ، وسوّغه لنفسه واحتج به لشعره . فأما قوله : تبيضضى ، فجار على ما خبّرناك باحتمال الشعر له من إظهار التضعيف ، فأما التشديد الزائد فيه ، وفى مستقرنَّ والطولّ ونحو ذلك ، فلأنها حروف الرويّ وخواتم القوافى ، ومُنْقَطع الكلام ، فاحتملت ما لا يحتمله غيرها . ولو ساغ أن يُنصب ذلك عَلَما ، ويجعل عبرة ، ويَسْتمرّ على شريطة القياس لوجب أن لا ينكر على الشاعر إذا قال : رأيت حسنّا ؛ فشدد النون ، أو ضربت محمدّا فثقل الدال ؛ كما جاز لك فى الطولّ ومستقرنّ ، ويجرى ذلك فى سائر الأسماء وجميع الحروف والأفعال ، وهذا أمر لا ينتهى إليه عاقل. وقد جاء عن العرب التشديد فى أواخر الأسماء إذا وقفوا عليها ، وهذا ما يؤكد ما قلناه فى تمييز القوافى عن غيرها ؛ مَن حيث كانت العرب تقفُ عليها ، وإن كانت مطلقة .

فأمّا الألفاظُ التى زعم أنّ الشعراء تفرّدوا بها فإنها موجودة عن أئمة اللغة ، وعمن ينتهى السَّنَدُ إليهم ، ويُعْتَمَدُ فى اللسان عليهم ؛ وإنما نتكلم بما تكلّموا به ، وواحد كالجميع ، والنَّفَر كالقبيلة ، والقبيلة كالأمة ، فإذا سمعنا من العربى الفصيح

الذى يعتقد حجة كلمةً اتّبعناه فيها. ثُمَّ إن لم تبلغْنا عن غيره ، ولم نسمع بها إلا فى كلامه لم نزعم أنه اخترعها ، ولم نحكم أنه أبو عُذْرِها .

وعلى هذا أكثر اللغة ؛ لاسيما الألفاظ النادرة ، والحروف الفردة . وكم نقل الناس عن أبى مهدية ، وأبى الدقيش ، وأبى الجراح ، وأبى الصقر ، والقنانى ، وأم الهيثم ؛ وفلان وفلانة من لفظةٍ لم تسمع قَبْلَهُم ، ولم تؤخذ إلا عنهم ، ثم ليس لنا أن نجعلهم منفردين بتلك الكلمات ، ومُخْتصين بتلك الحروف. وهذا سبيل ماوجد فى شعر هؤلاء من الشواذ الغريبة ، والألفاظ النادرة . وقد أيّد بعض من يحتج لأبى الطيب ماقدمناه من كلامه بأن قال : قد بَيَّن الرجل العلة فى حُسْن هذه الزيادة ، وذكر أنّ النون كما كانت خفيفة وكانت ساكنة ، ومن حقها أن تَتَبَيَّن عند حروفِ الحَلْقِ حَسُن تشديدُها لتظهر ظهورا شافيا ، فهذه علة قريبة قد يحتمل للشاعر تغيير الكلام لأجلها. ويؤكد ذلك أنَّ النون أقربُ الحروف إلى حروف العلة : الياء والواو ، وأكثرها شبها بهما؛ ومناسبة لهما ؛ لأنها تُدْغَمُ فيهما ، وتزاد حيث يزادان ؛ فتنصب علما للصرف ، كما يجعلان علامة للإعراب ، وتبدل الألف منها فى قولك : اضْرِبْنْ ؛ إذا أرَدْتَ النونَ الخفيفة؛ كما تبدل منها فى مواضع البدل، وتَحُلّ محلّ الواو فى قولك : نَهْرَانىّ وصنعانى؛ وإنما هو نهراوىّ وصنعاوى، وتحذف إذا كانت خفيفة كما يحذفان لالتقاء الساكنين فلما جرى معهما هذا المَجْرَى ، وحل من مناسبتهما هـذا المحل ، احتمل ما يحتملانه من حذف وزيادة ، وحروفُ العلة أكثر الحروف احتمالا ، وأوسعها مُتَصَرَّفا ؛ ولذلك يحمل عليها فى الحذف ، ويتجوز فيها بالزيادة ، وعلى هـذا استجازوا زيادةَ الياء فى صياريف؛ وإنما هو صيارف؛ إشباعا للمدة للزوم الكسرة فى هذا الموضع. قال الشاعر:

تَنْفِى يدَاهَا الحَصَى فِى كلِّ هَاجِرَةٍ نَفْىَ الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ

وقد قال الفرزدق — فزاد ياء لغير علة إلا لإقامة الوزن :

تَبْكِى عليه الشمس والقمر الذى به يَبْهج السَّارون ليـلَ التمائم

أراد التّمام فزاد الياء . وقال الهذلى :

به الرّوم أو تَنوخ أو الآ   طام من صوّران أو زيد

فشدد الواو من صوران ، وإنما هو صوران ، ولإجرائهم النون هذا المجرى قالوا:

* قطّنة من أجود القطن *

فشدد النّون من قُطُنّة وليس هو فى موضع قافية ، ولا هو حرف روى . وقد احتمل للشعراء لأجْل الشعر ماهو أبلغ من تغيير الألْفاظ وإزالة الكلام عن موضعه . قال الفرزدق :

وما فارقتُها شِبَعًا ولكنْ   رأيتُ الدهرَ يأخذ مايُعار

أراد يُمير ، فغير البناء كما تراه . وقال زُهَيْر (١) :

* ماءٌ بشرقىّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ *

وإنما اسم الماء ركّ ، وليس هذا موضع إظهار التضعيف عند أكثر النحويين . وقال دُرَيْد :

فإن تُعْقِبِ الأيام والدهر تَعْلَمُوا   بنى قارب أنا غضاب بمعبد

يريد بعبد الله ؛ فغير اسمه كما ترى . وقال حسان بن ثابت :

من مَعْشَرٍ لا يَغْدِرون بذمّة الْ   حارث بن حبيّب بن سحام

إنّما هو حبيب . والكلام فى هذا الباب يكثر من الفريقين .

وقوله(٢) :

ليس إلّاكَ يا على همام   سيفه دون عِرْضِه مَسْلُولُ

وقوله(٣) :

---

(١) ديوانه ص ٤٢ وصدره :

* ثم استمروا وقالوا إن مشربكم *

(٢) ديوانه (٣ : ١٥٦) . (٣) ديوانه (٢ : ٣٨٣ وبقية البيت :

* لا لسوى ودك لى ذاكا *

* لم تَر من نادمتُ إلّاكا *

فأنكروا اتصال الضمير بإلا ، وحق الضمير أن ينفصل عنها ، وبذلك جاء القرآن. قال الله تعالى: « ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلّا إِيّاهُ » وهو الظاهر فى قياس النحو ، والمشهور عن العرب . وقد روى الفرّاء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه :

فما نُبالى إذاما كُنْتِ جارتَنَا ألاّ يجاوِرَنا إلاّكِ ديّارُ

وأنا أرَى أن لا يطالب الشاعر أكثر من إسناد قوله إلى شعر عربى منقول عن ثقة وناهيك بالفرّاء ! وقوله[1] :

* أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فى أُحَادِ *

وقد مضى فى صدر هذه الرسالة المواضع التى أنكرت فى هذا البيت : وقد كان أبو الطيب سئل عنه فأجاب عن قولهم: إن سُداسًا غير محكى عن العرب، وأن أهل اللغة يزعمون أنهم لم يزيدوا على رُباع ، وإنما هى ألفاظ معدولة يوقف بها على السماع بأن قال : إنه قد جاء عن العرب خُماس وسُداس إلى عُشار ؛ حكاه أبو عمرو الشَّيْبَانى وابن السِّكِّيت ، وذكره أبو حاتم فى كتاب الإبل ، وزعم أبو عبيدة فى المجاز أنه لا يعلمهم قالوا فوق رُباع ؛ وهؤلاء ثقات لم يَحْكُموا إلا ما علموا ، وقد جاء ذلك فى الشعر . قال الكميت[2]:

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتى رَمَيْـ ـتَ فَوْقَ الرِّجَالِ[3] خِصَالًا عُشَارًا

آخر :

ضربت خُماس ضربة عَبْشَمِى أدار سُداس أن لا يستقيما

---

(١) ديوانه (١ : ٣٥٣) ، وبقية البيت :

* لِيَيلتنا المنوطة بالتناد *

(٢) التبيان (١ : ٣٤٨)

(٣) قال الصاغانى: والرجال (باللام) تصحيف، والرواية: «فوق الرجاء» ، أى قوى الرجاء الذى كانوا يرجون أنك تبلغه .

وقد نسبت العرب إلى كل ذلك فقالوا: خُماسِيّ وسُدَاسِيّ وعُشارى. قال أبو النجم:

* فوق الخماسىّ قليلا تُفَضّله *

فأما قولهم : إن هذه الألفاظ إنما عدلت فى المعنى، فأجريت مُجرى واحد واحد، اثنين اثنين ، فقد قال المحتج له : إن أصل عدْلها وإن كان على ذلك فقد تكلم بها فى معنى الأعداد المفردة ، وعلى ذلك وقع النسب إليها فى الخُماسى والعُشارى ، والنسب لايصح إلا على هذا المعنى . وقد استدلوا بقوله : ضربت خماس ... البيت . وهذا غير المعنى الذى ذهبوا إليه ، وإنما هو اسم معدول عن خمسة ، ولا مدخل للتكرير فيه . وقالوا فى إنكارهم تخصيص سُداس من بين الأعداد . إن الأعداد إذا استولت فى المعنى لم يحظر على ذكر أحدها ، ولو قال خُماس أو رُباع لكان الأمر واحداً ، ولو بلغ العُشار لم يَزده غيرَ فَضْل الاستطاله ، وليس على الشاعر إذا بالغ فى وصفٍ أن ينتهى إلى الغاية ، ولا يترك فى الإفراط مذهباً ؛ على أنه قد يجوز أن يكونَ قصد استيفاء الأسبوع فقال : أهى ليلة أم ستّ ؛ مضافة إليها ، ولم يرد به الحساب ، فيُحمل على مايوجبه حكم الضَّرْب ، فيكون الواحد فى الستة ستة ، وإنما قال أواحدة هى أم ست فى واحدة ، فإذا جعلت الست فى الواحده على جهة الظَّرْف والوعاء صارت سبعا : فهذا وجه قريب .

قال الخصم : قد صغر اللَّيْلة ثم استطالها فقال : لُيَيْلَتنا المَنُوطة بالتناد

قال أبو الطيب : هذا تصغير التعظيم ، والعرب تفعله كثيراً . قال لبيد[1] :

وكلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنهَا الأَنَامِلُ

أراد لطف مَدْخلها فصغّرها . وقال الأنصارى[2] : أنا عُذَيْقها المُرَجَّب ،

---

(١) التبيان (١ : ٣٥٤)

(٢) هو الحباب بن المنذر . والعذيق : تصغير عذق (بفتح العين) وهى النخلة . والترجيب : إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط ؛ فيكون المراد من قوله : «أنا عذيقها المرجب» أن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى . والجذل : عود ينصب للإبل الجربى تحتك به فتشتفى ؛ أى قد جربتنى الأمور ؛ ولى رأى وعلم يشتفى بهما ؛ كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل .

وجُذَيلُها المُحَكَّك ؛ فصغر وهو يُريد التعظيم .

وقال آخر :

يا سَلْمُ أسقاكِ البُرَيقُ الوامِضُ والدِّيَم الغَادية الفضافِض

أما تصغير اللفظ على تكثيرِ المعنى فغير منكر ؛ وهو كثير فى كلام العرب ؛ لكن فى احتجاج أبى الطيب خلل ؛ من قبل أن دُوَيْهية فى هذا الموضع تصغير فى المعنى واللفظ ، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا الجذل لا يكون إلا لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتكّ به الإبل ، وكما زاد تحكُّك الإبل به زاد لطفاً وصِغَراً وضئولة . وإنما وجه القول فى هذا أن من التصغير ما يكون جارياً على طريق الاستهانة والتحقير ، ومنه مايراد به الصِّغر واللطافة ؛ فأنت إذ قلت : جاءنى رُجَيل لم تُبَالِ بصِغَرِ جسمه ، وتفاوت خَلْقه ، وقِصَر قامته ، إذا أردتَ تحقيرَ شأنه والإهوان به ، ومتى أردت الإخبار عن ضئولته . ودَمامة خَلْقه لم تعرّج على حاله ، ولم تفكر فى محله. وقد تقول ذلك للملك على هذا الوجه ، وتقول للرجل المعادى على الوجه الأول ، وقد تفعل ذلك وأنت تريد ذَمَّه ؛ وإن كان قوىّ الخُلُق ، عظيم الشأن . وذكرُ لَبيد الدُّوَيْهِية على لفظ التصغير من باب اللطافة دون النِّكاية ؛ وقول أبى الطيب «لُيَيلتنا» خارج مخرج الذم والهجو ، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله : «المنوطة بالتناد»، إذ قد بين أنه لم يرد قِصَر مدتها . ولا قرب انقضائها . فأما قول أبى الطيب: إنى لم أرد بالتَّناد القيامة ، وإنما أردت مصدر تَنادَى القومُ ، وعنيت أنها منوطة بما أهمّ منه فهو أعْلم بقصده ، وأعْرف بنيته ؛ غير أن نَسْقَ الكلام يشهد عليه . ومَنْ تأمله عرف أنه بأن يراد به القيامة أشبه ، ولا عيب فيه لو أراده ؛ إنما هو ضرب من الإفراط قد استعمله الشعراء . قال بشار[1] :

أَضَلَّ النهارُ المستنيرُ طريقَه أم الدهر ليلٌ كله ليس يَبْرَحُ

ومثله كثير موجود .

---

(١) ديوانه ص ٤١ .

وقوله[١] :

ولم تَرُدَّ حياةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ   ولَمْ تُغِثْ دَاعِياً بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ

قالوا : العرب لا تقول دَعَا بالويل والحرَب ، وإنما يقال : دعا ويله ؛ كما يقال دعا فلانا . قال الله تعالى « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا » .

فإنما يقال : دعا بكذا إذا طلب أنْ يؤتى بذلك الشيء ؛ كقول الفرزدق[٢] :

دعوتُ بقُضْبَانِ الأراكِ التي جَنَى   لها الرَّكْبُ من نُعمان أيَّام عَرَّفوا

وتَدَاعوا بشعارهم ، ودعا لكذا ، أى من أجله ، فقال أبو الطيب : يقال دعا للقتال وللخير وللشر ولما به ، أى إليه . ومن أجله قال طَرَفَة[٣] :

وإن أُدْعَ لِلْجُلَّى أكُنْ من حُمَاتِهَ   وإن يأتك الأعداء بالجَهْدِ أجْهَدِ

ويقال : دعا باللَّهف وبالويل والحرَب بيا ، وأيا ؛ لأنه لفظ الداعى . وقال ذو الرُّمة[٤] :

تَداعيْن باسم الشِّيبِ من مُتَثَلِّمٍ   جوانبُه من بَصْرَةٍ وسِلَام

وقال الراعى[٥] :

إذا ما دعت شيبا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ   مشافرُها فى ماء مُزْنٍ وبَاقِلِ

وقال :

* دَعا الدَّاعِى بحَىَّ على الفلاح *

وقال عنترة[٦] :

دَعانِى دَعْوَةً والخيلُ تَرْدِى[٧]   فما أدرى أباسْمِى أم كَنَانى

وإنما يقال : دَعَا بكذا إذا أمر أنْ يُؤْتَى به ، لأنه ذكر اسمه . والذى قَالَهُ أبو الطيب مَحْكِىٌّ عن العرب ، معروف عند أهل العلم ، فإذا أراد ذِكْرَ المدعوّ قال : دعوته ، وإذا أراد مايلفظ به قال: دعا بكذاوكذا، وعلى هذا بيتُ عنترة،وقول الآخر:

(١) ديوانه (١ : ٨٨) . (٢) ديوانه (٢ : ٢٤٥) . (٣) ديوانه ص ٣٢ .
(٤) ديوانه ٦٠٩ ، واللسان : شيب . (٥) فى الأصل: نصرة .
(٥) من ديوان ذى الرمة . (٦) ديوانه ص ١٥٤ .
(٧) تردى : تعدو. وفى الديوان : « تجرى » .

* دعا الدّاعي بحيّ على الفلاح *

وقوله[١] :

بَياضُ وَجْهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حالِكَةً ... وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مُخْشَلَبا[٢]

قالوا : « مُخْشَلبا » ليس من كلام العرب . فقال أبو الطيب : هى كلمة عربية فصيحة ، وقد ذكرها العجّاج . ولست أعرفها فى شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن العرب ؛ غير أنى أرى استعمالَها وأمثالها غير محفوظ ، لأنى أجد العرب تستعمل كثيرا من ألفاظ العجَم إذا احتاجت إليه لإقامةِ الوزن، وإتمام القافية، وقد تتجاوزُ ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه ؛ كما سموا الحَمَلَ بَرَقا[٣] مع كثرة أسماء الغنم عندهم، وكما قال التغلبى[٤] :

وكنا إذا القيسىّ نبَّ عَتُودُه ... ضرَبْناه دون الأنثيَيْن على الكَرْدِ[٥]

أراد الكَرْدَن ، وهو العُنق ، فأقام به القافيةَ . وقال الآخر[٦] :

قد علمت فارس حِمْيَرَ[٧] والأعـ ... ـرابُ بالدَّشْتِ[٨] أيُّهم نَزَلا

أراد الدَّشت وهو فارسى ، وأسماؤه عند العرب كثيرة ، فلم يمنعهم ذلك من الارتفاق به . وكذا قال الآخر :

تضمنها وهم ركوب كأنه ... إذا ضم جنبيها المخارِق رَزْدَقُ

يريد رَسْتَهُ ، وهو الصف من النخل وغيره ، إلا أنهم زعموا أنه أراد النخل هنا . وقد استعمل العجّاج فى قوافى جيميته ألفاظا منه . قال .

---

(١) ديوانه : ١ — ١١٣ (٢) المخشلب : من حجارة البحر ، وليس دراً .

(٣) البرق ؛ قال فى اللسان : هو تعريب بره بالفارسية .

(٤) لسان العرب — مادة كرد . قال ابن برى : البيت للفرزدق . وذكر فى اللسان رواية أخرى:

وكنا إذا الجبار صعر خده ... ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٥) العتود : ما اشتد وقوى من ذكور أولاد الغنم . ويقال : نب عتود فلان إذا تكبر . وأراد بالأنثيين هنا الأذنين .

(٦) لسان العرب — مادة دشت . ونسبه للأعشى .

(٧) فى الأصلين : «وجرير» ، وما أثبتناه عن اللسان . (٨) الدشت : الصحراء .

* كما رأيت فى المَلاَء البَرْدَجَا *

يريد الرقيق ؛ وهو بالفارسية بَرْده . وقال :

* كالحَبَشِيِّ التفَّ أو تسَبَّجا[1] *

يريد لبس قميصاً ، وإنما هو بالفارسية شَبِي[2] فعربه بسَبيجة[3] ثمَّ صرَّف منه فِعْلا ، فى أبيات غيرها .

فليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم فى أمثال ذلك إذا احتاج إليه؛ فأما المحدَثون فقد اتَّسعوا فيه حتى جاوزوا الحدَّ لما احتاجوا إلى الإفهام ، وكانت تلك الألفاظُ أغلبَ على أهلِ زمانهمُ ، وأقربَ من أفْهامِ مَنْ يقصدون إفهامَه .

وقد أفرط أبو نُواس حتى استعمل زنمرده ، وبازبنده ، وباريكنده ، وغير ذلك ، فإن كانت اللفظةُ مسموعةً عن العرب على ما حكاه أبو الطيب ، فقد زالت الـكلْفة ، وإن لم تـكن محفوظة فما رويناه من أمثالها عن العرب والمحدثين يعتذر عنه ، ويقوم بحجته .

وقوله[4] :

ليس التعَلّل بالآمال من أربى ولا القُنوعِ بضَنْكِ العيشِ من شِيَمِى

قالوا : القُنوع خطأ وإنما هى القَناعة ، فأما القنوع فالمَسْألة ، يقال : قَنَـع يَقْنَعُ قَناعة ؛ إذا رَضِيَ ، وقَنَـع يَقْنَعُ قُنُوعا ؛ إذ سَأل[5] والفاعل فيهما قَانِع .

قال المحتج : الرواية المسموعة هى :

* ولا القَناعة بالإقلال من شِيَمى *

(١) فى الأصلين ؛ كالحبشى التفت أو تشبجا . والتصحيح عن المعرب للجواليقى : ١٨٢

(٢) فى الأصلين شى ؛ والتصحيح عن المعرب. (٣) فى المعرب : هو قميص من صوف .

(٤) ديوانه (٤ : ٣٩) ، وروايته هناك :

ليس التعل بالآمال من أربى ولا القناعة بالإقلال من شيمى

(٥) ومنه قول الشماخ :

لمـال المرء يصلحـه فيغنى مفاقره أعف من القنـوع

وقد سمعت رواة الشاميين يذكرون أنه أنشدهم قديما القُنوع ثم غيّر الإنشاد ، ورجع إلى القناعة ، ثم إن القنُوع بمعنى القناعة مَحْكِيّة عن العرب ، وإن لم تكن مشهورة ، وقد ذكرها أهلُ اللغة ، وحَكَوا عن أوس بن الحارث الطائى أنه أوصى ابنَه ، فقال فى بعض وصيته : خير الغنى القُنوع ، وشر الفَقْر الخُضوع . ولا يَحْتمل معنى القُنوع هنا فى هذا الكلام إلا الرضا والقناعة . وقوله(١) :

* واحرَّ قَلْباه مِمَّنْ قَلْبُه شَبِم *

فألحق الهاء فى قلباه . قالوا : وإنما تَلْحَقُ فى الوقف لخفاء الألف فتبين بها ، فإذا وُصلت حذفت .

قال المحتج : هذا هو الأكثر عند العرب ، والاختيار عند النحويين ، غير أنه ليس على الشاعر عيْب فى اتباع اللفظة النادرة إذا رَواها الثقاة ، ومتى وُجدَت الرواية عن ثِقَة لم يُحْظَرْ على الشاعر قَبُولها، والعمل بها لأجل اختلاف النحويين ، وقد أجاز الفرَّاء وغيره إلحاقَ هذه الهاء فى الوصل ، وروى فيه :

يا ربِّ يا ربَّاه إياكَ أسل عفوًا أيا ربَّاه من قبْل الأجَل

وأنشدوا :

* يا مرحباه بحمار ناجية *

وأنشدوا للمجنون :

فقلت أيا ربَّاه أوَّل سؤلتى لنفسىَ ليلى ثم أنت حسيبها

وقد قال أبو زيد فى بيت امرئ القيس(٢) :

وقد رَابنى قَوْلُها يا هَناهُ وَيْحك ألْحَقت شراً بشر

أن هذه الهاء هاء الوقف ، وخالفه جُلّ النحويين ؛ فى هذه الأبيات عذر واضح

(١) ديوانه (٣ : ٣٦٢) ، ربقيته :

* ومن بجسمى وحالى عنده سقم *

(٢) ديوانه ص ٩

للمتنبي . وأضعف من إلحاق هذه الهاء إسقاطُ الياء فى قلباه ؛ وإنما الوجه واحر قَلْبيَاه، وكذلك : وانقطاع ظهرياه ، لأن الياء إنما تسقط حيث يحذف التنوين من المنادى ، فلما كنت تقول : يازيد فتحذف التنوين قلت واغلاماه ، فأسقطت الياء ، ولو قلت واغلام غلامياه أثبت الياء ؛ لأنك تقول فى النداء ياغلامَ زيدٍ فتنون المضاف إلى المنادى، ولك فى المفرد إثبات الياء تقول : واغلامياه ، وإذا جاء موضع تثبت فيه النون فليس غير إثبات الياء ؛ هذا الذى عليه جِلّة النحويين وحُذّاقهم ، وقد أجاز بعضهم إسقاط الياء فى هذا الموضع ، وهو فى الشعر أقوى منه فى الكلام .

وقوله[1] :

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ ثَنَائِى حَدِيقَــةً ... سَقَاهَا الْحِجَى سَقْىَ الرِّيَاضِ السَّحَائِبِ

قالوا : فَصل بين المضاف والمضاف إليه [بالمفعول] ؛ وإنما يفصل بينهما بالظروف والحروف وما أشبههما ؛ لقول الشاعر[2] :

لما رأت سَاتِيدَ مَا اسْتَعْبَرتْ[3] ... لله دَرّ اليـــوم مَنْ لامَها

ساتيدما : جبل ؛ يقال : ماطلعت عليه الشمس إلا أريق فيــه دم ، معناه لله درّ من لامها اليوم . وقول الآخر[4] :

كَتَحْبِير الـكتاب بكفٍّ يومًا ... يهوديّ يقارب أو يزيل

وقول الآخر :

كأن أصواتَ من إيغَالهن بنا ... أواخرِ المَيْسِ[5] أصواتُ الفراريج

---

(١) ديوانه (١:١٥٨) (٢) معجم البلدان (٥:٦) ؛ ونسبه لعمرو بن قميئة، وأنشد قبله:

قد سألتنى بنت عمرو عن الـ ... أرض التى تنكر أعــلامها

(٣) قال فى معجم البلدان : سبب بكائها أنها لمافارقت بلاد قومها ووقعت إلى بلاد الروم ندمت على ذلك ، وإنما أراد عمر بن قميئة بذلك نفسه .

(٤) التبيان (١ : ١٥٨) (٥) الميس : الرحل .

يريد : كأن أصواتَ أواخر المَيْس ، فأما فى هذا فلا يجوز الفصل بينهما ؛ لأنهما كالاسم الواحد .

قال المحتج : قد أجاز الفرّاء هذا وأنشد فيه

ترى النُّور فيها مدخل الظل رأسَه وسائره باد إلى الشمس أجمع

والرواية المشهورة رأسَه ـ بالنصب ـ وأنشد أبو عبيدة :

تفرق آلاف الحجيج على مِنًى وصدعهم مشى النوى عنك أربع

أراد : وصدعهم النوى عنك مشى أربع ليال . وأنشد أيضاً :

وحَلَق الماذىِّ[1] والقلانِس فداسهم دَوْس الحصاء الدائس

وقال آخر[2] :

يَفْرُكُ حَبَّ السُّنْبل الكُنَافِج[3] بالقاع فَرْكَ القطن المحالج

ومما يقارب هذه الأبيات ، مما يحتاج فى بعضها إلى تبيين وكشف ، ويتجه فى بعضها الطعنُ عليه ، ويضعف فى بعضها الاحتجاج عنه قوله[4] :

* هَذى بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيساً[5] *

قالوا : حذفَ علامة النداء من هذى ؛ وحَذْفُها خطأ ؛ لأن هذى تصلحُ أن تكون نعتا لأى ، وكل معرفة تصلح جاز أن تكون نعتا لأى ، فحذفُ علامة النداء منه غير جائز .

قال المحتج : هذا لعمرى أصل القياس فى النحو ؛ غير أن ضرورة الشعر تجيز

(١) الماذى : السلاح كله من الحديد . (٢) لسان العرب — مادة كنفج .

(٣) الكنافج : المكتنز من السنابل .

(٤) ديوانه (٢ : ١٩٣) ، وبقيته :

* ثم انثنيت وما شفيت نسيسا *

(٥) الرسيس : مس الحمى وأولها . والنسيس : بقية النفس . يقول . لما برزت هيجت ما كان فى القلب من حبك ، وانصرفت وما شفيت نفوسنا التى أبقيت بقاياها بوصل منك .

ترك القياس فى النحو ، وقد أجازوا ذلك فى النكرات ، وهو أبعد فى الجواز من هذه المعارف ؛ قال الشاعر :

صاحِ هلْ أَبْصَرْت بالخَبْ تَيْنِ من أَسْمَاءَ ناراً

وقال العجّاج :

* جارى لاتستنكرى عذيرى *

فإذا جاز هذا فى النكرات فهو فى المعارف أجوز ؛ مع أنّ النحويين قد ذكروا ذلك وأدخلوه فى أبواب ضرورة الشعر .

وقوله[1] :

بَيْضَاء يَمْنَعُهَا التكلّم دَلُّها تِيهاً وَيَمْنَعُهَا الحَيَاء تَمِيسَا[2]

فنصب تميس مع حذف أن ، وهو عند النحويين ضعيف ، لا يجيزون النصب على إضمار أن، إلا أن يكون منها عوض، وقد أجازه الكوفيون. وأنشدوا قول طرفة[3] :

* أَلَا أَيُّهذا اللاَّئِمِى أَحْضُرَ الوَغَى *

بإضمار أن ، والبصريون يروونه على الرفع .

وقوله[4] :

عَوَابِسَ حَلَّ يَابِسُ الماء حُزْمَها فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كالمَنَاطِقِ[5]

قالوا : الماء لا يوصف باليَبَس ، وإنما يقال جَمد الماء وجَمَس السّمن ، ويبس العود والنبت ، ونحو ذلك .

---

(١) ديوانه (٢ : ١٩٥)

(٢) يقول : هى ذات حياء ، فحياؤها يمنعها من التثنى ، ودلالها يمنعها من الكلام

(٣) شرح المعلقات للتبريزى ص ٨٠ ، وبقيته :

* وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى *

(٤) ديوانه (٢ : ٢٢٣)

(٥) الحزم : جمع حزام : ويابس الماء : العرق . والمناطق : جمع منطقة وهو مايشد به الوسط .

قال المحتج : قد جاء عن العَرب وصفُ الماء باليَبس. قال بشر[١] [يصف خيلا] :

تَراها من يَبيس الماء شُهْباً ... مُخالِطُ درّةٍ فيها غِرَار[٢]

قالوا : وقد استعار الجوس فى الماء ذو الرّمة فقال[٣] :

* ونَقْرِى سَدِيفَ[٤] اللّحم والماء جامس *

قال الخصم : أما يبيس الماء فإن العلماء روَوْا عن العرب أنها تُسمى العرق يَبيس الماء ، فليس هو من هذا الباب بسبيل ، وأما بيتُ ذو الرّمة فقد ردّه الأصمعى،وعاب ذا الرُّمة به .

قال المحتج : أما تسميةُ العرَق يبيسَ الماء فلسْنَا ندفعه ؛ غير أنَّ هذا البيت يشهد بخلافِ ماقلتم ؛ لأنه جعلها شُهُبا ، والعرق لا يغير ألوانها ، وإنَّما أراد ما جَمَد من الماء عليها ، وبيت ذى الرّمة صحيح عنه ، وهو حجة تلزُم الأصمعى وغيرَه . وهل ينكر الأصمعى ذلك إلا برواية عن العرب ؟ ومتى ثبتت الرواية عن موثوق بفصاحته فقد وجب التسليم له .

وقوله[٥] :

تَفَكُّرُه عِلْمٌ ومَنْطِقُهُ حُكْمٌ ... وبَاطِنُه دِينٌ وظَاهِرُه ظَرْفُ

قالوا : خرج عن الوزن لأنه لم يجىء عن العرب مفاعلن فى عروض الطويل غير مصرّع .

قال المحتج : إنما جاء البحر على مفاعيلن ، وليس يُحْظَر على الشاعر إجراؤه على الأصل ، وقد جاء عن العرب مفاعيلن فى المصرّع ، وما خرج عن الوزن لم يحتمله

---

(١) لسان العرب — مادة يبس .

(٢) قال فى اللسان : الغرار : انقطاع الدرة ؛ يقول : تعطى أحياناً وتمنع أحياناً ؛ وإنما قال : شهبا ، لأن العرق يجف عليها فتبيض .

(٣) لسان العرب — مادة جمس . (٤) فى اللسان : عبيط اللحم . (٥) ديوانه (٢: ٢٨٧)

المصرّع ولا غيره . قال امرؤ القيس (١) :

ألا انعَمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالى ... وهل يَنْعمنْ مَنْ كان فى العُصُرِ الخالى

فجاء بالعروض على مفاعيلن لمَّا صرع. قالوا : وقد جاء فى شعر المحدَثين ما أجروْا فيه غير المصرّع مُجرى المصرّع ، فقال شاعرهم :

فالوجه مثل الصبح مُبْيَضّ ... والشعرُ مثل الليل مسودُّ

وأبو الطيب أعذر من هذا ، لأنه جرى على أصل البحر فى الدائرة . وقد حرى أبو تمام إلى ماهو أقبح من الأمرين ، فصرّع المِصراع فى قوله :

يقول فيُسمِعُ ، ويمشى فيسرعُ ... ويضرب فى ذات الإله فيوجِع

وعلى مثل هذا الطريق يعاب أبو الطيب بقوله (٢) :

إنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ ... هَطِلٌ فيـــه ثَوَابٌ وعِقابُ

فإنه أخرج الرَّمَل على فاعلاتن فى العروض ، فأجْرى على ذلك جميع القصيدة فى الأبيات الغير مُصرَّعة ، وإنما جاء الشعر منه على فاعِلن؛ لـكن أصله فى الدائرة فاعلاتن، وإن كان غير محفوظ عن العرب .

وقوله (٣) :

ولَعَلِّى مُؤَمِّلٌ بَعضَ ما أَبْـ ... ـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ

قالوا : تمنى أن يؤمّل بعض مايبلغ ، وهـذا لايليق بالـكلام ، وإنما وجهه أن يقول : ولعلى بالغ بعض ما أؤمّل .

قال المحتج : قد يجوز أن يكون أراد : لعلى أبلغ آمالى ، وأزيد عليها بلطف الله تعالى حتى يكون ما أؤمله بعضَ ما أصل إليه، وهذا غير مُسْتنكر .

(١) ديوانه ص ٤٩ (٢) ديوانه (١ : ١٣٣) (٣) ديوانه (١ : ٣٢٠)

وقوله[١] :

وعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْف يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ

قالوا : صعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت مَن لا يعشق فيتعجب منه، وإنما يقتضي أن كلّ مَنْ يَعْشق يموتُ ؛ وكأنه أراد : كيف لا يعرف مَن يعشق! فذهب عن مُراده .

قال بعض من يحتج عن أبي الطيب : إنه خرج مَخرج القلْب ، وهو كثير في شعر العرب، ومنه قول الأعشى[٢] :

وكل كميت كأنّ السّليـ ط في حيثُ وارى الأديمُ الشِّعارا

يريد : حيث وارى الشّعارُ الأديمَ ، فقلب الكلام . وكقول الأخطل[٣] :

مِثْلُ القنافِذِ هدَّاجُونَ قد بَلَغَتْ نَجرَانَ إن بلغت سوءاتهم هَجَرُ[٤]

يريد بلغت سوءاتهم هَجَر . وقال الشماخ[٥] :

منه ولدت ولم يُؤْشَبْ به حسبي ليًّا كما عُصِبَ العِلْبَاء بالعُودِ

أراد كما عصبَ العود بالعلباء . وقال آخر :

أسلمته في دمشق كما أسلمت وحشية وَهَقا[٦]

أراد كما أسلمَ وَهَقٌ وحشية . وقال آخر :

* كان الزّناء فريضة الرجم *

أراد كأنَ الرجم فريضَة الزناء ، ومثل هذا كثير .

---

(١) ديوانه (٢: ٣٣٣) . (٢) ديوانه ٥٣ . (٣) ديوانه ص ١١٠ ، وروايته هناك :

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أو حدثت سوءاتهم هجر

(٤) القنافذ : جمع قنفذ؛ وهو حيوان معروف، يضرب به المثل في سرى الليل . وهداجون: من الهدج (بالإسكان) وهو السير السريع . يقول : إن رهط جرير كالقنافذ يمشيهم في الليل للسرقة والفجور . (٥) ديوانه ٢٤ . (٦) الوهق: حبل في طرفيه أنشوطة ، تصاد به الدابة.

وقال غيره : إن الكلام جار على طريقته ، غير محتاج الحمل على القلْب ، وإنما المراد كيف تكون المنية غيرَ العِشْق ؛ أى أن الأمر المتقرِّر فى النفوس أنه على مراتب الشدة هو الموت ، وإنى لما ذقت العِشْق فعرفت شِدّته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتّفق على شدته غير العشق ، وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولى على الناس ، حتى تكون مناياهم منه ، وهلاك جميعهم منه .

وقوله(١) :

شَديدُ البُعْدِ من شُربِ الشَّمولِ　　تُرُنْجُ الهند أو طَلْعُ النخيل

قالوا : المعروف من العرب الأُتْرُج والتُّرُنْج مما يغلط به العامة ، فقال أبو الطيب : يقال أترجة وأترج وترنج ، حكاها أبو زيد ، وذكرها ابن السكيت فى أدب الكاتب .

وقوله(٢) :

فِدًى مَن على الغَبراءِ أوّلهم أنا　　لهذا الأَبىِّ المائد الجائد القَرْمِ

قالوا : لم يُحْك عن العرب : الجائد ، وإنما المحكى عنهم رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

قال المحتج : هذا الباب يستغنى فيه بالقياس عن السماع لاطّراده ، واتّساق أمره على الاعتدال ، فكل فعل فى الكلام يقتضى التصريف إلى فاعل ومفعول ، وكل فعل فله مُفعِل ومُفْعَل ، ولسنا نحتاج فى مثل هذا إلى التوقّف واتباع المسموع ، وهذا أشبه بمذاهب القياس ، والأصل الذى عليه أهل اللغة .

وقوله(٣) :

خَلائقُ لو حَواها الزَّنْجُ لانْقَلَبُوا　　ظُمْىَ الشِّفاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا(٤)

---

(١) ديوانه (٣ : ٩٠)　　(٢) ديوانه (٤ : ٥٥)　　(٣) ديوانه (٤ : ٢٢٨)

(٤) خلائق : جمع خليقة ، وهى الخلق . والزنج : جنس من السودان . وظمى الشفاه : رقاق الشفاه مع سمرة . وغران : جمع أغر ، وهو الأبيض .

قالوا : الزَّنْجيّ لا يوجَد إلا جَعْدَ الشعر ، وإنما تُفْرِط الجعودةُ فيهم حتى تخرج عن حدِّ الاعتدال، فكيف يَنْقَلِبون من الجُعُودَةِ إلى الجعودة ! قال المحتجّ : إن للأوصاف حدوداً إذا فارقتها إلى نَقْصٍ أو زيادة زالت الصفاتُ إلى ما يخالفُ حقيقة اللُّغــة ، أو عادةَ الاستعمال ، ولِلْوَصْف بالجَعْد نهايةٌ ، فإذا زاد فإنما هو القَلْعَطُ والقُلْعَدُ(١) ، وإن كان على هيئة شَعْر الزنج فهو الفُلْفُل ، ونحو ذلك من الأوصاف؛ ولذلك صاروا يمدحون بجُعُودة الشعر ويَذُمّون بشعور الزَّنْج ، فلاشكَّ أن ماحمدوه غير ماذَموه، وإنما مُرَاد الشاعر بقوله انقلبوا جِعَاد الشعر أنهمصاروا إلى حدِّالاعتدال الذى يُحْمَد ويُسْتَحْسن ويوصَف به ويختار .

وقوله(٢) :

بَليتُ بِلَى الأطْلَالِ إنْ لم أَقِفْ بهـا وقوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فى التُّرْبِ خَاتَمُهْ(٣)

قالوا : أراد التناهى فى إطالة الوقوف فبالغ فى تقصيره ؛ وكم عسى هذا الشحيح بالغا مابلغ من الشُّحّ ، وواقعا حيثُ وقعَ من البُخْل أن يقف على طلب خاتمه ، والخاتم أيضاً ليس مما يَخْفَى فى التُّرْبِ إذا طُلِب ، ولا يَعْسُر وجوده إذا فتش . وقد ذهب المحتجُّون عنه فى الاعتذار له مذاهبَ لا أَرْضَى أكثرها، وأَقْرَبُ مايقال فى الإنصافِ ما أقوله إن شاء الله تعالى :

أقولُ إنّ التشبيهَ والتمثيلَ قد يقع تارةً بالصورةِ والصفة ، وأخرى بالحال والطريقة؛ فإذا قال الشاعر ــ وهو يريدُ إطالة وقوفه : إنى أقف وقوفَ شحيحٍ ضاعَ خاتَمه ، لم يُرِد التسويةَ بين الوقوفين فى القَدْرِ والزمانِ والصورةِ ، وإنما يريدُ لأقفنَّ وقوفا زائداً على القَدْرِ المعتاد خارجا عن حدِّ الاعتدالِ ، كما أنّ وقوفَ الشحيحِ يزيدُ على ما يُعْرَف فى أمثاله ، وعلىَ ماجرت به العادةُ فى أضرابه ، وإنما هو كقول الشاعر :

رُبَّ ليلٍ أمَدَّ مِنْ نَفَسِ العَا شِقِ طُولًا قَطَعْتُه بانْتِحَابِ

---

(١) افلعط الثوب : جعد ، واقلعد مثله . (٢) ديوانه (٣ : ٣٢٨)

(٣) الأطلال : جمع طلل ؛ وهو ما شخص من آثار الديار .

ونحن نعلمُ أنَّ العاشق بالغاً ما بَلَغَ لايمتدّ امتدَادَ أقصر أجْزَاءِ الليل، وأنَّ الساعة الواحدة من ساعاته لاتنقضى إلا عن أَنْفَاسٍ لاتُحْصَى ؛ كائنةً ماكانت فى امتدادها وطولها ، وإنما مرادُ الشاعر أنَّ الليلَ زائدٌ فى الطول على مقادير الليالى كزيادةِ نَفَسِ العاشق على الأنفاس ؛ فهذا وَجْهٌ لا أرى به بأسا فى تصحيح المعنى ، وإن كنتُ لا أرى أن يُؤْخَذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية مالم يأخذْ نَفْسَه بها، ويتكلَّف التعملَ لها ، فيؤخذ حينئذ بحكمه ، ويُطَالَب بما جنى على نفسه .

وقوله[1] :

كأنَّهُ مِنْ عِلْمِــــهِ بالمَقْتَلِ ... عَلَّمَ بُقْرَاطِ فِصَادَ الأكْحَلِ[2]

قالوا : لم يكن بقراط فصَّادا ولا كان الفَصْد غالباً عليه فى زمانه ، وإنما كَثُرَ بعده . قال المحتجّ : أما هذه الدعوى فلا يُعْلَم كَيْفَ وَجْهها ؟ وهل أنتم صادقون فيها ؟ وقد كان الفَصْدُ قديما ، ولـكنهم كانوا يجتذبون العِرْقَ بآلةٍ شبيهة بالقِنَّارَة[3] ثم يَبْضَعُونه ، فهذا أحوجُ إلى الحِذْقِ واللُّطف ، ولسنا نأبى أن يكون بُقْراط لايفصد ، وليس مَقْصِدِ الشاعر إلا علمه بالفَصْد، وقد عُلِم موقعُ المعرفة بالتشريح من هذا العلم ، وكيف يفتقر إلى الوقوف على تشعّب العروق ، واتّصال ما اتصل منها ، وانفصال ما انفصل ، وليس بمثل بُقْرَاط - على عِلْمِه ومعرفته بالطّب ، واجتماع الألْسُن على تقديمه جَهْل ذلك ، وقد يعلمُ الشيء مَنْ لايعالجه بيده ، ولا يتولاَّه بنفسه ، وليس تَرْكه مباشرةَ ذلك بدالٍّ على جَهْلِه به . ولو كان بُقْرَاط أجهلَ الناس بذلك لم يَلْحق أبا الطيب من هذا القول نقيصةٌ على طريقته ؛ لأنهم لايُؤْخَذون بمعرفة الأطباء ومواقعهم من الصناعة ، ومهارتهم فى العلم والعمل ، ولما رأى الأطباء

---

(١) ديوانه (٣ : ٢٠٨) (٢) رواية الديوان :

كأنها من سـعة فى هوجل ... كأنه من علمـه بالمقتـل

علم بقراط فصـاد الأكحل ... فحـال ما للقفـز للتجـدل

وبقراط حكيم قديم ، وبه يضرب المثل فى الطب والحكمة ، والأكحل : عرق فى الذراع .

(٣) القنارة : الخشبة يعلق عليها القصاب .

لايَخْلُون من معرفة العروق ومَوَاقِع الفَصْد ، ورأى بقراط هو المُتَقَدِّم فى الطب ضرب به المثل فى ذلك ، وهو ليس بأكبر من غلط العربى فى اسم داود عليه السلام إلى اسم ابنه سليمان عليه السلام ، ثم غَلَطه فى اسمه حتى يجعلَه مرة سَلاَّماً، ومرة يسميه سُليما.

وقال الآخر منهم :

* مثل النَّصَارَى قتلوا المَسِيحاَ[(١)] *

لما سمع القصة ولم يدر كيف حقيقةُ القول فيها أجراها على ماخطر بباله .

وقوله[(٢)] :

الفاعِلُ الفِعْلَ لم يُفعَلْ لِشِـدَّتِه ... والقائلُ القَوْلَ لم يُتْرَكْ[(٣)] ولم يُقَلِ

قالوا : كيف يكونُ القولُ غيرَ متروكٍ ولا مَقُول ؟ وهل هـذه إلا مناقَضَةٌ ظاهِرةٌ ! قال المحتج : إنَّ من عادة الناس إذا اسْتَقْصَرُوا فعلَ الفاعل قالوا : فعلتَ وما فعلتَ ؛ أى لم تفعله على وَجْهِ التمام، ولم تَبْلُغ به شريطةَ الـكمال ؛ فقد تـكَلَّفْتَ الفعلَ، وكأنّك لم تفعل. فـكذا هذا القولُ لم يُتْرَكْ ولم يُقَلْ ؛ لأنه قد تعرَّض له فلم يُوَفِّه حقَّه ، ولم يَبْلُغ المرادَ فيه ؛ فـكأنه لم يُقَلْ . وقد يجوزُ أن يكونَ المرادُ به أنَّه لم يُتْرَكْ ، لأنه لم يَخْطُرْ بالبال فيُتْرَكْ ، وإنما ابتدعتَه أنتَ وسبقتَ إليه ؛ والشىء إذا لم يَخْطُر بالبال، ولم تتعلَّقْ به الهِمَّةُ لم يُسَمَّ متروكا فى المُتَعارَف من الـكلام ؛ وليس يجبُ أن يكونَ الحـكمُ بالمناقضة مقصورا على ظاهر اللفظ ، وإنما المعوَّلُ على المعانى والمقاصد ؛ ولو ادّعى ذلك فى قول القائل كان أَسْوَغ :

* فى كفه معطية منوع *

---

(١) الرواية فى اللسان :

* إذ المسيح يقتل المسيحا *

قال : يعنى عيسى بن مريم يقتل الدجال . فـكلمة المسيح الثانية المراد بها الدجال .

(٢) ديوانه (٣ : ٣٧)

(٣) أى لم يترك القائلون طلبه ، ولما لم يصلوا إليه كان كأنه لم يقل . والمعنى أنه نفعل الفعل الذى قصر عنه الفاعلون ؛ ويقول القول الذى قصر عنه القائلون .

وقوله :

* حتى نجا من خوفه وما نجا *

فقيل : كيف تكون معطية منوعا وكيف ينجو ولا ينجو لكان دالاًّ على جَهْل المدَّعِي وقصورِ علمه عن الأغراض .

وقوله(١)

يَفْضَحُ الشَّمسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ بشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ

قالوا : الشمسُ لاتكونُ سوداءَ ، والإنارة تضادّ السوادَ ، فقد تصرَّف فى المناقضة كيف شاء .

قال المحتجّ : إنه لم يجعلُه شمسا فى لَوْنِه فيستحيلُ عليه السوادُ . وللشعراء فى التشبيه أغراضٌ ، فإذا شبَّهوا بالشمس فى موضع الوصفِ بالحُسْنِ أرادُوا به البهاء والرَّوْنَق والضياء ، ونُصُوعَ اللونِ والتمام، وإذا ذكروه فى الوصف بالنَّباهة والشُّهْرَة أرادُوا به عمومَ مَطْلعها وانتشار شُعَاعها، واشتراكَ الخاصِّ والعام فى معرفتِها وتعظيمها . وإذا قرنوه بالجَلال والرِّفْعَة أرادُوا به أنوارَها وارتفاع محلها . وإذا ذكروه فى باب النفع والإرْفَاق قصدُوا به تأثيرَها فى النّشوء والنماء ، والتحليل والتصفية . ولكل واحدٍ من هذه الوجوه بابٌ مُفْرَد ، وطريقٌ متميزٌ ؛ فقد يكون المشبَّه بالشمس فى العلوِّ والنَباهة ، والنَّفْعِ والجَلَالة أَسْوَد ، وقد يكونُ منيرَ الفعال كَمِدَ اللَّوْنِ ، واضح الأخلاق كاسِفَ المَنْظَر ؛ فهذا غرضُ الرجل ؛ غير أنّ فى اللفظ بشاعةً لا تُدْفَع ، وبُعْدًا عن القبول ظاهر .

وقوله(٢) :

* لَا يَأْتَلِى فِى تَرْكِ أنْ لَا يَأْتَلِى *

---

(١) ديوانه (١ : ٣٤) (٢) ديوانه (٣ : ٢٠٧) وصدره :

* فى هبوة كلاهما لم يذهل *

والهبوة : الغبرة . وما ألوت فى كذا ، وما ائتليت ، وما أليت : أى قصرت .

قالوا : أفسد المعنى ، لأن لا يأْتَلِى لا يُقَصِّر ؛ فكأنه قال : لا يُقصِّر فى تَرْكِ أنْ لا يُقصِّر فوصفه بالتقصير . وبيان ذلك أنّه لم يَأْتَل ؛ فقد جدَّ فى تَرْكِ الجدّ ، وهو نهايةُ التقصير . قال المحتج : لا أرى «لا» إلاّ زائدة ؛ فتقديرُ الكلام : لا يأتلى فى تَرْكِ أنْ يأتلى ؛ فكأنه لا يُقصِّر فى تركِ التَّقْصير ، وهذا هُوَ الجدّ ؛ وزيادة «لا» غيرُ مُسْتَنْكَر ، وقد جاء فى القرآنِ والشعر ، قال الله تعالى : « لئلّا يَعْلَم » فمعناه ليعلم . وقال أبو النَّجم :

* وما ألوم البيض ألا تسخرا *

فزاد « لا »، فأمّا زيادةُ ما فكثيرٌ مشهور. وقال العجّاج فى زيادة لا :

* فى بِئْرِ لاحُورٍ سَرَى وما شَعَرْ[1] *

أى فى بئر حُورٍ .

وقوله[2] :

كأنَّكَ أَبصَرْتَ الذى بى وخِفْتَه ... إذَا عِشْتَ فاخْتَرْتَ الحِمام على الثُّكْلِ[3]

قالوا : هذا الكلامُ الذى لا طريقَ للفهم إليه لتخالُفِ أطْرافِهِ وتنافُرِ معانيه وألفاظه ؛ يقول : كأنك أبصرتَ ما بى من الحُزْنِ عليك ، وخِفْتَه إذا عشتَ ، فاخترتَ أن تموتَ على أن تثكل ، ولو عاش ما أبصرَ شيئاً مما لَحِقَه ولا خافه ، لأنَّ الذى جرَّ ذلك الحزنَ والضَّنَى هو موتُه ، فكيف يكونُ ـ لو عاش ـ مُبْصِراً له وخائفاً ! وما معنى هذا الثُّكْل ها هنا ؟ أهو ثُكْل هذا الميّت له أم ثكله الميّت ؟ فإن كان ثكله للميّت فهو الحِمام الذى قد حصل، وإن كان ثكل الميّت له فكأنّه قال:

---

(١) اللسان — مادة حور ، و « لا »

* فى بئر لا جور يرى وما شعر *

وتمامه :

* بإفكه حتى رأى الصبح جشر *

(٢) ديوانه (٣ : ٤٣) (٣) الحمام : الموت ، والثكل : فقد الحبيب العزيز .

قد اخترتَ موتَك على موتى ، ووجدتَ الحِمام أهون من ثكلك لى ! فكيف يقولُ ذلك وهو لو عاشَ لم يكن لثكله له سببَ ! ولو كان له ما يؤدّيه إلى هذا الضَّنَى الذى ذكره فى حياة هذا الميت لكان مَثْكولا وهو حىّ ، مُصيبا منه الضَّنى ما أصاب المتنبّى ! قالوا : وما نعرف بيتا يُقارِب هذا الخطأ إلا بيتَ أبى تمام(١) :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بين أطْرَاف الرِّمَاح إذاً لماتَ إذ لم يمُتْ من شِدَّةِ الحَزَنِ

قال المحتج : إنكم ذهبتُم عن غَرَضِ الرجل ، وظننتُم أنه أرادَ : أنك خفت نزُولَ هذا الضَّنى بى لأجلك ، وأنت حىّ ، ولم يُرِدْ ماخطَر لكم ؛ وإنما مَذْهَبُه فيه أنك خِفْتَ أن يصيبنى هذا العارضُ من الضَّنى وأنتَ حىّ ، فيبلغ منك الغمّ به مبلغ الثّكل ، فاخترتَ الحِمام عليه .

فقال الخَصْمُ : هبِ الأمرَ على ماقلتُم ، ماوَجْهُ هذه المخافة ؟ وكيف يصيبه ذلك الحزنُ وهو يثكل حبيبا ولم يفقد عَزيزا ؟ وما وَجْهُ شفقةِ ابنِ سيفِ الدولة على المتنبى حتى يفدى حزنَه بنفسه ، ويختار الحِمام على ثُكْلِه ؛ على أنه له فى ذلك عادات ، منها قوله يرثى والدةَ هذا الممدوح(٢) :

بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوتِ ؟ فإنَّ قَلْبِى وإنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غيرُ سَالِى(٣)

وقوله يرثى أخته(٤) :

وهلْ سَمِعْتِ سَلاَماً لِى أَلَمَّ بِها فَقَدْ أَطْلَعْتَ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ

وما باله يسلم على الحرم ، ويتشوّق إلى الأمهات ! ومَنْ سبقه إلى هذا ! وإنما يَفعَل ذلك مَنْ يرْثى بعض أهله ، وأمّا استعماله إياه فى هذا الموضع فدالٌّ على ضعف البصر بمواقع الكلام . ومما تحقّق ذلك فيه قوله(٥) :

---

(١) ديوانه ص ٣٨٨ (٢) ديوانه (٣ : ١٥)

(٣) يقسم عليها بحياتها ، ويقول : هل سلوت عن النوال وحبه ؛ فان قلبى — وإن بعدت عن أرضك — غير سال .

(٤) ديوانه (١ : ٩٢) (٥) ديوانه (١ : ١٠١)

وغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الوُشاَ ةِ إنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبٌ(١)

فجعل الأمراء يُوشَى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوِّه ، ويجرى العدوّ مجرى بعض أصحابه ؛ لاسيما إذا كان الممدوح مثل ابن حَمْدَان والعدوّ الدُّمُسْتُق ، وليس بسائغٍ فى اللغة أنْ يقال: وشى فلان بالسلطان إلى رعيته ، ولو قيلَ ذلك فى أميرين لـكان قصَّر بالموشى به لا محَالة ؛ وإنما المعروف الصحيح أن يُوشَى بالأصْغَر إلى الأكبر ، فان توسع فى ذلك فبالنظير .

قال المحتجّ : أصل الوشاية استخراج الحديث بالمسئلة والتلطّف ، كما يستوشى الرجلُ جَرْىَ الفرس بتحريكه وغَمْزِه بعَقِبيه ؛ فقد يجوزُ أن يجرى هذه الـكلمة على أصلها، ويجعل هؤلاء وشاة لما أتَوْه بهذا الخبر: والـكلامُ هو الأول عندى والعذرُ فيه يضعف، وإنما أرادَ بالوُشَاَة الذين بعثُوه على قَصْدِ الثغور ، فإنما وشَوْا بأهلها لمـا دَلّوه على ضَعْفِهم واشتغال ناصرهم .

ومن هذا الضَّرْبِ قوله(١) :

ما ينْقُص المَوْت نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمُ إلاَّ وفِى يَدِهِ مِنْ نَتْنِها عُودُ

قالوا : والعودُ لايشَمّ ، ولو اشتمّ لم يحظ من ريحه بطائل ، وإنما يظهر عَرْفه إذا حللت النار أجزاءه ولطفتها ، فانبثَّت فى الهواء ودخلت فى الخياشيم .

قال القاضى : وليس فى المعنى عندى ماذكره ، ولا ذهب الرجلُ حيث ظنّوا ، وإنما أراد أنه لايباشرها إذا قبضها ، ولـكن يَقْبِـضها وفى يده عُودٌ يتناولها بطرفه، كما يريدُ الإنسان أخْذَ الشئ يستقذره ، فيصونُ عنه يَدَه ، ويتناوله بحاجز ، ولم يُرِدْ عُود الطيب . وإنما أراد عُودا من العيدان أيها كانت .

وأمثالُ هذه الاعتراضات كثيرةٌ واستقصاء جميعها بابٌ من التطويل ، وإنما

---

(١) الوصب: المرض، وفى الديوان : قول العداة بدل: قول الوشاة، وفسر البيت فى التبيان بما يأتى: إنما جاءهم العدو ، لأن الأعداء أرجفوا بأنك عليل ، وأنك لا تطيق المجىء إليهم لثقل المرض.

(٢) ديوانه (٢ : ٤٢)

يَصْلُح استيفاء ذلك إذا قصدنا شَرْح المعانى المستغلقة من شعره ، فإنَّ القولَ فى ذلك يتَّصِل بالكَشْفِ عن هـذه الأمور ، ويتناول الغامضَ الخفىّ ، والمتوسط المحتمل ، والظاهرَ الذى فيه بعضُ اللبس ؛ فينفى مايجب أن ينفى ؛ ويعتذر لما يحتمل العذر ، ويذكر مثل قوله(١) :

إذا ضَوْؤُهَا لاقَى من الطيْرِ فَرْجَةً ... تدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

ويُبَيِن كيف صار مايقعُ من الشمس على البَيْض إذا وَجَدَتْ من الطير فَرْجَةً مستديرا ولم يكن مستطيلا ، وإن كانت المشاهدةَ صحَّحَتْ قول الشاعر ، وإنما بقى علينا تعرُّف العلة . ومثل قوله(٢) :

لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوْ ... عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِها حَـــوَّاءُ(٣)

كيف يكون من الوَرَى ، والوَرَى منه : ونحوُ هذه المعانى وما يشاكلها . وقد قدَّمنا عند ذكرنا الاستعارات ووجوه الإغراق والإفراط مايبين لك القولَ فى مثل قوله(٤) :

وضاقت الأرضُ حتى كادَ هارِبُهم ... إذا رأى غَيْرَ شىء ظنَّهُ رَجُلا

وقوله(٥) :

فَلَوْ سِرْنَا وفِى تَشْرِينَ خَمْسٌ ... رَأَوْنِى قَبْلَ أَنْ يَرَوا السِّماكا

وإنما يطلع السماكُ فى تلك الليلة .

وفى مثل قوله(٦) :

* فصارَ سُقْمِى به فى جِسْمِ كِتْمانِى(٧) *

---

(١) ديوانه (٤ : ١١٤) (٢) ديوانه (١ : ٣١)

(٣) اللذ : بمعنى الذى ؛ ويريد : لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه معك ، لأنك جماله وشرفه ، وأنت أفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ، ولكنها صارت ذا ولد بك . ولو لا أنت لكان ولدها كلا ولد .

(٤) ديوانه (٣ : ١٦٨) (٥) ديوانه (٢ : ٣٩٥)

(٦) ديوانه (٤ : ١٩٢) (٧) صدره :

* كأنه زاد حتى فاض من جسدى *

فجعل للكِتْمانِ جِسْماً. وما لحق بهذين البابين من استعارة بعيدة، وإفراط فاحش.
فأما كتابُنا هذا فقد وفَّيناه حقه، وبلغنا به نهايتَه، وآتينا على ما وصلت الطاقةُ إليه، وما أسعفَنا الإمكانُ به؛ فإذا زادنا النظرُ والفكرُ والمطالعةُ والبحثُ بعضَ ما يليق به أضفناه إليه؛ وإن أفادنا غيرُنا منه ما قَصَّرَ علمنا عنه استفدناه وأعظمنا النعمةَ فيه، وعرفنا لصاحبه فضلَ التقديم، ولرجعنا له بحق التعليم. وبالله نستعين على كل خير، وإياه نسأل التوفيق، ونستوهب العِصْمة والتسديد، وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل.

فهارس الكتاب

١ - فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

***

(ب)

* * *

(ت)

***

(ث)

***

(ج)

***

(د)

(ذ)

***

(ر)

(ش)

* * *

(ص)

(ض)

* * *

(ط)

* * *

(ظ)

* * *

(ع)

* * *

(ف)

* * *

(ق)

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،
٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،
٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ،
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ،
٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،

* * *

(ن)

* * *

(ه)

* * *

(و)

فهرس القبائل

فهرس الأماكن

فهرس الشعراء وسرد قوافيهم (١)

(١) روعى فى هذا الفهرس ذكر أسماء الشعراء بحسب مااشتهروا به مرتبة على حسب حروف المعجم ، ثم سرد القوافى مرتبة على الحروف ، ثم على مواقعها فى الكتاب .

(١) أدرجنا تحت هذا العنوان قوافى الأبيات التى لم يعزها المؤلف لقائليها .

فهرس المراجع

أخبار أبي تمام للصولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧م.
أخبار المراقسة للسندوبى ، طبعة القاهرة .
أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، مطبعة الترقى بمصر سنة ١٣٢٠ هـ .
الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى . طبعة الساسى بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .
الأمالى لأبي على القالى . طبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ .
أيام العرب، لمخرجي هذا الكتاب . مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٦١هـ .
التبيان بشرح الديوان للعكبرى . مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٣٦م.
خزانة الأدب للبغدادى . المطبعة السلفية سنة ١٣٤٨ هـ .
ديوان الأخطل. نشره الأب أنطون صالحانى اليسوعى. مطبعة بيروت سنة ١٨٩١م.
ديوان امرئ القيس . مطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .
ديوان البحترى . مطبعة القاهرة سنة ١٩١١ م .
ديوان بشار . شرحه ونشره أحمد حسنين القرنى . مطبعة الشباب بالقاهرة .
ديوان أبي تمام . نشره محي الدين الخياط . طبعة القاهرة .
ديوان جرير . نشره محمد إسماعيل عبد الله الصاوى . مطبعة الصاوى بمصر سنة ١٣٥٣ هـ .
ديوان حاتم الطائى . المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٩٣ هـ .
ديوان حسان بن ثابت . مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣١ .
ديوان الحماسة (شرح التبريزى) . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ .
ديوان ابن الرومى . نشره كامل كيلانى سنة ١٩٢٤ م .

ديوان زهير بن أبي سلمى . طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ . وطبعة دار الكتب سنة ١٩٤٥ م .

ديوان طرفة . طبعة قازان سنة ١٩٠٩ م .

ديوان العباس بن الأحنف . طبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ .

ديوان عروة بن الورد . المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٩٧ هـ .

ديوان عمر بن أبي ربيعة . طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ .

ديوان عنترة بن شداد . نشره أمين سعيد . المطبعة العربية بالقاهرة .

ديوان مسلم بن الوليد . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ م .

ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

ديوان ابن المعتز . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٨ م .

ديوان النابغة الذبياني . المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٩٣ هـ .

ديوان أبي نواس . (شرح محمود واصف) . طبعة القاهرة سنة ١٨٩٨ م .

سمط اللآلي . نشره عبدالعزيز الميمني . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٦ م .

شرح شواهد المغني للسيوطي . المطبعة البهية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

الشعر والشعراء لابن قتيبة . مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

شعراء النصرانية . للأب لويس شيخو . طبعة بيروت سنة ١٩٢٦ م .

الصناعتين لأبي هلال العسكري . طبعة الآستانة سنة ١٣٢٠ هـ .

الضرائر للألوسي . المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ .

العرف الطيب بشرح ديوان أبي الطيب . لليازجي . طبعة بيروت سنة ١٣٠٥ هـ .

العمدة لابن رشيق . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧ م .

عيون الأخبار لابن قتيبة . طبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٢٥ م .

الأعلام لخير الدين الزركلى . المطبعة العربية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م .

القاموس المحيط . للفيروز أبادى . المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٣٠ ﻫ .

قصص العرب، لمخرجى هذا الكتاب . مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٥٨

كتاب سيبويه . طبعة بولاق سنة ١٣١٧ ﻫ .

لسان العرب لابن منظور . طبعة بولاق سنة ١٣٠٨ ﻫ .

مختارات البارودى . طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ ﻫ .

مختارات ابن الشجرى . طبعة القاهرة .

المفضليات . مطبعة المعارف سنة ١٣٦٣ ﻫ .

معجم الأدباء لياقوت الحموى . طبعة القاهرة (دار المأمون) سنة ١٣٥٥ ﻫ .

معجم البلدان لياقوت الحموى . طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ ﻫ .

معجم الشعراء للمرزبانى . نشره كرنكو . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٤ ﻫ .

مهذب الأغانى . للشيخ محمد الخضرى بك ، مطبعة مصر .

المواهب الفتحية . للشيخ حمزة فتح الله . مطبعة بولاق .

الموشح للمرزبانى . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٠ ﻫ .

النقائض بين جرير والفرزدق . طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ م .

وفيات الأعيان . المطبعة الميمنية بالقاهرة .

يتيمة الدهر للثعالبى . طبعة القاهرة (دار المأمون) سنة ١٩٣٤ م

تصويب واستدراك

الصفحة	السطر	الصواب
٣	٩	والنَّدْرَة
٩	٨	مبنيٌّ
١١	٦	أبي حزم
١٣	٤	يَدَا
١٣	٧	حُمَيْد
١٦	٥	جُوَيَّة
١٦	١٥	أَعْلَمَنا
٢١	١٤	مُرَجَّى
٣٤	٨	وَعْرِيَّ
٣٧	٦	في جنحٍ منَ الليلِ
٤٧	١١	هذه التسمية
٤٧	١٢	أبي دُوَاد
٥٠	١٤	سبيلُ
٦٢	٥	عُذْرُهُ
٧٤	١	البرآء
٧٤	١٠	أسقِ الرعيّة
٨٤	١٠	لِطَاسِيَ
٨٦	١٢	مستقمتما
٨٧	٩	المقدَّريها
١٠١	٨	ومَنْ لكَ
١٠٢	١٣	غَيْرِ هادٍ
١١٠	١٨	فَدَّتْ
١١٧	٧	من توهُّمِ
١٢٥	٦	في النَّحْس
١٦٦	٥	امرأً

الصفحة	السطر	الصواب
١٧٦	٨	يَعْيَيْنِي
١٧٧	٢	فيهمُ
١٨٩	٣	تهِرّ
١٩٠	٦، ٨	ابن مُناذر
١٩٩	٢	امرأً
٢٠٤	١	سماء
٢٠٤	٣	كِلْتَا
٢٢٩	٣	جفنيهِ
٢٣١	١٣	عَقْلِ
٢٤٠	٧	الحجازِ
٢٤٣	٢٠	٥
٢٤٨	٥	تَجِدُ
٢٥١	١	بِسُوقٍ
٢٥٢	٤	غَيْرِهِ
٢٥٢	٧	اختياريك
٢٥٤	٥	وزعموا
٢٥٩	١٥	يبتغيها
٢٦٤	١٢	ورحمة ... الجروح
٢٧٢	١٤	معيشةٍ
٢٧٣	٦	بيسورِ
٢٧٤	١٠	تقاتي
٢٧٥	١	تُخَيِّلاتْ
٢٧٥	١٦	حيٍّ
٢٧٦	٧	أسيافه
٢٧٧	٦	بِهجْرانِ

الصفحة	السطر	الصواب
٢٨٠	٨	حكَتْ
٢٩٠	١	أُقيشر
٢٩٦	١٣	يبْتَسِمُ
٣٠٩	٥	اعتصَرَتْها
٣١١	٩	رَبْط
٣١١	١٩	أحوج
٣١٢	١٥	سُنّة
٣١٢هامش٦		٧
٣١٢هامش٧		٦
٣١٢	١١	عديدِكم
٣١٨	١٢	وتدمُرُ
٣١٩	٧	فَنُوا
٣٢٢	٢	عليَّ
٣٢٦	٦	واعتقادُهمْ
٣٢٨	٦	السمهريّ
٣٣١	٦	فكأنها
٣٣٣	١٥	لَمَا
٣٣٦	٢	أحِنُّ
٣٤١	١	ذِكرُناهُ
٣٤٦	١٠	عَدُوٍّ
٣٦٠	٨	وشَرِقتْ
٣٧٥	٦	وأنفدوا
٣٧٥	١١	يرُدُّ
٣٩٩	١٣	سريتُ
٤٠٧	٢	عينكَ
٤٠٩	٥	غَيْرُ
٤١٠	٨	خاتَمُه

الصفحة	السطر	الصواب
٤١٣	١٥	تجْنيسا
٤١٦	٢	مقارفة
٤١٨	٦	الأَميرا
٤١٨	٨	أردْت
٤٢٣	٦	عُبيدا
٤٢٤	٧	عُبيدا
٤٢٤	٨	الزيادة
٤٢٨	٦	لتخافك
٤٣١	٩	متداولةٍ
٤٣٥	٦	يسمع
٤٣٧	٢٠	ولم أدر
٤٣٩	٩	يَجُزْ
٤٤٤	١	نحو
٤٤٧	٩	وَجْهُ
٤٤٨	١٦	الرُّقيّات
٤٥٣	١	توجبُ
٤٥٣	١٧	الحما
٤٥٤	١٨	مِنْ
٤٥٥	٢٠	هاجرَةٍ
٤٥٧	٦	بأكثر
٤٥٩	١٢	العادى
٤٦١	٣، ٤	مَخْشلبا
٤٦١	٨	سموا
٤٦٤	٩	الرياض
٤٦٥	١٤	خطأً
٤٧٢	١	لا يعتد نفسَه
٤٧٨	٩	تَكُنْ